ايلرلنغ ليدوك بيترسن

Erling ladewig petersen

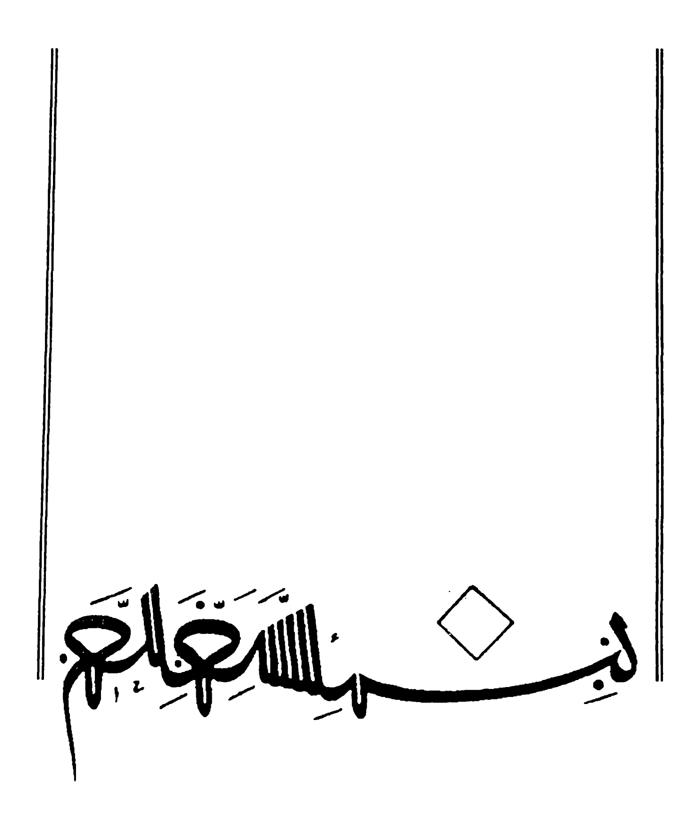
علي عليه السلام و معاوية

فى الرواية العربية المبكرة

دراسة في نشاة و نمو الكتابة التاريخية الاسلامية
حتى نهاية القرن التاسع الميلادي - الثالث الهجري



ترجمة و تقديم و تعليق:
عبد الجبار الناجي



علي ومعاوية

في الرواية العربية المبكرة

دراسة في نشأة ونمو الكتابة التاريخية الاسلامية
حتى نهاية القرن التاسع الميلادي

تأليف

ايلرلنغ ليروك

بيترسن

Erling ladewig petersen

ترجمة وتقديم وتعليق

عبد الجبار ناجي



قم - ٢٠٠٨ ـ ١٤٢٩ - ١٣٨٧

عبدالجبار ناجي
علي ومعاوية في الرواية العربيه المبكرة/ ايلرلنغ ليروك بيترسن؛ Erling ladewig petersen ترجمة عبدالجبار ناجي
قم: نشر المؤرخ، ۲۰۰۸م- ١٤٢٩
الطبعة الاولى
تاريخ الاسلام - علم التاريخ عند المسلمين - علي و معاوية - نقد الرواية التاريخة الاسلامية المتقدمة
التسلسل الدولي: ۸- ٥١٨٨- ۹۰- ٩٦٤- ٩٧٨

علي ومعاوية في الرواية العربيه المبكرة
المؤلف: ايلرلنغ ليروك بيترسن
ترجمة الاستاذ الدكتور عبدالجبار ناجي
الطبعة الاولي
نشر مؤرخ
التسلسل الدولي: ۸- ٥١٨٨- ۹۰- ٩٦٤- ٩٧٨
العدد ۱۰۰۰
مطبعة الاعتماد
ايران، قم

فهرست المحتويات

مقدمة المترجم

يوحي عنوان المستشرق الدانماركي بيترسن الذي تمت ترجمته بعنوان (علي ومعاوية) لأول وهلة بأنه نموذج آخر من نماذج الدراسات التي تقع ضمن دائرة الدراسات الضدية أو الدراسات الافضلية أو دراسات المفاضلة بين متصارعين ومتناقضين، يبديان ويظهران كذلك في عقلية الباحث سواء كان مؤرخاً أم باحثاً في ميادين معرفية أخرى. فالواقع ان مفهومية الضدية والمفاضلة قد حظيت باهتمام في ذاكرتنا التاريخية إذ إنها فكرة قد أعتقد بها مثلاً الأديب الذائع الصيت الجاحظ ففصًّل أصنافاً من أبناء الجنس البشري على أساس عرقي بل تجاوز ذلك إلى التوصيف الجنسي، السود والبيض، الجواري والغلمان، وقد أخذ بهذا المبدأ مؤلفو الانساب إذ شخصوا الضدية بين العرب والعجم وبين قبيلة عربية وأخرى، واستشهادنا هنا بأبي عبيدة معمر بن مثنى مثلاً، ثم اعتقد بهذه المفاضلة اهالي مدن وأمصار فالتقطها . المؤلفون لتأليف مؤلفات عن أفضلية البصرة على الكوفة أو العكس. إذن فإن مثل هذه الدراسات المقارنة بهدف اظهار فضل هذا على ذاك لم تقتصر على الدراسات التاريخية بل تعدتها إلى مقارنات الأفضلية والضدية بين اشخاص ومذاهب وامارات وتكوينات سياسية وما إلى ذلك. فعالم مثل أبي الخّطاب ابن دحية الكلبي المتوفى سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م يؤلف كتاباً بعنوان (اعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفين)،

كذلك فإن العالم المشهور تقي الدين المقريزي صّنف كتاباً بعنوان (النزاع والتخاصم فيما بين أمية وبني هاشم) يعكس عنوانه الفحوى الأساسي من الضدية بين هاتين الأسرتين التي تحولت إلى نزاع وتخاصم، كما تعلنها معارك ونزاعات دموية في الجاهلية والإسلام، ومعركة صفين على وجه التحديد. فمن بين الأمثلة على أدب المفاضلة والضدية في هذه المعركة كتاب بعثه معاوية إلى الإمام علي عليه السلام استهله بما نصّه «يا أبا الحسن، ان لي فضائل كثيرة، كان أبي سيداً في الجاهلية، وولاني عمر في الإسلام، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وآله وخال المؤمنين وأحد كتّاب الوحي..» البلاذري: جمل من انساب الاشراف جزء٥ (تحقيق د.سهيل زكار، بيروت) ص١١٩. فكان جواب الإمام قوله "أبالفضائل يفخر عليّ ابن آكلة الاكباد» وردّ عليه الإمام بشعر مضاد بقوله

محمد النبي أخي وصهري	وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحي	يطير مع الملائكة ابن امي
وبنت محمد سكني وعرسي	مسوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا احمد ولداي منها	فأيكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طراً	غلاماً قبل حين اوان حلمي

م. ن. (جزء٥ ص١١٩.)

وتبرز بوضوح الأفضلية والضدية في ردّ الإمام على كتاب آخر بعثه معاوية وهو يقول فيه «إنك لو علمت وعلمنا ان الحرب تبلغ بك وبنا ما بلغت لم نجنها على أنفسنا، فاعلم إنك وايانا منها إلى غاية لم نبلغها بعد» فكان ردّ الإمام عليه السلام بقوله «وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة، وان قولك إنّا بنو عبد مناف، وليس لبعضنا على بعض فضل، فليس كذلك لأن أمّية ليس كهاشم، ولا حرباً كعبد المطلب، ولا أبا سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطليق، وفي أيدينا فضل النبوة التي بها قتلنا العزيز، ودان لنا بها الذليل» [أبو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال ص١٨٧].
وفي حوار بين معاوية وعمرو بن العاص حول مراسلة الإمام علي لمعاوية طالباً منه

البيعة، قال عمرو لمعاوية «وان علي بن أبي طالب فإن المسلمين لايساوون بينك وبينه، فقال معاوية إنه مالأ على قتل عثمان واظهر الفتنة وفّرق الجماعة. قال عمرو إنه وان كان كذلك. فليست لك مثل سابقته وقرابته» (ابن دحية الكلبي: اعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفين، تحقيق د.محمد محزون طبعة أولى، بيروت ١٩٩٨، ص١٤٩).

فالسابقة إلى الإسلام والقرابة من الرسول الكريمﷺ هما العاملان الرئيسان في عنصر الضدية والمفاضلة، وان البروفسور بوزورث مترجم كتاب النزاع والتخاصم للمقريزي إلى الانجليزية على حق عندما ترجم المفاضلة rivalary *.

على أية حال، فإن هذا الإيحاء الأولي الذي يعكسه عنوان الكتاب مع موائمته للفكرة المطروحة في فلسفة المفاضلة، وان البروفسور بيترسن لم تغب عن ذهنه ولكنها في واقع الحال لاتمثل الحقيقة كلها. إنه حقاً وظّف المفاضلة توظيفاً منهجياً تحليلياً. وهي السمة البارزة التي اتسمت بها مدرسة الاستشراق (الدنماركي)، فكتاب بيترسن بالأحرى يدور حول مهمة بحثية بالأساس ألا وهي دراسة تفكيكية في أصل ونشأة الرواية التاريخية متأثراً بما لاشك فيه بمستشرقين كبار من الجيل الأول أمثال كيتاني وفلهاوزن وفاجيلري وديللا فيدا وغيرهم. ويتجلى هذا المنهج بوضوح عند البدء بقراءة الكتاب، إذ سرعان ما يدرك المرء إنها دراسة استشراقية تحليلية قيّمة أخذت على عاتقها منهج تفكيك الروايات التاريخ اسانيداً ومتنا وصولاً إلى نتائج ومحصلات تفيد كثيراً في فهم جديد بصيغة سيّر الأحداث التاريخية التي تمركز حولها الكتاب ألا وهي معركة صفين التي وقعت بين الخليفة الشرعي الإمام عليعليه السلام وبين معاوية، والي الشام، الذي كانت تعوزه الفضائل التي تميّز بها الإمام، لذلك فإنه اتجه اتجاهاً سياسياً مدعوماً بفكرة القرابة أيضاً لكن ليس القرابة من أهل بيت

* Bosworth ,C.E. [translator with introduction and commentary:al-Maqrizi's Book of contention and strife concerning the relations between the Banu Umayya and the Banu Hashim (University of Manchesrter) J.of Semetic studies ,Monograph no.٣] p.١٢

الرسولﷺ إنما بادعائه إنه وليّ الخليفة المقتول عثمان بن عفانﷺ، ومن أجل بلوغ الهدف السياسي فإنه رفع شعار المطالبة بثأر الدم لقتلة الخليفة. في الوقت الذي التزم بسياسة انهزامية حين طلب منه الخليفة المحاصر بالحاح المساعدة العسكرية لفكّ الحصار المفروض عليه ولدحر الثوار. والمتفق عليه ان معاوية أعدّ جيشاً لنجدة الخليفة غير إنه لم يتدخل، حتى ان الخليفة نفسه قال له بأنه ـ أي معاوية ـ يود ان يقتل الخليفة ليعدّ العدة ضد الخلافة الشرعية باعتباره ولياً. علماً بأن هناك من هو اقرب من معاوية صلة وقرابة بالخليفة.

ان هذا المشروع التاريخي في المفاضلة والنزاع قد فرض على البروفسور بيترسن ان يرجع في حالات كثيرة إلى الوراء قليلاً وإلى أحداث الجمل وما قبلها إلى الحدث الأساس ـ كما يعتقد بيترسن ـ وهو الفتنة الكبرى في التاريخ الاسلامي ـ على رأي المرحوم طه حسين ـ. وقد سعى المؤلف بجهد ومثابرة إلى تكوير رؤى أحداث الجمل وصفين وإلى حد ما الخوارج في مركز تاريخي واحد وهو الفتنة وهي عند عدد من الباحثين الثورة أو عند البعض الآخر تمرد الامصار الاسلامية الأساسية الثلاثة: البصرة، الكوفة، مصر ضد الخليفة الراشدي الثالث عثمان ﷺ وتداعيات الموقف التي كانت سريعة جداً ومذهلة إذ اندفع الثوار إلى وضع حدّ للحدث وانهائه بمأساة تراجيدية مؤلمة بقتل خليفة رسول الله وهو يقرأ القرآن الكريم

وواقع الحال فإن الأستاذ بيترسن قد جهد في كتابه للوصول إلى هدف علمي مهم في فلسفة التدوين التاريخي الاسلامي وذلك باتباعه منهجاً في البحث التحليلي لمرويات هذه الأحداث ومسطّراً حالة من التواصل والاستمرارية في خط المنهج البحثي في الاستشراق الدانمركي ومن تأثر بهم وبالأخص كيتاني وفلهاوزن وفاجيلري وفريدلاندر وغيرهم كثر. وهو حافز قد شجعني إلى الاستشهاد بمنهجه لجعله انموذجاً في منهج إعادة قراءة تاريخنا الاسلامي قراءة جديدة متحررة تعمل بجدّ على تنقيته مما علق به من اشكاليات كثيرة في تدليس الروايات التاريخية وتزييفها وتلفيقها والدسّ فيها وتخليصه من ظاهرة مهمة جداً وهي ظاهرة التعديلات والتكييفات من

اضافات أو اختصارات أو تحويرات صارت الشغل الشاغل لرواة الطبقات والاجيال المتأخرة. إنه المنهج الذي ينبغي ان تعتمد .مع صعوبته وكثرة تشعباته لاسيما عند باحثينا الجدد الذين لايمتلكون القدرة والشجاعة والاهتمام والأمانة والصدق .لقلب المفاهيم التي سعت بتلك الأساليب المضللة ان تبني وتصوغ رواية متسلسلة ظلت مقبولة لدينا وطيلة قرون كثيرة، حتى أضحت الآن رواية ثابتة يحرّم اختراقها .مع إنها رواية لاتستنطق الواقع التاريخي بصدق .وهي التي توجه بحوثنا وكتبنا بل ومناهجنا.

ومما لاشك فيه ان هذا المشروع الذي نتخيله ونتمنى ان يتحقق تكتنفه خطورة كبيرة من لدن اولئك الذين تعودوا على تدريس الرواية التاريخية تلك ولم يتعودوا على بحثها واستقرائها في البحث، وهي أيضاً خطيرة منهجياً لاسيما عند الباحثين الذين يضعون المعيار الشكّي أمام بحوثهم ودراساتهم وباستمرار والحاح. إذ ان من المحتمل جداً ان يصل الباحث المتّبع لهذا المنهج إلى محصلات بالغة الأهمية فيعزل الكثير من المرويات وربما الأحداث التي هي ثابتة وراسخة في عقليتنا التاريخية، وإذا كنا جريئون فإن هذا المنهج قد يؤدي بنا إلى نفي بعض الأحداث .لاتغيبها .ونفي وجودها التاريخي. إنها مسألة جدّية ومهمة جعلت الكثير من الباحثين والاكاديميين وبالأخص الإشارة إلى الحاجة إلى مثل هذه المنهجية في صفوف الباحثين العراقيين الذين .والعديد منهم .يشككون بأعمال المستشرقين ويستنكرونها، فإن المستشرقين إنما يهدفون إلى هذا البناء التاريخي التقليدي المتعارف عليه. ومع أهمية مواقفهم ورؤيتهم العاطفية وغير الموضوعية هذه إلا ان علينا وعليهم مجرد الاصغاء إلى تطبيق هذا المنهج على شريحة من الأحداث التاريخية ثم علينا وعليهم ان نتعامد مع المنهج ولا نتقاطع بهدف الوصول إلى ما هو أفضل. إنه مطلب بسيط تتطلبه مباني الحوار مع الآخر، وهو مطلب يتعلق بمدى صدقية وموثوقية الروايات التي رويت عن أحداث في مراحل السيرة النبوية المطهّرة وتاريخ ما بعد السيرة وعن معركة الجمل وصفين والخوارج أو الروايات المروية عن الإمام علي عليه السلام والخلافة وما نتج عنها من رفض وانعزال أو لنقل ابتعاد عدد من الصحابة المبايعين للخليفة الشرعي ومن توترات

ومعارك مؤسفة حقاً، هذه المرويات إذا ما فككنا أسانيدها ومتونها ومضامينها آخذين بعين الاعتبار النعوت والاوصاف بل والأحكام التي عبّر عنها مؤلفو النقد الديني في الجرح والتعديل من مواقف نقدية جريئة وقاطعة أزاء المصادر الأساسية في تلك المرويات. فإذا اخذنا اقوال علماء الجرح والتعديل وتراجم وكتاب التراجم مثلاً بشأن لوط بن يحيى، أبي مخنف وهو الراوية الأساسي والوحيد أحياناً عن أحداث معركتي الجمل وصفين، وهو الذي صنف كتاباً بعنوان (كتاب صفين)، وإذا ما ادخلنا الاحصاء في هذه المسألة فإن عدد مروياته عن الحدثين في جزء من كتاب انساب الاشراف الموسوم (كتاب جمل من انساب الاشراف) على سبيل المثال مجموعها ثلاث وثلاثين رواية يعدّ بعضها روايات مفصلة عن هذا الحدث. فأبو مخنف هذا الذي له الفضل الكبير في التدوين التاريخي العراقي عند علماء الجرح والتعديل ومؤلفي تراجم الرجال غير ثقة، وضعيف الرواية بل بالغ عدد منهم بقولهم إنه متروك الحديث. أما وصف أبي مخنف عند المعتدلين والعادلين من مؤلفي التراجم فهو مختلف تماماً، فابن النديم يصفه قائلاً ان أبا مخنف بأمر العراق واخبارها وفتوحها يزيد على غيره (ص١٤٩ . ١٥٠)، ويصفه النجاشي صاحب الرجال إنه «شيخ أصحاب الاخبار ووجههم» (ص ٣٢٠) وقال عنه ياقوت الحموي في معجم الادباء بأنه «كان راوية اخبارياً صاحب تصانيف في الفتوح وحروب الإسلام» جزء١٧ ص٤١). ومن الجانب الآخر هناك راوية مهم في الاخبار التاريخية للقرن الأول الهجري هو سيف بن عمر الأسيدي التميمي الكوفي، فسيف عند علماء الجرح والتعديل ومؤلفي تراجم الرجال كابن معين والنسائي والحاكم النيسابوري وابن حبّان البستي زنديق وكذّاب ومختلق للاحاديث وضعيف ومتروك وغير موثق في روايته أحاديث النبي(ص). وتعدّ هذه المعايير في (وصف) الرجال مهمة جداً وتؤدي حتما إلى سقوط المعرّف به. غير ان سيفاً في رواية الفتوح والاخبار عند هؤلاء العلماء ذاتهم قد عدّوه (عمدة في التاريخ) وبأنه اخباري عارف (ينظر الذهبي، ميزان الاعتدال جـ٣ ص٣٥٣؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب جـ ١ ص٢٦٢).

هكذا نجد ان علماء الجرح والتعديل قد اسقطوا أبي مخنف نهائياً في الرواية التاريخية وتعرّض بعضهم إلى سبب ذلك لكونه رافضياً، أما الموقف من سيف بن عمر الذي تعزى إليه الرواية المعارضة لموقف الإمام علي وشيعته فإنه انقسم إلى جانبين في الأول كان موقفهم سلبياً من روايته الحديث الشريف أما في رواية الاخبار فكان سيف بن عمر، عندهم، ثقة وعمدة في التاريخ. كيف لنا ان نتميز العدالة في الحكم والتجريح؟ وكيف لنا ان نستبعد المرويات لمن وصف بالكذب والضعف، وهي مرويات إذا ما استبعدناه من التدوين التاريخي فإننا سنكون أمام ثغرة بل ثغرات كبيرة في قراءة التاريخ الاسلامي المبكر؟ كيف لنا ان نصدّق من وصف بأنه زنديق وكاذب ومختلق ومتروك في رواية الحديث من قبل كبار علماء الجرح والتعديل، في اخباره ومروياته التاريخية الحاسمة التي تشكل منعطفات في الأحداث التاريخية؟

فالمطلب الذي سبق ذكره في أحداث ثورة في اعادة قراءة التاريخ الاسلامي لم يكن منهجاً استشراقياً على وجه الحصر؟ حقاً ان المستشرقين قد طبّقوه وأخذوا به في الوصول إلى تفسيرات الكثير منها بحاجة إلى وقفة ومناقشة لا إلى التسفيه والتغييب. ولكنه في الأصل منهج قد شخصّه عدد من مؤرخينا الاعلام، وأخص بالذكر فيلسوف التاريخ العربي والاسلامي ابن خلدون. فإنه عند تعريفه التاريخ بأنه «في باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفية الوقائع واسبابها عميق... وان فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر واودعوها» إلى ان يقول «وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهمّوا فيها أو ابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها» والأكثر أهمية قوله «واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها.... ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا ترهات الاحاديث ولا دفعوها، فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح كليل، والغلط نسيب الاخبار وخليل» فما هي النتائج التاريخية لهذا المنهج؟ يعقب ابن خلدون قائلاً «والناقل إنما هو يملي وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل، والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل» المقدمة/ دار الفكر/

بيروت، ص٢ ـ ٣. فكيف بمقدورنا تطبيق هذه الخيارات السلبية والايجابية في ما ذكره ابن خلدون من عناصر حيوية ومتحركة في منهج البحث التاريخي؟

فإذا كان ابن خلدون في القرن الثامن للهجرة قد شخّص هذه المعايب في نقل المرويات وشكك بها، فضلاً عن التجارب التي سبقته منذ القرن الرابع الهجري المتمثلة في منهج الطبري والمسعودي ومسكويه وابن الاثير والمقريزي وفيما بعد السخاوي فلماذا إذن هذا التخوف من اعادة قراءة التاريخ العربي والاسلامي في المراحل الساخنة من القرون الهجرية الثلاثة الأولى. والمعروف جداً ان سخونة المواقف السياسية وتبدلات الدول والكيانات السياسية تدفع إلى الكتابة التاريخية المتحيزة والأكثر أهمية تدفع إلى خلق المرويات وابتداعها فضلاً عن تزييف المرويات الموجودة وتعديلها وتكييفها في أحسن الاحوال. كذلك فليس من العدالة العلمية ان نصف مؤرخاً أو باحثاً بأنه متأثر بالمذهب الاستشراقي الفلاني أو الفلاني إذا كان شيوخنا المؤرخون القدامى هم الذين عيّنوا الغث من السمين، ووصموا هذا الراوية بالزنديق وذاك بالمتروك والضعيف وثالث بالمدّلس وغير الموثوق. إننا نعتقد وبصورة جازمة ان التدليس والكذب واختلاق المرويات لاسيما الاعلامية والاعلانية قد وصلت إلى درجة لاتطاق بحيث انبرى العديد من علماء الجرح والتعديل وعلماء تراجم الرجال للانصراف نحو التحري عن الرواة والمؤلفين ووضع كتب خاصة في نقدهم واضفاء النعوت الايجابية والسلبية. حقيقة ان هؤلاء أيضاً قد تصرفوا برؤية ضيقة في أحيان كثيرة أزاء الآخر الذي يختلف عنهم في المذهب والطائفة والميل والاتجاه، وبالأخص الرواة الشيعة الذين حوربوا والذين تكثفت الجهود من أجل تغييبهم واقصائهم واحلال الروايات المعادية لهم الأموية والعباسية محل مروياتهم لاسيما معاوية ومروان وعبد الملك بن مروان والمنصور والمهدي وهارون الرشيد والمتوكل. إلا ان وجود هذه الكثرة من المؤلفات التي تحمل عنوانات مثل تاريخ ابن معين والاسامي والكنى للإمام احمد بن حنبل والجوزجاني في كتابه أحوال الرجال والعجلي الكوفي في كتابه معرفة الثقات والإمام مسلم في كتابه الكنى والاسماء،

وجميع هؤلاء العلماء ينتمون إلى القرن الثالث الهجري، والبرديجي في كتابه طبقات الأسماء المفردة من الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث، والإمام النسائي في كتابه الضعفاء والمتروكين والعقيلي في كتابه الضعفاء وابن أبي حاتم في كتابه الجرح والتعديل وابن حبّان البستي في كتابه الثقات وكتابه الآخر المجروحين وكتابه الثالث مشاهير علماء الامصار والطبراني في كتابه المعجم الوسيط وكتابه الآخر المعجم الصغير والثالث المعجم الكبير وابن عدي الجرجاني في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال والعسكري في كتابه تصحيفات المحدثين وعمر بن احمد بن ازداذ في كتابه ذكر من اختلف العلماء وفقهاء الحديث فيه وابن شاهين في كتابه تاريخ أسماء الثقات وابن النديم في الفهرست والكلاباذي في كتابه رجال صحيح البخاري، وجميع هؤلاء العلماء يرجعون إلى القرن الرابع الهجري وامثالهم وربما أكثر في القرون التالية لذلك.
فما الذي نفهمه من هذا التوجه في التأليف؟ وكيف نفسره إذا لم نتفق على ان هناك حالة متفشية في التدليس والتلفيق في التدوين التاريخي والأهم من ذلك في تدوين الحديث الشريف؟ لعل البعض ممن يعتقد بمبدأ الرواية هي غير الدراية لم تثره مثل هذا المتغير العلمي، ولكن الصحيح جداً ان هؤلاء العلماء تجّردوا لمثل هذه الأعمال المضنية بهدف تهذيب التدوين وتصحيحه وتصفيته مما علق به من شوائب وتحريف زائد جداً. ولعله أيضاً إنهم قد اندفعوا هذا الاندفاع في التأليف لاتخاذ موقف ضدي بالمرويات التي أخذت تتنامى في العصر العباسي بالأخص تلك التي توالي أهل البيت العلوي لا التحريف الذي ظهر أبان الدولة العباسية بتعبير أهل البيت العباسي والتي تأثرت بمنهج المعتزلة العقلاني والتي تأثرت بمبادئ الخوارج والتي تأثرت بها كالاسماعيلية. كل شيء جائز في زمن الصراعات المذهبية والتوترات السياسية وكما أرجعها البروفسور بيترسن إلى مسألة الخلافة الشرعية وغير الشرعية وإلى الفتنة الكبرى في الإسلام وموقف العلماء والمؤرخين منها. فهناك إذن حاجة إعلامية وإعلانية ماسّة إلى ان تظهر مثل هذه المؤلفات التي تجرّح الرواة إلى ثقة وغير ثقة وإلى عمدة وضعيف ومتروك وإلى عالم ثقة ثقة ثقة (ثلاث مرات) وإلى رافضي

ضعيف وإلى من يريده عالم الجرح والتعديل عالماً مرموقاً، كما هو الحال في زماننا هذا، وإلى من يطمس عالميته ولايجعل له وزناً. كل شيء جائز إذا اعتمدنا مقاييس شخصية ومعايير موتورة في التصنيف والتمييز، مع ان أمد ذلك لابد ان يكون قصيراً أمام التقدم العلمي في البحث والتقصي والموازنة العلمية التي تخترق الذاكرة التي بقيت أسيرة وضيقة بفعل ضيق الذاكرة وخضوعها لوهم الكهف. فتفكيك الرواية التاريخية ولا أقل تفكيك الحديث الشريف سنداً ومتناً وزماناً ومكاناً هو المعيار الذي يبقى عادلاً وإلى الابد.

فراوية مثل سيف بن عمر الأسيدي التميمي الكوفي ولادة اتهم بالزندقة كما اتهمه علماء الجرح والتعديل بدينه وقول بعضهم إنه ساقط الحديث لاشيء، وإنه كذّاب وضعيف ومتروك الحديث، وإنه غير موثوق في رواية الحديث. من جانب آخر وصف بعض علماء الجرح والتعديل محمد بن عمر الواقدي صاحب المغازي المشهور بأنه ضعيف ليس بشيء.وكما ذكر الإمام الشافعي ان كتب الواقدي كذب، وقد اتهمه الإمام احمد بن حنبل بأنه يقلب الأحاديث واسنادها إلى غير رواتها تارة وبالكذب المتعمد تارة أخرى. وقد وصفه ابن معين قائلاً ان حديثه ليس بشيء، متهماً إياه بالوضع وما إلى ذلك من انتقادات علمية دقيقة وشديدة حسب موازين علم الجرح والتعديل. أقول فإن هذا يجعل الباحث ـ أي باحث ـ يقف متحيراً تارة ومتردداً في قبول وتقبل روايات أمثال هؤلاء المؤرخين والرواة تارة أخرى. وفي كلتا الحالتين فإنه لابدّ عليه من ان يسقط في منهجيته البحثية الكثير من الروايات التاريخية بله الحديثية، ولاسيما بالنسبة إلى موضوعنا في معارك الجمل وصفين والخوارج، وتدفعنا إلى التمعن في قراءة مواقف العلماء السلبية الناقدة والجارحة للصدقية والموثوقية فيمسالة سيف بن عمر ملا الذي انتقده العلماء جرّحوه في رواية الحديث ولپس في رواية الاخبار فهو عندهم ثقة. إلا ان الباحث الحصيف والعادل والجدّي لا ولن يوفق في وضع خط أحمر بين وصف سيف بأنه كاذب وزنديق وليس بشيء في رواية الحديث وبين ان يكون راوية ثقة للخبر التاريخي وفي كتابه (الفتوح الكبير والردة). أو فيما

أورده الطبري من روايات في موضوع الكتاب الذي بين أيدينا (علي ومعاوية) وبصورة أخص فيما عرف بأن ميوله القبلية التميمية كانت واضحة في تحريك وتسيير وربما صياغة الروايات. والواقع ان المستشرق الالماني بروكلمان قد وقف على هذه المسألة عندما اتهم سيفاً بالغلو في ذكر اخبار قبيلته والفخر باقدامها وايامها الأمر الذي دفعه إلى تحريف الروايات وتدليسها خلال سرده للأحداث التاريخية. فقد دأب إلى ارجاع أسانيد رواياته إلى رجال من بني تميم أو رجال من بني أسد أو إلى رواة كان قد نسي اسماءهم. فالسؤال المطروح هنا، كيف لنا ان نقتنع بأن أخباره التاريخية موثوقة مئة بالمئة؟ وكيف لنا ان نقتنع بأن راوية آخر هو أبو مخنف، رائد المدرسة الاخبارية العراقية، بأنه صادق وثقة، وهو الذي اتفق العلماء في الجرح والتعديل على توصيفه بأنه ضعيف وغير ثقة ومتروك في رواية الحديث، مع إنه في الجهة المقابلة ثقة في رواية أخبار العراق وفتوحه وإنه يزيد على غيره في هذا الميدان وإنه شيخ أصحاب الاخبار بالكوفة ووجههم، وإنه صاحب التصانيف وإنه راوية للاخبار، وقد اعتمده كل من البلاذري والطبري كثيراً. وكيف لنا ان نحدد موقفاً من ابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤هـ/ ٧٤١م، والمعلوم ان الزهري مشهور في تدوين الحديث الشريف وتدوين الرواية التاريخية، وهو ممن اتفق علماء الجرح والتعديل على موثوقيته العالية وصدقيته، فكيف لنا ان نقف منه وهو يدوّن لمعركة صفين وقد وضعه المستشرق بيترسن ممثلاً أساسياً لمدرسة المدينة وكذلك كيف لنا ان نأخذ موقفاً منه في موقفه من الإمام علي ومن معارك الجمل وصفين لأن مروياته تميل إلى جانب معاوية والأمويين بشكل واضح. ومما له أهمية في هذا الجانب ان ابن شهاب الزهري كانت له علاقات ودّية ووطيدة بالبلاط الأموي. وكان الخلفاء الأمويون يوجهون إليه أسئلة بشأن التاريخ الاسلامي أيام الرسول الكريم ﷺ والخلفاء الراشدين فيجيب عليها، فكيف يا ترى كانت إجاباته؟ ثم إنهم كانوا يستدعونه إلى البلاط للاستماع منه عن أمور تاريخية. فابن شهاب الزهري، شئنا أم أبينا، كان معوّلاً عليه في عملية االإعلان والإعلام. وهو الذي صار مصدراً للبلاذري في أنسابه وحول معركة صفين لأكثر من

اثنتين وعشرين رواية كان في جميعها إنما يقدم رواية أموية أو مؤيدة للأمويين. حقيقة ان هذا القول لاينبغي ان يفهم بأية حالة من الأحوال بأنه موقف سلبي أزاء رائد مدرسة المدينة في الحديث والتاريخ؛ ولكنها مسألة لها مغزى ان يتصل الزهري بعبد الملك ابن مروان وبالوليد وبعمر بن عبد العزيز. وبالوليد بن يزيد وبهشام بن عبد الملك، وان مروياته ومواقفه وأجوبته قد لاقت استحسانهم. وان كتابة عمر بن عبد العزيز إلى عماله في الآفاق كتاباً نصه «عليكم بابن شهاب هذا، فإنكم والله لاتلقون أعلم سنة ماضية منه» [ابن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل جزء٨ ص٧٢]. ومع إنه قول صحيح لكن لايعدم من ان يقرأ من زاوية أخرى، ألا وهي ثقة الأمويين بمواقفه منهم، وعلى عماله ان ينشروا ذلك بين الرعية. ألا ترى إنه يتضمن إعلاماً كالاعلام الذي أجبر عن طريقه معاوية العمال في الآفاق في غسل أدمغة الناس باقصاء الروايات المتعلقة بأبي تراب؟ فالمعتقد ان ذلك لايعدم من ان تكون لتلك العلاقات الوطيدة مع الخلفاء تأثيرات نافذة في أدائه في رواية التاريخ. والمعلوم ان ابن شهاب الزهري قد روى أحاديث عن الإمام الباقر عليه السلام وإنه أمضى معظم جلساته بصحبة الإمام زين العابدين ودرس على يديه، واعتماداً على قول الإمام احمد بن حنبل فإن الإمام زين العابدين عليه السلام يعدّ الوحيد الذي استطاع ان يخلص الزهري من حزنه (ينظر المسند، تحقيق محمد محمود شاكر، القاهرة ١٩٤٦) مجلد٣ حيث رقم ١٨٨٢، ١٨٨٣. ابن سعد: طبقات، تحقيق سخاو جزء٥ ص١٥٨)، وكيف لنا تصديق مرويات هشام بن عمّار الدمشقي الذي كان راوية للمعلومات الخاصة بمعاوية، وقد اعتمده البلاذري في أنسابه، الجزء الخاص (مجمل أنساب الأشراف) بسيرة معاوية في ستة وعشرين رواية كان في جميعها هشام راوية أو داعية لمناقب معاوية وصفاته في الكرم والسخاء والدهاء والحكمة. وان معاوية قد صارع رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فصرعه، فقال الرسول صلى الله عليه وآله «أو ما علمتم ان معاوية رجل لايصارعه أحداً إلا صرعه» (أنساب جزء٥ ص٣٩) والرواية الاعلامية الأخرى بأن عمرو بن العاص قد ذكر معاوية وهو في مصر قائلاً «ان إمامكم لممن سهّل الله خليقته وقوّم طريقته وأحسن صيغته، فمن كانت

النعمة تبطره إنها لتذلّله وتوقره» [أنساب جزء٥ ص٦٥]. وهشام هذا كان من أكثر المقربين إلى معاوية حتى إنه روى مرويات شخصية كروايته عن معاوية وابنته رملة (أنساب جزء٥ ص١١٧). فإلى هشام ترجع رواية بأن عمر بن الخطاب ﷺ كان يرى في معاوية كسرى العرب (أنساب جزء٥ ص١٥٥) وإليه ترجع أيضاً رواية رويت عن الأوزاعي بأن معاوية قال في مرضه: كنت أوضئ رسول الله ﷺ فقال لي: «ألا أكسوك قميصاً»؟ قلت: بلى بأبي أنت وأمي، فنزع قميصاً كان عليه فكسانيه، وقلّم أظفاره فأخذت قُلامتها، فإذا مت فالبسوني القميص، وخذوا القلامة فاجعلوها في عيني، فعسى الله.» (م. ن. جزء٥ ص ١٦٠). والملاحظ ان البلاذري قد وضع في جميع مروياته عن هشام بأنه الحلقة الأولى في سنده. وهناك راوية آخر اعتمده البلاذري كثيراً عن طريق اسناد إلى المدائني وهو ابن جعدبة، أبي يزيد بن عيّاض بن يزيد البصري.وقد وقف علماء الجرح والنقد منه موقفاً سلبياً إذ اتفقوا على تضعيفه في رواية الحديث كالنسائي في كتابه الضعفاء والمتروكين (جزء١ ص١١) وابن حبّان البستي في كتابه المجروحين (جزء٣ ص٨) وأبي نعيم الأصبهاني في كتابه الضعفاء (ص١٦) وابن أبي حاتم الرازي في الجرح والتعديل (جزء٩ ص٨٢٨). وابن جعدبة يعدّ مصدراً مهماً عند البلاذري في نقل مرويات مؤيدة لمعاوية. كذلك الحال مع الراوية جويرية بن أسماء بن عبيد الضبي البصري المتوفى سنة ١٧٣/ ٧٨١. فقد وصفه ابن سعد بأنه صاحب علم كبير، ورأى فيه ابن معين «ليس به بأس». الطبقات الكبرى جزء٧ ص٢٨١؛ ابن أبي حاتم الرازي جزء٢ ص٥٣١.

أما صالح بن كيسان الذي درجه الأستاذ بيترسن ضمن مدرسة الرواية الشامية (السورية) فقد توفى سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م فهو شيخ محمد بن اسحاق وأحد الشخصيات العلمية في المدينة في الفقه ورواية الحديث الشريف، كان مولى من موالي بني غفار وقيل كان مولى لامرأة من آل معيقيب. كان ابن كيسان موضع ثقة وثناء من علماء الجرح والتعديل (الذهبي، سير اعلام النبلاء جزء٥ ص٤٥٤) ودخل في خدمة البلاط الأموي أيام عمر بن عبد العزيز فصار مؤدباً لأبنائه، كما دخل في خدمة الوليد وأدّب

ابنه (ابن حبّان البستي: الثقات جزء٣ ص٤١٤). فكيف لنا تصديق المرويات التي أوردها بشأن معاوية وعمرو بن العاص بشأن مجريات أحداث ما قبل معركة صفين وما بعدها ونحن نقرأ الرواية التي أوردها البلاذري نقلاً عن عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب الكناني المعروف بابن دأب المكنّى بأبي الوليد، الذي وصف بأنه كان منكر الحديث واتهم بوضع الحديث (ابن الجوزي، الضعفاء والمتروكين، بيروت ١٩٨٦، جزء٢ ص٢٤٣؛ البلاذري: أنساب جزء٣ ص٨٩). وتتعلق الرواية بمعاوية حينما أشار إلى عمرو بن العاص استمالة جانب عبد الله ابن عباس ضد قضية علي إذ إنه رأس الناس مع علي قائلاً له «أفلو ألقيت إليه كتاباً تعطفه به». فكتب عمرو إلى ابن عباس بهذا المعنى، فأجاب عبد الله بن عباس إجابة مفعمة بالحماس إلى جانب على ضمنّها ابياتاً من الشعر على غرار القافية التي قد استخدمها عمرو بن العاص في رسالته. فلما قرأ معاوية ردّ ابن عباس قال «ما كان أغنانا عن هذا». وبعد ان انتهى نصّ الرواية والرسالة عقّب هشام بن عمار وهو راوية معاوية كما ذكرنا قائلاً «هذا الحديث مما صنعه ابن دايم هذا» أي عيسى بن يزيد إذ اتهم بوضعه الأحاديث. ولعيسى ابن يزيد رواية أخرى نقلها البلاذري بشأن ملاحاة وقعت في مجلس معاوية بين الوليد بن عقبة وعمرو بن العاص، وبعد ان انتهت الرواية عقّب هشام بن عمار أيضاً برأي في غاية الخطورة والأهمية إذ قال لعيسى «نظرت في أحاديث معاوية عندكم فوجدت أكثرها مصنوعاً، وذكر هذا الحديث» (البلاذري، أنساب جزء٣ ص٨٩ جزء ص٨١).

ولكي نكون أوضح معتمدين على أمثلة من التاريخ والانساب والتراجم نأتي بروايات وردت في مؤلفات موثوقة. فالمعروف ان البلاذري الذي عوّل البروفسور بيترسن على مروياته وعدّه مؤرخاً معتدلاً وتحليلياً قد اعتمد في كتابه انساب الاشراف وفي الفصل الخاص بمعاوية على الرواية الأموية أو البصرية الموالية للاموية المتمثلة بالمدائني إذ إنه استشهد بأبي الحسن المدائني في ما عثر عليه من الجزء الخامس المعنون (جمل من أنساب الأشراف) والخاص بمعاوية غطى مائة وستة واربعين صفحة مطبوعة (١٤٦صفحة) كان نصيب المدائني منها مائتي رواية جميعها عن معاوية

وصفاته، وكرمه، وحلمه، وعلاقاته التي يميزه فيها بالصفات والسجايا الحميدة اعتمدها المدائني عن رواة بصريين في الغالب كسحيم بن حفص البصري (أبو اليقظان النسابة) وعن جويرية بن أسماء الضبي البصري ويزيد بن جعدبة الليثي البصري وغسّان بن عبد الحميد البصري سكنا وغيرهم. والجدير بالملاحظة ان البروفسور بيترسن قد أطنب في الاشادة بمنهج البلاذري التحليلي وغير المتحزب، ونحن لانرى ذلك ابداً وعلى الأقل في الأجزاء المحققة من انسابه، فهو في الجزء الخاص بمعاوية لم يكن إلا جامعاً للمرويات الأدبية والسياسية والخاصة بمزاج معاوية والثناء على حلمه وكرمه واتزان رأيه في الرجال والنساء المنجبات وفي كونه ناصحاً شاعراً حكيماً في ابداء الحكم وهو صاحب الرواية التي ادلى بها المدائني عن راوية غير معروف هو علي بن مالك وصارت مثلاً يعتمد حتى الآن وفيما بعد ونصها «لا أضع لساني حيث يكفيني مالي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، فإذا لم أجد من السيف بداً ركبته» (البلاذري، انساب، جزء٥ ص٢٨) فهل هذه حقاً هي سياسة معاوية أزاء من لايتفق معهم وأمامنا مثال صارخ في وجه هذا القول وهو الصحابي حجر بن عدي. والبلاذري هو صاحب قول المدائني عن سحيم أبي اليقظان بقوله «لو وزنت بالدنيا لرجحت فيها ولكني وزنت بالآخرة فرجحت بيّ» م. ن. ص٣١. والبلاذري هو صاحب هذه الرواية القادحة وعن المدائني عن عبد الله بن فائد ان معاوية قال لأسامة بن زيد «رحم الله أم ايمن كأني انظر إلى ساقيها وكأنهما ظنبوبا نعامة خرجاء، فقال اسامة: هي والله خير من امك واكرم، فقال معاوية: واكرم أيضاً؟ قال نعم قال اسامة: نعم، قال الله عز وجل (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) م. ن. ص٤٠، كيف يتقبل الذوق والإباء مثل هذه المناقشة، لا ادري؟!.

ولذلك فإن البلاذري لم يعتمد منهجاً تحليلياً في اختياره الروايات بقدر ما كان يجمع الرواية الهزيلة والضعيفة دون ان يتحرى عن قائلها وفيما إذا كانت صحيحة أم إنها محرّفة وفيما إذا كانت من صنع راويها كبوق لأعمال معاوية ومآثره أم غير ذلك.

أما الراوية الآخر الذي خصّه البلاذري في نقل روايات عن معاوية والتمجيد بما

كان يقوله لرجاله وبطانته وعن علاقاته الشخصية هوهشام بن عمّار فالبلاذري قد اعتمده في خمس وعشرين رواية في الجزء الخاص بمعاوية. وكان هشام ينقل بعض الروايات عن أبيه. والمهم في أمر هشام هذا إنه قدّم رواية تفيد كثيراً جداً في تقييم الرواية التاريخية وتظهر بصراحة التدليس والصنع والتزييف في النقل وفي التدوين التاريخي. وإذا صدقنا قوله فإننا سنضطر إلى استثناء خزين كبير من المرويات التي شغلت مناهجنا وبحوثنا. ففي رواية جاءت بصيغة «حدثت» اعتماداً على عيسى بن يزيد الكناني بأنه قال: كان بين الوليد بن عقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص لحاء بين يدي معاوية، فقصبه عمرو فقال له الوليد: اسكت يا عبد السلطان وأخا الشيطان، يا منزوع الحياء وطوع النساء، يا ألأم أهل بيته وأذل عشيرته لقد بلغ بك اللؤم الغاية القصوى المذلة لأهلها في الآخرة والأولى، فمنعت الحقوق ولزمت العقوق وقاربت أهل الفضل فقال عمرو: إنك لتعلم إني مرّ المذاقة وان ليس لك بي طاقة، وإني حية الوادي، وداهية الاعادي، لا اتبع الافياء ولا انتمي إلى غير الاباء، احمي الذما في المضمار، غير هيوبة للوعيد ولا فروقة، رعديد، اطعم الطعام واضرب الهام أفبالبخل تعيرني واياه -ثالفت وعليه جبلتَ؟!. فقال معاوية: أقسمت لما سكتما»....ثم انتقلت الرواية بعد أبيات من الشعر قالها الوليد لانهاء هذه الملاحاة التي كشفت لنا -الذين نبحث عن الحقيقة التاريخية- اموراً مهمة من سيّر هؤلاء الذين تولوا الولايات وملكوا رقاب الأمة، انتقلت هذه الرواية على الصيغة الآتية وانقلها نصاً «قال لي -هل يعني المدائني وهذا أمر بعيد أم إنه عيسى بن يزيد الكناني وهو الأكثر قبولاً- هشام بن عمّار: نظرت في أحاديث معاوية عندكم فوجدت اكثرها مصنوعاً، وذكر هذا الحديث"؟! (ن. م. ص٨١) فهل إشارة هشام هذه تؤشر إلى رواية عيسى بن يزيد بن دأب الكناني المتوفى سنة١٣٣هـ/ ٧٥٠م وهو الذي وردت عنه الكثير من الروايات عن عمرو بن العاص ودوره في إثارة أهل الشام ضد الإمام وعن علاقته مع معاوية واتفاقيته بشأن محاربة الإمام مقابل اعطاء عمرو مصر. إنها رواية خطيرة ان كان هشام بن عمار، راوية معاوية على حق. وهي رواية مهمة في منهج البحث التاريخي إذ إنها نصّت دون ادنى

شك على ان الكثير مما ورد بهذا الشأن هو مصنوع، والمصنوع ليس تحريفاً ولا تزييفاً ولا تعديلاً إنما يعني بوضوح ان الحادث لا وجود له اطلاقاً إنما قد صنع واختلق بأشخاصه وتفصيلاته من قبل هشام أو عيسى بن يزيد أو غيرهما من الرواة. كيف لنا ان نصدق ونحن بعد هذه القرون التي أصبحت فيها رواية هشام أو عيسى ثابتة في سطور كتبنا وبحوثنا؟ مَن مِن هذه الروايات صحيح ومن هي التي دخلت في مصنع هشام أو عيسى ابن يزيد لتخرج وتدوّن في التاريخ بأنها حدث وأحداث تاريخية!؟

ويبدو ان صناعة واختلاق الرواية التاريخية بله صناعة معظم مرويات التاريخ الاسلامي في قرنيه الهجريين الاولين اضحت منفذاً لكتابة تاريخ غير معوّل عليه تماماً بقول الأستاذ المدرسي في دراسته القيمة (تطور المباني الفكرية)* وهو على حق بأن عنصراً متميزاً وجديداً ظهر في هذه الفترة، فترة معاوية وما بعده من الأمويين والفترة العباسية الأولى، قد ساعد وسرّع من نقل واذاعة الروايات والاحاديث ألا وهو ذهنية الرواة، رواة الحديث وغيرهم، التي تعتبر كثرة الرواية إنما هي مقياس يعبّر عن منزلة الراوي العلمية. وبتأثير من هذه الذهنية راح المحدثون يروون بلهفة وحماس كل ما يسمعونه من شيوخهم وأساتذتهم فكثرت أحاديث الرواة من سنة وشيعة. حتى ان الرواة السنة دونوا في بعض الحالات رسائل خاصة تتضمن روايات مغايرة لأسس المذهب الذي ينتمون اليه، وهم يبررون مسلكهم هذا بمقولة (الرواية غير الدراية) وان الراوي ليس مسؤولا عن صحة الحديث الذي ينقله عن مشايخه، ويضيف قائلا «لذلك كان الرواة يروون أحياناً ما يجدونه في النسخ المختلفة من الكتب المتقدمة باسنادهم إلى تلك الكتب مع ان الاضافات والاختلافات تدل بوضوح على التحريف اوالاضافات التي الحقها بها الوضّاعون أو حتى مما شكّ العلماء في صحة نسبتها إلى مؤلفيها». وللتدليل على ما رآه الأستاذ المدرسي من تفسير بالغ الخطورة على التدوين التاريخي والتدوين الحديثي على حد سواء، ما ذكر ان أبا الحسن علي بن محمد

---

* ينظر المدرسي، حسين المدرسي الطباطبائي: تطور المباني الفكرية للتشيع في القرون الثلاثة الاولى (ترجمة) د.فخري مشكور، مطبعة شريعت طبعة اولى ١٤٢٣ هـ، ص٧٧.

المدائني في كتاب اسماه (الأحداث)، وهو مفقود قال فيه ان معاوية قد كتب كتابا بنسخة واحدة .ويعني بنص واحد .إلى عماله بعد عام الجماعة يقول فيه «ان برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرؤن منه ويقعون فيه وفي أهل بيته» (ينظر ابن أبي الحديد، شرح النهج البلاغة م٣/ جزء١١ ص٦. واعقب هذه المرحلة من التغييب وصناعة وتلفيق الرواية التاريخية مرحلة ثانية إذ إنه «كتب كتابا إلى عماله في جميع الافاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة وكتب إليهم ان انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم واكرموهم واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته ففعلوا ذلك» م. ن. وتلت هذه الخطوة الهادفة إلى تشويه التاريخ خطوة خطيرة أخرى إذ كتب إلى عماله «بأن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب ألا وأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد إليهم من مناقب عثمان وفضله فقرئت كتبه على الناس» (م. ن.) فماذا تعتقد ان تكون نتيجة هذا المصنع التحريفي ان ينتج من روايات ومؤلفات لاسيما وان سيف السلطان العاتي فوق الرؤوس واكياس البيضاء والصفراء إلى جانب العامل والوالي وخطيب المنبر!. فتقول الرواية «فرويت اخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى اشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقي إلى معلمي الكتاتيب فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن حتى علّموه بناتهم ونسائهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله» م. ن. إنها حقيقة لا مراء فيها بأن الناس يلهثون وراء المادة فيلهثون وراء تعلم الخطأ مع معرفتهم إنه مصنوع ومختلق، فهذا الصنف من الناس الذي وصفهم الإمام علي ﷺ هم الغوغاء الناعقون وراء كل ناعق. والأنكى من

ذلك ان هؤلاء الرواة وبتحفيز من المادة والسيف لم يكتفوا بروايات محّرفة ومصنوعة بل أخذوا بالمبالغة في اعادة الصناعة المزيفة وبزيادة الاضافات والتعديلات والمصنوعات من الروايات التاريخية والأحاديث. قد يقول قائل ان هذه المعلومات غير صحيحة، وان المدائني الذي روى الروايات الإعلامية الكثيرة عن معاوية ومناقبه المفتعلة، لايبالي بصحة ما يروى أو إنه كان غير صحيح العقيدة حسب مصطلح علم الرجال. ولكن المعلومات قد شرحها الإمام الباقر عليه السلام أثناء شرحه المعاناة التي كان يعاني منها أهل البيت ومؤيدوهم وانصارهم. فإذا ما ادعى الداعي إلى ان قول الإمام غير صحيح، فإننا إذن سنقول ان كل ما جاء في التاريخ الاسلامي بحاجة إلى دليل لاثبات صحته وإنه من صناعة مصنع التاريخ الأموي. واللعنة كل اللعنة على اولئك الذين حملوا العلم مسموعاً فحسب قول الإمام علي عليه السلام يقول «ليس ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع» فأناس كثر قد اشتغلوا بالعلم الدهر الاطول فلم ينجح معهم العلاج وفارقوا الدنيا وهم على الغريزة الأولى في الساذجية وعدم الفهم (م. ن. مجلد٤ جزء١٩ ص٣٩٩) ويصف الإمام الباقر عليه السلام هؤلاء متعجباً فيقول «فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا الاموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الاخبار والاحاديث إلى أيدي الديانين الذين لايستّحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون إنها حق ولو علموا إنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها» م. ن. وربّ سائل يسئل عن الحقبة التاريخية التي انشئت فيها معامل صناعة الرواية التاريخية والاحاديث هذه، إنها الفترة منذ اتفاقية الإمام الحسن مع معاوية وامتدت حتى موته ثم اعادها عبد الملك بن مروان حتى نهاية أمر هذه الدولة. ويدلل ابن أبي الحديد على النتائج الخطيرة لهذه العملية الذكيّة في تشويه التاريخ الاسلامي الذي أعلن قطيعته مع آل سفيان فيقول «وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدّثين واعلامهم في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال ان

أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم بما يظنون إنهم يرغمون به أنوف بني هاشم» م. ن. فالعملية هذه إنما هي نتيجة أساسية من نتائج الضدية والأفضلية بين بني أمية وبني هاشم.

ولنأخذ مثالاً عن مؤرخ أو راوية مشهور هو عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي المتوفى في الكوفة عام ١٠٤هـ/ ٧٢٢م عن عمر ناهز الثمانين سنة. كان الشعبي متقلباً في موقفه السياسي، ففي بدايته كان من اتباع المختار الثقفي، غير إنه بدّل فجأة من موقفه وهرب إلى البصرة ثم ولى هارباً إلى المدينة. وهناك التقى بعبد الله بن عمر بن الخطاب، وبعد فشل ثورة المختار مال إلى عدو المختار وقاتله مصعب بن الزبير. ونتيجة لقصة مفتعلة درّ عليه مصعب عشرة آلاف درهماً، وصار الشعبي من أقرب المقربين لمصعب وهو الذي وصف مصعباً قائلاً «ما رأيت أميراً قط على منبر أحسن من مصعب» (البلاذري أنساب جزء٥ ص٢٧٩ القدس١٩٣٩). ومع هذا فإنه سرعان ما غيّر ولاءه إلى جانب عبد الملك بن مروان، قاتل مصعب. بعد ذلك نجح في الوصول إلى أخي عبد الملك بشر بن مروان والي العراق، فكان يدخل على بشر في خلواته ويحضر مجالس طربه وعربدته. وعيّنه هذا على المظالم مقابل راتب سخي. وعندما توفي بشر أعقبه الوالي المعروف بظلمه وجوره الحجاج، فما كان من الشعبي إلا ان يسارع في عرض ولائه للحجاج، فيروي الشعبي إنه لما جاء الحجاج إلى الولاية «سألني عن أشياء (ولكنه لم يذكر ما هي هذه الأشياء ولعلها تتعلق بالعلويين) فوجدني بها عارفاً، فجعلني عريفاً على قومي ومنكباً على جميع هذا وفرض لي فلم أزل عنده بأحسن منزلة» (الذهبي، تذكرة الحفاظ، بيروت جزء١ ص٨٥؛ د. هادي حسين حمود: الشعبي، طبعة أولى .بغداد ١٩٩٨ ص١٩ . ٢٠). ظل الشعبي متنعماً بفيض ورعاية ودعم الحجاج الثقفي؛ ولكنه ولأسباب غامضة لم يكشف عنها .ولعلها مادية، أو لنيل حظوة أفضل .مال الشعبي إلى حركة عبد الرحمن بن الأشعث ضد الحجاج. وبعد فشل الحركة، أصبح في موقف حرج لايحسد عليه، وبذكائه المنفعي مال إلى قتيبة بن مسلم الباهلي المقّرب جداً من الحجاج وصار كاتباً عنده .مع العلم ان الروايات تعلن

ان الشعبي كان جاهلاً لا يعرف القراءة ولا الكتابة .ثم استخدم قتيبة للوصول إلى الحجاج ثانية. واعتذر للحجاج عن موقفه ونافق فقبل الحجاج عذره. غير ان الشعبي اتخذ هذه السياسة المنفعية منهجاً له فسعى إلى الوصول إلى عبد الملك الذي ألزمه تعليم أولاده وتأديبهم ثم صار نديماً وسامراً للخليفة، فعلت مكانته عند عبد الملك حين بعثه سفيراً إلى امبراطور الروم. وظلّ على هذه الحالة عدة سنوات ثم تحول إلى بلاط عبد العزيز بن مروان والي مصر. والشعبي هذا هو صاحب القول الذي دوّنه باحثونا في تاريخ عبد الملك ممن أراد ان يفخر ويشيد بهذا العاهل، قال «والله ما علمته إلا آخذاً بثلاث تاركاً لثلاث. آخذاً بحسن الحديث إذا حدّث، وبحسن الاستماع إذا حدث، وبأيسر المؤونة إذا خولف، تاركاً لمجاوبة اللئيم ومجاراة السفيه، ومنازعة اللجوج» (ابن عبد ربه: العقد الفريد، القاهرة ١٩٦٩، جزء٢ ص٢٤٧) وهذا القول يذكرنا بقول له في مصعب بن الزبير الذي ينطوي على تملق ونفاق «ما رأيت أميراً قط... الخ» ومثلٰ هذه الاقوال قالها للحجاج بعد فشل ثورة الاشعث «ولم أجد من الامير خلفاً» (الطبري مجلد٢ ص١١١٣). وفي رواية أخرى مصطنعة قال الشعبي «وفدت على عبد الملك فما أخذت في حديث أرى إنه لم يسمعه إلا سبقني إليه وربما غلطت في الشيء وقد علمته فيتغافل عني تكرماً» أنساب جزء١١ (تحقيق غريفز وولد/ ١٨٨٣ ص١٦٨). هذان النموذجان لهما الدليل القاطع على عدم صدقية الشعبي وخطّه في التملق والنفاق لبناء شخصي ومادي. ثم تنقلت الأحوال بالشعبي إلى ان تقرّب إلى عمر بن عبد العزيز الذي عيّنه على قضاء الكوفة. وللشعبي رأي أبداه بشأن والي العراق عمر بن هبيرة زمن يزيد ابن عبد الملك. إذ توجه الوالي بسؤال إلى القرّاء والفقهاء عن مسألة مفادها ان الوالي يتسلم كتباً من الخليفة «فيها ما فيها فإن أنفذتها . كما يقول ابن هبيرة .وافقت سخط الله وان لم أنفذها خشيت على دمي» (العقد الفريد جزء١ ص٥٨). وكان رأي الفقهاء وجوب طاعة الله ما عدا الشعبي إذ أفتى فتوة مرائية طبعاً قائلاً «قارب وسدد فما أنت إلا عبد مأمور» م. ن. وهي فتوى أراد منها ان يكون الوالي منافقاً مع الله تماماً كما فعل هو في علاقته مع الخلفاء والأمراء الظالمين، وقد

أحسن البلاذري بالفعل حين وصف فلسفة الشعبي بقول للشعبي «أحب صالح أمير المؤمنين وصالح بني هاشم، ولاتكن شيعياً، وأرج ما لم تعلم، ولاتكن مرجئاً. وأعلم ان الحسنة من الله والسيئة من نفسك، ولاتكن قدرياً، وأصب من رأيته يعمل بالخير وان كان أخرم سندياً» (البلاذري، أنساب جزء٥ ص١٧٣) فقد جمع في قوله هذا كل أسباب النفاق والتزلف ولاسيما للمسؤولين الأمويين. وتتأكد هذه الفلسفة النفعية في رأيه المتعلق بأصحاب المذاهب والفرق، طبعاً جميع الفرق دون استثناء فقال «إنما سميت الأهواء أهواء لأنها تهوي بصاحبها إلى النار» (أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، القاهرة ١٩٣٥، جزء٤ ص ٣٧٠).

ولكي نعلم كيف كان الشعبي اذاعة وبوقاً للأمويين فإنه روى مرويات كثيرة وقد أخذها شفاها ـ أي على طريقة على عهدة الراوي ـ من أفواه الصحابة والتابعين اولئك الذين سكنوا العراق. وإنه قد روى عن الكثير من صحابة الرسول ﷺ شفاها ممن عاصرهم وهو لما يزل طفلاً صغيراً وكذلك من التابعين بينهم عدد من النساء، فقد روى أحاديث عن أبي موسى الأشعري وعن ابنه أبي بردة وعن فاطمة بنت قيس (ابن سعد، طبقات جزء٦ ص٢٤٧، ٢٤٨). وروى إنه رأى الإمام علي ؑ وصلّى خلفه، وإنه أيضاً زعم بأنه أدرك خمسمائة صحابي (أبو نعيم، حلية جزء٤ ص٣٢٣) وإنه أيضاً أدرك بعض أمهات المؤمنين من أمثال السيدة عائشة والسيدة أم سلمة والسيدة أسماء بنت عميس ؓ (ن. م. جزء٤ ص٣٢٨). ومما يستحق الذكر فإن الطبري روى ان الشعبي قد ولد سنة ١٩ هجرية. والملاحظ أيضاً ان الشعبي حسب رواية الذهبي «كان حافظاً وما كتب شيئاً قط» (سير اعلام النبلاء جزء٤ ص٢٩٧؛ د.هادي حسين حمود، الشعبي ص٣٨ ـ ٣٩) وان الشعبي نفسه قال إنه لم يكتب سوداء في بيضاء، ويعلق ابن فضيل أحد العلماء على قوله هذا «وهذا يدل على إنه أمي لا كتب ولا قرأ» [م. ن. جزء٤ ص٣٠١]، فقد وصف بأنه كان حفيظاً حتى ان ابن عبد البر قال «الذين كرهوا الكتاب ـ يعني الكتابة ـ ابن عباس والشعبي كانوا قد طبعوا على الحفظ» (الاستيعاب جزء١ ص٨٣). ووصفه تلميذه ابن عَياش الهمذاني ـ وهو من قبيلة الشعبي ـ إنه «إذا

تكلم كأنه غول فتحت فاهاً» [ابن بدران، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، بيروت ١٩٧٩ جزء٧ ص١٤٥؛ د.هادي حسين حمود في دراسته القيّمة الشعبي ص٣٩]. وكان الشعبي يتبجح بقوله «لو ان رجلاً حفظ ما نسيت كان عالماً» [ابن قتيبة: عيون الأخبار القاهرة ١٩٦٣ ص١٣٠] وهذه إشارة من الشعبي بأنه كان ينسى وقد نسي الكثير. وتبجح مرة قائلاً «اكتبوا ما سمعتم عني ولو في الجدار» (ابن سعد: طبقات جزء٦ ص٢٥).

لقد عرضنا بشيء من التفصيل أحد الرواة الذين اعتمدهم البلاذري والطبري في مواضيع الفتنة والجمل وصفين وأخبار الأمويين عبر عدد من رواته وبالأخص كاتبه . الذين من المحتمل جداً كان يسعفه في الكتابة .الهمذاني السري بن اسماعيل ومجالد بن سعيد الهمذاني اليماني الأصل الكوفي السكن راوية الأخبار الذي أكثر من مروياته عن الشعبي، وذلك لكي نتبين عنصراً مهماً من عناصر الشك في مروياته وأقواله. فمجالد بن سعيد راويته المكثر قد ضّعفه بعض علماء الجرح والتعديل كالإمام احمد ابن حنبل وابن أبي حاتم الرازي والعقيلي (ينظر الجرح والتعديل جزء٨ ص٣٦؛ العقيلي، أبو جعفر: ضعفاء العقيلي، بيروت ١٩٨٤ جزء٤ ص٢٣٢). ولم نتعرض مثلاً لهشام بن عمار ولابن جعدبة وعيسى بن يزيد لعدم توفر المعلومات المفصلة عن سيرتهم وغيرهم بمثل ما توفرت لنا عن الشعبي الذي درسه الدكتور هادي حسين حمود دراسة مفصلة قيمة.

لقد كانت الفتوحات الاسلامية والوقائع الكبرى التي وقعت في النصف الأول من القرن الأول للهجرة حافزاً فعّالاً ودافعاً كبيراً على ظهور عنصر متحرك في التدوين التاريخي، إذ اندفع الرواة .الثقة منهم وغير الثقة .نحو جمع مرويات تلك الوقائع والأحداث لتفاعلها آنذاك بقوة مع مشاعر الناس وتوجهاتهم لأنها الإعلام والإعلان الوحيد الذي يربطهم عاطفياً بذاكرة التاريخ حيث تصارعت القوى والاتجاهات بين صحابة رسول الله ﷺ وخلفائه وأنصاره ومهاجريه. واعتمد هؤلاء الرواة مسلك النقل الشفوي والاستماع الشفوي في الكثير من الأحيان ثم كتابته ونقله إلى المهتمين في التدوين التاريخي ومؤلفي الرسائل والكتب فصنّفوا، كما فعل المدائني وأبو عبيدة

معمر بن المثنى والهيثم بن عدي وأبو مخنف، رسائل في الفتوح والمعارك والوقائع. وهي أعمال، لاشك إنها، جديرة بالتقدير والثناء. ومع ان كثيراً من هذه المدونات قد فقد أوضاع ولم يبق لها اثر إلا من خلال المرويات التي اعتمدها مؤرخون كبار نظير البلاذري واليعقوبي وأبي حنيفة الدينوري والطبري. فلولا وجود هذه المعلومات والأخبار لأصبح التأليف والبحث في تلك الموضوعات أمراً متعذراً. وكانت المعارك التي نتجت عن الفتنة الكبرى في الإسلام باغتيال الخليفة الثالث محّفزاً ودافعاً قوياً للرواة بمختلف مؤهلاتهم الروائية والعاطفية المتأثرة بأيام العرب وبمختلف انتماءاتهم وولاءاتهم وأغراضهم الشخصية والمنفعية في جمع أخبارها ومن ثم عرضها على المؤرخين والعلماء لنقلها وتدوينها. ويبدو في الأعم الأغلب ان هؤلاء المؤرخين اكتفوا فقط بروايتها على عهدة رواتها. فقد حظيت مثلاً معركة الجمل باهتمام كبير من الرواة والمؤلفين من كل جانب من الجانبين المتنازعين وقد أحصى المرحوم الشيخ محمد حسن آل ياسين في تحقيقه لكتاب (وقعة الجمل) من تأليف محمد بن زكريا بن دينار الغّلابي البصري المتوفى سنة ٢٩٨هـ/ ٩١٠ برواية محمد بن يحيى الصولي من صنّف الرسائل عن معركة الجمل فذكر أبا عبد الله جابر بن يزيد الجعفي الكوفي المتوفى سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٥ بكتابه الموسوم (كتاب الجمل). وألف أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان البجلي المعروف بمؤمن الطاق كتاباً بعنوان (الجمل في أمر طلحة والزبير وعائشة). وألف أبو مخنف لوط بن يحيى المتوفى سنة ١٥٨هـ/ ٧٧٤ كتاباً بعنوان (الجمل). وكذلك صنّف أبو محمد مصبح العجلي وهو راوية روى عن الإمام الصادق عليه السلام كتاباً بعنوان (كتاب الجمل). وصنّف سيف بن عمر الأسيدي التميمي كتاباً بعنوان (كتاب الجمل ومسير عائشة وعلي). ولأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١ كتاب بعنوان (كتاب الجمل). كما ألف أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي كتاباً بعنوان (كتاب الجمل). ولأبي المفضل نصر بن مزاحم المنقري الكوفي المتوفى سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧ صاحب كتاب صفين المشهور كتاباً بعنوان (كتاب الجمل). وألف أبو الحسن علي بن محمد المدائني كتاباً بعنوان (كتاب

الجمل). ولأبي اسحاق اسماعيل بن عيسى العطّار البغدادي كتاب عن الجمل. كما ألف عبد الله بن محمد بن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٥هـ/ ٨٤٩ كتاباً عن الجمل، ولأبي جعفر احمد بن محمد البرقي كتاب بعنوان (الجمل) وكذلك لأبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي الكوفي المتوفى سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٧ كتاب عنوانه (كتاب الجمل)، وألف الغلابي كتابين عن الجمل أحدهما عنوانه (كتاب الجمل الكبير) والآخر (كتاب الجمل المختصر). وألف أبو القاسم المنذر ابن محمد القابوس كتاباً عن الجمل، كما صنّف عبد العزيز بن يحيى بن احمد بن عيسى الجلودي البصري المتوفى سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٣ كتاباً بعنوان (كتاب الجمل)، ولأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي المتوفى سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١ كتاب بعنوان (كتاب الجمل)، ولأبي عبد الله محمد بن محمد العكبري المتوفى سنة ٤١٣هـ/ ١٠٢٢ كتاب بعنوان (كتاب الجمل) [ينظر صفحة ٨ ـ ١٢ من تحقيق وقعة الجمل للشيخ آل ياسين طبعة أولى/ بغداد ١٩٧٠].

وقد صنّف الرواة والمؤرخون عدداً من الرسائل والكتب عن معركة صفين منها (كتاب صفين) ليحيى بن سليمان الجعفي أحد شيوخ البخاري، كذلك ألف جابر بن يزيد الجعفي كتاباً بعنوان (صفين) ولجابر بن نمير الأنصاري رواية عن صفين. ووضع عمرو بن شمر كتاباً عن معركة صفين، كذلك صنّف أبو مخنف كتاباً عن صفين، وألف اسماعيل بن عيسى العطّار البغدادي كتاباً عن صفين، ولنصر بن مزاحم كتاب بعنوان (وقعة صفين)، ويذكر ان الواقدي ألف عن صفين. وان أبا محمد زكريا الغلابي البصري ألف عن معركة صفين، وان ابراهيم بن الحسين الهمذاني المعروف بابن ديزل أو ديزيل المحدث ألف كتاباً عن صفين، وكذلك ألف أبو الخطاب ابن دحية الكلبي كتاباً عن صفين. وصنّف اسحاق بن بشر وهو من أصحاب السير والأحداث كتاباً عن صفين [ابن النديم ص١٠٦، ١١١].

ولعله من الصحيح القول بأن المؤلفين الذين ألفوا رسائل عن الجمل قد ألفوا أيضاً رسائل وكتب عن صفين.

■

فالمتأمل في هذا الكم من المؤلفات ـ رسائل أو كتب ـ عن معركتي الجمل وصفين لابد ان يتبادر ذهنه إلى التساؤل عن العوامل المحفّزة على ذلك؟ أأنها عوامل تتعلق بطبيعة المرحلة التاريخية بما له علاقة بالذاكرة الاسلامية للوقائع والمعارك؟ وتحديداً بالسنوات الست الأخيرة من خلافة عثمان ﵁ عندما استقر أمر الفتوحات شرقاً وغرباً فاستقرت بذلك أفكار المسلمين فأخذوا يتطلعون إلى رواية تجاربهم وأيامهم وأوضاع خلافتهم؟ أم ان ذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى حدثين أساسيين يتعلقان بالصراع بين تيارين سياسيين هما تيار اسلامي تبنى المركزية والسلطة الشرعية المنتخبة بوسيلة من الوسائل وبين التيار القبلي الذي يقف معارضاً لذلك ولايرضى بشيء مقابل الزعامة القبلية؟ أم ان ذلك يرجع إلى عوامل تتمركز حول النتائج التي أعقبت وفاة رسول الله ﷺ والتي أعقبت النتائج الخطيرة التي شهدتها سقيفة بني ساعدة؟ أم إنها عوامل تتعلق بالحدث الذي ركّز عليه الأستاذ بيترسن ألا وهو الفتنة الكبرى في الإسلام أي مقتل الخليفة الثالث؟ أم إنها عوامل لها علاقة بالتصارع التاريخي بين بني هاشم وبني أمية وان ظهور النبوة في بني هاشم قد أثار ضغينة وحقد بني أمية خاصة وقريش عامة كما عبّر عن ذلك الخليفة عمر بن الخطاب﵁ بقوله ان قريشاً تكره ان تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم. أو كما عبّر عن ذلك الإمام علي﵇ في عدد من خطبه وأقواله منها: ـ «اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم أضمروا لرسولك صلى الله عليه وآله ضروباً من الشر والغدر فعجزوا عنها وحلت بينهم وبينها فكانت الوجبة بيّ والدائرة عليّ، اللهم احفظ حسناً وحسيناً ولا تمكّن فجرة قريش منهما» [شرح نهج البلاغة مجلد٤ جزء ٢٠ ص٥٥] وقوله «ما لنا ولقريش يخصّمون الدنيا باسمنا ويطؤن على رقابنا فيالله وللعجب من اسم جليل لمسمى ذليل» [م.ن. مجلد٤ جزء ٢٠ ص٥٤٤]. وقوله أيضاً «كل حقد ـحقدته قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وأظهرته فيّ ستظهره في وَلَدي من بعدي. مالي ولقريش إنما وترتهم بأمر الله وأمر رسوله أفهذا جزاء من أطاع الله ورسوله ان كانوا مسلمين» [م. ن. مجلد٤ جزء ٢٠ ص٥٦٤]، ألا ترى ان الحقد والبغض قد أديا دوراً مركزياً في الصراع وفي تحريف الرواية وفي تأليف

الكتب والرسائل، إنه الحقد الذي قاد بعض شخصيات قريش من الصحابة إلى الندم بعد فوات الأوان؛ فعندما ذكّر الإمام الزبير(رضي الله عنهما) في معركة الجمل بما سبق ان قاله الرسول ﷺ بشأنهما ندم واعتزل المعركة حسب الرواية الكوفية. كذلك فإن الرواية الكوفية تستشهد بندم الصحابي عبد الله بن عمر والصحابي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وكذلك لا محيص من الإشارة إلى قول الإمام في جوابه عن سؤال «يا أمير المؤمنين أرأيت لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله ترك ولداً ذكراً قد بلغ الحلم وآنس منه الرشد أكانت العرب تسلّم إليه أمرها. قال لا بل تقتله... هل كان يفعل ما فعلت كذاك لم يكن يقرّب ما قربت ثم لم يكن عند قريش والعرب سبباً للحظوة والمنزلة بل للحرمان والجفوة إليهم. إنك تعلم إني لم أرد الإمرة ولا علوّ الملك والرياسة...الخ» (شرح مجلد٤ جزء ٢٠ ص ٥٥١).

فماذا عسانا التعليق على هذه الاقوال التي تقطع بصراحة عن حقد قريش وضغينتها وعن التشخيص الدقيق الذي أعلنه الإمام علي للعوامل الشخصية والآنوية والمنفعية في تحريك أسس معارك الجمل وصفين والخوارج ضد خليفة شرعي بويع بيعة خاصة وعامة من المهاجرين والأنصار ومن الصحابة الموجودين في المدينة.

ومن غير شك فإن تحليل الروايات التي رويت عن الجمل وصفين تحليل مقارن وعادل، مع الصعوبة الكبيرة التي تكتنف تلك العملية، قد يساعد على الوصول إلى جو مقارب للحقيقة بالقاء الضوء على طبيعة المرحلة وعلى التحولات الحضرية التي رافقت الفتوحات وتميزت بامتلاك العديد من الصحابة للأموال والعقار ودخولهم المجال العملي في مسألة الربح والخسارة الماديتين وكذلك في تأثير اللاوعي التاريخي في من انحسر عن المسرح السياسي والاجتماعي، وفي من قتل من ابنائه واخوانه وأقاربه في العشيرة بسيوف الإسلام وفي من ظل بعيداً عن روح الإسلام وجوهره أو في من لم تنجح الأيام القلائل والشهور المعدودات على اعتناقه الإسلام في تحويله إلى مسلم ومؤمن، (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا

ولما يدخل الايمان في قلوبكم) صدق الله العلي العظيم.

■

فالبروفسور بيترسن قد حقق نتائج علمية عالية في تتبعه التحليلي لاسانيد المرويات عن معركة صفين بالدرجة الأساس. إذ ابتدأ بتصنيف رواته البارزين على أساس اقليمي .محلي فكان صالح بن كيسان المتوفى سنة ١٤٠/ ٧٥٧م وهو شيخ محمد بن اسحاق وراوية معروفة في الفقه ورواية الحديث مدني من الموالي، مولى غفار وقيل غير ذلك. وقد وثّقه علماء الجرح والتعديل كالبخاري والعجلي وابن حبّان البستي. ومع إنه مدني في المولد والنشأة والسكن فقد عدّه الأستاذ بيترسن ممثلاً للرواية الشامية .السورية، إذ انه دخل في خدمة الخليفة عمر بن عبد العزيز مؤدباً لابنائه والوليد بن عبد الملك فانتقل عندها إلى دمشق. في هذه الحالة فإنه من الصعب ان نجعله ممثلاً للرواية السورية ونلغي خلفياته المدنية تماماً. كذلك الحال بالنسبة إلى ممثل الرواية المدنية ابن شهاب الزهري القرشي المتوفى سنة ١٢٤هـ/ ٧٢٢م فإنه مديني النشأة والسكن، ومن رواة الحديث الشريف والمغازي المتفق عليه بالصدقية والموثوقية. وهو كصالح نظراً لمكانته العلمية احتاجه البلاط الأموي فاتصل بعبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز والوليد بن يزيد وهشام بن عبد الملك ليجيب هؤلاء الخلفاء عن تساؤلات بشأن مغازي رسول الله ﷺ وهي نقطة لها مغزى مهم جداً، فعمر بن عبد العزيز كتب إلى الافاق إلى عماله (عليكم بابن شهاب هذا فانكم والله لاتلقون احداً اعلم بسنّة ماضية منه) (ابن سعد: الطبقات الكبرى «القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، تحقيق زياد ومحمد منصور، المدينة المنورة ١٩٨٨ ص١٦٢) ولانعلم ما هو الدافع الرئيسي الذي دفع بالخليفة عمر بن عبد العزيز إلى ان يكتب إلى عماله سنة ٩٩هجرية ليعتمدوا ابن شهاب الزهري، أأنه قد كان على علم ويقين بصناعة رواية الحديث التي بدت منتشرة في الاقاليم التي تسلّمت قبل نصف قرن تقريباً كتب معاوية في الصناعة والتلفيق في روايات الحديث الشريف والروايات التاريخية، هناك رواية لها أهمية مميزة اوردها ابن سعد إذ قال (ويروى ان الزهري

أمضى معظم جلساته بصحبة الإمام علي بن الحسين) (ينظر طبعة سخاو جزء٥ ص١٥٨) ويذكر الإمام احمد بن حنبل في مسنده ان الإمام زين العابدين كان وحده قادراً على تخليص الزهري من حزنه (المسند القاهرة ١٩٤٦) مجلد٣ حديث ١٨٨٢، ١٨٨٣. وفي الواقع ان ابن شهاب قد روى احاديثاً نقلا عن الإمام الباقر ودرس على يدي والده الإمام علي بن الحسين. ويبدو ان خدمته في البلاط الأموي أيام عبد الملك قد أثرت عليه في ان ينحو منحى جديداً. ومع ذلك فإنه أيضاً مدني في الولادة والنشأة والسكن إلى حين انتقاله إلى البلاط الأموي في دمشق. وهي مرحلة مهمة لاتجعلنا نميل إلى إنه ظل يمثل المدرسة المدينية في رواياته التاريخية عن الأمويين.

بينما ميّز البروفسور بيترسن الرواية الضدية لرواية الشام وهي الرواية الكوفية التي بدأت ثابتة في خطها الاخباري وانتهت به.

وهو أيضاً لايغفل الرواية العثمانية البصرية وميلها وأحياناً اندماجها بالرواية الشامية الأموية.

فكتاب البروفسور بيترسن متميز بقدرته على استيعاب النص العربي وملازمته دوماً قراءة البروفسور الايطالي كيتاني. وهو كتاب حريّ بالترجمة والقراءة، وان تحتويه المكتبات.

نرجو من الله العلي القدير ان نكون قد وفقنا في ترجمة هذا الكتاب

ومن الله الموفقية والفلاح

أ. د. عبد الجبار ناجي
بغداد
ايلول/ ٢٠٠٦

تقديــــم

الحـرب الاهليـة الاولـى ٦٥٦ م ـ ٦٦١م والخـصومات والتنـافرات الفرقيـة بـين الجماعات التي ظهرت نتيجة لها قد برهنت على انها تنطوي على اهمية حاسمة في تطور الاسلام. ولا عجب، اذن، بان التفسيرات اللاحقة للصراع بين علي ومعاية قد اثارت واحدثت تفسيرات خاطئة وتحريفات جدية في سياق الواقعية للاحداث. ففي دراسة سابقة حاولت فيها ان أعيد بناء وانظم من جديد بعض الاتجاهات والمشاكل لهذا الصراع مستنداً على المصادر الاولية. وان هذا الكتاب يقدّم ويعرض محاولة لتتبع تشكيل وصياغة الرواية التاريخية التي رافقت الحرب الاهلية الاولى عن عن طريق تطبيق معايير حديثة في منهج البحث التاريخي. واخيراً حاولت ان اقيم وأسس صورة ومخططاً لنشأة الكتابة التاريخية الدنيوية Profane» في الاسلام، بقدر ما يمكن اعتبار الصراع بين علي ومعاوية إنموذجاً. ولذلك فان الكتاب يهدف الى الجمع بين الدراسة التاريخية والتدوين التاريخي (Historiographical) والمنهجية للصراعات والنزاعات الاولى في الاسلام.

وقد تم انجاز مخطوط الكتاب في صيف ١٩٦٢، ولذلك لم يكن بوسعي ان استثمر وانتفع من الاصدارات الحديثة. وانني أأسف بشكل خاص لعدم حصولي على كتاب (مؤرخو الشرق الاوسط)* الذي حققه برنارد لويس وبي هولت، المطبوع في لندن

---

* يقصد البروفسور بيترسن كتاب Historians of the middle east مؤرخو الشرق الاوسط الذي

١٩٦٢)، ومع ذلك فانه بلطف من البروفسور برنارد لويس قد سنحت لي الفرصة بان اراجع مقالتين من هذا التأليف بصيغة نسخة مطابقة لأصل مخطوط الكتاب. وباستثناء المصطلحات والاسماء الشائعة فان الكلمات الشرقية قد عرضت هنا بصيغة الحروف العربية المستخدمة في دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الجديدة منها.

ولم يبق لي الا ان اتقدم بالشكر الى جميع اساتذتي في جامعة كوبنهاكن وهم: البروفسور استرد فرلز Astrid Frils، واكسل كرستنسن Aksal, E. Christensen، وبوفل باك Povl Bagge، وسفن هننغسن Sven Henningsen وكرستوف كلمن Kristof Glamann والمدرس المرحوم إيرك باج Erik Bach. وانني اشعر بالدين للبروفسور كريستنسن والبروفسور فريد لوكار Fred Lokkegaard لتشجيعهما المتواصل وتأثيرهما الملهم. وانني تواق ايضا الى شكر والدتي (المهندسة الأقدم والسيدة اس. دبليو. بيترسن) بحرارة لجوهدهما في منفعتي وان المكتبة الملكية في كوبنهاكن قد سهلت كثيراً عملي بتوفيرها الكتب غير المتوفرة هنا. وانني ايضا اود شكر البروفسور برنارد لويس والاساتذة في مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية في لندن اذ مكنتني مساعدتهم من ان أتولى وأأخذ على عاتقي الدراسات الادبية الاضافية. وفي الختام أود ان أطيل شكري الحار الى مؤسسة Staten Almindelige Videnskabsfond. والقنصلية البريطانية لدعمهما المادي للبحث الذي لا غنى عنه بل يعد اساسيا في هذا الكتاب. وقد تولى الترجمة الانكليزية للكتاب السيد لامب كريستنسن الذي اشكره قلبيا لصبره واعتنائه بالعمل

بيترسن
مايس ١٩٦٤

حققه البروفسور برنارد لويس والبروفسور بي. م. هولت المطبوع في اول طبعة سنة ١٩٦٢ وأعيد طبعه سنة ١٩٦٤ في لندن. وقد تضمن هذا الكتاب اربعة بحوث تتعلق بالرواية التاريخية والتدوين العربي الاسلامي هي:- بحث البروفسور مونتغري وات وبحثه الموسوم (المواد المستخدمة من ابن اسحاق) وبحث البروفسور فرانتز روزنثال وبحثه الموسوم (تأثير الرواية التوراتية على التدوين التاريخي الاسلامي)، وبحث البروفسور عبد العزيز الدوري المرسوم (المدرسة العراقية للتاريخ حتى القرن التاسع - دراسة مختصرة)، وبحث البروفسور السير هاملتون كب الموسوم (أدب التراجم الاسلامي) [المترجم].

مقدمة المؤلف

بّرهن مقتل عثمان في المدينة في حزيران ٦٥٦م بأنه حدث مهم جداً ويعد مطلعاً لعهد جديد epoch-making في التاريخ الاسلامي، فهو حدث، كما عبّرت عنه كلمات المؤرخين العرب، قد شكّل وكوّن استهلالاً لذلك الانقسام السياسي -الديني (فتنة) التي سببت ليس فقط في حدوث سلسلة من النزاعات والصراعات المؤلمة والعنيفة في السنوات التي اعقبت حدوثها ولكن ايضا في الانقسام الدائمي للمجتمع الاسلامي الى فرق (أحزاب) ومجموعات متضادة يصعب المصالحة بينها[1]. وفي الوقت ذاته فان مقتل الخليفة بحد ذاته قد أثير من قبل عناصر كامنة للتوتر كانت بالفعل موجودة داخل المجتمع العربي وهي: انقسامات وخلافات بين الثيوقراطية الاسلامية المحدثة حديثاً، المكيون المحمديون[*] ورفاقهم المدنيون، وطبقة النبلاء القديمة في مكة

---

(١) ان المعنى الحقيقي للفتنة هو Scruple وهو تحديد موقف المرء من المشاكل الدينية التي نجمت عن مقتل الخليفة ينظر فلهاوزن: الدولة العربية وسقوطها (بالانجليزية) كلكتا ١٩٢٧، الطبعة الالمانية (١٩٠٢) [ترجم من مؤلفات فلهاوزن هذه كتاب: الدولة العربية وسقوطها ترجمة يوسف العش، دمشق ١٩٥٦. وترجم الدكتور محمد عبد الهادي ابو زيدة كتابه (تاريخ الدولة العربية)، القاهرة ١٩٧٨؛ كما ترجم له كتاب الخوارج والشيعة، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، القاهرة ١٩٥٨] [المترجم].

* إشارة الى المسلمين وهو تعبير اعتاد المستشرقون على ذكره بالرغم من خطأه فيقصدون (المحمدية) الاسلام نسبة الى الرسول الأعظم محمد(ص)، وبعض المستشرقين المغرضين يهدف الى جعل الاسلام والقرآن الكريم من بنات افكار النبي(ص) وهو تفسير حاقد طبعا وغير صحيح تاريخيا وعلمياً [المترجم].

تحت الزعامة الأموية، والجماعات العربية البدوية. وفي حقبة لاحقة الى حد ما، فان حالة التوتر هذه يبدو قد أجّجها جماعة جديدة مععلي بن ابي طالب ومفسروا وممثلوا مبدأ الشرعية، لابن عم الرسول وصهره، كشخصية مركزية وان أبا بكر وعمر قد نجحا الى هذا الحد في دعم تسوية مؤقتة Modus Vivendi وذلك بتحديد هوية البرنامج الديني للاسلام بغريزة حب الحرب عند القبائل العربية، وهي السياسة التي كانت نتيجتها المباشرة تلك الموجة التوسعية الكبيرة الاولى في ثلاثينات سنة ٦٣٠. وان الخلفاء الخمسة الاول في الوقت نفسه كان عليهم ان يأخذوا بعين الاعتبار الامويين اذ ان من الطبيعي ان مصالحهم التجارية في سوريا قد وضعت زعامة وتنظيم النتوج في هذه المناطق بأيديهم.

ومع ذلك فلدينا ادلة، خلال عهد عمر (٦٣٤ ـ ٦٤٤) ولاسيما خلال عهد خليفته عثمان، في تبرعم ونشوء حالة التذمر والاستياء بين تلك القبائل العربية التي قد اسهمت في التوسع بالفتح، سواء من حيث النظام العسكري الصارم ام من حيث المنافع والامتيازات الاقتصادية التي حصدتها وكسبتها الارستقراطية الاسلامية الجديدة في الحجاز خلال عهد عثمان، وقد حصد الامويون من عمليات الفتح ايضا.

ومن الواضح ان هذه الظروف قد وفّرت الادوات للثورة ضد عثمان وفي هذه الحالة فانه من الصعوبة بمكان ان يعزى انتخاب علي(**) الى الخلافة الى اي رغبة للاعتراف بمبدأ الشرعية لان البدو .وبالأخص القبائل العراقية .والانصار قد سعوا الى استثمار والانتفاع من إمكانيات ملابسات الاحوال المباشرة وان ينقلوا التطور الى الوراء ثانية حيث السبل القديمة والاكثر صلاحاً وتقوى[1]. وعلى اية حال فان سلطة علي كخليفة لايمكن المحافظة عليها الا بالتعاون مع الجماعات التي وقفت وراء قتل عثمان

** لقد حافظنا في الترجمة على نصوص المستشرق بيترسن ولم نضف تعبير (عليه السلام) او (صلى الله عليه وآله وسلم) أو (رضى الله عنه)، واننا نذكرها هنا للتنويه عنها في هذا الهامش [المترجم].

(١) ينظر فاجيلري Vaglieri (البحث في الإيطالية) (صراع معاوية والخوارج الاباضية) المنشور في مجلة مركز دراسات الشرقية في نابولي، كذلك لنفس الباحث في (دائرة المعارف الاسلامية- طبعة جديدة)، ٩٦- ١٥٧sgg AO xx ٣٦Vesely,

ولذلك فانه قد واجه مقاومة من المهاجرين المكيين الذين قد انتفعوا من التوسع وكان عليه ايضا ان يواجه تمرد طلحة والزبير في خريف ٦٥٦م.. اذ كانت مطاليبهما الغامضة الى حد ما للاصلاح هي، كما هو معتقد، معبرة عن احجامهم يحّملا نفسيهما القبول بالبرنامج الذي يدل عليه ضمناً انتخاب علي، ومهما يكن، فانهما في تلك الظروف المذكورة كان من الصعب عليهما ان يتمكنا من تحقيق مطاليبهما، وان تمردهما قد قمع بالفعل في كانون الثاني في معركة الجمل (بالقرب من البصرة)[١].

وكان ردّ الفعل الاموي القوي الذي (تزعمته) الشخصية القيادية للدولة هو العنصر الاكثر طبيعية والاكثر اهمية، انه معاوية بن ابي سفيان الوالي السوري. وبما انه وليّ او قريب الخليفة المقتول ووفقاً للقران Pursuant to فقد أثارت المطالبة، ويعتقد انه كان في شهر كانون الثاني من سنة ٦٥٧م، بالثأر لدم الخليفة من قتلته، كذلك فأنه لم يعترف بأي تبرير ديني لفعلتهم. وقد اعتبر، في جميع الروايات، علياً على انه ضليع بعملية القتل لأن الاخير (يقصد الامام علي) قد مال في الواقع الى جماعة القائمين بعملية الاغتيال وعلى هذا ينبغي ان يتعرض للشبهة[٢]. ومن الناحية الاخرى فإن علياً وأنصاره قد كذّبوا ورفضوا في الحقيقة ان النص القرآني Lex taltionis ينطبق أو يمكن تطبيقه في الواقع على هذه الحالة ويرون ان إحداث استبدادية arbitrariness لعثمان قد أعطت الفرصة للقتل عمداً، ولهذا ينظر الى معاوية وكأنه متمرد ضد السلطة الدينية الشرعية، بذلك فان القتال ضد اولئك قد أُقر في القرآن (حتى reverts يرجع الى طاعة الله[٣].

ليس هناك أدنى شك بأن هذه الفتنة قد هزّت الأسس الحقيقية للمجتمع الاسلامي، وان هذه الارتيابات scruples او الفتنة قد ظهرت مرة اخرى تلقائياً في كل من معسكر

(١) ينظر كيتاني بالايطالية مجلد ٩ ص٣، ٧٢، ٢١٦

(٢) صالح بن كيسان عند البلاذري ص٤-٥؛ ينظر محمد بن اسحاق نفس المصدر ص٥٠٢، كيتاني مجلد٩ ص٢٨٤، ٢٨٩؛ نصر بن مزاحم: واقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري (تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥-١٩٤٦)، ص٧٤.

(٣) واقعة صفين٣٣، ٢١٢، ٥٧٠، ٥٩٩؛ ينظر القرآن سورة٤٩ آية ٨-٩، (سورة الحجرات (مدنية)) وجاء قوله تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين) [المترجم].

معاوية وعلي عندما التقى الطرفان في صفين الواقعة على نهر الفرات في صيف سنة ٦٥٧م. اذ أجبر علي على قبول التبرير بمقتل الخليفة وموقفه منه بما أشير اليه في مسألة الحكومة (التحكيم) استناداً الى القرآن. وكل طرف عيّن حكمه Umpire الخاص، فعين السوريون عمرو بن العاص وعيّن جيش علي ابا موسى الاشعري*، الذين كان من بين اولئك الصحابة الذين ارادوا لأسباب دينية الوقوف منعزلين عن الفتنة(١). وعلى أية حال فان معسكر علي لم يعد منسجماً unison in بخصوص هذا القرار؛ فاحدى الجماعات . اولاً وقبل كل شيء كانوا من بين البدو . عرفت فيما بعد باسم الخوارج قد انسحبوا وذلك لأنهم قد أعدّوا الاتفاقية بأنها تتعارض مع وظيفة الخليفة الدينية، وقد قاموا بتضحيات في القتال ضد تمرد معاوية غير الشرعي فإنهم لم يعترفوا الا بالحكم العسكري، حكم الله في الصراع(٢). ايضا ليس هناك اي شك بأن اصرار الخوارج الذي حدث في نفس الوقت اثر ديمقراطية الاسلام البعيدة المدى قد مثّلت جانباً واحداً للمعارضة ضد عثمان وكذلك الافكار التي اتخذت موقفاً وراء خلافة علي.

ويبدو ان المعارضة الخارجية قد أدت الى تأجيل التحكيم حتى شهر كانون الثاني ٦٥٩م عندما التقى عمرو مع ابي موسى في أذرح (وهي واحة تقع بين معان وبترا). واتضح الحكم بالنتيجة الى ان مقتل الخليفة كان عملاً غير شرعي وان علياً قد عرّض نفسه دينياً بتعاونه مع القتلة(٣). لقد تعرض علي بالفعل الى اتهام الخوارج بالكفر خلال

---

* وجاء في نهج البلاغة للامام علي(ع) انه تطرق الى معنى الحكمين فقال (فاجمع رأي ملتكم على ان اختاروا رجلين فأخذنا عليهما ان يجعجعا عند القرآن. ولايجاوزاه وتكون ألسنتهما معه وقلوبهما تبعَه. فتاها عنه وتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما والاعوجاج رأيهما وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحق سوء رأيهما. وجور حكمهما. والثقة في ايدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحق وأتيا بما لايُعرف في معكوس الحكم» (ينظر نهج البلاغة مجلد٢ جزء١٠ ص٥٠٢) [المترجم].

(١) فاجيلري ١ ص٢٦؛ Acta Orientalia (كوبنهاكن) مجلد٣٣ ص١٨٢.

(٢) غبريللي، اصول وجذور حركة الخوارج (بالايطالية) [١٩٤١] جزء٦ ص١١٠- ١١٧.]وللمؤلف كتاب ترجم من الايطالية الى الانجليزية بعنوان محمد والفتوحات الاسلامية الذي ترجمته الى العربية وقدمته للطبع [المترجم].

(٣) فاجيللري ١ ص٨٥؛ Acta Orientalia (كوبنهاكن). جـ٣٣ ص١٩٢؛ ان تاريخ فيسيا فاجيلري من الصعب الدفاع عنه. Inter alia وذلك لأنه اعتمد مصادر ثانوية. وبشأن موقع أذرح الذي لم يصفه

تعرضه .حتى وان كان ذلك بشكل متذبذب ومتأرجح لاتفاقية صفين. ونشأت هذه المشاحنة في معركة النهروان (بالقرب من الكوفة) في تموز ٦٥٨م التي اندحر فيها الخوارج. يظهر التحكيم اللاحق بأنه قد سبّب ارتداداً قوياً من جهة علي وان السنتين الباقيتين من خلافته اتخذت شكلاً من اشكال الانحلال المتصاعد والمتوالي الى ان وقع ضحية لاغتيال خارجي في شهر كانون الثاني ٦٦١م. وعلى أية حال فأنه في الصيف السابق كان معاوية قد تسلم فعلاً قسم الولاء في القدس[١].

في هذه الحرب الاهلية فان المبادئ الأساسية للاسلام قد تصادمت وتضاربت في صراع غير قابل للمصالحة. وعلينا ان نتذكر بأن حرب علي الدفاعية كانت تهدف الى (الابقاء على العقيدة* والتزامه بأن يتحمل القيادة الصحيحة وصولاً الى النصر[٢]" وان هذا الالتزام او التعهد قد ارتكز عليه بشكل طبيعي وذلك لأنه كان عارفاً للدين، وهي مسؤولية دينية أنعم بها الله عليه بصفته الإمام[٣]. ومن الجانب الاخر فقد ظهر ان موقفه

الجغرافيون العرب وصفاً دقيقاً بنظر فاجيلري، مقالة أذرح في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة جديدة) مجلد١ ص١٩٤ وفي هذا المجال يذكر ابن حوقل ان أذرح هي مدينة الشراة وانها في غاية الخصب والسعة وان عامة سكانها من العرب (صورة الارض «بيروت» ص١٦٠). وياقوت الحموي يرجّح ان أذرح من الجرباء وليس من فلسطين. وباذرح كان امر الحكمين. ويذكر رأيا اخر مفاده ان التحكيم حدث في دومة الجندل لكن ياقوت يرجح اذرح والجرباء ويستشهد بشعر لذي الرمة في مدحه لبلال بن ابي بردة جاء فيه:

أبوك تلاقى الدين والناس بعدما تساءوا وبيت الدين منقطع الكسر
فشدّ إصار الدين، ايام أذرح وردّ حروباً قد لقحن الى عقر

معجم البلدان (بيروت) جزء١ ص١٢٩- ١٣٠ [المترجم].

(١) Acta Orientalia مجلد ٣٣ ص١٩٦.

* (أذرح) في دائرة المعارف الاسلامية طبعة جديدة مجلد١ ص١٩٤. [وفي هذا المجال يذكر ابن ابي الحديد في شرحه عن موقف كل من سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر من الامام علي، ان الامام قال فيهما ((عجباً لسعد وابن عمر يزعمان اني احارب على الدنيا، أفكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحارب على الدنيا فان زعما ان رسول الله صلى الله عليه وآله حارب لتكسير الاصنام وعبادة الرحمن فانما حاربت لدفع الضلال والنهي عن الفحشاء والفساد، أفمثلي يزنّ بحب الدنيا والله لو تمثلت لي بشراً سوياً لضربتها بالسيف)) شرح نهج البلاغة مجلد٤ جزء٢٠ ص٥٦٤. [المترجم]

(٢) البلاذري، ص٤٤١ (كيتاني مجلد١٠ ص٤١٨).

(٣) عن هذا المفهوم ينظر ال. كارديت (دين) في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة ثانية) مجلد٢ ص٢٩٣، وبحث بهل Buhl:علي والخلافة (باللغة الالمانية، جامعة كوبنهاكن، نوفمبر ١٩٢١) صفحات ٤١،٥٥،٥٧.

من الفتنة قد أثر في حكمه المتعاصر contemporaneous لاعتباره ولمقامه الديني الى درجة متميزة. فان مجرد الشك باحتمال تورطه او اشتراكه في مقتل الخليفة (ان كان هذا مظلوماً) يبدو انه قد أقنع او حثّ عدداً من صحابة محمد البارزين (من بينهم سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر) على الامتناع عن الاعتراف به وفضّلوا البقاء على الحياد[١]، مشابهة، بدوره في اراقة دماء زملائه المؤمنين في معركة الجمل وصفين والنهروان فان ذلك قد اثار شكاً مستفحلاً بخصوص دينه وعقيدته. اما بالنسبة الى الخوارج فأنه قد خسر forfeit دينه بسبب قبوله التحكيم، وان حكميه umpire ايضا قد اعتبرا موقفه من الفتنة موقفاً توفيقياً من الناحية الدينية الامر الذي يجرده من الأهلية في الخلافة.

ومهما يكن فان تقويض دين علي هو أحد الوجوه والمظاهر التي أخذت في الحساب لصالح انتصار الامويين. اما الوجه الاخر فيتمثل في خصال معاوية الشخصية. وفي هذه الحالة فإننا نجد ايضا عدم وجود اي اساس للفكرة بأنه طمع صراحة بالخلافة حتى فترة متأخرة جداً، ومن المحتمل انه ظل كذلك الى الفترة الى ان اعتبر الحكمان دين علي محل تساؤل*. ان النتيجة الناجحة لقتال معاوية لابد وانها تعزى الى دهاء معاوية السياسي والى ترويه الرزين، والى تسامحه فجميعها عبارة عن مظاهر لخصاله تلك التي تمثل مفهوم العربَ للحلم[٢]. وانتهازية معاوية جعلته ينتظر الى ان عرّض علي نفسه للشبهة بتصرفه او ادارته قبل ان يتدخل بقوة في مجرى الاحداث.

---

(١) النوبختي: فرق الشيعة (تحقيق رتر) جزء ٤، اسطنبول ١٩٣١ (Bib-Islam) ص٥ (ينظر مجلة تاريخ الاديان) RHR١٥٣، ١٧٩). الطبري مجلد١ ٣٠٧٢ (كيتاني مجلد٨ ص٣٢٧؛ ينظر (بهل) بحثه عن علي ص٣٧، ٤٦.

* ان استنتاج الاستاذ بيترسن غير صحيح فالإمام علي لم يعّرض نفسه الى الشبهة، ولكن اصرار اتباعه في عدم الروية في اختيار الحكم الأوفق اما ابن عباس او الاشتر كما رأى الإمام هو السبب في جعل الاشعري يخضع لخديعة عمرو، على الرغم من تحذير ابن عباس له، بتخليه عن صاحبه الإمام علي في الحكومة بقصد أم بغير قصد والله اعلم [المترجم].

(٢) عن هذا المفهوم ينظر لامانس: دراسة عن عهد الخليفة الاموي معاوية في القرن الاول الهجري (بالفرنسية) بيروت ١٩٠٨، ص٦٦.

حينئذ فان الارستقراطية المكّية القديمة بزعامة معاوية في سنوات ٦٦٠ ـ ٦٦١م قد وصلت الى الخلافة. وعلى أية حال فهناك سؤال موضع نقاش وهو الى اي مدى قد غيرت الحرب الاهلية وتسلم الامويين السلطة من البنية السياسية والاجتماعية للاسلام؟. لقد سعى معاوية وخلفائه المباشرين بوضوح الى متابعة خط الخلفاء الاول، واقصد في مساعيهم بالتنسيق والربط بين المصالح الاسلامية والبدوية في التوسع التي جمعت فيه هذه القوة الدافعة الجديدة. وفي الوقت ذاته، فان منزلة calibre معاوية قد ساعدته في الحفاظ على التوازن في المؤسسات القبلية التقليدية وبهدف تنظيم المجتمع العربي الارستقراطي في الظروف الجديدة. ومع ذلك فان الثورات الشيعية (شيعة علي) وثورات الخوارج التي سرعان ما تفجرت في العراق أدت الى البرهنة على ان هذا التوازن كان توازناً قلقاً، لاسيما عندما امتص او استوعب assimilation العرب في داخل الاقاليم الشرقية وكذلك عندما اعتنق الناس فيها الاسلام تدريجياً، فان ذلك قد عمّق العداء والنفرة وأضاف مشاكل اجتماعية للمشاكل السياسية اذ احتشد المستاؤون والمتذمرون من العرب والموالي (مفردها مولى) حول المعارضة الشيعية، لذلك فان حالة الصراع منذ خلافة علي لم تنحسر باغتياله، انما احتفظت بواقعيتها الفعلية حتى وان اتخذ العداء صفة مختلفة نوعا ما. فالفتنة التي اثيرت باغتيال عثمان كانت ذات اهمية اساسية وقد استمر تأثيرها ليس فقط في انها تستدعي تفسيراً لاحقاً Posteriori وذلك بمقتضى او استناداً الى بنية المجتمع الاسلامي الخاصة وتسلسله السياسي والديني، ليس هذا فقط انما ايضا انها (الفتنة) ينبغي ان تؤخذ بعين الاعتبار في مسألة الولاء الى الماضي. فتاريخ الحرب الاهلية (الفتنة) والكتابة التاريخية عنها يتضمن امران مختلفان اختلافاً واسعاً، كل منهما يستحق المناقشة والدراسة.

ـ ٢ ـ

يمكننا تصنيف وتحليل كل رواية تاريخية من وجهتي نظر رئيسيتين، اعتماداً على الكيفية في انها تعدّ مصدراً للمعرفة عن الموضوع تحت الوصف أو فيما اذا كانت اثراً

تاريخياً historiographic monument. والواضح ان هاتين القاعدتين او المبدأين في التصنيف ليسا منفصلتين او لا علاقة تبادلية بينهما وان تحولات او انتقالات انزلاقية او زاحفة sliding transitions يمكن وقوعها، غير ان التمييز بينهما ذا فائدة اساسية على اية حال. فمن الناحية التاريخية فان الاعتماد على عرض مصادره او على المظهر الخارجي للمؤلف سيؤديان دوراً حاسماً وبصورة ثابتة في وضعية ومكان الكتابة. في حين ان قيمة العرض مصدراً للبحث الحديث ليس له وثاقة الصلة بالنسبة الى الاستقصاء والتحقيق التاريخيين.. اذ يعدّ العرض اثراً تاريخياً. فان اهتمامنا سوف يركز على وضعه بمقتضى كونه دليلاً لقياس مستوى المؤرخين المتعاصرين ومنهجيتهم وايديولوجيتهم او مذهبهم. وليس بالاستطاعة تحقيق استقصاء هذه طبيعته بواسطة تجميع مصدري ببلوغرافي او عن طريق استعراض معلومات المؤرخ فحسب. ان التقويم ينبغي ان يفترض ان تدوين الروايات التاريخية يجب التعامل معها وكأنها نتاج المجتمع الذي انبثقت منه الروايات وفيها تفعل وظائفها ومهماتها[١].

ان الوظيفة الاجتماعية والتعليمية للكتابة التاريخية تعدّ ظاهرة معروفة جداً في اوربا في العصر الوسيط اذ ان خصائص عرضها بصورة رئيسة كنتاج لانتصار المسيحية في القرن الرابع الميلادي، وحيث ما زالت الوجهات والمظاهر الثيولوجية اللاهوتية الملونة والمشوهة مع ذلك ظلت صامدة وذات اهمية[٢]. أما الفلسفة التي تشكل الاساس في عمل المؤرخين في العصور الوسطى فهي مستقاة من نظام سنت اوغسطين الثنائي الذي كان مطبقاً اولاً على المادة التاريخية الدنيوية وكذلك من اجل تحقيق اغراض جدلية من تلميذه بولس اوزوسيوس في الوقت الذي كانت فيه تواريخهم المرتبة زمنياً .وقد

---

(١) ينظر الافكار النظرية لهربرت بترفيلد Herbert Butterfield في بحثه (التاريخ وكتابة التاريخ) في المؤتمر الحادي عشر حول تاريخ العلوم (١٩٦٠) ص٢٥). وعرضياً فان مصطلح الـHistoriographs المستعمل في هذه الايام هو مصطلح متناقض بصورة كبيرة؛ انه يستعمل لكل من تاريخ الكتابة التاريخية وكذلك للبحث او للعرض الذي يتعامل مع التاريخ. ان التفسير او المعنى الثاني هو المعنى الاشتقاقي فإننا بقدر الامكان قد تجنبناه في هذا الكتاب.

(٢) حول ذلك ينظر مثلاً اي، بيرنهايم Bernheim في مجلد٢ جزء٧ Historisk Tidsskrift (Copenhagen)) مجلد٥ ص٤٥٥.

استثمرت من قبل اوزسيوس .قد استندت على الجدول التاريخي ليوسوبيوس في رواية التوراة والرواية الكلاسيكية. ان محصلة هذه المبادئ قد انجزت بالتأكيد في بداية القرن السابع من ايسدور الاشبيلي Isidore of Seville. ومهما يكن فالغائية teleogical المميزة بأي حال لم تُحل دون ظهور هامش محدد او لم تمنع من ظهور الحد الأدنى المعين للاسهام الشخصي للمؤرخ.

فالروايات في العصور الوسطى تترك في الواقع انطباعاً أو صورة بواسطة التوليف والتوفيق أو بواسطة المباني بشأن مصدر المعلومات التي بحوزته، فالمؤرخ يستنبط تفسيراً خاصاً للماضي الذي يخدم ويفيد هدفه ووجهة نظره السياسية.

ان هذا التسلسل المترابط للرؤى والأفكار الواقعية السياسية وكذلك كتابة التاريخ ضمن الأطر المصطلحية الترمونولوجية والدينية. ليست هي، على أية حال، ظاهرة اوربية. فالمعالم البارزة تقع بشكل متطابق تماماً في الكتابة التاريخية الاسلامية القديمة، حتى وان كانت المفردات والمزايا تطرح بشكل أو قالب مختلف نوعما في الشرق حيث الباعث أو المحرك الديني يدخل في كل اعتبار أو في كل فعل سياسي .وفي كل أمر نظري .فهو مرتبط وشديد التعلق بسلسلة الأحداث المرتبطة بالإسلام، الدولة والدين، أما في الحديث فقد وحده على نحو مميز كتوأم (الدين والدولة. وليس من السهل ان ينسب هذا التشابه الوظيفي إلى أي تأثير كلاسيكي أو مسيحي)[1]. وهذا يرجع بشكل أساسي إلى حقيقة ان دعوة محمد قد بدأت في وسط ديني مماثل للوسط المسيحي وان آراءه قد شكلت أو نظمت الأسس الدينية للفهم العربي للتاريخ. ان الفهم العربي للتاريخ الذي كان يقوم بمهمته المؤرخ العربي في العصور الوسطى هو لذلك من طراز أو شكل اسلامي بشكل خاص، كما هو الحال تماماً في الفهم الاوربي الذي كان بالأساس مسيحيا، وان لكليهما موضعا ومكانة في النظم الغائية في

(١) من المحتمل- وعلى أية حال في تاريخ لاحق- ان المؤرخين المسلمين قد عرفوا عناصر أو مكونات الكتابة التاريخية الكلاسيكية عبر البيزنطيين أو النقلة السريان المسيحيين (ينظر شبولر، ص١٢٧) ويبدو ان اوروسيوس Orosius هو الوحيد من بين المصادر المسيحية الذي قد ترجم (ينظر Historisk Tidsskrift «كوبنهاكن» مجلد٢ جزء٥ ص٤٥٦.

العصور الوسطى.

فالمجتمعات العربية الشمالية في فترة قبل الإسلام تمتلك في الواقع رواية تاريخية لابأس بها وكانت تتعامل بشكل أساسي مع النسب القبلي ومع الأعمال الحربية التي كانت مولعة بها (رواية أيام العرب)[(١)]. وليس هنالك من شك بأن هذه الرواية تخدم وتفيد الأمور العملية القبلية وفيما يتعلق أيضاً بنفوذها واحترامها لاعمالها العسكرية العظيمة، نجد ان هذه الرواية لم تطور ابداً أي مفاهيم معبرة للأفكار المبتكرة الكاملة والثابتة عن الماضي، ولذلك السبب فقط فإنها قد حددت مدى الفهم لمثل هذه الحوافز والدوافع كالذي وصل إليه المؤرخون المسلمون المتأخرين. حقيقة ان البلاط الاموي قد حافظ على الاهتمام في ماضي قبل الإسلام (الجاهلية)، والانشغال الكامل في نشاطات الرسول العسكرية (أدب المغازي)، والفتوح الاسلامية، فالنزاعات الأولى لابد إنها أيضاً كانت متأثرة باسلوب رواية أيام العرب[(٢)]. غير ان اهتمام البدو في الرخاء والنجاح القبلي خالٍ تماماً من الدافع الديني الموحد المتأصل في التعاليم المحمدية وكذلك في أول نظام للامبراطورية العربية الخاضع للاشراف وللرعاية الاسلامية. وان المفاهيم التاريخية لم تتبلور ولم تندمج في النماذج أو المعايير العملية التي كانت تحكم المجتمع الجديد بطريقة لكي تمارس تأثيراً حاسماً على الاجيال القادمة. ونظرياً فإن التحقيق الموضوعي للحقائق ليس مهماً بالنسبة للنبي، غير إنها قد دخلت عنصراً لايتجزأ وأساسي في دعوته، على الرغم من التخفيف والتكييف في مناقشاته التي تأثرت بالظروف والاحوال الخارجية.

وهناك أهمية اعظم وأسمى وهي ان محمداً نفسه قد عبّر عن فكرة التواصل

---

(١) ينظر كاسكل، أم بسلر Plesser مادة (تاريخ) في دائرة المعارف الاسلامية (الملحق) ص ٢٣٠؛ او برمان ص ٢٣٩-٢٦٤ ايضاً بحثهِ Aijam Al-Arab المنشور في Islamica المجلد). III ١٩٣٠)جزء ٥ (١٩٣٠).

(٢) ينظر عن ذلك، روزنثال: تاريخ علم التاريخ عن المسلمين (ليدن ١٩٥٢) ص٢٢-٢٨؛ اوبرمان: ص٢٦٤-٢٨٠؛ مجلد٢ جزء٥ (كوبنهاكن) Tidsskrift Hidtorisk]وقد ترجم كتاب روزنثال إلى العربيةص ٤٥١ بعنوان (علم التاريخ عند المسلمين) تعريب د. صالح احمد العلي (بغداد ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م) [المترجم].

والاستمرارية التاريخية بشكل قوي ومقنع، وكان هذا مبدأ اساسياً في عقيدته في الوحي وذلك ان الوحي الذي كان يتلقاه لم يكن من الناحية الجوهرية يختلف عن تلك التي كانت الشعوب الأخرى تتلقاها، غير إنه كان هو نفسه يحقق الرواية النبوية تلك التي قد ابتدأها رسل العهد القديم والمسيح[١]. واللافت للنظر كثيراً بالنسبة إلى تحديد هوية جميع أنواع الوحي أو الالهامات بأنها تفسر كيفية تراكم التجربة التاريخية. تحذيرات الاسلاف، ودروس التاريخ (العبرة). بغية ان يوجد مثل هذا الثقل المميز في دعوته الخاصة[٢]. ان معرفته عن الماضي وفحواه ومفاده تعد عنصراً لايتجزأ عن الوحي بشكل متساو ومتماثل مع أي جزء آخر من ناموس الوحي الالهي[٣]، فهذه الاستمرارية التاريخية الدقيقة وكذلك توكيد العبرة من الماضي التي يفترض التسليم بها جدلاً ينبغي أيضاً قد أثرت على الايديولوجية والمفهومية داخل البنية الاجتماعية الجديدة.

كانت دعوة محمد فردية منذ البداية، وهو خط لو إنه قاد إلى خاتمة منطقية فإنه سيهدم البنية القبلية الجماعية الموجودة. كانت النزاعات وانقطاع العلاقات الودية مع المكيين، وقبل هجرة الرسول أيضاً، قد احدثت تأسيساً اسلامياً للمؤسسات، حيث اعطيت لها فهماً كاملاً في النظام الاجتماعي النظري للمدينة. ونتيجة لذلك فإن تعاليمه قد اتخذت عناصر جلية وواضحة لمبدأ الجماعية Collectivism؛ فتلك التعاليم قد خضعت لنوع من عملية تعريب arabizing، ومرة أخرى فأنها قد أكرهت محمد ان

---

(١) وهكذا تمثل في القرآن سورة ٤٢ آية١١ [في آية من سورة الشورى قال تعالى (فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) آية١١]]المترجم[.

(٢) نفس المصدر سورة ١٢ آية١١١. وبالنسبة إلى معنى مفهوم العبرة وتطورها ينظر مهدي ص٦٣؛ ابوت Abbott ص٦ مع هامش رقم١٢ وصفحة٧ وهامش رقم١. دراسات في الأدب العربي في اوراق البردي نصوص تاريخية (نشر في اصدارات المعهد الشرقي/ شيكاغو ١٩٥٧ رقم ٧٥).

(٣) ينظر على سبيل المثال القرآن الكريم سورة١١ آية٥١ [قال الله تعالى في آية في سورة هود (ياقوم لا اسئلكم عليه اجراً إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون)، اية٥١ [المترجم].

سورة يوسف آية١١١ (قصص عبرة) قال تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) [المترجم].

يكون اقرب بالنسبة الى الاعراف والأنماط السلوكية القبلية. وكانت نبوته العالمية قد تأكدت، مع ان حذر العرب وتراكم العبر التاريخية في مسألة جوهر الأشياء في العالم الخارجي برزت بوضوح أكثر من السابق. وخلال فترة وجوده في المدينة كان عليه ان يستنبط فارقاً واضح المعالم بين عبادة الاوثان والإسلام، وبين الجاهلية (الوحشية) والحلم (الرحمة والرأفة clemency) كما انعكست وظهرت في اتجاهين متناقضين للحياة التي تميزت و انفصلت بظهوره.

ان مفهوم التاريخ الذي شكّل جزءاً من تعاليم محمد قد دافع، كما هو الحال في مذهب وتعاليم اوغسطين، على ان العملية التاريخية هي إدراك أو تحقيق للمبادئ السرمدية والعالمية، وتجسد ارادة الله .(إنه طريق الله، اليك وهو فعلا كذلك، وان طريق الله لايتغير ابداً)*، كما تضمنه هذا المقطع من القرآن. والمجتمع الاسلامي هو أمة الله، اتباع الله وشيعته، وان قدرته على الخلق لم تتوقف إنما تظهر نفسها في جميع فعالياته. ومن اللافت للاهتمام ان الصلاح أو المنفعة في نجاحاتهم وفي تفسير ارادة الله كالتي ظهرت في سلسلة الأحداث ليست على هذا الأساس إنها مجرد مسألة تقوى أو طاعة إنما ببساطة هي ضرورة لاولئك الذين يستسلمون أو يخضعون أنفسهم إلى الله. بهذا المسلك كان ارتباط النظام أو الوضع الاجتماعي المحمدي بالدولة والدين قد اعطت للرواية التاريخية وظيفة مهمة من البداية تماماً. وهو اتجاه من الطبيعي قد حظي بالرعاية والدعم من الفتنة الدينية بالانقسام والانشقاق السياسي الذي بدأ بموت عثمان. فإن الفتنة مع ذلك قد كانت موجودة، ومع ان ذلك من الناحية المثالية يتعارض مع المبادئ الأساسية للإسلام وهي حقيقة قد استحقت منذ المرحلة المبكرة جداً عناية المؤمنين وما تمليه عليهم ضمائرهم وتطلبتها اعمالهم والتزاماتهم الشخصية. وان أي نزاع سياسي أو مادي لابد ان يتخذ بما له علاقة بطبيعة الأشياء مظهراً أو وجها دينيا

---

* وهذه ترجمة لاتتطابق تماماً مع نص الآية الكريمة في سورة فاطر (آية ٤٣) إذ يقول عَز من قائل (استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولايحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنت الاولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا) فالسنت تحولت إلى path بقوله This is the path of God. [المترجم]

بالاساس، وان أي رأي يعد مقوما شرعيا للمجتمع الاسلامي وإنه في جوهره بالذات هو جزء مؤهل ومخول لتلك الشرعية الاسلامية والذي يمكن الحصول عليه فقط عبر استحضار حديث النبي أو رؤى الاجيال الرواد. والمؤشرات الفارقة السياسية السابقة الذكر قد ادلي بها في الجدال حول المسائل المتعلقة بالأحداث الجارية المثيرة للجدل والخلاف. وان النزاعات بصورة عامة. لا مناص منها وان طبيعتها وسجيتها بالذات الفعلية هي التي تحول دون الولاء للماضي.

هذه الوضعية الخاصة للكتابة التاريخية العربية داخل المجتمع الاسلامي قد افادت في شرح وتفسير سماتها الخارجية. ان كراهية العرب للانحراف عن المرجعية أو المصدرية الموثوقة المؤسسة تقليدياً بمبادرته الخاصة (رأي opinio) أو من أي بدعة (Innovaion) ترتبط ارتباطاً وثيقاً، لايمكن فصله، مع رأيه الأساسي لمفهوم العلم والمعرفة. فالعرب لايقصدون بصورة عامة بالمعرفة، العلم، وبخاصة ما له علاقة بالأمور الدينية بأنه نتيجة من نتائج التفكير العقلاني المستقل ولكنهم يقصدون به مجرد الامكانية في ذكر بعض الثقاة المؤهلين ـ الأمر القرآني وحديث الرسول والسنّة (ممارسات الصحابة)* ـ وذلك من أجل توكيده واصراره بجميع أنواع الشكليات المتعارفة والمطلوبة، واقصد بها سلسلة من الاسانيد الموثوقة التي تعدد حلقات الربط والوسطاء حيث مرّت الرواية قبل وصولها إلى الراوية. يقول مؤلف الرجال محمد بن

---

* إشارة المؤلف إلى السنّة على إنها ممارسات أو تطبيقات الصحابة، فلابد من القول إنه:-
حقيقة ان أكثر المحدثين من يقول بترادف السنة والحديث فلا يجعلوا السنة تعني ما اثر عن النبي(ص) من قول أو فعل أو تقرير، وتجعل الحديث سنة قولية فقط. وان الله تعالى قد أشار في محكم كتابه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) سورة الحشر آية٧. فطاعة النبي وعدم عصيانه هو سنته التي جاء بها. وقد نظر العلماء إلى ان العمل بالسنة هو عمل بالقرآن. والسنة تثبت احكاما لم يعرض لها القرآن الكريم بنفي ولا اثبات. فما تثبته السنة يكون اصله في القرآن الكريم. فهي بذلك المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن. فهي أما مفسرة لمجملات القرآن أو مستقلة في التشريع بما ليس في القرآن الكريم. ويؤكد الحافظ الحازمي ان السنة مبينة للكتاب ومفسرة له وهو أمر مجمع عليه. والسنّة قاضية على الكتاب وليس العكس بمعنى تفسر الكتاب. والقرآن الكريم احوج إلى السنّة من السنّة إلى القرآن لذلك لاينسخ السنة إلا سنة ولاينسخ القرآن إلا القرآن [ينظر الحازمي، محمد بن موسى: الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار (تحقيق محمد احمد عبد العزيز/ مصر ص٥٢)]المترجم[.

عبد الرحمن السخاوي «ليس هناك شعب (باستثناء العرب) منذ خلق آدم له رجال ثقاة يحرسون ويصونون كلمات النبي» ويقول «ودون الاسناد فإن أي شخص بوسعه ان يقول ما يحلو له. والمرء الذي يدرس حقائق دينية دون (ان يستعمل) الاسناد يكون كالذي يتسلق سقفاً دون استعمال سلم»[١]

اوما ينطبق أستعمل في هذا وفي غيره من القرائن في تفسير القرآن وفي فلسفة الشريعة أو القانون ينطبق ويستعمل أيضاً من حيث المبدأ في النقل التاريخي، ان مسيرة التاريخ تظهر في الواقع ارادة الله وهكذا تبقى مستقلة موضوعياً عن المراقب. فالراوية بمجاراته المضامين الكلاسيكية لرواية عالم، هو الذي يسلم العلم الذي في حوزته لا غير. وتعدّ هذه المفاهيم الأساسية ظاهرة قد بدأت تتأصل أو تترسخ في اسلوب وتقنية الرواية إذ ان المدونين للتاريخ ومنذ نهاية القرن الثامن عملوا بنجاح كما هو الحال من اسلوب الحديث الأخرى. وتماثلاً مع ذلك فإن علم الأخبار[٢] (وهو معرفة الأحداث أو الوقائع الجديرة بالاهتمام).

عموماً لايعبر باختصار عن نتائج دراسة المصادر أو يدل على بحث مبني على الملاحظة والاختبار إنما هو مجرد القدرة على ذكر الرواة الموثوقين . وهم المؤرخون المميزون والمعروفون وفي فترة متأخرة قليلاً عرفوا بشهود العيان الذين يشيرون إلى اسناد بهدف اقناع متطلبات شكلية بالشكل الذي يحق لها ان تكون.

إذن فإن الأمر متأصل في التدوين العربي للتاريخ وهو صلته بالمصدر وليس بالباحث. (فالبحث ليس وراء الوثائق وليس وراء الآثار من قبل المؤرخين التي هي من حيث المبدأ ما يبحث عنه المؤرخون العرب الاوائل)[٣]. ان مواد كهذه لاتعطي أفضلية

---

(١) مرغليوث، د. س: في كتاب العالم الاسلامي / II١٩١٢ ص١٢٠؛ ينظر أيضاً جولد تسيهر.في بحثه بالالمانية عن الإسلام Goldziher: Islam fordom och nu. Sludieri (Korantolkningens historia ١٩١٥)

(٢) حول هذا المفهوم ينظر روزنثال: علم التاريخ ص١٠، ٥٩.

(٣) مرغليوث: محاضرات عن المؤرخين العرب (كلكتا ١٩٣٠) ص٣٠]المترجم[وقد ترجم الكتاب إلى العربية الدكتور حسين نصار بعنوان (دراسات عن المؤرخين العرب، بيروت/ دار الثقافة)، روزنثال: علم التاريخ ص١٠٥. ان الدراسات الاثرية الخالصة ربما أحياناً تتضمن آثار ونقوش. ينظر HT مجلد٢ جزء٥ هامش٢.

وأولوية منهجية، وهي حقيقة بالكاد تعزى إلى قصور في المؤهلات الدراماتيكية (أي التعبيرية بطريقة مسرحية)، إنما بالأحرى تعزى إلى فشل تلك المواد في الايفاء مباشرة بشروط لمثل هذه المهمة أو لمثل هذا العنصر الأساسي كالذي يحتاجه المؤرخ من موضوع بحثه. مثل هذه الرسائل والأدب والخطب كالتي يستشهد بها هي دون شك وفي أغلب الحالات تعتمد قصة أو رواية قد تم تبنيها لأنها معّبرة عن فهم المؤرخ الخاص لخصائص اولمزايا الماضي[1].

ليس بمقدور المؤرخ العربي ان يميز نقدياً بما يتعلق بمسألة عصر الرواية وطبيعتها. على الرغم من ان الرواية، كما هو الحال في التشريع، في الفترة العباسية المبكرة تنزع إلى تفضيل الدليل والبينة .وهي هنا تعتبر تفهم روايات (الاسناد) ومنه يمكن الرجوع إلى الوراء حيث شاهد العيان المعاصر .وهذه العملية بقيت ثانوية وافتراضية وزائفة[2]، ولعله من المفترض إنها تعكس أو تظهر الصفة الدينية لمفهوم المعرفة، والحاجة إلى الحصول على مثل هذا العلم كما يمكن تقديمه للمراقب. وكانت الحاجات والمطلوبيات الشكلية أو الاصطلاحية تبنى على نحو لايمكن انكاره، على المظهر الخارجي للنقل التاريخي، مع ان هذه المادة لم تتعرض إلى مثل هذا النقد المتشدد للرواية كما كان من حيث المبدأ قد استخدم في التشريع والمسائل العقيدية في القرن التاسع. حتى وان كان بالنسبة إلى ثقاة مدققين من أمثال سفيان الثوري (متوفى ١٦١هـ١٦٢هـ/ ٧٧٧/ ٧٧٨م) واحمد بن حنبل (المتوفي ٢٤١هـ/ ٨٥٥م). إذ اعتبرا ضبط المسائل وصحتها على نحو مطلق فإنه ملزم فقط حينما تتعلق الحالة بالخطأ

---

(١) ان الحالة المشار إليها هنا هو المسعودي مروج جزء٥ ص٣٩٣ وهي رواية لاتشابه جميع الروايات الأولى في ان الحكمين في أذرح قد دونا وثيقة للمفاوضات.

[ذكر المسعودي الوثيقة التي دونت في أذرح قائلا ((وكان فيما كتب في الصحيفة ان يحيي الحكمان ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن، ولايتبعان الهوى ولا يداهنان في شيء من ذلك فإن فعلا فلا حكم لهما والمسلمون من حكمهما براء)). والواقع ان عدداً من المؤرخين قد شدّدوا على الوثيقة التي كتبت بين الحكمين، وان نصر بن مزاحم كان مفصلاً لبنود هذه الوثيقة (ينظر المسعودي/ مروج/ دار الاندلس جزء٢ ص٣٩٢) [المترجم].

(٢)ينظر ص١٣٦-١٣٧(من الكتاب المترجم).

والصحيح، في حين في المسائل الأخرى، وبضمنها تدوين التاريخ، فلم يطالبا نفس ذلك الحذر والمبالاة[١].

وعلى الرغم من ان النقد المنهجي والشكي Scepticism لم يتبعا إلا في النادر، وان الاحترام للنقل قد تأسس نظرياً، فإن المؤرخ العربي قد نزع إلى اتخاذ موقف أكثر تحرراً بالنسبة إلى مادة مصادره عما قام به مؤلفو الشريعة والتفاسير. فالراوية لم يتخلى مطلقا عن حقه بالالتزام الديني أو السياسي للموضوع الذي يتعامل معه.

ومنذ وقت مبكر جداً .الانتقال من القرن السابع إلى الثامن .نحن نعلم بـرواة (مفردها راوي) اشخاص قد نقلوا أو حملوا شفويا اخبارا فردية (بما فيها روايات النسب والاخبار والأيام) وليس بالزمن المتأخر جداً فإنهم نقلوا كتبا (مفردها كتاب) ومدونات تتعامل مع الاخبار على شكل رسائل حول حقول مفردة، وقد أصبحت ظاهرة بارزة وماثلة[٢]. وان فهرست العناوين في أدب الفهارس .اخبار صفين، كتاب النهروان، كتاب كربلاء... إلخ .تزودنا بأدلة تفصيلية وان الرسالة المكتوبة أو الكتيبات هي الصيغة العادية والطبيعية للتعبير منذ اواسط القرن الثامن، حتى وان كان النقل مع ذلك متأثراً بالكلام المملّى، ومتوقف على اجازة أو تفويض من الشيخ لتلميذه في نقل مادة روايته (اجازة)[٣]. كان المتقدمون يحتفظون بمخطوطات أو أجزاء من

---

(١) شبرنجر: أي حول نقل الرواية العربية (بالالمانية) Sprenger, A: Uber des Traditionswesen bel den Araben في مجلة ZDA مجلد ١٠ (١٨٥٦) ص١٦؛ ينظر روزنثال ص٥٦؛ وبحثه الآخر الموسوم The technique and Approach of Muslim Scholarship المنشور في Annalecta Orientalia مجلد ٢٤ (روما) ١٩٤٩ ص ٤١.

(٢) الدوري، مدرسة العراق التاريخية حتى القرن التاسع، في كتاب مؤرخو الشرق الاوسط بالانجليزية حققها برنارد لويس وهولت (لندن ١٩٦٤) ص٤٦- ٥٣.

الدوري، مدرسة العراق. البحث الذي تضمنه كتاب (مؤرخو الشرق الاوسط) بالانجليزية، تحقيق برنارد لويس وبي. أم. هولت. ويذكر البروفسور الدوري ان التدوين التاريخي الاسلامي قد بدأ بعد ظهور الإسلام. وان بدايات الدراسات التاريخية قد اتبعت بصورة عامة خطين اولهما خط الحديث وثانيهما الخط القبلي. وبينما كانت المدينة هي معنية بالحديث بالمقام الاول، كانت الكوفة والبصرة مراكز الروايات القبلية [ينظر Historians of the M.E. ص٤] المترجم.

(٣) روزنثال: علم التاريخ ص٦١؛ وبحثه الآخر العلماء المسلمون ص٧، آبوت Abbott المصدر السابق ص٢٢؛ ينظر Pedersen في بحثه باللغة الدانماركية الروايات القبلية [ينظر Historians، ص٤.

المخطوطات ذات طبيعة تاريخية ترجع في الواقع إلى الفترة العباسية الأولى[١]، وإنها تؤيد الحقيقة بأن مثل هذه المؤلفات لمؤرخي القرن التاسع الميلادي كالتي هي معروفة لنا كثيراً ما تستشهد وتستحضر الروايات من القرن الثامن بصيغة .دون أي اسناد متصل .تثبت بأنه لابد إنها كانت معروفة واستثمرت هذه المؤلفات المكتوبة. يحتفظ النقل العربي بكتب بصيغة رسائل عن الأحداث المفردة وبقيت مدة طويلة جداً. وحتى عندما شهدها وأدركها القرن التاسع والعاشر وهي تستبدل بتواريخ منظمة حسب السنوات فإن ذلك النقل لم يتخلى أو يتنكر لصفته وخصوصيته بالنسبة الى ثقافة الحديث ودراسته. ويظهر ان هذا التطور يرجع إلى عملية جمع وتصنيف متقدمة في القرن التاسع، وان هذه العملية دون شك قد دعمت واسندت بنمو وتطور صناعة الورق، التي وفرت مواد كتابية رخيصة ويسرّت تعدد النسخ من الكتاب. وعلى أية حال، فإن هذه العمليات المادية لم تغير من الميزة الخاصة للرواية، كذلك لم تعق أو تحول دون التعديلات والتكييفات التي تعرضت لها الرواية في هذا الموضوع بالذات ad hoc وفي أي مرحلة من المراحل.

- ٣ -

لقد ترك وضع التدوين التاريخي في المجتمع الاسلامي كما هو الحال في امكاناته هامشا واسعا للعرض المتحيز لنزعة أو هدف معين. وفي هذا المجال فإن خلافة علي المحتومة والمفجعة واندلاع الفتنة قد ميزت مفارق طرق خطيرة في الكتابة التاريخية، وكذلك وبصرف النظر عن الحقيقة البينة بأن المعرفة الواقعية للنزاعات سرعان ما تبدى وتخبو. وان أكثر الفرق المهمة في الإسلام إنما تنشأ وتنجم بطريقة أو بأخرى من أحداث تلك السنين، وهي على الرغم من جميع مواقفها المختلفة اختلافاً عرضياً، لاجوهرياً فإنها تعدّ من الناحية النظرية نقطة انطلاق. وان العوامل الحقيقة في النزاعات

---

(١) ابوت Abbott، المصدر السابق، الرسائل الأولى المعروفة من هذا النوع هي رسالة نصر بن مزاحم (المتوفى ٨٢٨م) واقعة صفين، ومحمد بن عثمان الكلبي (اخبار صفين) وهي الرسالة التي لم تطبع بعد (ينظر GAL (الملحق) ص٢١٢) وترجع إلى القرن التاسع الميلادي.

قد انبثقت ونشأت من مقتل عثمان كانت بوضوح عوامل عرضية بالنسبة إلى الموقف المباشر وإنها بالكاد يمكن ان يثير أي اهتمام في الكتابة التاريخية، وبالأخص ليس بعد سقوط الخلافة الاموية. ومع ذلك فإن هناك امكانية استمراريتها في اعقاب الجدال التاريخي حول خلافة علي خلال الفترة العباسية في شدتها وعنفها المتزايد، وكما نعلم ان هناك تفاوتاً واضحاً بين معرفتنا لهذه السنوات وبين الاهتمام والعناية التي منحها المدونون التاريخيون المسلمون عنها[1].

ومهما يكن. فإنه وبعد مرور مدة طويلة تأسست وتثبتت شخصية علي الاسطورية Legendary Ali*، فالرواية العربية .وبالأخص الشيعية، التي تعمل بها، لايجمعها شيء مشترك بحياة علي الواقعية. فلم يكن علي ولا أحد من سلالته قد ميّز نفسه بمثل هذه الحصافة السياسية تجعلهم مؤهلين لأن يشغلوا أو يحتلوا مركز القيادة في الإسلام وهو المركز الذي يعتبره الشيعة مؤهلين** له[1]. وجميع البحث المتوفر هو المباشر أو غير

---

(١) وحتى في الوقت الراهن فإن خطوط التميز هذه تقسم البحث التاريخي العربي. ينظر ان. أي. فارس: تطور الكتابة التاريخية العربية كما انعكست في الصراع بين علي ومعاوية.]والملاحظ ان الأستاذ الدوري في بحثه عن المدرسة العراقية قد وقف على ان الاخباريين والمؤرخين الرواد في الخط القبلي. وإلى تطور الرواية التاريخية بما له علاقة بمفهوم الأمة والدولة [ينظر مؤرخو الشرق الاوسط ص٤٨- ٥٠]]المترجم[.

* لا نعلم ما المقصود بالاسطورية، أأن المستشرق يهدف إلى ما قيل في شجاعة الإمام(ع) أم في تبحره في الدين والافتاء والقضاء. وقد وقفت على هذه المسألة تاريخياً في المقدمة، ولكن هناك إشارة واحدة وردت عند المدائني برواية جويرية بن اسماء المتوفى ١٧٣هـ/٧٨٩ البصري الذي كان هواه مع الامويين ومفادها ان معاوية سأل شداد ين أوس عن الأفضل معاوية أم علي، فأجاب «علي أقدم اسلاماً وهجرة، واكرم بيتا وعِترة، وأقدم لنبي الله نصرة، واشدّ إلى الخير سبقاً، واشجع نفساً واسلم قلباً» فهل ان قول جويرية هذا يعدّ في نظر الأستاذ بيترسن اسطورة أي خيالاً؟

ينظر البلاذري: انساب الاشراف (تحقيق د. سهيل زكار / طبعة أولى/ بيروت ١٩٩٦) جزء٥ ص١٠٦- ١٠٧ [المترجم].

** لا ريب إنه حكم لايستند على مصدر ولايعكس موضوعية في البحث العلمي ففي مقولة للإمام في ردّ له على سؤال «اللهم إنك تعلم أني لم أرد الإمرة ولا علوَّ الملك والرياسة وإنما اردت القيام بحدودك والاداء لشرعك ووضع الأمور في مواضعها وتوفير الحقوق على أهلها والمضيّ على منهاج نبيك وارشاد الضالَّ إلى انوار هدايتك» نهج البلاغة/ شرح ابن أبي الحديد مجلد٤ جزء ٢٠ ص٥٥١. وهي مقولة تنطبق في كل زمان ومكان فإن كان ولي الأمر، خليفة أو ملكاً أو رئيساً أو غيره، يسلك في دولته مسلك الخير واتباع الدين القويم يراه الآخر المحب للدنيا بأنه غير مؤهل، ولي تعليق آخر ذكرته في المقدمة حول هذه المسألة [المترجم].

المباشر، ان هو إلا ثمرة عمل نقدي ريادي غير مشوش في الحقب الأولى من هذا القرن، قد تحقق باصدار تاريخ الطبري (المتوفي ٩٢٣م) خلال سنوات ١٨٧٩ . ١٩٠١. وباستقصاء فلها وزن المفصل بدأ العمل الجديد في دراسة الخلافة في العصور الأولى والفترة الاموية[٢]. وحوالي في نفس الوقت سنة ١٨٩٨ فإن ثيودور نولدكه قد صاغ موجزاً للصراعات الدينية والسياسية الشيعية والمؤيدة للعباسيين متمثلة في بناء رواية حول علي[٣]. وسرعان ما أصبح العلماء مطلعين على المواقف السياسية في الفترة العباسية ولعله قد أثر على المدونين التاريخيين في تبديل مواقفهم ووجهاتهم تجاه التاريخ المبكر للإسلام[٤].ونفس المعرفة والإدراك قد شهدته فيه الدراسات النقدية الواسعة عن الفرقية للمستشرق البلجيكي المزاجي أو الحساس هنري لاماتس Lammens وموقفه الواضح في الكثير من الحالات حول اعادة الاعتبار والتقدير للامويين. فقد انجز عمله بطريقة أخّاذة وفي كثير من الأحيان بوعي لايخطئ بشأن الرواية الخاصة أو الفرقة السياسية، مع التوكيد بصورة خاصة على المظاهر والوجهات الدينية والشخصية للأحداث .على الرغم من إنه لم يستعجل مناهج نظامية في معالجة موضوع بحثه[٥]. وان جميع المعلومات الشاملة والضخمة عن تاريخ الإسلام المبكر -

---

(١) ينظر بشكل خاص F. Buhl، في بحثه بالالمانية Aliderne stilling til shitisk bavaegelser Umjaderne المنشور في مجلة OVSF ١٩١٠ رقم٥ ص٣٥٥.

(٢) فلهاوزن (Prolegomena١٨٩٩) بالالمانية Zur alesten Geschichtc des islams (Bin Skizzen und Vorarbeiten VI)١٨٩٩) وكذلك كتابه الآخر Die religios-politische Oppositions parteien in alten islam (١٩٠١) وكتابه الثالث Das Arabische Reich und sein sturz (١٩٠٢) وطبعة انجليزية (London١٩٢٧)

(٣) نولدنكه Th.Noeldeke Zur tendentiosen Gest atlung der Urgeschichte Islam)١٨٩٨).

(٤) هكذا كان W. Sarasin في كتابه (بالالمانية) Das Bild Alis bei den Historiken der Sunna Diss-Basel١٩٠٧ الذي أيضاً يشدد على النشأة الاسطورية بأنها سمة ثانوية، في حين ان تاريخه أو توقيته الأخير لصياغتها أقل اقناعا. ينظر فريدلاندر Friedlaender دراسته بالالمانية Muhammedanische Geschichiskonstruktionen (١٩١١) وهي في الأصل محاضرة قدمها سنة ١٩٠٢ وهي كأعماله الأخرى Helerodoxies b Saba يتعامل مع اسطورة علي.

(٥) ينظر س. أ. ج. بيكر Becker بحثه بالالمانية Principielles zu Lammens Sira studen في

المطبوعة منها وغير المطبوعة .قد رتبت أخيراً ونظمت منهجياً من قبل ليون كايتاني Leone Caetani، الذي زوّدها بتعقيبات نقدية كثيرة جداً وفي الكثير من الحالات قد زوّدها بتحليلات ذكية عن الاتجاهات السياسية للمصادر[١].

لذلك فإن صدور مؤلف الطبري قد ساعد العلماء ليس في تخلص الرواية العراقية . التي يعتمد عليها .في الكثير من التعديلات والتكييفات المتأخرة والثانوية، ولكن أيضاً قد احرزت على تبصر في ورشة عمل المدونين التاريخيين في عهد العباسيين والحصول على انطباع مؤقت بعدم الوثوق بهذه الرواية المتأخرة. وعلى أية حال، فإنه حتى في امكانية اعادة بناء الرواية العراقية .كما قام بها فلهاوزن .فقد اخفقت في التخلص من جميع المشاكل والمصاعب المتعلقة بالمصادر، وذلك لأن هذا النقل يمثل جانباً واحداً ليس إلا مقارنة بالمصادر الثانوية[٢]. وحتى صدور كتاب أنساب الاشراف للبلاذري، وهو يشابه كتاب الطبري ونشأ في أواخر القرن التاسع، قد قدم لنا التصحيحات الضرورية أو اللازمة للنقل العراقي بما يتعلق الأمر بما تحتويه من أجزاء أو شظايا كثيرة للرواية المبكرة المؤيدة للامويين عن الأحداث ذاتها. فالمعرفة المبكرة لهذه المعلومات لاتزود فقط ولا توفر فقط وسائل أفضل عن تحديد أو تقرير مدى المصداقية في الرواية المبكرة ولكن أيضاً في متابعة وتفسير أصل ونشأة الرواية التاريخية بشكل وافٍ وبكل معنى الكلمة. ان معرفة الروايات لكل من الروايتين أو النسختين المعدلتين من الروايتين عن خلافة علي ونهايتها اللاحقة في الفترة العباسية مكنتنا من تعيين أو تثبيت الظروف التي تشكلت فيها الكتابة التاريخية العربية وإلى أي مدى قد تأثرت بالتطور السياسي والديني الاسلامي، إلى ان أدت دورها ونشاطها الكامل في نهاية القرن التاسع الميلادي. وينبغي ان نشدد، على أية حال، بأن هذه الدراسة ليست مسألة شكيّة ومتطرفة لاغير وتتعلق بالرواية العربية، إنما بالأساس هي

مجلة Islam جزء٤/ ١٩١٣ ص٢٦٣- ٢٦٩ وان أكثر الأعمال أهمية للامانس في هذا المجال كتبه: معاوية (١٩٠٨) ويزيد (١٩٢١) والامويون (١٩٣٠)

(١) كيتاني Annali dell Islam مجلد ١-١٠ (١٩٠٥-١٩٢٦).

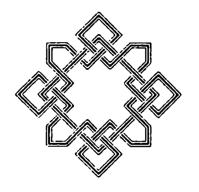
(٢) ينظر (Acta Orientalia) AO مجلد٢٣ ص١٦٣.

بالأحرى استعمال وتطبيق هذه المادة من المناهج النقدية التاريخية الحديثة[١].

فالرواية عن خلافة علي، خصوصا بما له علاقة مع معاوية، تقدم مدى للفهم أو مجالا أو مسوغا للدراسات عن السمات الأساسية لنشأة وتطور تسجيل الأحداث التاريخية العربية. والموضوع أولاً وقبل كل شيء ذا أهمية أساسية وحيوية بالنسبة إلى التطور الديني والسياسي الداخلي وذلك لسبب مهم هو إنها تتزامن وتتوافق مع بداية مراحل الفتنة، ولأنها ربما تسببت واحدثت مناقشات نظرية تتوقف عليها أهلية، الامويين والعباسيين أو العلويين .للخلافة. وهي على خلاف، مثلا، الوصف عن اسهام عمر في تنظيم الامبراطورية سياسيا في سنوات الفتوح المتعلقة بالأحداث الجارية فإنها لم تتأثر بالمناقشات والجدالات عن أصل الجهاز الاداري والمالي، ولا عن حقوق الشعوب الخاضعة أو المستعبدة والذين اعتنقوا الإسلام من غير العرب، ولاتتعلق بأي مظهر من مظاهر السياسة الخارجية مطلقاً. واجمالاً، إذن، فإن جميع الظروف التي تؤشر إلى استنتاج تطور رواية علي لعلها تقدم أو تعرض توضيحاً أو شرحاً وافياً ونموذجياً عن مظهر مهم لأصل الكتابة التاريخية العربية.

---

(١) قدم كتاب البلاذري W. اهلوردتAhlwardt في القسم الخامس عن خلافة عبد الملك بحثه بالالمانية (تاريخ عربي مجهول المؤلف) ليبرج ١٨٨٣ (anonyme arabische chronik) ومختصر مسح دي غويه على محتوياته في بحثه في مجلة ZDMG جزء١٨٨٤/٣٨ بعد ذلك فإن عدداً من اقسامه قد ظهرت في ترجمة (كيتاني، ديللافيدا وبنتو Pinto) غير ان الطبعة الكاملة قد اخذتها الجامعة العبرية على عاتقها، برئاسة اس. دي. كويتاين التي لم تزل غير منتهية. [يقصد بيترسن حتى سنة ١٩٦٤] المترجم.



القسم الأول

نشأة الرواية

خلفية عامة

أحياناً الرواة المتأخرون يعبر عن أسفهم بأن النقل، وكما يبدو على مضض، حتى فترة متأخرة جداً ولاسيما ذلك المتعلق بالنبي[1]. قد دوّن وكما يفهم في ضوء الشك أو عدم الثقة التي لابد من ظهورها للعيان من التناقضات في الاحاديث، فإن مثل هذا ردّ الفعل لايكون إلا حقيقياً وطبيعياً. ومهما يكن، فإن مثل هذه الموثوقية والتصديق وكما هو موجود في الفترة العباسية قد وضعت ورتبت بالصورة أن موثوقية وسنّة محمد المستقاة من المصدر الأول وهو النبي بأنها موجودة بالفعل هو أمر يتعذر الدفاع عنه*. ان الصيغ المتنوعة للرواية لايبدو إنها قد تبلورت حتى ظهور الحاجة إلى نقل موثوق أو جدير بالقبول. أما بخصوص رواية القرآن فإنها قد حدثت، كما هو متوقع، في فترة مبكرة جدا؛ وأما ما يتعلق الأمر بحديث النبي (بقدر ما إنها موجودة فعلا) في مرحلة

---

(١) مثلاً شبرنجر بحثه عن أصل الرواية العربية (بالالمانية) Uber das Traditionswesen في مجلة ZDMG مجلد ١٠ (١٨٥٦) ص٤، روزنثال. العلماء ص٤٢، ينظر الذهبي المذكور عند السخاوي: الاعلان ص١٦٠ (روزنثال: الكتابة التاريخية ص٤٣٣).

* من الطبيعي ان رأي الأستاذ بيترسن التعميمي هذا بحاجة إلى اعادة نظر، وإنه بالتأكيد قد تأثر بموقف المستشرق والمبشر لامانس المعارض كلياً لاحاديث الرسول(ص) وبأنها تفتقر إلى المصداقية وان البحث المعاصر عند المستشرقين قد فنّد موقف لامانس واعتبره متحزباً جداً. ينظر رأي مونتغمري وات وغبريللي مثلاً [المترجم].

لاحقة نسبياً، وإنها، كما يبدو، ارتبطت برصف وبتنظيم الاحاديث الشرعية والعقيدية مع وجود تلك العناصر الخاصة بالسير والتراجم، وبالأخص على شكل روايات عن المغازي العسكرية للنبي. واخيراً، فإن الرواية التاريخية، دون شك، قد تبلورت في مرحلة متأخرة.[1]

ان الالتزام بالتاريخ الزمني للرواية في الكتابة، لايزوّد أي معلم معول عليه عن عصرها وزمنها. وفيما يخص الرواية المبكرة، فإن صيغتها المكتوبة لاتكفل ولاتضمن موثوقية النقل، لكنها بالأحرى تساعد على اقامة الدليل وعلى تثبيت الخبر الشفوي الذي بقي هو النهج العادي والطبيعي[2]. يرجع أول تسجيل وتدوين للرواية التاريخية، كما تقدم ذكره، إلى الفترة الانتقالية بين الخلافة الاموية والعباسية، وان أقدم عرض وهو الأكثر تماسكاً لرواية نثرية وتلك التفصيلات التي نعرفها بصيغتها الشعرية يمكننا تتبع آثارها إلى جيل سابق. فمن بين الرواة الأول المحدث الكوفي الشعبي (المتوفى تقريباً سنة ١٠٤هـ/٧٢٥م) في حين نجد الزهري مثلاً (المتوفى ٧٤٢/١٢٤) وهو عالم مديني، يمثل، بكل مظاهره مرحلة انتقالية[3]. ليس في المصادر تلك التي نتعامل معها أقل من جيل أو جيلين بعيداً عن الأحداث التي يصفها بصرف النظر عن صياغتها الظاهرية أو اطارها الظاهري؛ وهي بأية حال لايمكن عدّها اخباراً أصلية ومباشرة، على الرغم من ان ذلك يعدّ اساسيا بالنسبة الينا. وبما إنها كذلك، فالاسئلة المثارة فيما إذا كان من الممكن صياغة أو ترتيب أي فكرة عن الأساس الذي تكون له الاولوية في هذا النقل وتحت أية ظروف قد اتخذت الرواية شكلاً معيناً أو تشكلت في الشكل الذي كانت فيه موجودة فعلاً في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي. ومرة

---

(١) ينظر بيكر Becker بحثه بالالمانية Principelles Zu Lammans Sira- Studien (دراسات لامانس عن السيرة) في مجلة Islam مجلد٤ (١٩١٣) ص٢٦٣؛ مرغليوث التطور المبكر للمحمدية The early development of Muhammedanism (لندن ١٩١٤) ص١٨.

(٢) جونز بيدرسن كتابه بالدانماركية Den arabiske Bog (١٩٤٦) ص٢٦.

(٣) شبرنجر: بحثه بالانجليزية (حول أصول وتطور تدوين الحقائق عند المسلمين) في مجلة JASB مجلد٢٥ (١٩٥٦) ص٣٠٣، ٣٧٥، آبوت Abbott (ص١٧) ويبدو دون شك ان البلاذري (ت٨٢٩) قد انتفع من الرواية المكتوبة من القرن الثامن ينظر ص١٣٨.

أخرى إذن فإن أي معرفة يمكننا الحصول عليها بخصوص هذه النشأة ستعتمد على ما قد نلتقطه أو نجمعه من الروايات الأولى المعروفة، وذلك عن طريق الاستدلال والاستنتاج من المعروف والمعلوم باتجاه غير المعلوم.

غالباً ما تكتفي الدراسة التي تبحث عن الحقيقة ـ كما أكد فلهاوزن ـ بمعالجة واقتباس واقتطاف الرواية المبكرة المتماسكة المعروفة وكأنها المصادر المحددة. وحسب ما هو معروف ولايمكن انكاره فإن هذه الرواية قد أُسست أو بنيت على كلمات مكتوبة أو شفوية لرواة سابقين أو متعاصرين، غير إنها كانت أيضاً الأولى التي تم تصنيفها وهي الاخبار الفردية المتنوعة وجعلها بصورة يمكن فهمها، إذ ان الرواة والاخباريين الروّاد كانوا غير قادرين على ادراكها أو اختيارها أو إنهم لم يهتموا بها[١]. وينبغي علينا، على أية حال، الاعتراف بالحقيقة الجليّة بأن مصاعبنا بخصوص المصادر يصعب التغلب عليها وذلك عن طريق موازنتها ومقابلتها مع المصادر الأخرى عن طريق اعادة بناء واعادة تنظيم للرواية التي قد جمعت بالنظر إلى ما تحمله وتحتويه من طابع وصفة مميزة لوجهات النظر الفردية التي لابد وإنها قد تحدد شكلها عن طريق إجراء تحقيق أو التحقق من امكانيتها واحتماليتها المتأصلة والملازمة[٢]. فضلاً عن ذلك فإن المادة الجديدة قد أضحت الآن متوفرة عند البلاذري وعند المؤرخ العراقي نصر بن مزاحم (المتوفى ٨٢٨م) في كتابه (واقعة صفين)، قد كشفت عن علاقة وثيقة وداخلية قريبة من مركز النفوذ بين اخبار المحدثيين الروّاد. هذه العلاقة بادية للعيان في كل من النقل العراقي والنقل المؤيد للسوريين وهي توحي بأن الرواية هذه لابد إنها قد تثبتت أو ترسخت بمقوماتها الأساسية في مرحلة مبكرة جداً ويحتمل ان ذلك كان في أواخر الفترة الاموية. لذلك فمن المرجح جداً إننا سنواجه روايات لمدارس محددة يمكن توصيفها ـ مع كثير من التحفظ المطلوب ـ بأنها نوع من الكتابة التاريخية للسُنة؛ وهي قراءة خاصة ومميزة ضمن مجموعة معينة من الأحداث في الماضي.

---

(١) فلهاوزن Prolegomena ص٤؛ وكتابه الآخر Kingdom (المقدمة) ص٨

(٢) أيضاً فإن فلهاوزن قد أُضطر إلى ان يقوم بمثل هذا بقدر ما كان باستطاعته الموازنة بين رواية الزهري وهو مؤيد للسوريين (اعتماداً على اقتباسات الطبري) والرواية العراقية عند ابي مخنف وآخرين.

يبدو إنه قد تثبت الآن بشكل كامل ان الأجيال الرائدة أو الأولى لم تعلق أهمية على مفهوم السنة بذلك المعنى الضيق نفسه لـ(العادات والاقوال النبوية المأثورة بصيغة النقل الموثوق). كما أدى التشريع الكلاسيكي في القرن التاسع الميلادي. فقد اعتبرت السنة بأنها أحكام سارية المفعول في الإسلام. وليس هناك مجال للشك والاعتراض على أية سنة جامعة، ما عدا الرواية المتعلقة بالحياة أو الرواية ذات الخاصية المحلية فهي تنسب إلى السلطات المحلية per fas et nefas ومع ذلك دون صرامة وصلابة الرواية الأخيرة[١]. هذا التعريف والتحديد فأن مفهوم السنة يستعمل ويطبق ولنقل بدقة، فقط في المذهب الفقهي، أي التشريع والاخلاق المأثورة لأنها تفيد فقط في التوافق الاجتماعي. وإنها أداة ضبط اجتماعية. بهذا الشكل المحدد فقد مارست السنة أو أدت السنة أيضاً تأثيراً لاشك فيه على النقل التاريخي والنقل التاريخي الكاذب والزائف عن الرسول متمثلاً بالسيرة (حياة محمد)، وهو الموضوع الذي بالامكان إدراك ما فيها من التوكيد بالنبرة على الدوافع والبواعث السياسية ـ الدينية. وأيضاً فيما يخص التدوين الدنيوي (Profane) للتاريخ فهناك من البديهي سبب في ان يستعمل هذا المفهوم الأساسي للنقل في التاريخ الاسلامي المبكر بقدر ما اتخذ تدريجياً اسلوب مذهب الحديث.

لعله يمكن القول بأنه من الصعب ان نقتفي أثر تطبيق أو استخدام الاسناد في الفقه والتشريع أبعد من بداية القرن الثاني بعد الهجرة[٢].وإلى حد ما فإن ذلك حقيق بالنسبة إلى الكتابة التاريخية. فالراوي المديني صالح بن كيسان* (المتوفى ٧٥٨م) ظل يعدّ الاسناد ضرورياً في رواية النبي [يقصد المؤلف سيرة النبيﷺ في حين ان الاجيال

---

(١) مرغليوث، المحمدية ص٦٩، شاخت J Schacht، (بالانجليزية) أصول الشريعة المحمدية.
(اوكسفورد ١٩٤٩) ص٥٨.The origins of Muhammadan Jurisprudence

(٢) شاخت، أصول، ص٣٦.

* صالح بن كيسان ليس مدنياً إنما دعاه عمر بن عبد العزيز والي المدينة ليؤدب ابناءه (ينظر البخاري، محمد بن اسماعيل: التاريخ الكبير (دار المعارف العثمانية - الهند/ ١٩٤٠م) جـ٤ ص٢٨٨. وسنقف على صالح بن كيسان لاحقاً) [المترجم].

القادمة (وهم على خطأ كما نعتقد) اعتقدت ان الزهري، معاصره، قد اتخذ موقفا مضاداً[١]. وان مؤرخي الفترة العباسية الأولى كانوا بالفعل يستشهدون أحياناً وبشكل كثير برواة من الفترة الأموية الأخيرة كثقاة ومميزين. ومن الممكن تطبيق هذا مثلاً على صالح بن كيسان والزهري المذكورين آنفاً، وكلاهما من مدرسة المدينة، وإلى الشعبي، وعوانة بن عبد الحكم الكلبي (المتوفى ٧٥١م)، ومحمد بن السائب الكلبي (المتوفى ٧٦٣م) وإلى حد ما إلى أبي مخنف (المتوفى ٧٧٤م) من مدرسة أو من دائرة العراق، ونصر بن مزاحم، وفيما بعد ذلك الطبري والبلاذري فقد كانوا عادة ما يستشهدون بهؤلاء الرواة دون متابعة الاسناد ابعد من ذلك أي إلى شهود العيان أو المعاصرين للأحداث. ان سلسلة النقلة التي استخدمها أو انتفع منها هؤلاء المصنفين أو جامعي الروايات كانت في أكثر الحالات مقبولة لديهم؛ وكثيراً جداً ما نجد إن المادة عند كلا المدرستين تتبع مسلكاً أو سياقاً متجانساً وغير متغير مع معلومات الرواة أنفسهم كرواة وسطاء. فعند الشعبي ان الراويين الكوفيتين المجالد بن سعيد (المتوفى ٧٥١ ـ ٧٥٢م) ونمير بن وائلة (لايعرف تاريخ وفاته) يظهران في كثير من الأحيان كوسطاء وقد استعار واقتبس مادته جامعي الروايات والمصنفين من القرن التاسع. وتماماً بنفس الطريق والمسلك، فإن الرواية المدنية قد اقتبست بأسماء كل من صالح بن كيسان والزهري من قبل مدرسة بصرية خالصة كثقاة متميزين وبدرجة كبيرة من الاتساق والثبات[٢]. وعلى هذا فالنتيجة تكون بأن القرن الثامن وتقريباً القرن التاسع يعدان الشخص ـ الراوية الثقة المحلي المعترف به ـ هو المرخص والمجاز شرعياً والوافي بالمراد للمعلومات أو للاخبار المتعلقة بالماضي[٣]. هكذا فأن الممارسة والتطبيق الاعتياديين في الرواية التاريخية المبكرة جداً تبدو وكأنها نفسها التي

(١) شبرنجر: اصول، ص٢١١؛ ينظر أيضاً تعقيب كيتاني في حوليات الإسلام Annale deli' Islam (المقدمة ص٢).

(٢) ينظر ص٢١٥- ٢١٦من الكتاب.

(٣) حتى السخاوي كان باستطاعته في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ان يرتب قائمة من المؤلفين الذين اقتبسوا الرواية على ذمة أو على ثقة شخص واحد (الاعلان ص١١٨؛ روزنثال: علم التاريخ ص٣٧٥).

استخدمت في الفقه: .أي ان تستشهد بشخص، وهو عالم معترف به، كدليل على اصالة الرأي أو الرواية، بصرف النظر تماماً عن الحقيقة بكونه لم يكن شاهد عيان أو حتى بكونه لم يكن معاصراً للأحداث التي وصفها ومع هذه التحفظات فالمرء قد يحث أو يركب المخاطر على وصف نقل المحدثين الاوائل بأنه نمط من التقليد أو العادة التاريخية، وهي فكرة تاريخية عامة تحمل طابعاً محلياً أو موالياً ومحازباً.

وعلى أية حال فالأمر يتطلب تحفظاً نوعياً، إذ كما تم ذكره في أعلاه، فإن هذا التحديد لصفة أو خصيصة الرواية الأولى يمثل جزءاً من الحقيقة فقط وهي في حالة أبي مخنف، وذلك لأنه في الكثير جداً من الأمثلة التي اقتبسها منه الطبري كوسيط موحد فحسب للروايات والقصص المبكرة والتي يمكن اقتفاء آثارها وصولاً إلى شهود العيان أو المعاصرين. ففي النقل الموثوق فإن مثل هذا التطبيق والممارسة نادرة الحدوث في تلك الأجزاء التي تتعامل مع المظاهر السياسية لخلافة علي، كذلك التي تتعامل مع الإجراءات الادارية للخليفة، ومفاوضاته مع مناوئيه وخصومه، ومع الظروف الداخلية .وأمر طبيعي ان تبدو للعيان في الاخبار بشأن الأحداث العسكرية[1]. وإنها تستعمل في الروايات التفصيلية المتكررة الحدوث والمألوفة عن قوات علي في البصرة وصفين والنهروان، وكذلك عن الأحداث العسكرية الأخرى في القرن الأول من التاريخ الاسلامي. وبالإمكان ملاحظة هذه السمات نفسها عند نصر أبن مزاحم، الذي يعدّ خبره عن التطور السياسي متابعاً الشعبي وعدد قليل من الثقاة الكوفيين الآخرين المعاصرين، في حين تستند وترتكز معالجة المعركة في صفين على رواة مختلفين. وهكذا فإنه من الطبيعي ان نفترض أو ان نعتبره امراً مفروغاً منه وجود اختلاف فيما يخص الكيفية وطريقة تسليم المعلومات ونوعية هذه المعلومات بين أوصاف المنهجين في الرواية بعيداً إلى الوراء حتى الاخبار والروايات المبكرة جداً.

ان اخبار ميدان المعركة يتضمن ويحمل جميع المعالم والعلامات الواقعية وتلك

---

(١) عند البلاذري، الذي يعدّ، عرضياً، أكثر اختصاراً من الطبري حول المناوشات العسكرية، فإنه، من جانب آخر، يستشهد به دون خلاف كمصدر مميز ودقيق.

المتعلقة بالاسلوب الذي تميزت به عرض أيام العرب ذات الطراز والنموذج التقليدي؛ وهي مآثر المقاتل العربي، وكياسته ولطفه، ومراعاته وتقييده بالقواعد أو العادات أو الاداب السلوكية المتعلقة بالقتال في المعركة، والاستعمال المتكرر الوجود للشعر والخطابة[1]. ان الانحراف الرئيس عن خبر الأيام الشائع والمألوف هو إن هذه الاخبار أو القصص عند أبي مخنف ونصر بن مزاحم تلمح أحياناً إلى فكرة الجهاد وهي فكرة أو عقيدة المحاربة ضد خصوم* الخليفة. إنها فكرة صحيحة، غير إنه أيضاً ونقول ولمرة أخرى ان ذلك قد تم دونما أي صياغة دقيقة لوجهات نظر أو مواقف الفريقين. وهكذا فنحن بالنسبة إلى جميع المظاهر الخارجية نواجه عنصراً ذا أصل قديم جداً، وعروض الأيام تستند على اخبار الرواة العراقيين، التي دونت وسجلت عند أبي مخنف ونصر بن مزاحم. ان افتراضنا هذا يؤيده تحليل .بمحك للنقد قدر الامكان .الاسانيد التي استخدمها هاذان الراويتان، وذلك لأنهما يوضحان ويعرضان أيضاً خاصية متسقة ومحددة ألا وهي مع ذلك الأسماء الكثيرة المتنوعة. وان الرواة هم غالباً، كأبي مخنف نفسه، أفراد ينتمون إلى نفس القبيلة (الازد) أو إلى مجموعة من قبائل في العراق يتميزون بمشاعرهم المعادية للأمويين[2]. وعند موازنة عرض أبي مخنف للمناوشات والقتال في صفين مع عرض نصر بن مزاحم نجد مقاطع طويلة تتوافق عندهما بشكل واضح[3]. ان نصراً نادرا جداً ما يستشهد بأبي مخنف، وحتى وان كان ذلك فليس بوسعنا الاعلان بعدم ورود امكانية بأنه كان على معرفة بعرض أبي مخنف، وعلينا ان نرجع إلى الرواة أو المخبرين الذين، اعتماداً على سياق الكلام، لابد وان كانوا رواة عراقيين من الطراز التقليدي وهم نقلة رواية الأيام شفوياً Viva Voce.

---

(١) ينظر كاسكل: أيام العرب (بالالمانية) ص٩، ٤٣.

* فكرة الجهاد في الإسلام لاتعني الحرب لمصلحة الخليفة ضد خصومه، إنما حرب المسلمين ضد اعدائهم انطلاقاً من قوله عزّ من قائل (وجاهدوا في سبيل الله) [المترجم].

(٢) ينظر عن بني الازد في الفترة الاموية جي سترينزويك Strenziok في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة جديدة).

(٣) بروكلمان ص٩، ١٩؛ [وينظر فيما بعد صفحة٢٠٧-٢٠٨ من الكتاب].

ان جميع اخبار المعركة على هذا الطراز المعروف هي عراقية الأصل والمصدر بينما كان النقل السوري المتماثل وهو الآن مفقود على الرغم من معرفتنا الأكيدة بأن هذا الضرب قد اختير بدعم من البلاط الخلافي في دمشق. وفضلاً عن ذلك هناك حقيقة لافتة للنظر وهي ان تسليم أو نقل رواية الأيام المبكرة يظهر أنها لم تتبع القنوات نفسها كالتي في نقل أيام قبل الإسلام، ولكنها تطابق الروايات العراقية القبلية. وظل الأمر هكذا إلى حين ظهور الرواة والنسّابة الكوفيين المثيرين للجدل وهم محمد بن السائب الكلبي ولاسيما ابنه أبو منذر هشام بن محمد (المتوفى سنة ٨١٩ أو ٨٢١م) إذ عملا بالمسلكين اللذين التقيا عند نقطة واحدة في الرواية الكوفية. هذان الراويان قد قاما بمهمة، هي وإلى حد بعيد، الرابطة والصلة بين رواية الأيام في قبل الإسلام، ومن خلال أبي مخنف، في النقل التاريخي للسنوات الأولى من التاريخ الاسلامي[١].

أما بخصوص الرواية التاريخية، فإن مسلكين currents مختلفين هكذا اتحدا في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي عند ولادة الكتابة التاريخية: .وهي رواية الأيام ذات النموذج المعروف جداً وعرض الاخبار التاريخية .السياسية[٢]. وعلى وجه مغاير للعنصر الأول، الذي لايمثل شيئاً جديداً، فإن العنصر الثاني يرتبط في الحقيقة وإن احببت، مظهراً واحداً للمادة التقليدية أو الروائية للفقه والعقيدة التي نقلها المحدثون وهي ذات أهمية محلية، وإلى هذه العناصر لابد من إضافة عنصر آخر، وأعني الأجزاء أو الشظايا من النقل الشعري من عدد من الشعراء الذين يمتون بصلة إلى حقب حول سنة ٧٠٠م. أما علاقاتها برواية الأيام فإنه من الصعب تحديد أية أهمية لها بهذا الخصوص، ولكنها، من جانب آخر، ذات فائدة كبيرة إذ ان هذه الاشعار تجعلنا نلتقي بآراء ووجهات نظر تشابه تلك الموجودة في الرواية التاريخية تماماً سواء في العراق أم في سوريا.

---

(١) كاسكل: أيام العرب ص٨٥.

(٢) ينظر الدوري: المدرسة العراقية في كتاب (مؤرخو الشرق الاوسط)، بالانجليزية ص٤٧- ٤٨.

- ٢ -

نشأة الرواية

حتى بالنسبة إلى العناصر الأولى للرواية الكوفية، التي سوف نعزل في الوقت الراهن استقصاءها وتحقيقها، فهي متوفرة في روايات متنوعة وإلى حد ما متفرقة ومتشعبة. والمدونات التي تؤخذ بالحسبان أو تبدأ عند الشعبي، والجرجاني (وهي معلومات مجهولة المؤلف)[١] وعوانة بن عبد الحكم الكلبي[٢]، ورواية مجهولة المؤلف عند البلاذري[٣]، وعيسى بن يزيد بن دعب الكناني (تقريباً توفي سنة ٧٥٠م)[٤]، فالسمات المشتركة هي بادية للعيان بشكل كبير جداً .هناك تفاصيل متماسكة ومحددة ودوافع وبواعث على حد سواء .وحتى وان كانت هناك تعديلات وتكييفات فردية تختلف باستمرار، فإنه لابد من وجود رابطة أو علاقة منطقية بطريقة أو بأخرى. ليس بوسعنا طبعاً ان نكفّ أو نقلع عن ذلك هنا بحجة وبذريعة ان هؤلاء المحدثيين إنما يعبرون عن فكرة شاملة عن الرؤية الكوفية.. ومن الجهة الأخرى فإنه من الواضح ان صفة الرواية العربية الرائدة المحلية والمتحزبة في الرأي opino ستعيق على أية حال العزل الميكانيكي أو المنجز من غير تفكير لرواية معينة واحدة وكأنها الرواية في المقام الأول وهو منهج من الناحية العملية سيكون في الغالب يعيق أو سيقيد نتيجة التفرق والتبعثر الكبير للرواية، وارتحالها ونزوحها عبر قنوات من الصعب التحقق منها، وكذلك في المسالك المتقاطعة أو في تحريفات النصوص. وان موازنة بين اخبار لها صلة وثيقة بهذا الخصوص ينبغي وقبل كل شيء ان نهدف إلى الكشف عن عناصرها ومكوناتها الأساسية ودوافعها. ثم علينا العثور والوصول إلى ان خبر الشعبي اجمالاً يمثل المرحلة الأولى والاساسية، أما تلك الاخبار عند المؤلفين

---

(١) واقعة صفين ١٨-٢١، ٣٧- ٤٢، ٥٠، ٥٨.

(٢) الطبري مجلد ١ ص٣٢٥٥- ٣٢٥٦ (كيتاني مجلد٩ ص٢٣٤).

(٣) البلاذري ص٤٩٤؛ ابن الاثير مجلد٣ ص٢٢٩؛ (كيتاني مجلد٩ ص٢٥٣، ٢٣٨).

(٤) البلاذري ص٤٩٨، ٤٩٩؛ ينظر اليعقوبي مجلد٢ ص٢١٤- ٢١٧ (كيتاني مجلد٩ ص٢٣٩، وهامش رقم١ ص٣٢٩).

الآخرين فهي تمثل المراحل الثانوية

وبما ان نقطة انطلاقنا في الموازنة ربما ستكون ملائمة ومناسبة لأن نعزل رواية الشعبي. وان اعادة بناء متواصلة لهذه الرواية قد، على نحو لايمكن انكاره، يكون تحقيقها خارج متناولنا للأسباب الآتية: .ان وسيلة النقل هو نقل متشظي مؤلف من اجزاء؛ كذلك فإن الترتيب الزمني عند الشعبي في موضوع البحث في الاقتباسات والاستشهادات في سلسلة الأحداث عند الذين جاءوا بعده؛ وأخيراً يتعلق بمكانة الشعبي المحترمة وترجع إلى تقواه الاسطورية التي نتجت عن كون اسمه قد تكرر كثيراً مضافاً إلى الروايات المتأخرة وغير الصحيحة والمحرفة[1]. وأما بخصوص السمات الرئيسة فمن المحتمل مع ذلك ان نحذف ونزيل التزييفات والتشويهات وان نصوغ فكرة معوّل عليها أو خالية من العيوب تسبباً لتقويمه أحداث تلك السنوات. وكما هو متوقع، فإن الشعبي يشدّد على إسهام الكوفيين في الثورة ضد عثمان، وعلى سخط قراء القرآن الكوفيين بشأن استغلال قريش المزعوم للسواد دون ان يذكر على

(١) ينظر عن الشعبي ابن خلكان رقم ٣١٦ (تحقيق دي سلان) جزء٢ ص٤، ف. كرنكو (دائرة المعارف الاسلامية ط١ مجلد٤ ص٢٦٠ وعن روايات الشعبي المزيفة ينظر فريدلاندر Friedlander جزء٢ ص١٩، ٧٧، ٨٦، ٩٥، ١٣٥، ١٤٢، ١٤٤، شاخت Schacht أصول الفقه ص٢٣٠؛ في مجلة Acta Orientalia (كوبنهاكن) مجلد٢٧ رقم٣- وعند البلاذري ينظر ديللافيدا وبينتو Il califo Mu'aviya I secondo il Kitab Ansab el-Ashraf di Ahmad ibn Yahaya al-Baladuri (Rome ١٩٣٨) O.Pinto g.Levi della Vida الخليفة معاوية الأول في كتاب انساب الاشراف (بالايطالية). هناك روايتان عن معاوية (رقم١٣٢ و١٤٣) يحتمل جداً إنها مزيفتان والحكاية الأولى موجودة أيضاً في العقد الفريد جزء٢ ص٢٩٩ وهي تؤشر إلى عمرو بن العاص.

[ومن بين المسائل المهمة جداً القول ان الشعبي لم يكن عنده ثبات في العقيدة والاتجاه فهو كان مع المختار الثقفي ثم سرعان ما تحول في ولائه إلى مصعب بن الزبير قاتل المختار وبعدها تحول في الولاء إلى الحجاج الثقفي وكان يتملق الحجاج من أجل المادة. بعدها تحول ولاءه للبلاط الاموي فصار موالياً لعبد الملك بن مروان ومكث معه سنين. والشعبي هو الراوية الذي روى الكثير من الروايات المادحة والتي تطري هؤلاء. وكان الشعبي محل رعاية عمر بن عبد العزيز إذ ولاه قضاء الكوفة. وتدل هذه الرواية عند ابن سعد خير دليل على ضعف عقيدته فقد أشار في مقولة عن المذاهب والفرق قوله ((أحب صالح امير المؤمنين وصالح بني هاشم،، ولاتكن شيعياً، وأرج مالم تعلم، ولاتكن مرجئاً واعلم ان الحسنة من الله والسيئة من نفسك ولاتكن قدرياً)) ينظر طبقات ابن سعد (بيروت ١٩٥٧) جزء٦ ص٢٤٨- ٢٤٩، حمود، د. هادي. عامر الشعبي والحركة الفكرية في العراق في القرن الأول الهجري (بغداد ١٩٩٨) ص١٩-٢٢ [المترجم].

أية حال تورط الكوفيين المباشر في قتل الخليفة[١]. وبطريقة متماثلة تماماً فإنه يشدّد على المسعى المصيري والحاسم للقائد الكوفي الاشتر لصالح انتخاب علي للخلافة، بالرغم من ان علياً، خوفاً من القريشيين ولاسيما من رد فعل بني أمية، قد رغب في الشورى أي انتخاب مبني على اجتماع الاشخاص أو الأفراد الاكفاء[٢].

ليس لدينا معرفة بموقف الشعبي من تمرد طلحة والزبير[٣]. ومهما يكن فالذي يبدو

---

(١) الاغاني جـ١١ ص٣٠؛ الطبري مجلد١ ص٢٩١٥- ٢٩٢١ (كيتاني مجلد٨ ص٨٦ والصفحة التي بعدها ص٣٨ والصفحات التي بعدها). [لعل من المبالغة ان نضفي على الشعبي صفة وكأنه مدرسة في الكتابة التاريخية. فالرجل كان يمتلك موهبة حافظة- مع العلم بأنه أمر مبالغ به جداً- وان نتاجه لم يكن سوى مرويات شفوية أخذها من الصحابة والتابعين. فإنه مثلاً روى روايات عن الخليفة عمر والأمام علي وعبد الله بن مسعود وهو لم يسمع منهم مباشرة (ينظر السيوطي: طبقات الحفاظ (القاهرة ١٩٧٣) ص١٨٤؛ د.هادي: الشعبي ص٣٨. وإذا ما صدقنا قول الذهبي فإنه لم يكن إلا حافظاً ولم يكتب شيئاً قط (سير اعلام النبلاء/ بيروت ١٩٨٢، جزء٤ ص٢٩٧) وإنه قد اعترف بأنه ما كتب سوداء في بيضاء حتى ان أحد العلماء قد عقّب على هذا بقوله (وهذا يدل على إنه أمي لا كتب ولا قرأ) الذهبي، م. ن. جزء٤ ص٣٠١؛ د.هادي حمود: الشعبي ص٣٨- ٣٩. ويبدو إنه كان يعتمد على كاتب يكتب له وهو السري بن اسماعيل الهمداني، ينظر د.هادي ص٣٩. واعتماداً على قول ابي نعيم الاصبهاني ان الشعبي قال (لسنا بفقهاء ولا علماء ولكنا قوم قد سمعنا حديثاً فنحن نحدثكم بما سمعنا) (حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، القاهرة ١٩٣٥، جزء٤ ص٣١١. واعتماداً أيضاً على ابن عبد البر ان الشعبي كان متساهلاً حتى في رواية الحديث الشريف إذ كان (يحدث الحديث بالمعاني). ويقول لابأس في اللحن في رواية الحديث (ينظر جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي من روايته وحمله) القاهرة ١٩٦٨ جزء١ ص٩٧ [المترجم].

(٢) البلاذري ص٤٦٥؛ ينظر الطبري مجلد١ ص٣٠٧٤- ٣٠٧٥ (كيتاني مجلد٨ ص٣٢٨ وما بعدها وص٣٣٣).

(٣) هناك بعض التفصيلات ليس لها إلا أهمية قليلة وثانوية موجودة عند الطبري مجلد١ ص٣١٤٠، ٣١٧٣- ٣١٧٤ (مثير للشقاق factitous) وص٣١٨٩- ٣١٩٠ (كيتاني مجلد٩ ص١٢٠ وما بعدها وص١٢٧، ١٣٩ وما بعدها).

[يذكر ان للشعبي مؤلفات عن الشورى وفضل عثمان والمغازي، ويبدو إنها غير موثوقة فإنه لم يكتب كتاباً إنما أخذت عنه روايات لغيره فسجلها الاخباريون من بعده وكأنه رأس المدرسة والاسم الأول فيها [د.شاكر مصطفى سليم: التاريخ العربي والمؤرخون بيروت ١٩٧٩) ص١٧٥. أما بالنسبة إلى رواياته عن فضل الخليفة عثمان والأمام علي فإن الدكتور هادي حمود قد أشار إلى ان الطبري اعتمد عليه في ذلك وهو لم يرَ تلك الأحداث إنما رواها دون ان يذكر رواته وإنه نادراً ما يذكر راوية الحدث الأصلي. وعلى هذا فإن المصداقية والحجية تقع على كاهل الشعبي ورواته الذين تكرر ذكرهم وهم مجالد بن سعيد وهو تلميذ الشعبي وداود بن أبي هند تلميذه أيضاً واسماعيل بن أبي خالد وهو تلميذ ثالث. وقد أكثر البلاذري من رواياته بشأن التحكيم وأحداث النهروان والخوارج والأمام علي وعمرو بن العاص. وجميعها وردت بلسان تلامذته المشار إليهم [المترجم].

بشكل ثابت، اعتماداً على معلوماته، ان دافع معاوية في موقفه العدائي من علي كان يتعلق بطلبه في الانتقام بأخذ الثأر من دم الخليفة المقتول بصورة غير شرعية أو ظلماً وعدواناً. واعتماداً على رواية مستقلة وغير متحزبة ان نائلة ارملة عثمان قد بعثت إلى معاوية بقميص الضحية وهوملطخ بالدماء مع رواية مفصلة عن برائته وتلميح أو تصريح باشتراك علي غير المباشر في الجريمة. ان هذه يصعب تعيين موضع لها على وفق الأحداث المرتبة زمنياً، غير ان هذه الرواية مفيدة ومساعدة لعرض الشعبي للحادثة التالية، إذ ان هذه العناصر تبقى مقحمة داخلة في الحادث[1]. وبعد معركة الجمل وحينما ارسل علي مبعوثاً وهو جرير بن عبد الله البجلي إلى سوريا بهدف طلب البيعة من معاوية request*، أثار معاوية باعتباره أو بوصفه وليّ عثمان طلب الانتقام بأخذ الثأر (demand)**، فشنّ هجوماً من جانبه بمبادرة لاثارة الشعور العام في سوريا، ووافق على بيعته السوريون .على الرغم من ان التفاصيل الجوهرية لهذا الإجراء هي ناقصة .وأخيراً دخل معاوية في تحالف مع عمرو بن العاص، وتعهده بمنحه مصر. وفعلا فإن رسالة علي إلى معاوية ذكر فيها رفضه الاتهامات بالمشاركة في قتل الخليفة وبأنها اتهامات كاذبة. وقد أكد ودافع بقوة على حقه الشرعي في الخلافة بالنظر إلى ان المهاجرين والانصار .اللذين كان من حقهم فقط التصويت .وقفوا وراء انتخابه في الوقت الذي يعدّ معاوية من الطلقاء*** (مفردها طليق) (Freedmen) وهم غير جديرين

---

(١) الاغاني جزء١٥ ص٧١ وما بعدها (كيتاني مجلد٨ ص٣٠٥ وما بعدها) Acta Orientalia جزء٢٣ ص١٦٦ هامش رقم٥.

* استخدم المؤلف هذه الكلمة وتعني أما التمس أو طلب أو سأل والتعبير الصحيح كما اورده الطبري في حوادث سنة ٣٦هـ (وفي هذه السنة وجه علي جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية الذي يدعوه إلى بيعته) وبين السؤال والطلب والدعوة اختلاف واضح الطبري مجلد ١/ ص٣٢٥٤ [المترجم].

** استعمل المؤلف كلمة demand تعبيراً عن موقف معاوية من رسالة الإمام علي والأصح اعتماداً على النص ان ادعاء معاوية (يلزم علياً دم عثمان) الطبري مجلد١/ ٣٢٥٥ بينما تعني demand أما طلب أو احتاج إلى أو سأل وطالب أو استدعى (المترجم).

*** استخدم المؤلف كلمة freedmen إشارة إلى الطلقاء وترجمة الكلمة العتقاء أو العبيد المعتقين أو المحررين. وواقع الحال ان الطليق هو غير العبد المعتق. وان هذه المسألة قد وردت في خطبة للإمام علي(ع) ضمن كتابه الذي بعث به إلى معاوية جواباً على كتاب الأخير الذي يذكر فيه فضائله وحقه

بالخلافة inadmisible والشخص الذي يرفض قبول الإمام المرضي من الله. ينبغي اعادته بالقوة[١]. ان اداء الشعبي للصلة بين الوالي السوري والاتفاقية مع عمرو بن العاص بأنها لم تكن معروفة؛ وان الحقيقة الوحيدة قد أسست على اثارة معاوية الهياج في سوريا اوقعت لاشعورياً أو على حين غرة بجرير في الشرك، لهذا كان عليه ان يرجع دون ان يحقق غرضه. وقد تعرض فيما بعد إلى توبيخ وتعنيف من علي والأشتر الذي اتهمه بأنه متحالف مع معاوية****.

وبصرف النظر عن واحدة أو اثنتين من التفصيلات غير المهمة فإننا نعرف امراً آخر عن اداء الشعبي وهو المتعلق باتفاقية التحكيم (كتاب الصلح) في صفين[٢]. فاعتماداً

بالخلافة قال الإمام علي(ع). ((وما طلبك إليّ الشأم فأني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس... ولكن ليس أمية كهاشم. ولا حرب كعبد المطلب. ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق)) [ينظر نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد/ مجلد٣ ص٤٢٩- ٤٣٠ ويعدّ معاوية من الطلقاء، ويعنى بالطليق كل من دخل عليه رسول الله(ص) مكة عنوة بالسيف فملكه ثم منّ عليه عن إسلام أو غير إسلام فهو طليق وممن لم يسلم أمثال صفوان بن أمية وممن اسلم أمثال معاوية. كذلك يطلق تعبير الطلقاء على من أسر في حرب رسول الله(ص) ثم امتنّ عليه معاوضة أي عندما يطلق بازائه أسير من المسلمين مثل عمرو بن أبي سفيان. هذا هو معنى الطليق تاريخياً، وليس هنالك ما يشير إلى إنه Freedman كما يرى البروفسور بيترسن (م. ن. مجلد٣ جزء١٥ ص ٤٣٠). [المترجم].

(١) واقعة صفين ص٣٢ وما بعدها من الصفحات.

**** استعمل المؤلف تعبير (in league) بمعنى في تحالف، غير ان منطق الرواية التاريخية الفعلي عند الطبري واعتماداً على عمر بن شبة والمدائني وعوانة فإن الاشتر قال للإمام علي ((قد كنت نهيتك ان تبعث جريرا، وأخبرتك بعداوته وغشه.... ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين لحبستك واشباهك في محبس لاتخرجون منه حتى تستقيم هذه الأمور)) الطبري مجلد١/ ٣٢٥٦ [المترجم].

(٢) واقعة صفين ص٦٦ وما بعدها من الصفحات. [وعن نصر بن مزاحم ان ابا اسحق الشيباني قد قرأ كتاب الصلح عند سعيد بن ابي بردة في صحيفة صفراء عليها خاتمين خاتم من أسفلها وخاتم من اعلاها على خاتم علي عليه السلام محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى خاتم معاوية محمد رسول الله صلى الله عليه وآله. وأورد نصر أيضاً رواية ابراهيم ين ديزيل. ونصّ الكتاب: هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب عليه السلام ومعاوية بن ابي سفيان قاضى علي بن أبي طالب عليه السلام على أهل العراق ومن كان من شيعته من المؤمنين والمسلمين وقاضى معاوية بن ابي سفيان على أهل الشام ومن كان معه من شيعته المؤمنين والمسلمين إننا ننزل عند حكم الله تعالى وكتابه ولايجمع بيننا إلا اياه وان كتاب الله سبحانه وتعالى بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيي ما أحيا القرآن ونميت ما أمات القرآن فإن وجد الحكمان ذلك في كتاب الله اتبعاه وان لم يجداه أخذا بالسنة العادلة غير المفرقة....الخ] ورجع نصر إلى رواية محمد بن علي بن الحسين والشعبي. وان جابر الجعفي قد روى زيادات في نسخة الوثيقة اعتماداً على رواية الحسن

على هذه الرواية فإن الاجتماع قد حدّد في شهر رمضان القادم (أي ٣٧هـ ١٢ كانون الثاني ـ ٩ شباط ٦٥٨) في دومة الجندل. وان الفريقين سيخضعان ويستسلمان لحكم القرآن. وان كلاهما قد تعهد أو أخذ على عاتقه ان يذعنا للحكم الذي يعلنه الحكمين، عمرو بن العاص وأبو موسى الاشعري، وان يحجما ويمسكا عن العودة إلى الحرب. وحسب رواية الشعبي للأحداث فإن الحالة قد بلغت أوجها في خبره عن الأحداث قبل الحكمين[١]، الذي قد حدث في أذرح إذ بعث كل فريق من الفريقين وفداً يضم ٤٠٠ رجل بزعامة عبد الله بن عباس وعمرو بن العاص[٢] على التوالي. وحضر عدد كبير من العرب البارزين هذا الاجتماع، ولكن سعد بن أبي وقاص قد اعتزل الاجتماع متعمداً وذلك من أجل تجنب أو تفادي الفتنة. وأثناء الاستماع إلى الحجج، آثار عمرو بن العاص ثانية مسألة براءة عثمان ومطالبة معاوية الانتقام بأخذ الثأر. وقد اعترف أبو موسى في كلتا المسألتين، لكنه امتنع عن ان يعهد بالسلطة إلى معاوية. وبدلاً من ذلك فإنه رشح عبد الله بن عمر كمرشح للخلافة. وفي هذه النقطة فإن اداء الشعبي توقف فجأة وبسبب ذلك فنحن لسنا متأكدين فيما إذا كان قد قدّم أي اخبار عن قرار المحكمين في اقامة الشورى، لأجل انتخاب خليفة جديد، أو حول الرواية المشهورة عن خديعة أو خدعة عمرو في تسليم السلطة إلى معاوية بعد ان أعلن خصمه بخلع كل من علي ومعاوية[٣]. وهناك اشارات غير مباشرة لاحقة في

بن الحسن [واقعة صفين ص٦٦-٦٨؛ نقلها ابن ابي الحديد حرفياً في شرحه، نهج البلاغة مجلد١ جزء٢ ص١٩٠-١٩٢] (المترجم)

(١) واقعة صفين ص٥٨٤- ٥٨٦؛ ينظر رواية ابي مخنف المشابهة عند الطبري مجلد١ ص٣٣٣٦- ٣٣٣٨ (كيتاني مجلد٩ ص٤٧٨ وما بعدها). أما موضوع الخلاف أو الموضوع المتنازع عليه فلم يذكره أداء الشعبي، غير إنه يتضح من روايته عن حسم علي للنزاع مع الخوارج وبأنه ما يزال السؤال عن مقتل عثمان الموضوع المهم.

(٢) الطبري مجلد١ ص٣٣٥٤- ٣٣٥٦؛ ينظر ابن سعد جزء٤ ص٢، ٤ (كيتاني مجلد ١٠ ص١٨ وما بعدها من الصفحات) وبينما يذكر الطبري ان مكان الاجتماع على إنه دومة الجندل في أذرح فإن ابن سعد يذكر أذرح فقط. ان رواية الطبري يحتمل جداً إنها ترجع إلى محاولته في التوفيق بين الاخبار المتناقضة. ينظر Acta Orientalia جزء٢٣ ص١٨٦.

(٣) ينظر عوانة وابا جندب الكلبي عند الطبري مجلد١ ص٣٣٥٨- ٣٣٦٠ (كيتاني مجلد ١٠ ص٢٢ وما بعدها

رواية الشعبي بالنسبة إلى علاقات علي بالخوارج تؤشر إلى إنه بأي حال من الاحوال كان يعرف الخوارج في هذه الاخبار[١]. أما من ناحية الترتيب الزمني فإن الشعبي يضع تصادم علي مع الخوارج قد حدث بعد اجتماع التحكيم، الذي يتوافق مع رسالة الصلح المحددة في شهر رمضان ٣٧هجرية، وان تحديد الصدع بين الخوارج مع علي واختيارهم عبد الله بن وهب الراسبي للامامة قد تعين في العاشر من شهر شوال سنة ٣٧هـ (٢١ آذار ٦٥٨) ومعركة النهروان في ٩ شهر صفر ٣٨هـ/ ١٧ تموز ٦٥٨م)[٢].

وعلى الرغم أحياناً من وجود التضاربات العرضية والمناسبية، فإن وجهة نظر الشعبي الأساسية قابلة للتمييز والإدراك بشكل واضح. فالنزاع بشأن تبرير وتسويغ قتل عثمان فإن ادعاء أو طلب معاوية في الانتقام بأخذ الثأر وحقه في معارضة علي كان الشعبي بالكاد ميالاً ويكنّ مودة نحو معاوية، إذا تجاوزنا عن ذكر عمرو بن العاص، الذي دون ريب قد شدّد على حبه للدنيا وانهماكه بالأمور الدنيوية وعلى عدم امانته وعلى خداعه، ولكن تبقى الدوافع الدينية التي أحاطت براءة عثمان أو اثمه أو معصيته هي العامل المركزي. وهناك كل الاحتمال بأن الشعبي قد أرّخ للخلاف والصدع في العلاقات بين الفريقين لما بعد معركة الجمل؛ عندئذ فقط اندفع بسرعة إلى اثارة الهيجان للثأر أو للانتقام في سوريا، وتلقى البيعة. وعلى أية حال فإنه مما يستحق الاهتمام ان عمرو بن العاص لم يؤد دوراً بارزاً بوقوفه إلى جانب معاوية باستثناء مما لا مفر منه، في اجتماع التحكيم. وان الصفة المميزة لاجتهاد أو لحكم الشعبي بالنسبة إلى

من الصفحات).

(١) ينظر البلاذري ص٥٣٢ (كيتاني مجلد ١٠ ص١٠٣) إذ ابلغ علي الخوارج ان الحكمين قد تفرقا دون ان يصلا إلى اتفاق، ولذلك فإنه يستطيع العودة إلى الحرب ضد سوريا. ينظر أيضاً البلاذري ص٥٣٤ (كيتاني مجلد ١٠ ص٨٣ هامش رقم٩٦) وفيها ان علياً أنّب ووبّخ في خطبته قبل معركة النهروان الحكمين بأنهما قد اعطيا حكمهما من غير اعتبار للقرآن والحديث، وبعد ذلك قد اختلفا حول الحكم. وهكذا يوضح هذا المصدر الازدواجية أو النفاق المعروف جداً (الحكم - وانتهاكه). ينظر أيضاً Acta Orientalia جزء٢٣ ص١٨٩ وما بعدها.

(٢) البلاذري ص٥٣٠- ٥٣١، ٥٣١- ٥٣٢ (كيتاني مجلد ١٠ ص١٠١ وما بعدها. وحول التعديل أو التكييف بشأن تعيين التواريخ هذه ينظر فيما بعد [ص٥٦ وما بعدها] و[ص٨٨ وما بعدها من الصفحات].

علاقتهما المشتركة والمتبادلة تكمن في حكاية من معركة صفين إذ ان معاوية، كما فعل مسبقاً بعلي، اعتق الأسرى العراقيين ضداً أو من غير اعتبار لنصيحة عمرو القاسية والقاضية بقتلهم جميعاً. فالوالي السوري ما زال متقيداً بقواعد القتال. وفضلاً عن ذلك فإنه كان مستقلاً بما فيه الكفاية عن عمرو إذ ان بوسعه ان يشير إلى المأزق أو الورطة التي قد يواجهها نفسه باتباعه تلك المشورة[١]. ومن الجهة الأخرى لم يبد الشعبي أي شك حول شرعية حق علي في السلطة وعدم شرعية تمرد معاوية. ان الشعبي بالفعل قد شدّد على مقبولية امامة علي أمام الله، وان الله سيعاقب من يرفض قبول قضية علي، سواء كان معاوية أم طلحة أم الزبير. وعلى الاجمال، إذن، فإن هذا الاداء يعكس تماسكاً ايديولوجياً أو فكرياً للرؤية التي كان الكوفيون يخضعون لها، حتى وان لم تبلغ إلى درجة قصوى من التطرف[٢].

وفي مواجهة هذا العرض عند الشعبي مع روايات أخرى معينة تؤخذ بنظر الاعتبار سنجد ان ثلاثة منها تختلف في شكلها وبنيتها الخاصتين وأقصد رواية الجرجاني ورواية البلاذري ورواية عوانة فهي تختلف عن رواية الشعبي وذلك بأن الروايات الثلاث تهمل، مبادرة معاوية في اثارة الهياج في سوريا للأخذ بالثأر أو بالانتقام وتحويل ذلك إلى عمرو بن العاص. فإن عمرو بن العاص هو الذي أشار على معاوية في المبادرة باتخاذ هذا الإجراء وذلك للتأثير على شرحبيل بن سمط الكندي (زعيم السوريين)، لصالح الدعوة إلى الانتقام بأخذ الثأر[٣]. ومن الجهة الأخرى فإن جميع الروايات تبدي بل تقدم امراً بارزاً للحقيقة بأن المهاجرين والانصار قد اقسموا على الولاء لعلي، بخلاف الشعبي، من غير ان يلفتوا الانظار إلى جدالاتهم: .ان الانتخاب

---

(١) الطبري مجلد١ ص٣٣٣٩- ٣٣٤٠ (كيتاني مجلد٩ ص٤٨.

(٢) معلومات ابن حجر في التهذيب (جزء١ رقم٧٧؛ ينظر فاجليري Vaglieri جزء٢ ص٦٧ هامش٣) فالشعبي قال إنه (يبغض من يبغض علياً وعثمان) بالكاد يجد فيها المرء دليلاً مباشراً في المعلومات المتوفرة.

(٣) ومهما يكن فإن عوانة يذكر فقط (زعيم أو قائد coryphaei بين الزعماء السوريين) الواقع ان أبا حنيفة الدنيوري أطلق عليه رأس أهل الشام. الاخبار الطوال ص١٥٩ وهو شرحبيل بن السمط الكندي [المترجم].

بصفته الموثوقة والرسمية يجعل معاوية ملزماً أيضاً. فإن اداءات كل من البلاذري وعوانة تتوافق وتتطابق مع رواية الشعبي لأنهما يصنعان هذه المناقشات بمناسبة مشورة علي لجرير بن عبد الله، وعلى أية حال، فإن الجرجاني يستخدمهما في بضعة مناسبات، ففي أحد الأمثلة تماماً وبعد معركة الجمل عندما طلب علي من جرير المساعدة، باعتباره والياً على همذان، باستعمال منصبه لكسب الاهالي لصالح علي؛ وفي رواية أخرى عندما جعل السوري وهو عبد الرحمن بن عن[*] ghann الازدي، يؤثر على شرحبيل بن السمط على ان المهاجرين والانصار قد انتخبوا علياً على الرغم من الاتهامات بمشاركته في قتل الخليفة وهو أمر غير منطقي نوعا ما، وهي اتهامات مع إنه يصعب الدفاع عنها ستكون سبباً آخر في عدم الثقة بمعاوية. وحتى في هذه المعلومات الخاصة والمتناثرة التي تختلف من مؤرخ إلى مؤرخ آخر تؤشر إلى تبدلات كيفية واعتباطية. وهو بصورة خاصة حقيق بالنسبة إلى الجدال حول شرعية انتخاب علي للخلافة، إذ تتلاشى قوة الحجة المعنوية والأخلاقية في اختيار المكيين والمدنيين وذلك يرجع إلى التبديلات والتعديلات.

ولم يزل دافع معاوية في معارضته الخليفة موضوعا تعاملت معه هذه الروايات الثلاث، ولكنها أيضا. قد بهتت وخبت وبشكل تدريجي. وخارج نطاق هذه المجموعة تقع رواية عيسى بن يزيد، وحتى وان ظلت في الكثير من الحالات على صلة وثيقة مع رواية الجرجاني. ان عيسى بن يزيد كالجرجاني يجعل عمرو بن العاص المسؤول عن إثارة الهيجان ضد علي، وانه يتابع رواية الجرجاني التي ينسب إليها مشاورة عمرو بن العاص مع أولاده بشان الفرص المناسبة التي سيحصل عليها باتخاذ نفسه أو بتصنيف نفسه وراء معاوية. وعيسى بن يزيد أيضا كالجرجاني يجعل من عمرو بانه المدافع عنه. ان الوالي السوري ليس كفئا لعلي مَن وجهة النظر الدينية. وفضلا عن ذلك فقد انتفع

× أعتقد ان هناك تحريفاً في الاسم فهناك عند ابي حنيفة الدينوري وهو يتحدث عن توزيع معاوية جيشه في صفين ورد اسم عبد الرحمن القيني وليس الغن ghann كما ورد عند البروفسور بيترسن. واعطاه معاوية قيادة رجّالة الاردن الدنيوري، الاخبار ص١٧٢ [المترجم].

عيسى بن يزيد من ذات الأشعار المتفرقة وهي من حيث النوعية تافهة وغير مهمة وهذه الأشعار هي بالصدفة غير موجودة في روايتي البلاذري وعوانة. ثم بعدئذ، فان الحكاية بشان شرحبيل من السمط لم تظهر في رواية عيسى بن يزيد. انه، من الجهة الأخرى، يقدم خبراً عن مروان بن الحكم، أخو معاوية غير الشقيق، الذي كان قد هرب إلى البصرة معتقدا وشاعرا بأنه قد همّش لصالح عمرو[1]. ومهما يكن فان الحقيقة الأكثر أهمية هي ان عيسى بنقضه وجهة النظر المقبولة حتى الآن لموقف الوالي السوري. يجعل عمرو يقدم ولاءه لمعاوية كخليفة .بينما الرواة السابقون لم يناقشوا في الاحق معاوية في ان يقوم بمهمة وليّ لعثمان. وهكذا فإن هذا الانفصال عن الامويين يمثل رأيا متطرفا جداً، أو بالأحرى وجهة نظر شيعية صرفة بعيدة عن تقدير الشعبي واعجابه[2].

وتلخيصاً للسمات الرئيسة في دراسة المصادر كما صورت في أعلاه. أنه من الواضح بأن الشعبي يمثل مرحلة أقل تعقيدا مع أنها اكثر تجانسا حتى وان كان من الصعب اعتباره أقدم من حيث الترتيب الزمني موازنة مع المؤرخين الآخرين في الرواية التاريخية. وفي نقاط معينة كان باستطاعتنا البرهنة وتوضيح انه بالموازنة مع مادة الشعبي فليس هناك أي رواية أخرى تبدي وتكشف عن مادة مهمة منتشرة وكذلك عن البواعث والدوافع وهي حقيقية تبدو أنها تؤشر إلى ان الشعبي يعد معبرا عن مرحلة أساسية وأولية. وعلى أية حال فان العامل الأساس دون شك هو دافع السلطة وبناء على ذلك أيضا والى درجة ما فان مسؤولية التمرد السوري قد نسب

---

(١) من المحتمل ان يكون هذا الخبر انعكاسا للانقسام بين فرعي الدولة الأموية القديم والمتأخر، السفيانيون والمراونيون- فيعدّ مروان بن الحكم مؤسس الفرع الثاني- وان مصالحهما مختلفة. ينظر لامانس: الامويون (بالفرنسية ص٣٩١ وما بعدها من الصفحات)، كذلك Acta Orietalia (كوبنهاكن) جزء ٢٧ ص١١

(٢)هناك ثمة سمات موجودة في رواية عيسى بن يزيد (قد التقينا بها) مرة أخرى في راوية لابن عبد ربه باسم الحسن البصري (العقد جزء ٢ص ٢٩٠، كتاني مجلد ٩ص٢٥٢)، فهو كمصدر مستقل في رأيه لكن ليس له أهمية، ويحتمل جداً ان تكون الرواية ملفقة (قريبة من رواية ابن يزيد) وفيها ان الحسن البصري الورع كان عليه ان يقدم اسمه عونا للقضية.

بشكل مختلف في الخمس روايات التي قد تمت مناقشتها. ونحن مع ذلك نجد في رواية الشعبي رواية كاملة لدوافع معاوية ونشاهد ونستبين كيف كانت إجراءاته مستقلة عن بطانته، حتى وان كنا بالفعل قد نلاحظ محاولات لتصوير عمرو بن العاص تصويرا سلبياً ومعاد. وفي روايات عوانة والجرجاني والبلاذري وعيسى بن يزيد نجد عكس ذلك إذ لم يعدّ معاوية هو صانع القرار انما هو عمرو ذلك الشخص الذي صنع القرارات النهائية وهو الذي اتخذ الاجراءات وتدابير القتال ضد علي. فعمرو هو الذي اتخذ بصورة تدريجية المبادرة في الاتفاق مع معاوية، وانه هو الذي بادر ونظّم الهيجان في سوريا. ومن المتعذر ان يكون هناك أي داع أو سبب للاعتقاد بأن التعارض والتناقض الذي نحن بصدده قد يكون عرضيا وغير مقصود؛ ومرة أخرى فأن الظروف تؤشر إلى ان وصف الشعبي يمثل رواية أساسية وأولية، وهو افتراض يتثبت ويعزز بالحقيقة ان هناك ثمة نقاط هي بحد ذاتها ملائمة للبرهنة على آلية هذه العملية من تحريف أو تشويه الحقائق.

ان المحاولة لإثارة الاهتمام بشخصية عمرو الخرافية legendary يمكن العثور عليها في رواية الشعبي المختلفة والرصينة نسبيا حول مشاورة عمرو ومداولته مع أبنائه بشأن الفرص المواتية في اصطفافه خلف معاوية وفي اتفاقه مع معاوية حول مصر. وبالكاد نجد سببا للافتراض بأن هذه القصص والحكايات لها أي أهمية وأي قيمة كمصدر، غير ان مغزى الحكاية عند الشعبي هدفها البرهنة على ان معاوية خلافا لعلي، غير جدير وجائر من الناحية الدينية وان عمرا في هذا المأزق وهذه الورطة الدينية قد «باع دينه مقابل حصوله على مكاسب دنيوية خسيسة paltry» وقد تحملها الوالي السوري إذ انه بسبب انهماكه الواضح في أمور الدنيا فقد قدّر له ان يصبح لنا القرين الشرير في النزاع conflcct's evil genius. فهذه الحادثة لم تدمج بعد عند الشعبي بشكل متناسق وغير مجتزء في متن ادائه أو في داخل الجزء المركزي لادائه، فالمبادرة في إثارة الهيجان قد انبعثت من معاوية نفسه، وكان دافعه بشكل ثابت المطالبة بالانتقام بثأر الدم. وتواصلا مع عيسى بن يزيد نجد ان المبادرة في الاتفاقية حول مصر قد تحولت

وانتقلت إلى عمرو، وان دافع معاوية الآن هو رغبته وتوقه الوصول إلى الخلافة. وما حدث بعدئذ ان هو الا تفاقم سمة النزاع الديني، فهي الآن مسألة الصراع بين الحق أو الاستحقاق الشرعي لعائلة محمد في السيادة وفي السلطة العليا وبين اغتصاب معاوية للسلطة.

والنجاشي الشاعر العراقي يصرح في مكان ما بأن شرحبيل بن السمط قد اتخذ موقفا مؤيدا إلى جانب معاوية، لا لأنه كان مقتنعا ببراءة عثمان إنما كان بسبب كرهه الشخصي لجرير بن عبد الله والاشعث بن قيس وهما من العراق من انصار واتباع علي[1] ان قصة شرحبيل، التي سبق ذكرها في أعلاه، موجودة أيضا عند البلاذري، لكن أيا من هذين المؤلفين لم يقدم أي تلميح ولو بشكل طفيف عن مبادرة عمرو في استدعائه[2] للاجتماع به. ان التصريح الأول عن الخصومة بين شرحبيل وجرير قد وجدت عند الجرجاني، ولم نلتقي حتى زمن هذه الإشارة بأن مبادرة عمرو ومسعاه كان في استثمار هذه الخصومة أو هذا العداء لصالح معاوية[3]. إذن فعلى الأرجح ان الجرجاني والنجاشي قد اعتمدا على الرواية الشائعة، التي ليس بالضرورة تعني ان أحدهما قد اعتمد على الآخر. ومهما تكن الظروف فان هناك ثمة شك بأن المنفذين للرواية في هذه الحالة قاموا ببناءات كيفية تماما على العناصر الموجودة والمتيسرة، فالنجاشي انما انتفع فقط من الخصومات والتنافرات المعروفة على نطاق واسع التي

---

(١) ابن الاثير: الكامل مجلد٣ ص٢٣٠ (شولتز Schultess، حول (الشاعر النجاشي) ueber den Dichter al-Nagast في مجلة ZDMG مجلد ١٩٠٠/٥٤ص٤٦٣، كيتاني مجلد ٩ص٢٣٩)

(٢) البلاذري ص٤٩٤ ويحتمل عند ابن الاثير نفس الإشارة (كيتاني مجلد ٩ص٢٥٣و٣٢٨ وما بعدها. [ومن الجدير بالذكر ان المسعودي أشار إلى قول جرير عند عودته من بعثته التي بعثه بها الإمام علي إلى معاوية، إذ اخبر الإمام عن اجتماع أهل الشام مع معاوية على قتال الإمام، وأنهم كانوا يبكون على عثمان ويقولون «ان عليا قتله، وآوى قتلته ومنع منهم وأنهم لابد لهم من قتاله حتى يفنوه أو يفنيهم» المسعودي، مروج/ دار الاندلس ج٢ص٣٧٢ (المترجم)

(٣) واقعة حنين ص٥٤ وما يعقبها من الصفحات، ومرة أخرى يختفي هذا العامل عند الدينوري ص١٦٩ وما بعدها (كيتاني مجلد ٩ ص٢٤٦) والرواية عن بغض شرحبيل للاشعث بن قيس من جهة أخرى، موجودة عند ابن الاثير فقط إذ أنها ظهرت إلى الوجود عن طريق توافقات أو توليفات مدروسة لمعلومات الرواية التقليدية الأخرى بهدف شرح تلميحات النجاشي ينظر (كيتاني مجلد ٩ص٢٣٩ و ٢٣٠ هامش١)

تجعل موالاة شرحبيل ومناصرته أمر مشكوك فيه، وعند البلاذري فقط رواية أو خبر، ليس غير، عن موقف شرحبيل من النزاع وهو الذي جعل جرير يعتقد ويفهم بوضوح بعدم قدرته على تحقيق أو انجاز أي شيء، غير ان الجرجاني بدمجه هذه التفصيلات مع قصة مبادرة عمرو في شرحبيل إلى جانبه في المطالبة بالانتقام بثأر الدم، وهنا بالطبع افتراض سابق بمعرفة عمرو الشخصية بشأن بغض شرحبيل لجرير.

وفي محاولة تمهيدية لإعادة مختصرة عن التحول والتغير الذي وقع هكذا في الرواية الكوفية المبكرة جدا نجد بان العامل الحاسم في ذلك النشأة الأسطورية أو الخرافية التي أحاطت بعمرو بن العاص. ليس هنالك من ينكر أن عمراً أدى دورا فعالا في القتال إلى جانب معاوية، الا ان هذه الشخصية الدنيوية وغير الجديرة بالثقة التي أخذت تظهر للعيان تدريجيا في الرواية يرجع بالدرجة الأولى إلى المباني العراقية في النقل وكذلك يرجع إلى المساعي في تحريك المغايرة في الصراع والنزاع بين الخليفة الراشدي علي «وتمرد الطلقاء». وجدير بالملاحظة التطور الآخر المشابه .وذلك الذي سنعود إليه في أدناه[1] .وهو أمر ملحوظ من عدد قليل من المسائل الأخرى. ونشاهد هذا التطور بالمقام الأول في الخبر المشهور والمعروف عن استثمار عمرو للقرآن بالنسبة إلى خديعته في حرب صفين، وذلك بنصيحته لمعاوية ان يوثق أو يربط السوريون القرآن على أسنة رماحهم بغية إيقاف القتال فجأة وبغية إحداث الفرقة والشقاق في معسكر علي. ونرى أيضا حالة مشابهة في الرواية حول خديعة عمرو فيما يخص التحكيم في أذرح. وإجمالا عندئذ فان رواية الشعبي، وبالأخص موقفه، تمثل المرحلة الأولى والأساسية في الرواية العراقية، حتى وان كان بوسعنا بالفعل ملاحظة المساعي في تعديل وتكييف الرواية.

فضلا عن هذه الرواية العراقية بوسعنا الاعتماد على مادة متعاصرة إلى حد ما، وهو النقل المؤيد للأمويين، المحفوظة بشكل رئيس عبر استشهادات واقتباسات البلاذري

(١) ينظر أدناه [من الكتاب] ص٩٠ وما بعدها من الصفحات وص١٠٧ وما بعدها من الصفحات.

في كتابه أنساب الأشراف، وكذلك أحيانا أو بين الفنية والأخرى عند الطبري. وتوجد هذه الرواية أيضا في نسختين مختلفتين أو روايتين مختلفتين وكلاهما قد صيغتا من قبل الرواة المدنيين المشهورين أعني صالح بن كيسان وابن شهاب الزهري[١]. وفيما يتعلق الأمر بانتخاب الخليفة بعد مقتل عثمان فيذكر صالح بن كيسان ان عليا قد اتخذ الخطوة الأولى بنفسه[٢]، وأنه بعد انتخابه مباشرة عرض على الوالي السوري مودته إذا ما تعهد معاوية ببيعته بالطريقة المعتادة، وهو العرض الذي رفضه معاوية بحذفه لقب الخليفة من اسم علي في الرسالة التي ردّ فيها على رسالة علي. وعندما تسلم علي الردّ فان حامل الرسالة استغرب من الجواب قائلاً «ياقبيلة قريش. الفرسان، الفرسان. والله سيكون هناك ٤٠٠٠٠ ألف فارس»[٣] ومهما يكن فقد بقيت الحالة كذلك إلى حين وصول أخبار معركة الجمل، عندئذ دعا معاوية السوريين لمعركة الانتقام بأخذ الثار لدم عثمان والمطالبة بإقامة الشورى، وهو اجتماع للانتخاب، بهدف ترشيح خليفة لم تلطخ يديه أو خليفة صالح. ودعما لمطالبيه فقد تسلم معاوية يمين الولاء كأمير وليس كخليفة، «وهكذا بعد مرور ستة أشهر أو اكثر بعد مقتل عثمان» إذ ذاك كان علي قد

(١) عن الزهري ينظر ابن خلكان رقم ٥٧٤ (تحقيق دي سلان جزء ٢ ص٥٨١ وما بعدها من الصفحات).هروفتز Biographies [ص٣٣ وما---

* [وقد ترجم كتاب المستشرق البريطاني مرغليوث إلى اللغة العربية بعنوان (دراسات عن المؤرخين العرب، تعريب د.حسين نصار، بيروت دون تاريخ)] (المترجم).

وللمؤلف هروفتز مقالة في دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٤ ص١٣٤٢ وما بعدها. الدوري الزهري دراسة عن بدايات الكتابة التاريخية في الإسلام (مجلة BSOAS) مجلد ١٩ ص(١٩٥٧) ص١-١٢. ان المادة التقليدية للزهري تشابه مادة الشعبي وصارت موضوعا للتعديل والتكييف في الفترة المتأخرة ينظر شاخت أصول الفقه ص١٧٥، ٤٦، وما بعدها، موسى بن عقبة ص٢٩١ وما بعدها، Acta Orientalia جزء ٢٧ ص٩٩ وما بعدها من الصفحات.

(٢)البلاذري ص٤٦٤ (كيتاني مجلد ٨ ص٣٢٨) وبالنسبة إلى ما ورد بعد ذلك ينظر Acta Orientalia مجلد ٢٣ ص١٦٤ وما يعقبها وص١٨٧ وما يعقبها

(٣)البلاذري ٤٥٧-٤٦٥ (كيتاني مجلد ٩ ص٨- ٢٠) إذ يشير إلى صرخة حامل الرسالة ودون شك إلى مذبحة الأمويين في الحرة في سنة ٦٨٢م، ينظر Acta Orientalia مجلد ٢٣ ص١٦٤ و ١٧٠ وما بعدها. رواية صالح بن كيسان حول تمرد طلحة والزبير أمر معروف وأنها قد أقحمت ودسّت في رواية أبي مخفف عند البلاذري فقط (ص٤٧٢-٤٧٥) (كيتاني مجلد ٩ ص٦٣ وما بعدها) بطريقة تبين انه من الصعب التمييز بين العنصرين بوضوح.

بدأ بحركة عسكرية، والتقى الطرفان في صفين[١].

أما خبر صالح بن كيسان عن المعركة فهو غير معروف. فعند البلاذري قد استبدلت روايته فعلا وحل محلها رواية سورية أخرى عن عياض بن خليفة (ولم يعرف تاريخه) الذي ذكر ان المعركة لم تبدأ بعد إلى ان واجه الجيشان أحدهما الآخر مدة من الوقت. وبعد قتال لمدة يومين بدأ السوريون ينسحبون ويتراجعون. عندئذ امتطى أحد السوريين، واسمه ابن لحيّه فرسا وتقدم حاملا نسخة من القرآن مثبتة على أذني الفرس وحذا حذوه الآخرين، فأثيرت حالة من الانقسام والانشقاق في معسكر علي. وبناء عليه اضطر الخليفة على الموافقة والقبول «بان يترك الأمر للقرآن في حسم النزاع بين الفريقين» وقد رفض السوريون عرضا باختيار اثنين من الأنصار للتحكيم وذلك على اعتبار ان موضوعيتهما أمر مشكوك فيه. وبدلا عن ذلك فقد عيّن كل من عمرو بن العاص وأبي موسى. وقد فصلت وثيقة التحكيم الشروط التي صيغت، وعلى أية حال فان محتويات اتفاقية التحكيم هذه لم يذكرها الرواة[٢].

ويذكر صالح بن كيسان ان الحكمين التقيا في أذرح في شهر رمضان سنة ٣٧هـ غير ان المفاوضات بينهما قد أرجأت إلى السنة التالية، والتقيا أول مرة، في دومة الجندل وأخيرا التقيا في أذرح في شهر شعبان سنة ٣٨هـ (كانون الثاني سنة ٩٥٩). وهكذا يبدو إنه وضع تمرد الخوارج ومعركة النهروان سابق للاجتماع الحاسم والنهائي. فقد وصل معاوية برفقة عدد من القرشيين البارزين، في الوقت الذي تعذر على علي الوصول في الوقت المحدد. فطالب سعد بن أبي وقاص بأنه غير مؤهل

---

(١) البلاذري ص٥٠٤، ينظر أيضا الزهري ص ٤٩٨، ٥١٦-٥١٧(كيتاني مجلد ٩ ص٢٨٩، ٤٨٨ وما بعدها، ديللافيدا ٤٥٣)، ينظر أيضا أبو الفرج بن العبري Historia compendiosa Dynastarum (تحقيق أي بوكوك Pocock ص١٨٨ وما بعدها (نسخة أخرى ص١١٩ وما بعدها) ونجد هذه الرواية قد اقحمت في روايات أخرى ولعله في روايات المسعودي.

(٢) البلاذري ص٥١٥- ٥١٦ (كيتاني مجلد ٩ ص٤٨٩ وما بعدها) [يقول البلاذري عن احمد بن ابراهيم الدورقي عن الزهري قال: وكتبوا بينهم كتابا ان يحكما بكتاب الله والسنة الجامعة غير المفرقة (انساب الأشراف تحقيق د. سهيل زكار-دار الفكر بيروت ١٩٩٦ جزء٣ ص١٠٣ (المترجم).

للخلافة وذلك لأنه قد اعتزل الفتنة. واثناء التداول رشّح أبو موسى عبد الرحمن بن الاسود الزهري وهو قرشي بارز مرشحا للخلافة، غير ان عمرو بن العاص رفض الترشيح، وطالب خصمه بالحاح بضرورة إعادة توطيد وترسيخ وحدة الإسلام. بعدئذ قدم عمرو اقتراحا بان يسمي كل واحد منهما الشخص الذي يعدّه المرشح الأفضل تأهيلا للمنصب. وعلى أثر رفض أبي موسى أخذ عمرو المهمة على نفسه وذلك بهدف جعل خصمه ملزما نفسه على قبول عرض عمرو. عندها أدرك أبو موسى خطئه، وبذلك انتهى الاجتماع بشجار تبادل خلاله الحكمين الشتائم والاهانة اعتمادا على آيات القرآن*. ومع ذلك فان صالح بن كيسان يختتم اداءه بابلاغ عمرو وعبد الله بن عمر بأنه المرشح الآخر للخلافة، وهي الفكرة التي رفضها عبد الله بن عمر بسخط[1].

ولنتحدث بشكل عام فان الزهري في ادائه واستنتاجه قد تابع صالح بن كيسان متابعة دقيقة إلى حد ما على الرغم من اختفاء نقاط معينة. ففي رواية الزهري ان الزبير وطلحة كانا قد نكثا بسرعة يمينيهما لعلي، غير انهما لم يتركا المدينة لمدة أربعة شهور بعد انتخاب الخليفة. وعلى أية حال فان الأمر الأكثر أهمية هو الحقيقة بان اداء الزهري

* [تذكر رواية المفاوضات ان أبا موسى عندما خلع الإمام علي ومعاوية قام بعده عمرو بن العاص فخلع الإمام وثبّت صاحبه معاوية لأنه وليّ عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه- حسب قول عمرو بن العاص- فما كان من أبي موسى الا ان يقول لعمرو «مالك لا وفقك الله قد عذرت وفجرت وانما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، وهي آية من الذكر الحكيم فأجابه عمرو بآية انما مثلك كمثل الحمار يحمل اسفارا (انساب الأشراف ص ٥٢١-٥٢٣) (المترجم).

(١)البلاذري ص ٥٢١-٥٢٣، (كيتاني مجلد ١٠ ص٣٨ وما بعدها من الصفحات)، ينظر أيضا الزهري عند الطبري مجلد ١ ص ٣٣٤١-٣٣٤٣ (كيتاني مجلد ١٠ ص٢٦ وما بعدها من الصفحات) [رواية الطبري عن الزهري بان الحكمين عندما اجتمعا في أذرح وافاهم المغيرة بن شعبة، ثم أرسلا إلى عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ليوافيهما في أذرح ثم قدّم معاوية بأهل الشام وأبى علي وأهل العراق ان يوافوا. عندئذ تقدم عمرو بن العاص بعرض على ان يسميان رجلا يلي أمر هذه الأمة فسمى أبو موسى عبد الله بن عمر وسمى عمرو معاوية بن أبي سفيان. فلم يبرحا مجلسهما حتى استبّا ثم خرجا إلى الناس فقال أبو موسى أني وجدت عمرو مثل الذين قال الله عز وجل (واتل عليهم نبأ الذي أتيناه آياتنا فانسلخ منها) (سورة الأعراف آية ١٧٥) ثم تكلم عمرو بن العاص على إنه وجد مثل أبي موسى كمثل الذي قال عزوجل (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا) (سورة الجمعة آية٥). وكتب كل واحد منهما مثله الذي ضرب لصاحبه إلى الامصار. فالإمام علي أبى الحضور وليس كما ذكره الأستاذ بيترسن تعذر عليه الحضور [المترجم].

يختلف عن اداء صالح بن كيسان فيما يتعلق بالاحداث في صفين وأذرح. وبخصوص حالة صفين فان الزهري يذكر انه عندما خشي السوريون من ان يقهروا من قبل اعدائهم نصح عمرو بن العاص معاوية ان يحمل رجاله القرآن في ميدان المعركة من أجل ان يلجأوا ويحتكموا إلى حكمه، وان عمرا قد توقع نتيجة طبيعية في (الانشقاق بينهم (مقاتلي علي)، في حين تتعزز الوحدة أو الولاء في الجانب السوري)[١]. وحول هذه المسألة.إذن فان الزهري اقترب و اصبح أقرب إلى الرواية العراقية. ففي خبره عن الحكومة يقول أن «الحكمين كانا يحكمان اعتماداً على كتاب الله والسنة الجامعة وليس اعتمادا على السنة الخاصة المفرقة particular (المفرقة)، تلك التي لم تتخذ أو تتبنى بصورة عامة)[٢] ورواية الزهري عن اجتماع التحكيم في أذرح هي رواية مختصرة كثيرا عما هي عند صالح بن كيسان[٣] فرواية ابن كيسان رواية تفصيلية للإطار الخارجي وهي تتغاضى وتهمل كليا تقريبا الاجتماع، غير انه يعزو إلى المغيرة بن شعبة[٤] المبادرة والخطوة الأولى في اقناع الفريقين لدعوة عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير[٥] «يرافقهما الكثير»، وقد جعل صالح بن كيسان منه، نتيجة للاستفهامات

---

(١) لطبري مجلد ١ ص٣١٠٢-٣١٠٣، البلاذري ص٤٨١-٤٨٢ (كيتاني مجلد ٩ص٥٣) وسوف نعود ثانية إلى هذه المسألة. وفي تلويث البلاذري لأخلاق صالح بن كيسان وأبي محنف فان هذه السمة غير موجودة [أورد الطبري رواية عن أبي محنف ان عمرا حينما رأى شدة القتال يوم الهرير وارتفاع معنوية أهل العراق خاف الهلاك فأشار على معاوية قائلا «هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا الا اجتماعا، ولا يزيدهم الا فرقة؟ قال نعم، قال نرفع المصاحف ثم نقول. ما فيهما حكم بيننا وبينكم فان أبى بعضهم أيقبلها وجدت فيهم من يقول بلى ينبغي ان نقبل، فتكون فرقة بينهم، وان قالوا: بلى، نقبل ما فيها رفعنا هذا القتال عنا وهذه الحرب إلى اجل أو إلى حين» الطبري م٥ ص٤٨ (تقابل ٣٣٢٩ في طبعة ليدن) [المترجم]

(٢) البلاذري٥١٤-٥١٥ وبصيغة مختصرة عند الطبري مجلد ١ ص٣٣٤١-٣٣٤٢ (كيتاني مجلد ٩ ص٤٨٨ وما بعدها مجلد ١٠ ص٢٥ وما بعدها) وبصيغة معدّلة فان نفس الرواية موجودة عند ابن سعد جـ ٤ ص٢، ٣ (كيتاني مجلد ٩ ٥٣١)

(٣) الطبري مجلد ١ ص ٣٣٤١- ٣٣٤٣ (كيتاني مجلد ١٠ ص٢٦ وما بعدها)

٣٥ المغيرة بن شعبة من صحابة النبي مشهور باستقلاليته (ينظر اج لامانس، في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة أولى) مجلد ٣ ص ٦٨٣)ففي الرواية التاريخية يظهر في الغالب وكأنه معلق على الأحداث من الخارج ينظر مثلا Acta Orientalia جزء ٢٧ ص٨٨ وما بعدها من الصفحات

(٥) هو ابن الزبير ينظر السير هاملتون جب Gibb في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) مجلد ١ ص٥٤ وما بعدها.

والتساؤلات التي طرحت على اعضاء الاجتماع قبل التحقق من امكانية التوصل إلى نتيجة ايجابية من المفاوضات. وأخيرا فان الزهري .تطابقا وتماثلا مع الرواية الكوفية . قدّم ترشيح عبد الله بن عمر، في حين من الجهة الأخرى ترك ترشيح عبد الرحمن بن الأسود. ان مثل هذه التعارضات والتناقضات الممكن التحقق منها هنا بين الروايتين المواليتين للأمويين وبالكاد يمكن تعليلها وشرحها بطريقة أخرى افضل من كونها تكييف وتعديل للروايات بنفس الطريقة كما هو الحال في النقل العراقي. والظاهر ان الزهري لم يكن غير متأثر بأمثلة خاصة في الرواية الكوفية. ان غرض الحكاية يتجلى هنا بصورة مقنعة ومفحمة. وهكذا فان صالح بن كيسان يمثل الرواية الأولية.

وان تحليلات وافية للرواية الأولية السورية المدنية والعراقية تشكل وتسبب صعوبة للحقيقة ان صالح بن كيسان يستعمل اسلوبا بارعا في الايجاز الشديد. وقد بالغ بالاناقة والدقة، على العكس من اوصاف الشعبي العامة والواسعة واسلوبه في الغالب اسلوب روائي مع تفصيلات ودوافع مصنوعة بحذر وان موازنة شرطية ومؤقتة لأخبار محددة في رواية الشعبي مع رواية صالح بن كيسان ستكشف وتعرض فورا عددا من السمات المتماثلة والمتطابقة وبضعة تعارضات. ان كلا الروايتين تؤرخان لتصدع العلاقات الوّدية بين علي ومعاوية بعد المعركة في البصرة، وهي الحالة التي فهما يتفقان مع جميع المصادر الأخرى وبضمنها تلك التي تحتويها هذه الدراسة. ان معياراً ضمنيا أو فعليا وأدلة وبيانات مستقلة في المصادر ستشكل حالة قوية بالنسبة إلى التصحيح التاريخي لهذا التوريخ[1] وكلا الروايتين أيضا تتفقان على ان معاوية نفسه قد اتخذ الخطوة الأولى في التمرد ضد علي، ودعما لمطاليبه في الخلافة فقد تلقى البيعة في سوريا. الا انه بينما قد أخفق الشعبي في تعيين وتوصيف أهميتها، فإن صالح بن كيسان يذكر بان البيعة قد اعطيت إلى معاوية بوصفه أمير. وفي هذا المثال فان الاداء المدني أيضا .والى قدر ما الاداء الكوفي .قد دعم واسند بادلة مستقلة، حتى وان لم تكن

---

(١) ينظر Acta Orieutalia جزء ٢٣ ص١٧٤ وما بعدها من الصفحات، ينظر أيضا الشاعر الشّني ash-Shanni عند الدينوري: الأخبار الطوال (ليدن ١٨٨٨) ص١٦٢ وما بعدها (كيتاني مجلد ٩ ص١٦٦).

واضحة بما فيه الكفاية، من المصادر العربية السورية المتعاصرة(١) وأخيرا، فان كلا الروايتين متفقتان في القول بان اجتماع التحكيم قد حدث في أذرح وان عددا من القرشيين .وأسماؤهم في أكثر الحالات قد قدمت متطابقة أيضا .قد حضروا المفاوضات. أما بالنسبة إلى تدوينهما الهيكلية العامة للتحكيم، فان الروايتين قد اتبعتا سلسلة الأحداث بطريقة متماثلة ومتشاكلة نسبيا.

وصالح بن كيسان بخلاف الشعبي يقدّم محركا ممتعا ومحكما جدا عن هدف النزاع وكذلك عن بواعث معاوية. وكلا الروايتين تتفقان بان معارضة معاوية لعلي إنما ترجع إلى الشكوك حول تبرير مقتل الخليفة وعن احتمالية مشاركة علي.. والرواية المدنية .السورية تضيف بان معاوية قد كان راغباً وتواقاً إلى إقامة الشورى وذلك بهدف انتخاب خليفة صالح غير ملطخة يديه وهكذا فان يؤكد بالنبرة بقوة وبشكل معبر عن شكّه فيما إذا كان موقف علي بالنسبة إلى مقتل الخليفة سيسمح له ان يشغل منصب الخلافة. وان المسألة الأخيرة قد أهملت بالمرة عند الشعبي، على الرغم من انه يدافع وبدقة فائقة عن براءة علي. ومهما يكن فمن الواضح وبالإضافة إلى الإشارة العامة في الإصرار بأنه ليس هناك من أحد (سوى الرجال في هذه الامصار) (حرفيا المدن أو المتربوليس) الذين اخفقوا حتى الآن في اداء يمين الولاء لعلي وان الشعبي قدّم توكيدا آخر: وهو الرسالة التي سلم فيها علي لجرير بن عبد الله التعليمات التي أمره تسليمها إلى الوالي السوري التي يقول فيها بأنه لا يسمح له برفض البيعة وذلك لان المهاجرين والانصار، أولئك الذين هم المخولون فقط بانتخاب الخليفة وهم على قدم المساواة مع الشورى. مثل هذه المجادلة لا يمكن رفضها بشكل بديهي ومسبق على انها غير تاريخية، ولكن عن طريق موازنة هذه المعلومة مع الحقيقة بان الشعبي في روايته عن انتخاب علي يذكر بوضوح ان عليا سوف لن يرضى ولن يقتنع بانتخاب من قبل هؤلاء الشورى الذين حضروا انما كان يتوق إلى شورى من اجل تجنب

---

(١) ينظر Acta Orientalia جزء ص١٧٦ وما بعدها

الفتنة، لذلك فان الترابط المنطقي قد انقطع وضعف. عندئذ فان التغاير أو الفرق مع صالح بن كيسان ينبغي بالأحرى ان يعزى إلى تفنيد غير مباشر للأخير.

فضلا عن التعارض الفعلي الذي تحقق هنا فهناك تعارضات في الترتيب الزمني متعلقة بمكان وتفسير وتأويل اجتماع التحكيم وتمرد الخوارج. فلما كان صالح بن كيسان قد حدّد شعبان سنة ٣٨ هـ هو تاريخ نهاية التحكيم وأقصد من المحتمل بعد المذبحة في النهروان في شهر صفر في نفس السنة[١]، فإن الشعبي يؤرخ تاريخ الاجتماع في نهاية شهر رمضان ٣٧ هـ قبل التصادم مع الخوارج[٢] وان التاريخ الأخير يتطابق مع الوقت المفترض لرسالة الصلح. وبخلاف الرواية السورية فإن الشعبي اخفق في ذكر ان التأجيل قد وقع، ولذلك يبدو إنه أحرز على الجدول الزمني بالتزام دقيق وكامل لبنود الاتفاقية. ومهما يكن ليس هناك أدنى شك بأن التحوير والتعديل الذي تمت ملاحظته أو إدراكه هنا بالفعل في الرواية العراقية لا يمكن ان يرجع إلى المعنى المعاكس في الرواية السورية .المدنية؛ أنها فوق كل شيء تعبر عن الإذعان للخوارج وروايتهم التاريخية الأولية[٣]. فالنقل الخارجي المبكر جداً .عند عبد الله بن يزيد

(١) وبصرف النظر عن جزء واحد، فان رواية مدرسة المدينة بشأن معارضته الخوارج وتمردهم غير واضحة. وفوق هذا فإن تعليقات صالح بن كيسان المقتضبة (البلاذري ص٥٢١ (كيتاني مجلد ٩ص٥٤٥) وما بعدها) هي تعقيبات غامضة إلى حد ما.فانه يميز بين ثلاث مجاميع للمعارضة أحدها تلك العائدة إلى بلدها محتجة ضد اتفاقية التحكيم، وواحدة تلك التي تنتظر وترتقب تصرف علي اللاحق، وأخيرا أولئك الذين اعلنوا بان عليا كافر - وقد دحروا في النهروان.

(٢) اعتماداً على الشعبي فان المعارضين والخصوم قد انفصلوا عندما بعث عليا أبا موسى لاجتماع التحكيم في رمضان ٣٧ هـ وأنهم انتخبوا عبد الله بن وهب الراسبي. إماما لهم في ١٠ من شهر شوال سنة ٣٧ هـ (٢١ آذار ٦٥٨) أي قبل نتيجة التحكيم. وأرخت معركة النهروان في ٩ شهر صفر من سنة ٣٨ هـ (١٧ تموز ٦٥٨م) [البلاذري ص٥٣١-٥٣٢، كيتاني مجلد ١٠ ص١٠١ وما بعدها من الصفحات)- ينظر المناقشة حول التحولات في الترتيب الزمني عند فلهاوزن Kingdom ص٨٧ وما بعدها، ديللافيدا ص٤٨٥ وما بعدها من الصفحات، بهل Buhl: علي ص٧٢ وما بعدها، كيتاني مجلد ١٠ ص٧٣ وما يليها من الصفحات وص ١٣٩ وما يليها من الصفحات، فاجيلري جزء ١ص٤ وما يعقبها من الصفحات وص٧٨ وما يعقبها من الصفحات.

(٣) أأمل ان أتمكن من شرح- فيما بعد- كيف ان الرواية العراقية بشأن الخوارج (عند الشعبي، وابي جناب الكلبي وابي محنف) يظهر أنها نشأت في المناظرات أو المجادلات العنيفة والمتحيزة وقد اقتطفت واقتسبت من الرواية الاباضية الخارجية. فالنقل الخارجي موجود عند في الفرقة الاباضية، وهم جماعة

الفزاري (المتوفى تقريباً سنة ٧٠٠م) . يشدّد أو يؤكد بقوة جداً على معارضتهم للتحكيم ولأسباب دينية، ومطالبتهم بالحل العسكري تنفيذا لإظهار حكم الله judjment God's على السوريين. ومن الجهة الأخرى فإن الرواية الكوفية تذهب نوعها إلى طمس الباعث الديني، فالشعبي يؤكد في النبرة ان معارضة الخوارج لفكرة ان يحكم رجل بقضاء الله (حكم الرجال)، والشعبي يذكر دفاع علي عن حقه وإنه قد أذعن أو استسلم كارها لمطالبة الاكثرية في التحكيم، ولذلك فإنه بعد انتهاء اجتماع التحكيم المخيب أعلن بأن الحكمين قد خانا الإسلام. أما الخوارج فإنهم انتابهم خوف مفاجئ حول متابعة الخليفة وعليهم ان يحذوا حذوه في هجوم جديد على سوريا[١]، لهذا ابتدأ طلبهم من علي ان يعتذر عن اساءته للدين بقبوله التحكيم تفضيلاً عن الحل العسكري وهذا مناف للعقل تماماً[٢].

في حين ان الوضع التاريخي الزمني الذي ذكره الشعبي عن التحكيم يخدم بالمقام الأول في مسألة تسويغ وتبرير موقف علي ازاء مجادلة الخوارج فالحالة مختلفة بالنسبة إلى الاداء عن اجتماع التحكيم. إذ ان الشعبي قد أصّر على ان سعد بن أبي وقاص الكبير السن قد اعتزل وظل بعيداً عن الاجتماع تجنباً لأي اسهام أو دور في الفتنة، وقد صرّح صالح بن كيسان بوضوح بأنه لم يكن سعد غائباً فقط بل أيضا قد عدّ نفسه أفضل تأهيلاً للخلافة من أي شخص آخر وذلك لأنه قد حافظ على وعده بابتعاده عن الفتنة. حيث تذكر الرواية الكوفية ان الحكمين قد حكما لصالح عبد الله بن عمر

خارجية معتدلة (ينظر دائرة المعارف الإسلامية طبعة أولى مجلد ٣ ص٣٧٢ وما بعدها). أنها الآن معروفة فقط وهي مقحمة في كتابات حقبة متأخر جداً، في كتاب الجواهر للبرادعي (حوالي ١٤٠٠م) وفي كتاب السير للشماخي (حوالي ١٥٠٠م) وبتكييف وتعديل ثيولوجي أو لاهوتي من عند أبي سعيد القلهاتي (القرن ١١م) (فاجيلري جـ١ ص١٢ وما بعدها من صفحات، مقدمة الكفافي القلهاتي ص٢٩ وما بعدها من صفحات)، التي تبدو جميعها قد اعتمدت على شخص اسمه عبد الله بن يزيد الفزاري، ومحتمل انه نفسه الثيولوجي أو عالم الدين الخارجي عبد الله بن يزيد الاباضي الذي عاش في الكوفة حوالي ٧٠٠م (مخطوط مجلد ٥ ورقة ٤٤٢ وما بعدها من الورقات، فاجيلري جـ١ ص٤ وما بعدها

(١) نفس المصدر جـ٢ ص٢٣ وما بعدها من الصفحات، ٨١ وما بعدها من الصفحات، قلهاتي ص٤٠ وما بعدها من الصفحات.

(٢) البلاذري ص٥١٩-٥٢٠، ٥٣٠-٥٣٢، ٥٣٤، (كيتاني جـ٩ ص٥٤٥) جـ١٠ ص١٠١ وما بعدها من الصفحات.

وينهي صالح بن كيسان كلامه بجعل رفض عبد الله بن عمر لقبُ الخلافة الرفيع بأنه عمل مناف للعقل ومضحك بكل ما في الكلمة من معنى، في ذلك الموقف المحدد. فالاختلاف الرئيس بين الروايتين .إذ اننا نفهمها هنا بان الشعبي قد حذا حذو خبر أبي جناب الكلبي .يكمن، على أية حال في اختلافهما أو في افتراقهما حول قراءة سياق الاجتماع. [1]فبالنسبة للرواية الكوفية فإنها جعلت الحكمين يصلان إلى اتفاقية، وان عمرو بن العاص فيما بعد قد انتهكها بادائه يمين الولاء لمعاوية كخليفة بعد ان أعلن أبو موسى نتيجة المفاوضات وبأنهما قد خلعا الاثنين علي ومعاوية. أما صالح بن كيسان فمن جانبه ينقل حكاية ليظهر ان محصلة ونتيجة الاجتماع قد تقررت وحسمت أثناء المفاوضات. وعند صالح بن كيسان والزهري على حد سواء فان عمراً قد فاق براعة خصومه في اصطناع خديعة.

ان عدد التناقضات التي تثبتت هنا بين النقل السوري .المدني والعراقي يحتوي بطريقة أو أخرى على النقاط المركزية للنزاع بين علي ومعاوية وعلى مسألة جدارة أو استحقاق علي، فإذا كان علي نفسه .كما هو في رواية صالح بن كيسان .قد اتخذ خطوة المبادرة في انتخابه، فانه منذ البداية جداً يجد نفسه في موقف معرّض للهجوم وموقف غير حصين، هذه الحقيقة تفسر أيضا تشديد الشعبي على ان عليا، كما كان فعلاً،له مهابة الخلافة وقد أكره على قبولها وفرضت عليه بالرغم من رغبته في الشورى. وفعلا كما قد تم ذكره، فان الشعبي قد شدّد على إنه ليس الإسلام كله فحسب، بصرف النظر عن سوريا، يقف وراء خلافة علي، وانما كان انتخابه شرعياً إلى درجة وكأنه قد تولاها نتيجة للشورى، وانه حتى إذا اقيمت الشورى فالنتيجة ستكون نفسها. ومن الجهة الأخرى فانه من الطبيعي أيضا بالنسبة إلى صالح بن كيسان ليلفت النظر إلى سعد بن أبي وقاص كمرشح للخلافة ضد علي. فسعد كان في ذلك الوقت هو الوحيد الباقي على قيد الحياة من الشورى التي اختارت عثمان وهو قد رفض

---

(١) وهناك رواية متأخرة جداً مؤيدة لعلي تجعل من سعد. انه رفض المشاركة في الشورى واقعة صفين ص٧٩ وما بعدها من الصفحات، اليعقوبي ج٢ ص٢١٧، كيتاني مجلد ٩ص٢٦٣

وامتنع من ان يلزم نفسه الاعتراف بعلي. وان كانت هذه التناقضات المبكرة هكذا يحتمل كثيرا أنها تعزى، إلى تناقضات مشتركة بين الروايتين التي على التوالي تهاجم وتدافع عن موقف علي

وهذا ينطبق أيضا تقريبا على عرض اجتماع التحكيم. فليس في الروايتين الموجودتين عند المؤرخين الرائدين أي شيء تاريخي يمكن ان يكون صحيحا[1]. فكلا القصتين متغايرتين في عناصرهما ظاهريا. وتتألفان من عنصرين أو ثلاثة عناصر: . خبر الهيكلية الخارجية للاجتماع، وخبر المفاوضات، وفيما يتعلق بالرواية الكوفية فان المشهد المشهور حول الإعلان عن الاتفاقية فمن الواضح ان الخبر السوري .المدني، الذي لا يحتوي إلا على قليل من المعلومات المتماسكة والمحددة بشأن المفاوضات، لا يفيد أي غرض آخر سوى تسفيه أبي موسى وجعله يبدو غير منطقي Stultify ولإظهار أو للبرهنة على ان الحكمين لم يحرزا أي تقدم على الإطلاق. أنها من الجهة الأخرى واضحة بشكل متسق مع الرواية الكوفية التي تعتبر المفاوضات وإعلان الاتفاقية أمر غير متآلف وغير منسجم تماما. وبصرف النظر تماما عن قول الشعبي اللاحق بان اعتراضات علي قد صحت في تأثيمه لكل من الحكمين بانتهاكهما للقرآن والحديث[2]. ان حيلة عمرو ان كانت صحيحة، ستؤدي بذاتها إلى إثارة ردود فعل وإنها ستترك علامات بارزة في مصادرنا. فإذا ما قبلنا اعتراض أو احتجاج علي ضد شرعية التحيكم كما وصفها الجانب الكوفي، فإنها ستكون غير منسجمة ومتضاربة كليا لمعالجة انتهاك عمرو بن العاص للاتفاقية باعتبارها لبّ الموضوع، ولذلك فانه لابد للشعبي من ان يسلسل هذا الاتهام مع الاعتراض والاحتجاج ضد تفويض واجازة التحكيم.

---

(١) على عكس ما موجود عند فاجليري جـ١ ص٩٠ وما بعدها من الصفحات، دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) مجلد١ ص٣٨٤ وما بعدها- وعن الامور التالية ينظر Acta Orientlia جزء ٢٣ ص١٩٠ وما بعدها من الصفحات

(٢) ينظر Buhl: علي ص٧٦ وما بعدها.

ومن ثم فعلى الرغم من ان كلا الروايتين لا تشكلان ولا تؤلفان وحدة كاملة متجانسة فانهما بالكاد قد وجدا أو نشئا من دون نوع ما من الرابطة. وكلاهما يقدمان قوائم متطابقة تقريبا لأولئك الذين حضروا وان تناقضهما المباشر فيما يتعلق بسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر يشير إلى نفس الاتجاه، وانه فوق ذلك ملفت للنظر بان كليهما قد جعل كل من عمرو وأبي موسى يستخدمان الآيات القرآنية ذاتها[١] وذلك بهدف تشويه سمعة كل واحد منهما للآخر حينما انهار الاجتماع. المسالة الحاسمة على أية حال هي: ان الأداء الكوفي يصف سلبية النتيجة بسبب حيلة عمرو بالنسبة إلى الاتفاقية، بينما ترك كل من صالح بن كيسان والزهري الانطباع بان ذلك يرجع إلى عدم كفاية وعدم آهلية أبي موسى على مائدة المؤتمر وليس إلى أي نوع من أنواع الخداع. وفضلا عن ذلك فانه اعتماداً على أداء الشعبي فان الفريقين قد الزما نفسيهما في رسالة الصلح وان يقبلا بحكم التحكيم وان لا يعودا إلى الحرب ثانية، ولذلك فإنه عند إعلان نتيجة التحكيم على أساس أنها غير شرعية فان خلافة علي مازالت مبررة ومثبتة[٢]. إذن فينبغي ان يكون التفسير الوجيه والمعقول لهذه التناقضات غير المنطقية بأن الخبرين وفيما يخص بهذه النقطة يجادلان بعنف أحدهما للآخر وبان الوصف في الحالتين دون ريب يعتمد على تلفيقات واختلاقات متعمدة لا علاقة لها بالحقائق.

الواقع انه ملفت للنظر حتى في الأخبار المبكرة جداً كيف تحجب الأحداث في صفين وأذرح خلف مبان جدلية، وكيف يصعب، لاسيما بالنسبة إلى الرواية الكوفية، تبرير تصرف علي مع الامويين والخوارج. أما الرواية السورية، سواء كانت عند عياض بن خليفة ام الزهري، فهي تذكر ان عليا قد قبل بالتحكيم من غير اعتراض، وان كلا

---

(١) اعني سورة رقم ٧ آية ١٧٤ وما بعدها، وسورة رقم ٦٢ آية ٥[سورة رقم (٧) الأعراف والآية المقصودة رقمها ١٧٥، قال تعالى «واتلُ نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين» أما سورة ٦٢ فهي سورة الجمعة وفيها يقول العلي العظيم «مَثلُ الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مَثلُ القوم الذين كذبوا بآيات الله لا يهدي القوم الظالمين» آية (٥) [المترجم]

(٢) يبدو ان حكم الحكمين قد سبّب الارتداد بين اتباع علي وقد حجبت من قبل الشعبي بشكا منطقي وذلك يجعل التاريخ حتى وقت ما بعد النهروان (طبري مجلد ١ ص ٣٤٣٠، كيتاني مجلد ١٠ ص١٨٧ وما بعدها

من صالح بن كيسان والزهري قد شدّدا على عجز علي واخفاقه في الايفاء بتعهده وبقائه بعيداً عن اجتماع التحكيم، في حين ان معاوية قد وصل بالوقت المحدد. فان صح هذا القول فهي مقترنة مع النتيجة السلبية للتحكيم وإنها تدل ضمناً على ان عليا نفسه كان راغبا أو كان يريد بالارادة والمقدرة ability ان يعيد الوحدة الإسلامية. كما هو بالفعل قد أكد عليه بالنبرة في الادائين. وهكذا بالنتيجة يكون فيها قد برّر تلقي معاوية يمين الولاء بعد اجتماع أذرح[١] ومرة ثانية يخبرنا الشعبي ان كلا من معاوية وعلي قد ختما اتفاقية التحكيم بختم الخليفة[٢]، حتى ولم يكن فعلياً يعترف بخصومه بكونهم مؤمنين وإنه بصياغته رسالة الصلح يكون قد تخلى عن لقب الخليفة، وهي الشرعية التي أبدى معاوية ارتيابه بها. غير ان الشعبي لم يزل محافظاً ومدافعاً عن علي بأنه قد أذعن فقط احتراما لرغبة الاكثرية، وان تخليه عن لقبه venunciatio tituli لم يؤثر على سلطته ونفوذه كخليفة، ولم يدرك ذلك إلى ما بعد معركة النهروان فقط بان موقفه قد اصبح متعذرا وميئوسا منه وإنه قد وافق بصورة غير المباشرة على خلافة معاوية، لذلك واعتماداً على هذه الرواية فان انحلال وتدهور خلافة علي لا يمكن ان يعزى إلى نشاطات معاوية، وهو غير الشرعي من الناحية الدينية إذ ما فتأ الشعبي يدافع عنه بثبات، ولكنه يعزى إلى معارضة الخوارج.

فنتائج نمو وتطور الرواية حول شخصية عمرو يمكن من الطبيعي متابعة آثارها في التعديلات التي قد حدثت في أداء رسالة الصلح. وفي رواية الشعبي التي مع ذلك تذكر ان على الفريقين ان يتخليا عن حقهما في الحكم الذي أصدره الحكمان على أساس كتاب الله والسنة المعترف بهما بالإجماع. وموازنة هذه الرواية للاتفاقية بطريقة وأخرى مع الرواية الأخرى عند الراوية الكوفي غير الموثوق به جداً أي جابر بن يزيد الجعفي (المتوفى ١٢٨ ـ ١٣٢هـ/ ٧٤٦ ـ ٧٥٠)[٣] فإن التباين والاختلاف سيظهران بجلاء

---

(١) ينظر Acta Oientalia جزء (٢٣ ص١٩٦)

(٢) وحسب ما ذكره النص فان كلا الختمين - يحملان نقش«محمد رسول الله» واقعة صفين ص٥٨٤

(٣) فاجيلري جزء ٢ ص٦٧، البلاذري، ديللا فيدا كتاب (الخليفة معاوية الأول في كتاب انساب الأشراف

وبشكل لافت للنظر كثيراً. ويضيف الشعبي إلى الشرط الذي يذهب إلى إنه على الحكمين ان ينعما بضمان شخصي بنداً جديداً وهو: .ما دام انهما لم ينتهكا الهدي الصحيح؛ وإذا ما قصّرا في اتباع كتاب الله، فإن الأمة الإسلامية سترجع إلى حالة الحرب. فالنتائج المترتبة على هذه الرواية ينبغي ان تكون بأن على حكم هيئة التحكيم ان لا يلزم عليا إذا ما أقرّت أو صدرت بطريقة غير شرعية[1]، وهكذا فان التغيير قد وقع أو حدث وقد افترض مسبقا ليس فقط للاطلاع بان قرار وحل الحكمين قد فشل في تسوية النزاع ولكن أيضا، ومن غير شك، في التخلص من الخبر المشكوك في صحته حول حيلة وخديعة عمرو بعد المفاوضات في أذرح. ولا يمكن للرواية الكوفية إلا بواسطة تعديل أو تكييف من هذا النوع فقط لتبرير موقف الرواية الكوفية أمام خصومها بان عليا .وحسب كلمات الشعبي .يمتلك السلطة لإدانة التحكيم وان تصرف وسلوك الحكمين على حد سواء الذي «يحرر المؤمنين من تبعتها[2]»

وهكذا فان جميع الظروف تبدو لتظهر وتوضح، بأن هذه الأحداث، التي هي لا يرقى إليها الشك تتعلق بمفترق الطرق في التاريخ الإسلامي المبكر جداً، وهي أحداث قد حجبت أما لمقاضاة وبالدفاع عن الاراء المعارضة حتى وان كانت في المراحل المبكرة جداً للرواية. وإنها استمرارية وتواصل لهذه الأحداث التي قد لاحظناها وأدركناها في التحول والتغيير الثانوي للرواية الكوفية في موازنتها بين معاوية وعمرو بن العاص. وبالكاد يمكن تتبع أثر الرواية النثرية بعيداً إلى الوراء وأبعد من جيل الشعبي وصالح بن كيسان والزهري، حتى وان كانت مواد هؤلاء المؤلفين تنم على تلاعب طفيف بالرواية. ولكن في بعض الأشعار الرئيسة وترجع إلى عقود حول سنة

لأحمد بن يحيى البلاذري) (بالإيطالية)
Opinto e g. Levi della Vida: ١١ califfo Muawiya I second o il "Kitab Ansab al- Ashraf" di Ahmad ibn Yahya al- Baladuri (Roma ١٩٣٨) رقم ١٤٣ فيسيا
Veccia فاجيليري يقول ان الرواية دون شك هي رواية مزيفة ويحتمل أنها من صنع الشعبي

(١) واقعة صفين ص٥٧٨- ٥٨٢

(٢)البلاذري ص٥٣٤ (كيتاني مجلد ١٠ ص٨٣).

٧٠٠م فاننا نجد مظاهر من الأشعار قد نظمت بظروف مناسبية خاصة تحمل اراءاً مختلفة عن النوع الذي تعاملنا معه[١]. فالأشعار التي لها أهمية خاصة بالنسبة لغرضنا . والتي قد حفظت أبياتها بالقدر الذي يمكننا تحديد أو تقرير المغزى والفحوى بالدقة الصحيحة المعقولة .هي أشعار شعراء البلاط الأموي كالاخطل (المتوفى ٧١٠م/ ٦٥)[٢]

---

(١)لعلنا في هذا الصدد نتجنب ونهمل ذكر العدد الكبير من الشعراء الذين حسب قول المؤرخين كانوا معاصرين، وذلك لأنها أولا نتاجات بالكاد تحمل أهمية كبيرة كمصادر أو كأدب، وثانيا فان مصداقيتها في الغلب جداً خاضعة للجدال. وهذا ينطبق مثلا على شعر معاوية عند البلاذري (٥٠٠).

[فمما قاله الشاعر ذي الرمة في مدح بلال أبي بردة وهو يؤرخ لمسألة التحكيم

أبوك تلاقى الدين والناس بعدما تساءوا وبيت الدين منقطع الكسر
فشدّ إصار الدين، أيـــام أذرح وردّ حروبا قد لقحن إلى عقـــر

معجم البلدان جزء ص١٢٩

وقول الشاعر الأعور الشنّي:-

رضينا بحكم الله في كـــل موطن وعمرو وعبد الله مختلفـــان
ولـيس بـهادي امـــةٍ من ضلالة بدومة، شيخاً فتنة عميـــان
بكت عين من يبكي ابن عفان بعدما نفا وَرَق الفرقان كل مكـان
ثوى تاركا للحق متّبع الهــــوى واورث حزنا لا حقا بطعـان
كلا الفتنتين كان حيا وميتـــا يكادان لولا القتل يشتبهـان

(ن. م. جزء ٢ ص٤٨٨- ٤٨٩) [المترجم]

[ينظر تعليق هشام بن عمار الدمشقي، (كيتاني مجلد ٩ ص٢٥٦)، وهناك مقطع شعري مشابه عند عيسى بن يزيد واليعقوبي وهو ينسب إلى عمرو بن العاص، ويحتمل ان هذا يدل على التغيير في الرواية. وتشابها مع هذا ليس هناك بالكاد أي سبب يدعونا بالثقة في- وعلى أية في الجزء الأول-مقطع شعري نسبه البلاذري ص٥٠٠- ٥٠١، كيتاني مجلد ٩ ص٢٥٤ على ثقة الهيثم بن عدي إلى الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فانه يتعارض مع الشعر التالي (أيضا عند الطبري مجلد١ ص٣٢٥٨) الذي يلّمح في جميع مظاهره الرسائل المتبادلة بين علي ومعاوية بأنها غير صحيحة وذلك لأننا نلتقي بها أول مرة عند أبي مخنف.

(ينظر Acta Orientalia جزء ٢٣ ص١٦٩) وفي مكان آخر قد تم ذكره على نحو بيّن بان الأشعار قد نظمت في شخصية الاشعث بن قيس (بروكلمان، ص١٧) ينظر أيضا لامانس: الامويون ص٩٥ هامش ٣ وص ١٦٨ هامش٥ وص ٢٧٤. وحول الأمور التي أعقبت ينظر بشكل خاص لامانس: معاوية ص٢٥٢ وما بعدها من الصفحات، نللينو، سي اي: الأدبَ العربي أصوله خلال حقبة الدولة الأموية ص١٧٦ وما بعدها من الصفحات (بالإيطالية)

La litterature arabe des origines al'epocque ele la dynastie umayyade (Traduction Francais par Ch. Pellat, Paris ١٩٥٠) ص١٧٦.

(٢) لامانس الامويون ٢٦١- ٢٦٨، GAL جـ١ ص٤٣ وما بعدها من الصفحات (S) جـ١ ص٨٣ وما بعدها، نللينو ص١١٥ وما بعدها من الصفحات.

وكعب بن جعيل (المتوفى سنة ٦٩٠م)[١] والشاعر العراقي النجاشي (المتوفى سنة ٦٦٩م) والأعور الشنّي وذو الرمة (المتوفى حوالي ٧٢٩) والأسود بن الهيثم.[٢] ان الأربعة شعراء الأول يمثلون، كما سنرى، وجهات نظر متطرفة، وان الأخير منهم يكشف عن وجهات نظر أقل تعقيداً مثال ما سنراه في البيت الشعري لذو الرمة على شرف[٣] بلال بن أبي بردة بن ابي موسى الاشعري[٤] فالشاعر أثنى على أبي موسى لأنه في يوم أذرح قد قوّى الدين بعد ان كان يترنح، وكذلك في عمله في تفادي حرب أهلية كانت بالفعل واقعة .وهو تصور أو فهم دون شك كان لا ينسجم مع أي فكرة بشأن صلة عمرو أو خديعته في العرض الكوفي السائد. وأما الاخطل فانه يلمّح بشكل مشابه في بيت شعري مبهم بأن معاوية قد تدخل في المفاوضات «عندما لم يقم الحكمان بأي شيء سوى ان كل واحد منهما كان يخاف الآخر ويخطئ الواحد منهما للآخر»[٥]. هذه المقولة .على الرغم من غموضها ليس لها أي أهمية أو نبرة للتخيل تنسجم مع القراءة السورية المدنية أو مع القراءة العراقية لمفاوضات أذرح. ولا يوجد أي استفهام أو تساؤل هنا عن أي تضليل أو خديعة أثناء المفاوضات أو بعدها، لهذا فان الاتهام الموجه ضد عمرو لابد وان يبدو واضحا على انه قد نشأ في وقت متأخر نسبيا.

وتوجد آراء اكثر تطرفا واختلافا وتمييزاً عند كعب ابن جعيل والنجاشي. وكلاهما قد حضر النزاع باعتبارهما النقيض القومي فالسوريون والعراقيون يكرهون سيطرة أحدهما على الآخر، كما ذكر ابن جعيل. ان عليا هو الإمام العراقي، بينما «ابن هند ـ معاوية .يرضي و يسر السوريين» وان ابن جعيل يشدّد على العقبات التي لا يمكن

(١) نفس المصدر ص١١٨، ١٧٨، ٢٠٥، ٢٣٩

(٢) شولتز Schultess ص٤٢١ وما بعدها من الصفحات وص ٤٥٩ وما بعدها من الصفحات

(٣) GAL جزء ١ص٥٨ وما بعدها، (S) جـ١ ص٨٧ وما بعدها من الصفحات، نللبنو ص١٣٧ وما بعدها من الصفحات

(٤) يا فورث جـ١ ص١٧٤ وما بعدها (كيتاني مجلد ١ص٥٦)

(٥) الاخطل ص٧٩ (كيتاني مجلد ١ص ٦٠)

تذليلها في الطاعة المتبادلة. وانه، خلافا لرأي النجاشي، يدافع على ان تمرد معاوية لم يعزى إلى طموحات شخصية، إنما يرجع فقط إلى الحقيقة بان الخليفة كان يحمي ويصون قتلة عثمان وأنه قد اخفق في ان يعبّر عن وجهة نظر واضحة عندما طرحت عليه المسألة[١]. أما تلميحات كعب بن جعيل في المناسبة عن صفين فلها أهمية ثانوية وذات فائدة ثانوية غير ان خبره الخاص باجتماع أذرح وهو عندما «ناقش الحكمان التراث من محمد، فان حيلة (عمرو)[٢] قد أعطت ابن هند الزعامة بين القرشيين» وهي وجهة نظر تجاري الرواية النثرية السورية، فالموضوع قد تم تسويته على مائدة المؤتمر قبل الخدعة الحربية لعمرو وليس بخدعة قد تمت بعد إعلان التسوية أو الحل[٣]

---

(١) الدينوري: الأخبار ص ١٧٠ وما بعدها، الكامل، ص١٨٤ وما بعدها (ومهما يكن فاننا نجده دوافع وبواعث معاوية يتجنب ذكرها) (كيتاني مجلد ٩ ص ٢٢٦، ٢٤٧، بهل Buhl: علي ص ٦٠ وما بعدها)- ونفس الفكرة موجودة عند الاخطل من ١٧٤ وما بعدها (كيتاني مجلد ٩ ص٥٢٩ وما بعدها).

(٢) الطبري مجلد ١ ص٣٢٩٦- ٣٢٩٧، الدينوري ص١٩٠ وما بعدها- البلاذري ص٥١٣- ٥١٤- ياقوت جـ٣ص٤٠٣ (جزئيا)، الدينوري ص١٩١-١٩٣ الطبري مجلد ١ص٣٢٨٦-٣٢٨٨ (كيتاني مجلد ٩ ص٤٤٠، ٤٩٩ وما بعدها) ٤٨٧، ٥٠١

(٣) البلاذري ص٥٢٣= ياقوت جـ١ ص١٧٤ وما بعدها (كيتاني مجلد ١٠ ص٥٦، ٣٠ [يذكر البلاذري شِعراً لكعب بن جعيل التغلبي على أثر تفرق الناس والحكمين عن اذرح إذ قال

كأن أبا موسى عشية أذرح	يطيق بلقمان الحكيم يواربـــــه
ولما التقينا في تراث محمد	علت بابن هند في قريش مضاربه

انساب ح٣ص١١٩

فالبرفسور بيترسن أعطى الأهمية لخديعة عمرو بن العاص، مع أن أبن جعيل قال(علت بابن هند) فلم يكن المقصود عمرو بن العاص (المترجم)

وأورد أبو حنيفة الدينوري رواية ان معاوية حينما عرف مبايعة أهل الشام قال لمبعوث الإمام علي جرير بن عبد الله ان يلحق بصاحبه- الإمام- ويعلمه انه وأهل الشام لا يجيبان إلى بيعة الإمام. فكتب إليه بأبيات كعب بن جعيل:-

أرى الشام تكرهُ ملك العراق	وأهل العراق لهم كارهونـــا
وكل لصاحبه مبغـــــــضٌ	يرى كل ما كان من ذاك دينا
وقالوا عليٌّ إمـــــــام لنا	فقلنا رضينا ابن هند رضينـــا
وقالوا نرى ان تدينـــوا لنا	فقلنا لهم لا نرى ان ندينـــا
وكلُّ امرء يُسرّ بما عنـــده	يرى ما غثّ ما في يديه سمينا
وما في علي لـــــمستعتب	مقالٌ سوى ضمـه المحدثينا
وليس براضٍ ولا ســاخطٍ	ولا في النهاةِ ولا الامــرينا

وعند التحول إلى نتاج النجاشي نجد بان تقويمه ينسجم بعض الشيء مع نتاج الجرجاني وإلى قدر ما مع نتاج الشعبي. فالنجاشي في شعر رائع يحثّ فيه أو يستحث فيه معاوية (ان يمسك عن قضية لا يمكن لها ان تكون عكس ذلك لان الله قد صرّح بها بالفعل وهي ان المرء الصالح عليه ان يسعى لتجنبه.إذ وقف العراقيون والحجازيون متحدين خلف علي الذي قد «أكره جماعة الزبير وطلحة على الفرار، وعصابة الناكثين» وينتهي الشعر ببيان واظهار سخطه ونقمته على ان السوريين «قد وضعوا وصنفوا عليا وشيعته على قدم المساواة مع ابن هند»[1]. ونفس الفكرة قد تبناها فيما بعد النجاشي في تعبيرات موجزة يدين فيها السوريين بقسوة (وذلك لانهم اقسموا يمين الولاء لمعاوية) ضد العرافين الذين قد أطاعوا واستجابوا لطلب علي الجاد «في قضية سوف تكسب المجد أو الفخر والسعادة الأخروية للهادي أو الراشد والذي يزدري الثرثرة والسفاسف»[2] ولذا فان الشاعر يكشف مباشرة بأنه ينسجم ويتوافق كليا مع الرواية النثرية وذلك لأنها تعلق وزنا كبيراً على كل من شرعية انتخاب علي إلى منصب الخلافة وعلى الاعتقاد والإيمان بان تأييد ودعم الحجازيين والعراقيين ملزم أيضا على السوريين. وهكذا فانه بطمسه منطقيا .وكذلك في جداله العنيف والصريح

ولا هو ساء ولا ســـــــرّه　　ولابد من بعد ذا ان يكونـــا

فلما قرأ الإمام علي الشعر قال للنجاشي الشاعر اجب فقال النجاشي:

دعنّ معاوي ما لن يكـــونا　　فقد حقق الله ما تحـــــذرونا

اتاكم عليّ بأهل العـــــراق　　وأهل الحجاز فما تصنـــعونا

يرون الطعان خلال العجاج　　وضربَ القوانس في النقع دينا

هم هزموا الجمع جمع الزبير　　وطلحة والمعشر الناكثينـــــا

فان يكرهِ القومِ ملكَ العراق　　فقَدماً رضينا الذي تكرهونــا

فقولوا لكعب أخي وائـــل　　ومن جعل الغثّ يوما سمينــا

جعلتم عليا وأشياعــــــــه　　نظير ابن هند أما تستحونـــا

الدينوري، الأخبار الطوال (تحقيق عبد المنعم عامر / طبعة أولى، القاهرة ١٩٦) ص ١٦٠- ١٦١[المترجم].

(١) الدينوري ص ١٧١، الأبيات الأولى أيضا موجودة في الكامل ص١٨٧ (شولتز ص٤٦٣، كيتاني جـ٩ ص٢٤٧)، ينظر الشعر من صفين عند شولتز ص٤٦٤ وما بعدها، كيتاني مجلد ٩ ص٤٤٩ هامش ٣ إلى هامش ٢١. وهناك تقييم عند الأعور الشنّي (الدينوري ص١٦٢ وما بعدها، كيتاني مجلد ٩ ص٦٦).

(٢) البلاذري ص ٥٠٠- ٥٠١ (ديللا فيدا ص٤٥٥ وما بعدها، كيتاني مجلد٩ ص٢٥٥)

ضد كعب بن جعيل .وبشكل تام دوافع وبواعث معاوية. أما دعوى المطالبة بالانتقام والثأر لعثمان فقد لمّح بطريقة تحط من قدره ومذمومة. في حين في النزاع ان يفترض ويكون قومي السمة، ويتخذ خصيصة قومية. وأنه كان يعرف دوافع وبواعث السوريين فهي واضحة أو جلية في مقطع يكّذب فيه شرحبيل بن السمط وإنه كان منحازاً إلى جانب معاوية لأسباب دينية أو واقعية[١].

أما القصائد أو المقاطع الشعرية للنجاشي فانها تشابه تلك الأشعار عند كعب بن جعيل فهي تتضمن فائدة قليلة بالنسبة إلى معركة صفين، وهي اشعار تعبر بصورة عامة عن مديح أو تمجيد متماثل منظم لعلي واتباعه في السلاح فهو شعر ساخط ومتحيز للحزب وللفريق المعارض[٢] ومما هو جدير بالملاحظة فان الشاعر لم يذكر في أي مكان كان من شعره حول خديعة عمرو. وان أشعاره تترك انطباعاً للقارئ بان السوريين كانوا في الواقع على حافة الهروب[٣]. وفي مقطع شعري مختصر فيه وصف خاص ومهم عن كيف ان السوريين ومنذ صباح يوم صفين قد اوثقوا أو ربطوا نسخ من القرآن على أسنة رماحهم ذلك بغية ان يحتكموا إلى حكم الله ـ وهي رواية تختلف بشكل واضح عن العرض التاريخي المعروف بشأن خديعة عمرو في القرآن وإنها تتناقض معها[٤].

---

(١) ابن الاثير جـ٣ ص ٢٣٠ (شولتز ص٤٦٣)، ينظر أعلاه ص٧٨-٧٩ وما بعدها من الكتاب.

(٢) وهكذا الدينوري ص١٨٥، ١٩٨ (شولتز ٤٦٤، كيتاني مجلد ٩ ص٤٩٥، ٥٠٥

(٣) شولتز Schulfess ص٤٦٥ وما بعدها، كيتاني مجلد ٩ ص٤٤٩ هامش ٢١

(٤) المسعودي، مروج جـ٤ ص٣٧٨ (شولتز ص٤٦٧)، كيتاني جـ٩ ص٥٢٣، ينظر Acta Orientalia جزء ٢٣ ص١٨٣ [يذكر المسعودي ان عمرو بن العاص قد «انحرف عن عثمان لانحرافه عنه وتوليته مصر غيره فنزل الشام، فلما اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعة علي، كتب إلى معاوية يهزّه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان، وكان فيما كتب إليه: ما كنت صانعا إذا قشرت من كل شيء تملكه فاصنع ما أنت صانع فبعث إليه معاوية فسار إليه فقال له معاوية بايعني قال: لا والله لا أعطيك من ديني حتى أنال من دنياك. قال: سل، قال مصر طعمة فأجابه إلى ذلك وكتب له به كتابا. وقال عمرو بن العاص في ذلك

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل ... به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فأن تعطيني مصر فاربح بصفقة ... أخذت بها شيخا يضر وينفـــــع]
وما الدين والدنيا ســـــــواء ... وإنني لآخذ ما أعطي ورأي مقنع
ولكنني أعطيت هذا وإنـــــــي ... لاخدع نفسي والمخادع يخـــدع

ليس هنالك من دليل عند النجاشي حول الأحداث اللاحقة. وهي فكرة تعكس كيف ان الجانب الكوفي يقيّم مفاوضات التحكيم، الفكرة التي بوسعنا مثلاً على أية حال التقاطها وإدراكها من شعر الاسود بن الهيثم[1] الذي يؤكد بان أبا موسى «لايعتبرها من الناحية الشرعية فشل واخفاق. ان الذي اخفق إنما هو عمرو «يا عمرو بتخليك عن أو بنبذك الحكم قد أثبتت على إهانتك لحياتك، وأنك ستحرم عون السماء. انه حادّ عن القرآن و انحرف، وانه لم يفسر الآيات ولكن على العكس من

أأعطيك أمرا فيه للملك قـــوة وأبقى له ان زلت النعل أخـــــدع

وتمنعني مصرا وليست رغبـــة وان ثرى القنوع يوما لمولـــــع

اليعقوبي: تاريخ (مطبعة الغري - النجف ١٣٥٨هـ) جزء ٢ ص١٨٦ [المترجم].

وفي رواية المسعودي هذه عدة جوانب جديدة وهي تختلف عن الروايات الأخرى أهمها مكاتبة عمرو لمعاوية وحثّه على أخذ الثأر، وموافقة معاوية المباشرة على منح عمرو بن العاص مصر [المسعودي مروج الذهب (ط ١/ دار الأندلس ١٩٦٢) جـ٢ ص٣٥٤ [المترجم]

(١) ياقوت جـ١ ص١٧٤ وما بعدها (كيتاني مجلد ١٠ ص٥٦) [إن الاسود بن الهيثم يقدّم في أربعة أبيات انموذجا للرواية الشعرية التاريخية عن المفاوضات في أذرح، وفيها يحمّل عمرو بن العاص الغدر في نتائج أمر الحكمين وان البروفسور بيترسن قد نجح إلى درجة كبيرة في تلخيص معنى الابيات نثراً ومن الناحية التاريخية ومع صعوبة الترجمة فإنه قد استعان كثيراً بما ترجمه كيتاني لهذه الابيات. غير ان الأبيات الشعرية توحي بأن هناك رأياً غير الذي رآه البروفسور بيترسن. قال الاسود

لمـــا تداركت الوفود بأذرح وفي أشعريّ لا يحلّ له غـــدر

أدى أمانته ووفَـــــى نذره عنه، وأصبح فيهم غادراً عمـرو

ياعمرو إن تدع القضية تعرف ذلّ الحياة ويُنزع النــــــصر

ترك القـــرآن فما تأول آية وارتاب إذ جعلت له مصـــــر

فالأبيات تؤشر إلى جملة حقائق منها:

ان أذرح كانت مكان اجتماع الوفود.

ان أبا موسى قد وفي ولم يغدر وان عمراً هو الذي قد غدر.

يبدو ان هناك امراً سرياً لم نعرفه لأن الشاعر يلوم عمراً على ان في القضية امراً متفقاً عليه.

علاقة عمرو بمصر وهذا قد دفعه إلى ان يتأول في آية في القرآن الكريم.

لهذا فإن ترجمة كلمة (ارتاب) بكلمة deny غير موفق تماماً. كذلك فإن ترجمة كلمة (غدر) بكلمة fail لايعطي الأهمية نفسها للكلمة (غدر ولايحل له غدر). كما ان البروفسور بيترسن جعل الشطر (ترك القرآن في تأول آية. وكأنها تترجم ان عمراً لم يدافع عن الآيات القرآنية expound verses (والتأول ليس يقصد به الشرح والتفسير) كذلك في استعمال البروفسور بيترسن forsake التي تعني التخلي عن أو النبذ لاتتسق مع (وفّى أو أدى الأمانة كما هو في الشعر). ينظر ياقوت الحموي معجم البلدان [دار صادر] جـ١ ص ١٣٠ [المترجم].

ذلك بقي في شك عندما وعد بمصر». ان وجهة النظر هذه حول اجتماع أذرح في الواقع تنسجم تماماً مع الموجودات النفسية التي عبرت عنه الرواية النثرية الكوفية للجيل اللاحق. فإنكار عمرو للعقيدة أو تبرأ عمرو من العقيدة أمام الوعد بإعطائه مصر هو أمر قد رأيناه بالفعل، وقد تم التشديد عليه أيضا، كنتيجة طبيعية للاجراء الأول بان عمرو قد فشل أو اخفق في انه «تخلى عن الحكم»، وانه قد انتهك أو نقض الاتفاقيات والعقود التي صيغت في بنود المفاوضات، ولهذا السبب فقد رفض الإيمان بعون السماء وبناء عليه فقد ابعد واستثني من العقد والاتفاقية التي تلزم وتقيد المؤمنين بعضهم بعضا في وحدة واحدة. وبكلمة أخرى لدينا دليل مضاف آخر بان الرواية العراقية في مرحلة مبكرة جعلت من عمرو بن العاص المحرك الأول والأساس في التمرد ضد حكم علي المقبول من الله.

يمثل الشعر، الذي يرجع إلى حقب حول سنة ٧٠٠م، تطوراً لسنوات النزاع من ٦٥٦م إلى ٦٦١ م، ومع انه يكشف عن المراحل الأولى لتشكيل الرواية الآخذ في التقدم، فانه في حالات كثيرة يسبق الرواية النثرية المبكرة جداً في النصف الأول من القرن الثامن للميلاد. ان مثل هذه الملابسات لابد وان تكون من الطبيعي باعثا على إثارة سؤال عما إذا كانت الرواية الشعرية، التي ترجع بصورة عامة إلى تاريخ مبكر بشكل طفيف عن تاريخ كل من النقل الكوفي والسوري .المدني، هل يعدّ أنموذجا للرواية النثرية، فيما إذا أمكن اعتبار كل من الروايتين بأنهما براعم وفروع من نفس الساق، عندئذ فأن رواية مشتركة هي بالكاد ترجع إلى عصر متأخر كثيراً عن الأحداث التي تصفها.

مثل هذه الطريقة لم تكن من غير سابق في البحث التاريخي. فنحن نعلم ان رواية الساعة الاسكندنافية وهي القصة الزاخرة بالأعمال البطولية قد بنيت واعتمد فيها على الشعر السكلدي scaldic، وان نفس الطريقة للمشاكل والصعوبات تظهر في فرضية بي. جي. نيبور المشهور B.G.Niebuhr، مع إنها فرضية يتعذر الدفاع عنها، إلا إنها فرضية بشأن الشعر الملحمي أو البطولي ويؤكد عرض تيتوس ليفيوس Titus Livius

لتاريخ روما المبكر جداً[١]. ولهذا الشعر الملحمي تقريباً الطريقة التي تم التأكيد عليها في الرواية النثرية الاسلامية في اعتمادها الواسع على النقل الشعري كما يقول لامانس بالفرنسية

La poesie conserve les archives du peuple arabe... je n'ai cesse' de montrer L'influence considerable exerc'ee par La poesie sur L'historiographie arabe... tous (Les chroniqueurs arabes) tre's empresse's a. se documanter dans les poetes arabe.[٢]

(وتعني بصورة عامة أهمية الشعر بالنسبة للعرب وتأثيره على التدوين التاريخي وقد اعتمده المؤرخون العرب في توثيق الأحداث [المترجم].

ان حالات محددة قليلة قد وجدت فعلا حيث الكتابة التاريخية المتأخرة والثانوية قد ثبّتت ونمّت النقل الشعري بواسطة آلية توليفية وتوافقية، غير إنه من الصعب احتمالية المحافظة على هذا المفهوم، والدفاع عنه دفاعاً غير متقيد أو غير مشروط[٣].

ولعله بوسعنا ان نسلم جدلاً بعدم وجود شعر له شخصية ملحمية في رواية أيام العرب التقليدية القديمة أو في القصص التي نحن الآن بصددها[٤]. ومن الطبيعي إننا نعلم بنتاجات الشعراء مع ان ذلك على شكل أجزاء وشظايا من خلال اقتباسات المؤرخين المتأخرين، وحتى في هذه الحالة وهي متوفرة بسعة inextenso بشكل قصيدة. كما هو الحال بالنسبة إلى الشاعر البارز الاخطل وهو الشاعر المادح والممجد للأمويين. فهنا لانجد عروضات وتقديمات ملحمية، إنما تعليقات أو انتقادات، وليست على شكل قصص أو حكايات إنما على شكل تقييم معنوي. ودون شك إنها كانت في

---

(١) ينظر مثلاً أي فيوتر Fueter (بالالمانية) (تاريخ الكتابة التاريخية النرويجية Geschichtc der neueren historiographie (جزءان ١٩٢٥) ص٤٦٧ وما بعدها.

(٢) لامانس، الامويون ص٢٧٨ وما بعدها وهو مزود بمراجع واستشهادات. ينظر ص٩٥ هامش ص١٦٨ هامش٣ وص٢٧؛ ينظر أيضاً مرغليوث. محاضرات ص٥٩ وما بعدها من الصفحات.

(٣) حول مثل هذه الحالات. ينظر اعلاه ص٤٣ [من الكتاب]، كيتاني مجلد١ ص٢٠٠ دبليو كاسكل وصل إلى نفس النتيجة بالنسبة إلى أدب أيام العرب (كاسكل ص٦٦ وما بعدها.

(٤) لم نلتقي بكتابة تاريخية بهيئة شعر ملحمي سياسي حتى فترة متأخرة جداً في أرض اسلامية، وحتى هذا فإن ذلك يرجع بالأحرى إلى تأثير فارسي، مرغليوث. محاضرات ص٦٥ وما بعدها، نللينو ص٢٥٨ وما بعدها.

الغالب ترتب وتنظم في مناسبات خاصة، مع إنها بالكاد متعاصرة؛ وان عرضها بصورة عامة ينقصه التماسك الموضوعي والمتناسق الأجزاء مع الماضي أو مع الأحداث اللاحقة. وفي أكثر الأمثلة ان هي إلا مجرد اشارات ضمنية أو مجرد تلميحات إلى أحداث قد تم التعامل معها، وهي تلميحات تتحدى القدرة على الفهم والإدراك أو يصعب فهمها دون معرفة بالرواية التاريخية. ومثل هذا هو موقفنا وحالتنا اليوم، ومثله أيضاً كان موقف المؤرخين في العصر العباسي؛ ليس بوسع أحد فيما عدا اولئك في ذلك الزمان والذي أعقبه مباشرة، حيث لم تزل الأحداث تحمل فائدة وأهمية موضوعية بما لها من علاقة بالأحداث المحلية الجارية، فباستطاعتهم إضافة مادة على التلميحات التي يعبّر عنها ويطلقها الشعراء؛ وعلى العكس فإن الرواية الشعرية لابد لها ان تعتمد رواية أو ذاكرة مترابطة ومتماسكة، بصيغة الملحمة الشعرية.

يبدو ان هذا النمط أو الطراز الخاص في النقل الشعري يؤشر إلى أنه لايمكن ان يكون هناك انموذج مباشر للرواية النثرية، وعلى الرغم من ان الميول والنزاعات لكلا الروايتين تتطابق وتتوافق في أمثلة عدة قد تم التعامل معها في هذا الكتاب. إذن فالشعر نادراً ما يكون عنصراً اساسياً في عرض الرواة. وفي أكثر الحالات فإن المؤرخ يقدم الشعر من أجل الانتفاع به واستخدام صفته الستاتيكية اللامتغيرة في دعم تقييمه بالمقام الأول أكثر من اتخاذه وسيلة لنقل روايته وقصته. فالشعر، في روايته الدراماتيكية المعبّر عنها مسرحياً، ربما ينجز ويحقق وظيفة مهمة، لاسيما من أجل الهدف في توضيح وتحريك سلسلة الأحداث التي تشكل الأثر الادبي للشخصية المسرحية dramatis personae (مثال على ذلك الباعث النفسي أو المحرك الحاسم النفسي لمعاوية في استدعاء عمرو وفي توضيح مأزق عمرو الديني وورطته). المسألة الرئيسة، على أية حال، هي: .بناءات المؤرخ لاتقدم أي حلّ لشرح يعتمد على معلومة من الأعمال الشعرية وذلك لأن كلتا الروايتين تمتزجان بنبرات وآثار اولية وثانوية. ربما هناك استثناءات فالرواة قد استعاروا واقتبسوا تفاصيل معينة من الشعراء، غير ان التعليل الأكثر بداهة أو سوية ممكن الحصول عليه بواسطة اعتبار النقل الشعري والنقل النثري على

حد سواء كأنها تطورات للرواية المشتركة أو الشائعة، والمحتمل إنها رواية شفوية.

من الصعب الوصول إلى أي فكرة عن الكيفية والصيغة التي وجدت فيه هذه الرواية. فالاجيال اللاحقة .وربما بصيغة مبالغ فيها .تعزو هذه الاهتمامات لاولئك المعنيين بالمؤلفات القديمة لمعاوية[١]، غير ان هذه الحالة ليس لها أي منفعة في بناء وترسيخ رابطة أو صلة. ومهما يكن فإن لها فائدة كبيرة جداً في ملاحظة وإدراك العلاقات المتبادلة للنهضة الفكرية في البلاط الاموي في الشعر العربي القديم والشعر السياسي المتعاصر[٢]. ان قوة الحجة والاقناع التي يستهدفها الشعر في اثارة الشعور العام حول قضية سياسية لابد من ادراكها، دون شك، في ضوء المفاهيم البدوية القديمة تلك التي تنسب إلى الراوية قوى وقدرات فوق طبيعية الراوي الذي يعد واجبه الرئيسي هو الدفاع عن شرف القبيلة وبطريقته ومهارته في تشويه سمعة الخصم. ان الكيفية الخاصة التي اكتسبها الشعر، لهذا السبب، قد أعطته امكانيات استثنائية كعامل في التأثير في الرأي العام، وهي حقيقة قد قدمت خدمة وافادت في تفسير شكلها الاستاتيكي، الثابت والتشهيري. فالشعر إذن نتاج التفسير الرسمي للحكام وخصومهم للأحداث.

ليس هناك نقص في الدليل بأن كلاً من الامويين واعدائهم قد انتفعوا من مواهب الرواة لاغراض وأهداف سياسية. فقد جهد معاوية ومن أعقبه بفعالية ونشاط في تجنيد المدّاحين panegyrists ودعاة اثارة الرأي العام لشنّ هجوم معاكس على الاشاعة والدعاية العراقية، وفي محاكاة اعدائهم بتشكيل حزب أو فريق شعري خاص بهم (شيعة بني أمية) الذي ينتمي إليه كعب بن جعيل والاخطل. ويبدو ان الحكام السوريين قد أولوا أهمية وثقلاً خاصاً للباعث والمحرك الديني لخلافتهم، ومن الواضح ان الأمويين يمتلكون مصدر قوة اعدائهم أي[٣]: علاقة علي مع النبي. وعبد الله

(١) لامانس، معاوية ٣٤٥ وما بعدها من الصفحات؛ Abbot ص٩ وما بعدها من الصفحات.

(٢) ينظر لامانس، معاوية ص٢٥٢ وما بعدها من الصفحات؛ نللينو: الفصل الثالث (حيث ترد هنا وهناك).

(٣) لامانس: معاوية ص٢٦٤.

بن الزِّبير الأسدي (المتوفى سنة ٦٨٠م) من بين اولئك الشعراء إذ ينتمي إلى (شيعة بني أمية)، فنحن نعرف الحقيقة بأن معاوية حيث ينسب إليه (يؤكد بالجزم على الدين)[١]، Asserveration of the religion، وهي مقولة لها اهمية خاصة بأن الدعاية لهذا السبب بحاجة إلى هدف ابعد من الأهداف السياسية المحلية أو الآنية الأهمية. وهنا نجد عبد الله بن الزِّبير، دون شك، يلمّح ويشير إلى النزاع بين علي ومعاوية بأن معاوية هو الذي تغلب وانتصر في الفتنة التي قد أثيرت حول مقتل عثمان، والتي شارك في مسؤوليتها علي بصورة غير مباشرة. وان معاوية هو الذي قد أعاد للإسلام وحدته، فالتوكيد بالجزم على الدين، كما عبّر عنها الشاعر .وهو تقييم يرتبط، بشكل عرضي، بتعبير آخر قد التقينا به بالفعل في الرواية النثرية. فبالنسبة إلى الاخطل ان الأمويين أيضاً هم (خلفاء الله) الذين تسلموا وتلقوا في صفين الاثبات والدليل بتأييد الله[٢]. ومن الجهة الأخرى هناك رواية عراقية متأخرة قليلاً تؤكد وتصرّ على ان الرسول قد تنبأ بأن علياً سوف يريق دم القرشيين من أجل الإسلام[٣].

ووفقاً لهذا المنظور فإن الشعر قد بُعث إلى مستوى ديني .سياسي وقدّم خدمة وفائدة في تحريك أو في الدفاع عن شرعية الخلافة الأموية ضد أتباع علي في العراق أو العكس لالقاء الشك على لقبه للسيادة. لذلك من الطبيعي ان الأحداث التي قادت الخلافة السورية إلى السلطة والنفوذ بحاجة إلى دلالة ومغزى يفوق ويتخطى المغزى المتعلق بالقديم antiquarian. هذه الظاهرة يمكن تمييزها وادراكها عند الشعراء السوريين والعراقيين. وإلى حد الآن فلم نجد في شعر ذي الرمة والاخطل أي اثر

(١) لامانس، معاوية ص٢٦٥.

(٢) نفس المؤلف الامويون ص٢٣٣.

(٣) فنسنك Wensinck ص١٧ [روى ابن ديزيل وله مؤلف باربعة أجزاء عن صفين عن يحيى بن سليمان عن يحيى بن عبد الملك بن حميد.... عن ابي سعيد الخدري قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فانقطع شع نعله فألقاها إلى علي عليه السلام يصلحها ثم قال ((ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فقال أبو بكر الصديق أنا هو يا رسول الله فقال لا فقال عمر بن الخطاب أنا هو يا رسول الله قال لا ولكنه ذاكم خاصف النعل ويد علي عليه السلام على نعل النبي صلى الله عليه وآله يصلحها))] ابن ابي الحديد: شرح مجلد١ جزء٣ ص٢٨٩. فنسنك ص١٧ [المترجم].

للرواية النثرية بشأن رواية خديعة وحيلة عمرو بن العاص في أذرح، وان النجاشي لايعرف أي شيء عن خبر استثمار واستغلال عمرو بن العاص للقرآن بما يتعلق بخديعته الحربية. وبالنسبة إلى هذه الخلفية فالجدير ملاحظته كيف أسهم وشارك عمرو في النزاع؟ ثم كيف كان مسؤولاً عنه فإن ذلك يفترض شهرة متزايدة وبروزاً كبيراً، كذلك في هذا الشق من الرواية.

ان صياغة الرواية بشأن خديعة عمرو الحربية في القرآن يصعب استطلاع جميع تفاصيلها. وكما رأينا إنها ليست حقيقة عند النجاشي، وإنه ليس بوسعنا التحقق من وجودها بالعرض الكامل حتى اواسط القرن الثامن عند مؤرخين أمثال جابر بن يزيد الجعفي[1]. وعند ابي مخنف[2]. لذلك فمن الواضح إنها ترجع إلى الفهم اللاحق للنقل الكوفي، وان قصة خديعة عمرو وحيلته في أذرح ينبغي ولذلك الغرض ان ترجع أيضاً إلى هذا البناء فقط. كانت هذه الحادثة العرضية غائية عند الشعراء المبكرين جداً، وتظهر بشكل غير مباشر في شعر الأسود بن الهيثم التي بواسطته دخلت في قصص أو روايات عوانة بن عبد الحكم وأبي جناب الكلبي ويحتمل أيضاً الشعبي. بهذا التمييز بالتضاد contradistinction لدينا من الجانب السوري .عند صالح بن كيسان والزهري .، وهما نسبيا متعاصرين مع الاحداث، اعتراضات فعالة ضد هذه الرواية ولهذا السبب بالذات فإن هذه الحادثة تحتوي بشكل خاص على أوجه ومظاهر دينية ومعنوية للنزاع ومن ثم فإن كلا الحادثتين هما من صنع الخيال كالتحول في الرواية الكوفية بشأن خطوة المبادرة للتمرد السوري فقد تحولت من معاوية إلى عمرو. فلابد انهما نشئتا في حقبة مبكرة نسبياً، ربما في عقود حول سنة ٧٠٠م.

---

(١) واقعة صفين ص٥٤٦ وما بعدها.

(٢) الطبري مجلد١ ص٣٣٢٩ (كيتاني مجلد٩ ص٤٧٢). وكما اسلفنا ذكره في اعلاه، ان هذه الرواية موجودة أيضاً عند الزهري. وإنها من المحتمل قد اقتبست من النقل الكوفي- ويظهر من هذه المراجعة من وجهة النظر هذه بأنني لا أوافق مناقشة ال. فيسيا فاجيلري Vagleiri حول صحة الحادثة والواقعة (فاجيلري جـ١ ص٢٤ هامش٢). والحقيقة التي تعرفها اكثرية المصادر ان الرواية لايمكنها ان تكون فاصلة أو حاسمة في الحكم.

ومرة أخرى مما لاشك فيه ان المواصفات الشخصية لمعاوية تشكل الأساس ولها الاولوية في عملية التكييف والتعديل هذه، فحلمه كاسلوب للتعبير عن تسامحه وانتهازه الفرص، قد اتخذ تدريجياً شخصية المتأثر والمؤثر فيها، إنه ضعيف المقدرة أو ضعيف الكفاية وكان معتمداً كلية على دهاء عمرو بن العاص. ان اساءة استعمال معاوية للحلم أو تحريف حلم معاوية إلى جبن جدير بالازدراء أمام اعدائه ويمكن ملاحظته بالفعل عند الشعراء وعند الشعبي[١]، وتتباين بالمغايرة مع سجاياه بالفتوة والفروسية والشجاعة التي نسبتها الرواية عبر السنين لعلي[٢]. وكذلك نرى في نفس الوقت اختلافاً صارخاً ونوعياً ودينياً قد ثبت بين الفريقين .ويظهر من العناصر في الروايات الثانوية كيف ان بواعث ودوافع معاوية في تمرده ضد علي تفقد جوهرها الديني كما تغلغلت دنيوية وانهماك عمرو بن العاص بشؤون الدنيا بشكل لا نهاية له تماماً في الرواية. ونتيجة لذلك فإن النزاع خضع لتغير كلي في الوصف والخصيصة فإذا كان من الممكن البرهنة على إجراء معاوية في الانتقام بأخذ الثأر على إنه مجرد ذريعة، فإن شرعيته في تولي السلطة ستكون موضع شك أيضاً.

مثل هذه التغييرات والتحولات التي كان بوسعنا اقتفاء أثرها في النقل المبكر جداً تبدو إنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعملية صياغة الرواية نفسها، وإنه من الصعب العثور أو إيجاد خطا ثابتاً وقوياً للتطور. وان الأحداث الحقيقية قد حجبت وسترت وراء المباني الجدلية المبكرة. فعند بعض الشعراء وعند صالح بن كيسان والزهري والشعبي بإمكاننا متابعة الأفعال الانعكاسية اللاارادية في المناقشة والمجادلة حول الموافقة الدينية لسلوك معاوية، وحول احتمالية مشاركة علي في مقتل الخليفة وحول تبرير وتسويغ الاصرار على ان معاوية، خلافاً لعلي، يتمكن من اعادة تأسيس التوافق العام الخليط

(١) ينظر البلاذري: معاوية رقم ١٣٢.

(٢) ينظر نولدكه (بحثه بالالمانية: Zur tendentosen gestaltung der urgeschichte Islam ص٢٨ وما بعدها من الصفحات جزء ٥٢ (١٨٩٨) المنشور في Acta Orientalia (ZDMG) جزء٢٣ ص٦٨ وما بعدها.

والاتفاق الذي قد حطمته واحبطته الفتنة concordia omnium. التهمة المتأخرة والثانوية والنزعة الدنيوية لبواعث ودوافع الوالي السوري إذن هي مجرد نتيجة منطقية للتطور الذي قد وقع بالفعل. ومن الناحية التاريخية الزمنية، فإن تشكيل وصياغة الرواية العربية قد امتد على مدى جيل أو جيلين. والدليل المبكر جداً على هذه المناقشة التي تتعلق بخلافة علي موجودة عند شعراء من أمثال كعب بن جعيل والنجاشي، أي احتمالية ان تكون في السنوات المتأخرة من حكم معاوية. ولكن بالفعل فإن طريقة هؤلاء الشعراء في تقديم المشاكل تكشف عن خليط خاص مجمع من مصادر مختلفة آثار أو نبرات اولية وثانوية، التي كانت موجودة عند الرواة من الجيل التالي، صالح بن كيسان والشعبي. فالمادة التي تحت تصرفنا تظهر بوضوح ان النزاعات التي انبثقت ونتجت عن مقتل عثمان لم تزل ذات شأن وأهمية متواصلة current interest بعد وفاة علي واقامة الخلافة الاموية.

تتزامن نشأة أصول الرواية التاريخية زمنياً مع تشكيل المعارضة الشيعية في الاقاليم الشرقية حتى العقود الأولى من القرن الثامن الميلادي. وان أقدم رواية كوفية تؤكد على التضامن خلف قضية علي باعتبارها لبّ الشيعية المبكرة جداً[١]، والمقاومة وبداية حدوث الانتفاضات ضد الأمويين، هي، كما نعتقد، تعزى أو تنسب إلى البغض الشديد للقبائل العربية العراقية في عودة سياسات الخلافة المدينية[٢]. ان أول ثورة شيعية خطيرة حقاً وقعت سنة ٦٨٥ ـ ٦٨٧م. وكان يتزعمها المختار بن أبي عبيد الثقفي

(١) النوبختي ص١٥ وما بعدها من الصفحات (مجلة تاريخ الاديان Revue de L;histore Paris) Religions جزء١٥٣ ص١٩٤ وما بعدها من الصفحات. الطبري مجلد١ ص ٣٣٥٠- ٣٣٥١ (كيتاني مجلد٩ ص٥٤٢). وعلى أية حال فإن الوقار والتبجيل الديني بالكاد أدى أي دور بعد، حتى وان كان هناك طرق للتأثير في ذلك المجال (ينظر النوبختي ص١٩ وما بعدها ومجلة RHR مجلد١٥٣ ص١٩٩ وما بعدها) فريدلاندر FriedLaender: ابن سبأ جزء٢ ص٢٧ وما بعدها من الصفحات؛ هوجسن Hodgson في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة جديدة) مجلد١ ص٥١؛ ينظر أيضاً موسكتي Moscati's (بالايطالية) 'Par una storia dell antica Sia' (حول التاريخ القديم للشيعة) في مجلة Rivista degll studi orientali (روما) ص٢٥٥ وما بعدها من الصفحات.

(٢) فلهاوزن (بالالمانية) Die religios- politische oppositionsparteien im alten islam (المعارضة السياسية- الدينية في الإسلام) (١٩٠١) ص٥٥-٧٤.

الكوفي، وهي لم تكن موجهة ضد الأمويين فقط. إنما أيضاً ثورة تشابكت فيها تيارات واتجاهات دينية واجتماعية. فمن الناحية الدينية كانت الامامة بعد وفاة علي ووفاة أبناء فاطمة الحسن والحسين قد انتقلت إلى أخيهم غير الشقيق محمد بن الحنفية، وان فكرة المهدي .هو الموجه السماوي والالهي تنسب إليه .وهكذا فقد اندمجت وتجسدت فكرة المهدي بالامامة. وقد احرزت الثورة على أهمية اجتماعية وذلك بحادثة لم يسبق مثلها إذ التحق بها الموالي، وهم الاتباع من غير العرب، أي الذين اعتنقوا الإسلام دون الحصول على أية امتيازات[1].

أيضاً فإن هذه الثورة قد قمعت، غير ان العواقب والتشعبات لهذه الحرب الأهلية الثانية قد بقيت حتى سنة ٦٩٢م. وعلى أية حال فقد كان خلف هذه الثورة وخلف الهدوء النسبي الظاهر على السطح في العراق في عهد عبد الملك (٦٨٥ ـ ٧٠٥) والوالي الظالم والجائر (heavy handed). الحجاج بن يوسف* دعايات واشاعات مثيرة للهيجان والانفعالية من كلا الجانبين. فمن الناحية السياسية فإن هذه العقود قد تميزت واتسمت برد فعل بعد الحرب الاهلية، تمركز الجيش السوري وعسكرته في العراق، وتعريب الادارة وجعلها مركزية. ففي هذا المحيط بالذات صيغت الرواية التاريخية؛ ومنذ البداية فقد حملت هذه الرواية طابع العلامة المميزة في الجدالات العنيفة بين وجهات النظر السورية والعراقية التي تركت وتخلت تدريجياً المشاكل التي قد كانت سائدة ومهيمنة خلال الحرب الاهلية الأولى وتحولت إلى مناقشات تتعلق بسياسات

---

(١) النوبختي ص ٢٠ وما بعدها من الصفحات (مجلة RHR جزء١٥٣ ص ٢٠٠ وما بعدها من الصفحات) ديللافيدا في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة أولى) مجلد٣ ص٧٧٣ وما بعدها من الصفحات وحول مفهوم أو فكرة المهدي ينظر دي. بي. مكدونالد Mac Donald نفس المصدر دائرة المعارف الاسلامية (طبعة قديمة) مجلد٣ ص ١٢٠ وما بعدها.

* الحقيقة ان الأستاذ بيترسن يعتقد ان الامامة حسب الامامية الاثنى عشرية قد انتقلت إلى محمد بن الحنفية وهذا غير وارد لأن الأمام علي بن الحسين(ع) زين العابدين هو الأمام الرابع وان محمد بن الحنفية لايعدّ اماماً لأنه لم يكن من خط ابنة رسول الله(ص) فاطمة الزهراء. وواقع الحال ان المختار حاول الحصول على شرعية من الإمام السجاد لثورته ولكنه لم يفلح فتحول الى محمد بن الحنفية بهذا المسعى، ومع ان محمد بن الحنفية لم يعطه جواباً مباشراً لكنه ابدى ارتياحاً لثورة المختار [المترجم].

ومسوغات الخلافة الاموية. ان صياغة وتشكيل الرواية التاريخية تكمن قبل كل شيء في انعكاسات النزاعات السياسية والدينية في عصرها، ولهذا فليس هناك إلا شكاً قليلاً جداً على ان الرواية بحد ذاتها كانت نتاج الحالة السائدة.

إذن فمن السمات الأكثر وضوحا في نشأة الرواية التاريخية مسحتها الجدلية العنيفة. وفي الغالب جداً نلاحظ ان الشعراء السوريين والكوفيين يسعون ويجدّون في دحض وتفنيد احدهما الآخر بعبارات لاذعة mordant، بعد ذلك فقد شكّل وصاغ فيها الرواة المدنيين والكوفيين النقل ولذلك فإنها سوف تتناقض أو تتعارض مع رواية الفريق الآخر سواء في الحقائق أم في التاريخ الزمني. نحن نعلم من غير ريب البتة ان كلاً من صالح بن كيسان والزهري كان لديهما علاقات واتصالات مع بلاط الخليفة في دمشق، والظاهر ان صالح بن كيسان كان مصاحباً وملازماً لعمر الثاني بن عبد العزيز (٧١٧ ـ ٧٢٠م) وذلك عن طريق روابط الصداقة الشخصية فضلاً عن إنه كان مؤدب ومعلم اولاده[١]. أما الزهري فكان أيضاً على اتصال بالبلاط وقد عيّن قاضياً ليزيد الثاني (٧٢٠ ـ ٧٢٤م)، وان هشاماً (٧٢٤ ـ ٧٤٣) قد عهد إليه تعليم ابنه[٢]. ونعرف من تلميذه معمر بن راشد (المتوفى ٧٧١م) ان الولاة قد جعلوه يعير اسمه في روايات كاذبة ومؤيدة للامويين[٣]. وإلى ابن راشد فإن هذا النهج كان مميزاً بشكل أساس بشهادة ومرجعية

---

(١) شبرنجر، أي: بحثه بالانجليزية ملاحظات حول تحقيق الفريد فون كريمر للواقدي Notes on Alfred von kremer's edition (في JASB جزء ١٩٥٦/٢٥) ص٢٠٨؛ ديللافيدا المصدر السابق ص ٤٣١ هامش ٢.

(٢) ينظر هيروفتز J.Horowitz: بحثه بالانجليزية (التراجم المبكرة للرسول ومؤلفوها The earlies biographies of the prophet and their Authors في مجلة IC (الثقافة الاسلامية) جزء ١١/ ١٩٢٨ ص٣٣ وما بعدها من الصفحات، (نشر هذا المستشرق الالماني فصول الكتاب في مجلة الثقافة الاسلامية بالانجليزية (IC) سنتي ١٩٢٧، ١٩٢٨. وقد ترجم الدكتور حسين نصار هذه الفصول بكتاب عنوانه «المغازي الأولى ومؤلفوها» طبع في القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٤٩ [المترجم]. الدوري: الزهري ص١١ وما بعدها. من الأمور الغريبة والمتميزة إلى حد ما ان الخلفاء السوريين يبدو إنهم لم ينتفعوا من الرواة السوريين، وان علماء المدينة اخذوا على عاتقهم الدفاع عن الامويين وربما يرجع سبب ذلك إلى نزعة الشك بالنسبة إلى المعارضة العراقية والنظر إليها بأنها تخالف المصالح الحجازية.

(٣) جولدتسيهر: دراساتُ محمدية (بالالمانية) Muhammedanische studien جزء٢ ص٣٣ وما بعدها من الصفحات، Acta Orientalia جزء٢٧ ص٩٩ وما بعدها من الصفحات.

الزهري، وعلى أية حال فإنه بحسب معرفتنا ليس هناك من تعارض في التوكيد بأن معمراً، ومهما تكن الظروف، قد استخدم قلمه ببراعة لخدمة وجهات النظر الاموية.

حتى وان تميزت الرواية المبكرة جداً .الكوفية منها والمدنية على حد سواء . بمنهجها ونظامها الانتقائي، فإن أداءها يظهر قبل كل شيء رأياً متحزباً أو موالياً، ومنهجياً فإن تشكيل أو قولبة الرواية قد تميز بعلامة التوفيق والبناء. ونحن في الغالب وفي جميع الروايات نلاحظ كيف ان عناصر رواياتهم، صدقاً أم كذباً وزيفاً، ان هي إلا تسلسلا في الكينونة والوجود الجمعي ويمثل وجهات نظرهم الخاصة وتحمل اسمائهم ومرجعياتهم[1]. فكان الزهري قد قبل بصدق الخبر العراقي عن خديعة عمرو في القرآن التي استخدمها دون الإشارة إلى مصدره، وهو صالح بن كيسان والشعبي، وإنه قد زاوج وربط الروايات الصحيحة والمشكوك في صحتها بالنسبة إلى اجتماع التحكيم في كلٍ واحد. ووراء ذلك العمل نجد المعلومة التاريخية عبر القنوات الشفوية والتفصيلات البنيوية .لاسيما حول شخصية عمرو بن العاص .التي لافائدة واقعية للمؤرخ منها، إلا إنه بمهمة وبوظيفة مدروسة ومتأنية في إحداث رأي عام في المرحلة الانتقالية من القرن السابع الميلادي.

- ٣ -

المراحل الثانوية للرواية في العهد الاموي

الأجزاء التي صار بوسعنا ان نلفت النظر إليها في القسم السالف بهدف تحديد وتقرير نشأة الرواية التاريخية بيّن ويؤشر إلى إنه حتى في المراحل المبكرة جداً كان النقل حول خلافة علي قد خضع لتحولات واقعية وحاسمة نتيجة لتضمينه في الجدالات السياسية العنيفة المتعلقة بالأحداث الجارية خلال العقود القريبة من سنة ٧٠٠م. ولم تخضع هذه الحالة إلى أي تغيير في الخمسين سنة الأخيرة من الهيمنة

(١) عن الزهري ينظر الدوري: الزهري ص٨

الاموية، فالتناشز واللاانسجام الاجتماعي والديني من ذلك التناشز قد وجدت أول بذوره في ثورة المختار في سنة ٦٨٥م .قد تعمق أولاً وقبل كل شيء بسبب بداية أسلمة Islamization المجتمع الذي احدث وولّد مصاعب ومشاكل خطيرة وجدية. فالقبائل العربية في العراق وبلاد فارس قد تمثلت واستوعبت بشكل خالص، وان اهالي البلاد المفتوحة قد اعتنقوا الإسلام تدريجياً، ولهذا فإن الضرائب سواء كانت ضريبة الأرض على الاراضي التي أصبحت في حوزة العرب أم الجزية المفروضة على الموالي قد عينت وشكلت تمييزاً اجتماعياً ودينياً، وهو التمييز الذي لم يظهر للعيان مباشرة وفوراً ضمن بنية وإطار المؤسسة العسكرية والارستقراطية التي قد أسستها سلطة الخلافة. فالأمويون قد أفلحوا، على نحو لا يمكن انكاره، في ابتكار مبادئ وقواعد للضرائب لحل هذه الازمة والمعضلة ولكي يمهدوا الطريق أمام تسوية مثل هذه المصاعب والمعضلات كما أحدثت في قواعد وأحكام العهود القديمة. ومهما يكن فإن الحلّ جاء متأخراً جداً لكي يدفع اذى ويمنع من انفجار الضغينة والحقد الكامن أزاء الخلافة السورية.

مثل هذه المتغيرات قد خضعت لها الجماعات المتطرفة (الغلاة، الرافضة) في مستهل عقود القرن الثامن الميلادي وبرهنت على جدّية العوامل في حركات المعارضة الشيعية. واعتماداً على الرواية فإن هاشم بن محمد بن الحنفية قد نقل قبل موته في ٧١٦م حق المطالبة بالامامة إلى محمد بن علي العباسي[١]. وهكذا فإن فرعاً

---

(١) النوبختي ص٢٩ وما بعدها، ص٤٢ وما بعدها، ص٤٦ (RHR جزء١٥٣، ص٢١١ وما بعدها؛ ص١٥٤ وما بعدها وص٨٣ وما بعدها)؛ موسكاتي، S. Moscati مقالة أبو هاشم في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة ثانية) مجلد١ ص١٢٤ وما بعدها. والرواية اعتماداً على موسكاتي، ربما تكون صحيحة، فعلى الرغم من إنها عموماً تفترض إنها انعكاس لمحاولة العباسيين في شرعنة post festum توليهم السلطة. وان حركة المقاومة هذه قد سميت بعد (أبو هاشم)، وليس كما تدافع عنه أحياناً الرواية، إنها جاءت بعد اسم الجد الأعلى المشترك لمحمد وعلي والعباس؛ ولكن التسمية في النقل كثيراً ما تستخدم، كما سنعود إليه لاحقاً، لتأسيس وبناء وحدة بني هاشم ضد خصومهم. ينظر عن التالي فلهاوزن kingdom ص٤٩٢ وما بعدها من الصفحات، كذلك كتابة المعارضة ص٩٣ وما بعدها من الصفحات ومسح برنارد لويس لوجهات النظر الحديثة في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة جديدة) مجلد١ ص١٥ وما بعدها.

مهماً من الشيعة المتطرفة صار تحت الزعامة العباسية في حركة الهاشمية، الذي نظم في حوالي سنة ٧١٨م حملة دعاية واعلان من الكوفة ضد الأمويين في العراق وبلاد فارس، وفي الوقت نفسه فقد تبنى الشيعة عددا من المفاهيم والأفكار الدينية أو المهدوية messianic من الموالي. وعلى اثر الاعلان والدعاية الكثيفة والمركزة فإن حركة التمرد المتميزة ضد الامويين قد انطلقت من خراسان في سنة ٧٤٧م وبعد ثلاث سنوات سببت بالفعل في سقوط الخلافة السورية. وفي هذا الخصوص ان الأهمية العظمى هنا أيضاً تتمثل بالهدف الأول والأساس للاثارة والهيجان الشيعية والهاشمية كان لتأسيس وتعيين الحق الشرعي لأهل بيت النبي للخلافة وكذلك الادعاء بحق شرعية قد وضع التنفيذ عملياً انموذجا اخلاقيا للإسلام. لقد اعتبرت المعارضة الخلافة الأموية إنها يتعذر التوصل معها إلى تفاهم وتسوية. فالخلافة السورية قد تطابقت هويتها مع المجتمع العربي القبلي. ولقد طبعت بسمة الملكية الدنيوية (ملك) بجذور تمتد إلى وثنية (جاهلية) العرب قبل الاسلام، فهي من وجهة النظر الدينية لاتنسجم بالمرة مع المبادئ الاسلامية الأساسية والاخلاقية والدينية[1].

ان الصدام والصراع الايديولوجي للاقاليم الشرقية المنتصرة مع اعدائهم السابقين بالصراع المثير حتى الغثيان ad nauseam وذلك لما اقترفوه من اضطهاد قاسي وعديم الرحمة للأمويين وهو معروف في النقل في الحديث لأنهم حولوا مجتمع محمد الثيوقراطي (المديني) إلى مجتمع دنيوي (ملك) وكذلك لأنهم انتهكوا الاستمرارية الدينية من النبي باغتصاب السلطة للالحاق الضرر بعلي[2]. فالفتنة الكامنة والتوقعات غير المتحررة من الخطيئة بالنسبة إلى الخلافة المقبولة من الله من غير شقاق داخلي سيحتاج لهذا السبب باستمرار إلى شرح وتفسير في ضوء الصراعات والنزاعات الحالية، وهو تفسير اتخذ في الكتابة التاريخية صيغاً واشكالاً من العنف والقساوة

---

(١) Historika Tidsskrift (كوبنهاكن) مجلد ٢ ص٤٦٦ وما بعدها.

(٢) ينظر جولدتسيهر: دراسات محمدية جـ٢ ص٣١ وما بعدها من الصفحات؛ لامانس: معاوية ص١٨٩ وما بعدها من الصفحات.

المتزايدة دائماً. والتحول الجدي والحاسم في الرواية المبكرة جداً له علاقة بالمسؤولية المعنوية والاخلاقية في تمرد معاوية. فالخطوة الأولى في الإجراء السوري قد نقل إلى عمرو بن العاص، وهذه كانت باعثاً على التغاير أو التباين مع مسحة دينية قوية بين الفريقين، وهي التي جعلت تبرير تصرف معاوية يظهر إلى حد ما بأنه أمر مشكوك فيه وغير مؤكد[١]. وعلى أية حال فمن الممكن متابعة واستطلاع تفاصيل نتائج اعادة الصياغة هذه عبر العصر الاموي الأخير في صيغ متنوعة الأشكال.

وهذا الاتجاه ملحوظ بالكامل عند عوانة بن عبد الحكم الكلبي[٢] من غير حذف واختصار. ففي إحدى المسائل كان عرضه متطابقاً ومتماثلا مع الشعبي: .رسالة الخليفة قد سلمت من قبل جرير بن عبد الله يخبر ويعلم فيها معاوية ان الخليفة قد تلقى يمين الولاء من المهاجرين والانصار. وفي مسألة أخرى فإنه يختلف عن الشعبي بأنه يتغاضى كليا عن جوهر الأمر وصفته المميزة الموثوقة والمقرة للانتخاب، الذي يلزم معاوية الطاعة أيضاً، فقد اكتفى بالإشارة فقط إلى مصير كل من طلحة والزبير. ففي هذا الاختصار والبتر فقدت قصة عوانة غايتها وفاعليتها تماماً وعلى الضد فإن روايته قد كشفت على ان المناقشة لم تعدّ موجهة وتدور حول شكوك معاوية الدينية التي عبّر عنها بخصوص طلبه في اقامة الشورى. فالتكييفات والتعديلات المتحيزة التي اخذها على عاتقه هنا تبدو وكأنها منسجمة تماماً مع صمت عوانة بشأن مغزى دوافع وبواعث معاوية. فإن معاوية قد تردد في إجابة جرير بن عبد الله وذلك بغية كسب

---

(١) ومع ذلك فمن الممكن تصوره أن الجماعات التقية كانت ترغب بهذه المباني تجنباً وتفادياً لادانة وشجب معاوية بشكل مطلق تماماً، فمعاوية بعد كل هذا ينتمي إلى صحابة النبي، كما إنهم ارادوا تفادي الصدع في استمرارية المجتمع الارثوذوكسي (السني) برفض الدولة الاموية على إنها دولة غير شرعية

(٢) عن الأخير ينظر مرغليوث: محاضرات ص٨٣، د. صالح العلي في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة جديدة) مجلد١ ص٧٦٠ ان روايات عوانة ذات وجهة النظر الشخصية قد قدمت بصورة مختلفة اختلافا شديدا في المصادر التراجمية، يبدو إنه كان موالٍ للأمويين وموالٍ لعثمان أوانه شيعي متطرف (علوي، عضو رئيس في الفرقة النصيرية). ولكن لم يثبت أي من هذه النعوت في المادة المتوفرة لدينا. فهو ليس عثمانياً كما اظهر مثلاً البلاذري: معاوية رقم٥٥، في حين ان موقفه أزاء الشيعة المتطرفة كان غامضاً، كان عوانة بشكل أساسي ضد الأمويين.

الوقت لاستدعاء عمرو، الذي قد نصحه بأن يستميل السوريين إلى جانبه عن طريق «القاء اللوم fasten بدم عثمان على علي»[١]. وهكذا فإن إجراء السوريين قد أصبح مجرد ذريعة لرفض والتبرأ من طاعة علي وبناء على ذلك يصبح غير شرعي.

وفي عرض عوانة يصبح عمرو بن العاص الشخصية المركزية والقيادية. وعند البلاذري سبق ان أعطينا وقدمنا الاداء الكوفي لاجتماع التحكيم باسم عوانة[٢]، وأيضاً فمن اللافت للنظر نجد هنا لأول مرة اتهامات موجهة ضد كل من عمرو ومعاوية بأنهما قد خذلا عثمان. فاعتماداً على عوانة ان عبد الله بن عباس قد رفض وانكر الاتهامات الموجهة ضد علي بالاشتراك في جريمة قتل الخليفة وذلك لأن معاوية نفسه قد تردد حينما استغاث الخليفة الممتحن distressed بمعاوية من أجل المساعدة، في حين كان عمرو الذي اشترك في اثارة الهيجان ضد عثمان، قد هرب إلى فلسطين في الوقت المناسب[٣]. وبالكاد هناك أي سبب يجعلنا نعتقد ونصدق هذه الحكاية، التي لم تظهر حتى المراحل الثانوية للرواية، ويحتمل إنها عديمة القيمة ولاشيء فيها سوى إنها نتاج الجدالات العنيفة ضد السوريين من أجل اقامة الدليل وتثبيت توكيداتهم اللامبررة. والمسألة الحاسمة هي إنه في هذه المرحلة من تطور الرواية فإن طبيعة الصفة المميزة لحقيقة النزاع قد تلاشت واضمحلت بالمرة، وتمرد معاوية وعمرو اعتماداً على هذه الرواية كان دنيوياً وإلى حد بعيد غير شرعي على نحو بيّن.

والواقع إنه من الجدير بالملاحظة ان التحولات والتغيرات في الرواية التي استطعنا ملاحظتها حتى الآن كان لها تأثير bearing قليل نوعما على النظام التاريخي الزمني في النقل العراقي. والاستثناء الأكثر أهمية في هذا المجال هو الشعبي وسلسلة طويلة من

---

(١) الطبري مجلد ١ ص٣٢٥٥- ٣٢٥٦ (كيتاني مجلد ٩ ص٢٣٤). لا مجال فيه للبحث ان الطبري قد اجرى اختصاراً للرواية، على الرغم من إنها غير محتملة.

(٢) البلاذري ص٥٢٥، ينظر كيتاني مجلد ١٠ هامش ٤ إلى هامش ١٨ وص٢٤

(٣) البلاذري، معاوية رقم ٢٥٥. وتظهر نفس الرواية عند محمد بن السائب الكلبي المعاصر (طبري مجلد ١ ص٢٩٨٥- ٢٩٨٦. كيتاني مجلد ٨ ص١٦٦ وما بعدها من الصفحات؛ ينظر Acta Orientalia مجلد ٢٧ ص٨٩ هامش ٥؛ ويتقارب هذا أيضاً عند عيسى بن يزيد [ينظر ص ١٣٠-١٣١ من الكتاب المترجم].

المحدثين التابعين الذين قد أرّخوا لاجتماع التحكيم إلى الوقت الذي حددته رسالة الصلح، وأرخ مكاشفة الخوارج وحسم النزاع معهم لتقع ولتحدث بعد ذلك الحادث. من الجهة الأخرى فإن رواية الشعبي وهي الرواية الثانوية العراقية، والرواية السورية - المدنية جميعها متفق عليها بان ذلك الصدع في العلاقات بين علي ومعاوية لم يحدث حتى وقت اقامة جرير بن عبد الله المؤقتة في سوريا، واقصد بعد معركة الجمل. ونادراً ما نجد في النقل العراقي المبكر جداً، أية معلومات اضافية حول احتكاك واتصال بين سوريا والعراق قبل هذا الوقت[١]؛ ان المقدمة والافتتاحية التي قدمت في سياق كلام عمرو بن العاص قد نزعت إلى تأكيد وتثبيت الاجتماع بخصوص تاريخ ذلك الصدع. وفي رواية سابقة لأبي مخنف، التي ترجع إلى تاريخ متأخر إلى حد ما .إذ يحتمل ان هذا العالم قد توفي سنة ٧٧٤م[٢] .سنجد عرضاً مختلفاً تماماً. وهنا حيث نلتقي لأول مرة بخبر ورواية بصيغة حكاية تقول بأنه بعد انتخاب الخليفة مباشرة فإن المغيرة بن شعبة نصح علياً بأن يحتفظ بمعاوية في ولايته وان يوزع المصرين، الكوفة والبصرة، على طلحة والزبير بغية تهدئتهما وإشباع رغباتهما pacify، غير ان الخليفة رفض هذا

(١) على أية حال ينظر [ص١٨٠-١٨١].

(٢) يعطي روزنثال تاريخاً لوفاة أبي مخنف بحوالي ٢٢٣هـ/ ٨٣٧- ٨٣٨ (علم التاريخ بالانجليزية ص٦٣). وهو من الصعب ان يكون صحيحاً. واعتماداً على الطبري (فلهاوزن kingdom ص٢٤٦ وما بعدها) كان أبو مخنف صديقاً لمحمد بن السائب الكلبي (المتوفى ٧٦٣م)، وهذا أيضاً يتسق مع حقيقة ان هشام بن محمد الكلبي (المتوفى ٨١٩ أو ٨٢١) قد اقتبس منه مباشرة، وإنه نفسه يقتبس ويستشهد بالشعبي عن المجالد بن سعيد (المتوفى سنة ٧٥٢ أو ٧٥٣م) ومن محمد بن اسحاق (المتوفى ٧٦٨م). وحول أبي مخنف ينظر اج أي ار. كب في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة جديدة) مجلد١ ص١٤٠ مع ذكر المراجع.

[اعتماداً على مصادر الرجال الأساسية إنه أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الازدي الغامدي المتوفى سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٤ (لا ٢٢٣هـ كما ذكر روزنثال). يقول عنه ابن النديم ((قالت العلماء أبو مخنف بأمر العراق واخبارها وفتوحها يزيد على غيره (الفهرست، تحقيق يوسف علي طويل؛ بيروت ١٩٩٦) ص١٤٩-١٥٠)) ووصفه ياقوت الحموي بأنه ((كان راوية اخبارياً صاحب تصانيف في الفتوح وحروب الإسلام)) (معجم الادباء/ تحقيق مرغليوث، بيروت، جزء١٧ ص٤١). علماً ان علماء الجرح والتعديل ولعله لأسباب مذهبية إذ إنه شيعي، قد اتفقوا على إنه ضعيف وغير ثقة وفي عدد من الحالات يشيرون إلى إنه متروك الحديث (ابن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل، بيروت ١٩٥٢ جـ٧ ص١٨٢؛ الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال بيروت ١٩٩٥ جـ٥ ص٥٠٨) والواقع إنه في رواية الاخبار لا يجاريه أحد والنجاشي في رجاله يصفه بأنه «شيخ أصحاب الاخبار بالكوفة ووجههم» (رجال النجاشي/ طبعة خامسة رقم ١٩٩٥)] [المترجم].

العرض وذلك باقتراح من عبد الله بن عباس(١). فضلاً عن هذا فإن الخليفة بعث رسولاً إلى معاوية لغرض الحصول على اعترافه؛ غير ان الوالي السوري رفض الاذعان، لذلك فإن المبعوث عاود بمقولة إنه «جاء من عند أناس أكدوا بأنك (يا علي) قد قتلت عثمان، وإنهم سوف لن يقر لهم قرار أو يستريح بالهم حتى يقتلوك أخذاً بثأره»(٢).

وهكذا فإن أبا مخنف قد ربط إجراء معاوية وفعل مع نهوض العثمانية. ان رفض معاوية السريع والفوري لطلب الخليفة الجديد المنتخب في البيعة وقيامه بمهمة الوالي بحكم طبيعة الحال Ipsofacto بصورة غير شرعية. ان هذا ينسجم تماماً مع قول أبي مخنف: .عندما طلب طلحة والزبير إذن الخليفة بالذهاب إلى العمرة، سألهما علياً فيما إذا كانا قاصدين العراق أو سوريا(٣). وبصرف النظر عن هذا التدوين المتزامن والمتوافق واقعياً لتسلسل أبي مخنف للتمردين فلا يمكن تحميلهما أكثر من ذلك فحالما ترك طلحة والزبير المدينة حتى تراجعا عن البيعة، واثارا ورفعا طلب الثأر بدم عثمان، واستوليا على البصرة. واعتماداً على أبي مخنف، فقد بقيت مكة والمدينة والكوفة موالية لعلي، في حين شدّد على التصارع المتبادل بين المدعيين [طلحة والزبير] على السلطة. وارتباطهما بجماعة المتقين القدامى في المدينة.

ومن الجهة الأخرى فإن أبا مخنف لم يعرف شيئاً عن بعثة جرير بن عبد الله البجلي إلى سوريا. وبدلاً عن ذلك، فإنه يورد تعليقات متبادلة ومفصلة، وهي في الكثير من النواحي مجرد تكرار وإثارة لصراع المصالح بين عائلة محمد والأمويين تلك التي بالفعل قد عرفنا عنها عبر المصادر العراقية الأخرى. فقد اتهم معاوية في رسالته إلى

---

(١) البلاذري ص٤٦٦ (كيتاني مجلد٨ ص٣٣٠)

(٢) البلاذري ص٤٦٧- ٤٦٨ (كيتاني مجلد٩ ص١٩) [أما رواية الطبري التي اعتمد فيها على عمر بن شبة عن أبي الحسن المدائني عن عوانة بن عبد الحكم فإن جريراً أخبر الأمام علي بخبر معاوية واجتماع أهل الشام معه على قتاله- أي قتال الأمام- وإنهم يبكون على عثمان ويقولون:- ان علياً قتله وآوى قتلته وإنهم لاينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه". الطبري م/١ ص٣٢٥٥- ٣٢٥٦ [المترجم].

(٣) البلاذري ص٤٧٢ (كيتاني مجلد٩ ص٦٣) [رواية الطبري عن السري عن شعيب عن سيف بن عمر اكتفت بالقول «ان الاثنين استأذنا علياً في العمرة فإذن لهما". مجلد١ ص٣٠٩١ [المترجم].

الخليفة بضلوعه في مقتل عثمان بذريعة أنه اخفق وعجز باتخاذ الإجراءات ضد القتلة، وكذلك لأنه آوى القتلة[١]. وتحت التهديد بالحرب فإنه الآن يطالبه بوجوب تسليمه القتلة. وواصل معاوية كلامه ليذكّر علياً بأنه قد أبان عن ضغينته أو بغضه تجاه انتخاب الخليفة في الانتخابات الثلاثة السابقة، وبخاصة تجاه عثمان، الذي أقل ما يكون إنه قد استحقها. وقد كذّب علي وانكر في اجابته أي اسهام ومشاركة في المسؤولية عن قتل الخليفة وجادل على ان ادعاء معاوية بالثأر لدم عثمان ان هو إلا مجرد ذريعة هدفها وغرضها الحصول على سلطة دنيوية. وذكّر معاوية بخدمات[٢] بني هاشم في الإسلام وللإسلام وتحملهم المعاناة من أجل الاسلام، وإنه (أي الأمام علي) قد عرضت عليه الخلافة فعلا أثناء وفاة النبي من قبل والد معاوية، أبي سفيان .وهو العرض الذي قد رفضه خشية من ان يكون حليفاً لأناس هم مترسخون ومتأصلون في الجاهلية.

وهكذا يضع أبو مخنف الصدع بين الفريقين بتاريخ قد وقع فعلا مباشرة بعد انتخاب الخليفة، وان هذا قد تحقق بشكل ثابت. وحتى عند الجرجاني نجد اقوالا بشأن المفاوضات قد وضع تاريخها في أشهر ربيع الأول والثاني وجمادى الأول والاخر ويحتمل لسنة ٣٦هـ أي ٢٨ آب .٢٣ كانون الثاني ٦٥٦م، وعلى أية حال فإن التاريخ الزمني هنا (غير مؤكد) إلى حد ما[٣]. إذ اشرف قراء القرآن على المفاوضات وكان

---

(١) البلاذري ص٤٩٤- ٤٩٧؛ ينظر واقعة صفين ص٦١ وما بعدها من الصفحات (كيتاني مجلد٩ ص٢٥٣ وما بعدها) مجلة Acta Orientalia مجلد٢٣ ص١٦٧، ١٦٩ وما بعدها.

(٢) ينظر [ينظر ص ١٧٢-١٧٤ هامش١ من الكتاب المترجم].

(٣) واقعة صفين ص٢١١ وما بعدها من الصفحات؛ ينظر ابن كثير: البداية ص١٤١- ١٤٢ (كيتاني مجلد٩ ص٢٩٣؛ من المحتمل تصحيح محمد بن سعد بعمر بن سعد (سعيد) الذي كان أيضاً مصدراً لابن كثير عن الرواية اللاحقة؛ وعن عمر بن سعيد هذا [ينظر صفحة من الكتاب]. وعند ابن كثير فإن الرواية برمتها قد رفضت تماماً وهي ان ان عمر بن سعيد قد ذكر مباشرة وبعد ذلك في رواية مشكوك فيها بوضوح إن معاوية خوافاً وخشية من ان يعترف قراء القرآن بعلي فإنه قد خدع علياً بتركه موضعه الاستراتيجي المؤاتي في صفين وذلك بالتظاهر بالقيام بعمل تخريبي ضد معسكر العراقيين على نهر الفرات (ابن كثير: البداية ص١٤٢؛ كيتاني مجلد٩ ص٢٩٤ وما بعدها). وان المصنفين من تاريخ متأخر قليلاً يبدو إنهم قد ادركوا التناقضات والتضاربات الزمنية في الرواية. فالاربعة شهور المذكورة في اعلاه ظهرت في اداء ابن كثير فقط، في حين نجدها عند نصر بن مزاحم الثلاثة شهور الأخيرة فقط، وأما الدينوري (ص١٨١؛ كيتاني مجلد٩ ص٢٨٣) فإنه يذكر الثلاثة السابقة فقط.

عليهم ان يعترضوا وان يحولوا دون تشاجر المساهمين فيه من أجل انقاذ المفاوضات من الفشل والاخفاق الكامل. ونتيجة لهذا العرض فإن الجيشين لابد وانهما بالفعل كانا يواجهان احدهما الآخر في هذا الوقت، في حين كان علي منشغلاً بحسم المسألة مع العثمانية. وهذا لايمنع امكانية وقوع مفاوضات موجهة حسب الظروف والاوضاع، حتى وان كانت هذه المعلومات قد افادت أيضاً في إظهار وتوضيح ان معاوية قد أثار حق المطالبة لانتقام بثأر الدم مباشرة بعد مقتل الخليفة. ان ربط مثل هذه المفاوضات بحلقة واحدة مع أحداث صفين لاينطوي على ادانة أو تجريم، وان ظرف اللحظات الأخيرة من الوقت المحدد time limit تتوافق وتتطابق تقريباً مع ظروف معركة الجمل وهذا يؤشر إلى إننا نتعامل مع حيلة ومخادعة جزئية أو كاملة تصور وتوضح مرحلة انتقالية بين أنظمة في التاريخ الزمني للشعبي وأبي مخنف.

هذه الرواية المتعلقة بالمناوشات والمشادّات الكلامية خلال الاشهر الستة الأولى من خلافة علي غير موجودة عند أبي مخنف وبالصيغة الكاملة، ولعل سبب ذلك يرجع إلى إنه ليس من السهل التوفيق بينها وبين عرضه المفصل عن تهيئة واستعدادات الخليفة للحرب، أو ربما بسبب التوقع في رواية أبي مخنف للفعالية الدبلوماسية. ففي نقل موجز ومختصر يتحدث فقط، عن محاولات علي مباشرة قبل صفين في اقناع معاوية بالتخلي عن مشروعه على أساس ان ذلك يرجع في الواقع إلى شهوة ورغبة عاقّة وغير ورعة بالسلطة وإلى إنه يفتقر إلى الورع والتقوى. فقد أرخت المفاوضات في شهر ذي الحجة أي مايس .حزيران ٦٥٧[1]. وهكذا فإن التغيير والتحول في تاريخية زمن الصدع في العلاقات وهكذا فإن له اثر قوي في رواية أبي مخنف، وان تغاضيه واهماله لبعثة جرير بن عبد الله إلى دمشق لابد إنها كانت متعمدة ومدروسة.

إذن فليس هنالك من سبب للاعتقاد والتصديق بتوريخ أبي مخنف وكذلك الملاحظات والتعليقات المفصلة التي قدّمها. ونحن نعلم ان المصادر المبكرة جداً

(١) الطبري مجلد١ ص ٣٢٧٠- ٣٢٧٢ (كيتاني مجلد٩ ص٢٧٤ وما بعدها من الصفحات).

صحيحة ومضبوطة في توريخها للصدع في العلاقات إلى وقت ما بعد معركة الجمل[1]. فضلاً عن هذا يظهر من روايته بأنه كان على معرفة بالمناقشة المتأخرة نوعما التي جرت بين الفرق الدينية السنية والشيعية بشأن موقف علي الفاتر half hearted تجاه الخلفاء الأول وحول موقفه من الخلافة[2] التي لم يرغب بها ولو بقدر ضئيل tilte. وبما ان نهاية الوقت المناسب terminus postquem لاعادة التوريخ هذا للصدع في العلاقات فبوسعنا ان نثبت ونحدد بشكل مؤكد وقت وزمن الحرب الاهلية الثانية، وذلك لأن أبا مخنف يقول حينما تسلم علي رفض معاوية البيعة بعد انتخابه خليفة، تنبأ بسقوط المدينة. ان هذا التنبؤ praedictum post eventum (التنبؤ قبل وقوع الحدث). دون شك يؤشر إلى مذبحة الحرة في سنة ٦٨٣م حينما اوقعت الجيوش السورية ليزيد الأول الهزيمة بأهالي المدينة، الذين كانوا قد ساعدوا ووقفوا إلى جانب ثورة عبد الله بن الزبير[3]. وبعد هذه الأحداث فقدت المدينة تأثيرها السياسي وإلى الأبد، وهي حقيقة تدل ضمناً على ان نتائج هذه الهزيمة في الحرّة كانت متوقعة في الوقت عندما كان أبو مخنف يصوغ روايته.

وفي مقابلة وموازنة بين رواية أبي مخنف .وهي رواية ثانوية بشكل واضح .مع الرواية السورية .المدينة عند صالح بن كيسان والزهري، فإن العنصر الجدلي المعتدل الذي لاحظناه بالفعل وصياغة الرواية يبرز بوضوح مرة أخرى[4]. ان صالح ابن كيسان

---

(١) ينظر سابقا ص٨٥-٨٦

(٢) ينظر نولدكه ص٣٢ وما بعدها؛ بهل Buhl: علي ص١٣ وما بعدها من الصفحات وص٢٢ وما بعدها من الصفحات.

(٣) ينظر مجلة Acta Orientalia مجلد٢٣ ص١٦٦ وما بعدها من الصفحات وص ١٧٠ وما يليها.

(٤) عن الآتي ينظر Acta Orientalia مجلد٢٣ ص١٦٨- ١٧٤.

[محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (المتوفى ١٢٤هـ/ ٧٤١م) يعد رائداً في وضع أسس المدرسة التاريخية المتأثرة بمنهج علم الحديث. إنه لم يقتصر في اهتماماته التاريخية على سيرة النبي(ص) ومغازيه بل اهتم بمفردات من التاريخ الاسلامي كالموضوع تحت الدراسة مثلاً والفتوحات كفتوح مدن حرّان والرها ونصيبين وفتوح مصر وفتوح نهاوند. وكان يجيب على اسئلة الخلفاء الأمويين في الميادين التاريخية. وقد شهر بقوة اسانيده، ولاسيما الاسناد الجمعي. وقد اشاد فقهاء المدينة ومحدثوها بغزارة علمه (ينظر ابن خلكان: وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان (تحقيق د. احسان عباس/ بيروت ١٩٦٧) جزء ٤ ص١٧٧- ١٧٩؛

يسلّم بأن معاوية رفض طلب علي في البيعة مباشرة بعد انتخاب الخليفة وبصيغة حكاية تذكرنا برواية أبي مخنف، وهنا يصعب وجوده دون معرفة برواية الأخير (أبو مخنف). ومهما يكن فهو يؤكد بأن الصدع الفعلي للعلاقات لم يحدث بعد الانتخاب بستة شهور أو أكثر، أي بعد معركة الجمل حينما أثار معاوية ادعاءاته بثأر الدم وحينما حصل على ولاء البيعة كأمير. فهذا التاريخ، الذي لم يظهر عند الزهري ولا عند أبي الفرج ابن العبري، هو أمر محيّر إلى حد ما مالم نستنتج بأن صالح بن كيسان كان على معرفة برواية أبي مخنف.

ليس بوسعنا التحقق من حكم صالح بن كيسان عن تمرد العثمانية. غير إننا بمتابعة الزهري استطعنا ان نوسع ونمدّ متابعتنا للتضاربات والتناقضات في التاريخ الزمني. فصالح بن كيسان يتفق مع أبي مخنف بأن رفض طلحة والزبير الاعتراف ببيعتهما بتركهما المدينة إلا إنه اعتماداً على الزهري فإن المتمردين لم يتركا ولم يغادرا المدينة حتى مضت اربعة شهور من انتخاب الخليفة. وكانا يفكران بالرحيل إلى سوريا، غير انهما حينما علماً بأن معاوية نفسه قد عزم أو فكر في الانتقام لدم عثمان فضّلا الذهاب إلى البصرة. وحول هذه المسألة فإن أداء الزهري على اختلاف وتعارض مع اداء أبي مخنف، فقد فصل نفسه بوضوح عن تحقيق الأخير (أبو مخنف) لهوية تمردي العثمانية ومعاوية .إذ لم يكن بوسعه تكوين رأي عن العثمانية[1]، وان معاوية قد دبّر بعناية الخطط الخاصة به، وان مدة اربعة شهور كفترة فاصلة قد ابتدعت وأحدثت بين الرفض الشكلي والرسمي وبين مغادرة العثمانية المدينة.

واقعياً فإنه من الصعب تصديق أو تصور ان الرواية السورية .المدنية قد صيغت

الذهبي: سير اعلام النبلاء جزء٥ ص٣٢٦-٣٥٠ [المترجم].

(١) يميز ويشخص الزهري بين التمردين، فإنه قد جعل علياً يثبت ذلك على الرغم من انتمائهم المعروف لبني عبد المطلب، وكان عبد الله بن الزبير هو الشخص الذي سبب الانشقاق فعلي والزبير قد تصالحا وسويا خلافهما. والحقيقة ان معركة الجمل قد وقعت برغم ذلك ويعزى إلى تدخل ابن الزبير وإلى رفض طلحة بالخضوع لحكم القرآن كما عرضه علي (الطبري مجلد١ ص٣١٨٤- ٣١٨٧؛ كيتاني مجلد٩ ص١٣٦ وما بعدها). وتقترب وجهات النظر هذه جداً من وجهات النظر العثمانية والمعتزلة. ينظر في الكتاب ص٧٢، ١١٢.

دون معرفة بالرواية الكوفية، فعلى العكس بأن أبا مخنف لم تكن له صلة مع صالح بن كيسان والزهري. ونعتقد بأن الرابطة يمكن ملاحظتها من المحتمل جداً كانت مظهراً من مظاهر الجدال العنيف المتبادل وهذا يتوافق و ينسجم مع الخط الذي سبق بالفعل ان حققناه. ومثل هذه التناقضات والتعارضات في التاريخ الزمني كما سبق ان ثبتناه وبرهنا عليه ستفيد كشرح و تفسير منطقي ومعقول عن التساؤل لماذا لم يعترض كل من صالح بن كيسان والزهري على الاصرار بأن معاوية قد رفض المصادقة فوراً ورسمياً انتخاب علي، على الرغم من انهما يصّران بقوة على مطلبه في الانتقام بثأر الدم ورغبته في انتخاب خليفة جديد لا علاقة له بتمرد العثمانية ولم يقدم عندئذ بل قدم في الوقت الذي سحقت فيه العثمانية. فمن الواضح بالنسبة إلى هذا التفسير فقد آثار أبو مخنف معارضته. إنه يدافع ويؤكد مسؤولية عمرو بن العاص في التمرد السوري، ولكن عن طريق الاخبار عن رفض معاوية الاعتراف بعلي وبواسطة قميص عثمان الملطخ بالدم[1]، فهو يضع الصدع في العلاقات إلى صيف ٦٥٦م. ومن الجهة الأخرى فإنه يستبدل رواية بعثة جرير بن عبد الله بذكر تبادل التعليقات المفصلة وهذا مشكوك فيه كثيراً.

هذا التغيير والتبديل الأساسي في مجرى التاريخ الزمني عند أبي مخنف موازنة بالرواية العراقية المبكرة جداً لابد من الطبيعي ان تكون باعثاً على اثارة تساؤل هو: - لماذا حدثت في هذه المرحلة بالذات من تطور الرواية؟ ومن الواضح ان هذا التبديل والتغيير ثانوي بالنسبة إلى نشأة الاسطورة المتمحورة حول عمرو بن العاص، مع إنها

---

(١) الاغاني جـ١٥ ص٧١- ٧٢ (عن الشعبي، كيتاني مجلد٨ ص٣٠٥ وما بعدها؛ ينظر Acta Orientalia مجلد٢٣ ص١٦٦ مع الهامش رقم٥.

[صالح بن كيسان (المتوفى ١٤٠هـ/ ٧٥٧م) يعدّ شيخ محمد بن اسحاق وأحد الشخصيات المدينية المعروفة بالفقه وراوية الحديث وهو مولى غفار أو مولى لبني عمار. وكان موضع ثقة من علماء الجرح والتعديل. والواقع إنه من البارزين في مدرسة المدينة ولهذا السبب استدعاه الخليفة عمر بن عبد العزيز ليسمع منه الفقه والحديث وجعله مؤدباً لابنائه، ودعاه الخليفة الوليد بن عبد الملك لتأديب ابنه (ينظر طبقات ابن سعد، طبعة ثانية تحقيق زيا محمد منصور، المدينة المنورة ١٩٨٨، ص٣٢٨ القسم المتمم لتابعي أهل المدينة). الذهبي، سير اعلام النبلاء جـ٥ ص٤٥٤ [المترجم].

بالكاد متأخرة كثيراً من الناحية التاريخية الزمنية. فمن المادة المتوفرة لدينا ان أبا مخنف قد قبل بصراحة ومن دون تحفظ ادانة عمرو وشجبه، وان سرد حكايات وأخبار خديعة القرآن وانتهاك حكم التحكيم، قد وقع بشكل كامل العرض في روايته أي في رواية أبي مخنف[1]. حتى وان كان هذا الابداع والإحداث لشخصية اسطورية، كما بينا في اعلاه ينزع، إلى جعل دوافع وبواعث معاوية الدينية مدعاة للشك، فإن أبا مخنف قد ذهب خطوة ابعد من ذلك بإثارة تساؤل عن صرف معاوية عن ولاية سوريا، عندئذ يتلاشى كل الشك في محرك وباعث أبي مخنف، وان عرضه يجعل الأمر واضحاً بأن معاوية، إذا ما صرفه علي عن منصبه، سيدبر ثورة ضده بغية الثأر لدم قريبه.

ومن ثم فهذا التعديل والتبديل الضمني على ان البرنامج السياسي لمعاوية لا وجود له سوى إنه ادعاء وحجة ليخفي وراءه طموحاته الشخصية .وهو خط قد حققه أبو مخنف بكل تماسك وثبات. في حين نجد الجرجاني في روايته عن المفاوضات التي سبقت صفين مع ذلك قد ركزت بشكل رئيسي على الأوجه والمظاهر الدينية للنزاع . تسويغاً وتبريراً لأخذ الثأر ولشرعية انتخاب علي .أما أبو مخنف فإنه شدّد على ان حق علي الشرعي في الخلافة يفوق على أي شخص آخر، بضمنهم معاوية، وذلك بفضل خدماته، ودينه، واعتناقه المبكر للعقيدة الاسلامية وصلة القرابة مع النبي. مثل هذا الخط من التفكير قد نما وتطور أكثر في المناسبات اللاحقة. وعندما دعا عمرو بخديعة وبحيلة القرآن إلى التحكيم، فقد حذّر علي جنوده ومقاتليه بعدم قبوله وذلك لأن على المرء ان لا يثق «بالناس الذين لا تتطابق هويتهم مع العقيدة». كذلك مما يستحق الذكر ان أبا مخنف قد جعل علياً يحذّر عمرو قبل جلسة استماع الحجج بالتحكيم. وكان عمرو يعلم جيداً من هو المحق في النقاش وفي النزاع، وإنه قد جعل من نفسه عدواً لله من أجل احرازه وحصوله على مكسب وربح دنيوي تافه أو

---

(١) الطبري مجلد١ ص٣٣٢٩- ٣٣٣٠، ٣٣٥٤- ٣٣٥٦، ٣٣٥٨-٣٣٦٠ (كيتاني مجلد٩ ص٤٧٢ وما بعدها ومجلد١٠ ص١٨ وما بعدها من الصفحات، ص٢٢ وما بعدها من الصفحات.

خسيس»[1] وحول تبجيل أبي مخنف لعلي تفضي إلى البرهنة على ان وجهات نظره تلائم وهي تخصّ معارضة الشيعة في الكوفة ضد الامويين. ان النقاط الحاسمة والجديّة في هذا الخصوص، على أية حال، هي: .أولاً بواعث ودوافع معاوية هي دوافع وبواعث علمانية ودنيوية بشكل كامل، وثانياً ان طموحات معاوية التي تهدف إلى الخلافة تعدّ غير شرعية وغير قانونية. وان كلاً من معاوية وعمرو لا يتطابقان في الهوية مع العقيدة، وان تبادل التعليقات المفصلة قد ادخلها أبو مخنف محل بعثة جرير بن عبد الله وتصوير الامويين بصورة تهكمية وبأنهم «أناس قد تركوا الجاهلية بشق الانفس». هذا التماثل والتطابق في الهوية للخلافة السورية مع الوثنية قبل الإسلام له أهمية بالغة لأنه يدلل على ان المعارضة قد اعتبرت الخلافة الاموية غير شرعية. ويتضح من عرض أبي مخنف ان أبا سفيان ومعاوية كانا يُنظر اليهما كطلقاء[2] .أي العبد المعتق والمحرر freedmen .في الاسلام وتمتد جذورهم إلى الوثنية، ولم تحترم منزلتهم كما يُحترم فيها المؤمنون، والذين ليس لهم الحق الشرعي في الخلافة على الاطلاق. فضلاً عن ذلك فقد قدّم أبو مخنف مغزى اقامة الدليل على ان معاوية قد وصل إلى الخلافة لمجرد استخدامه الطرق غير الشرعية أزاء الإسلام. وعلى اثر النتيجة التي حققها عمرو بن العاص مباشرة بخديعته فيما يتعلق بحكم التحكيم، جعل أبو مخنف معاوية ليتلقى يمين الولاء كخليفة سوريا[3].

ان ربط أبي مخنف هوية الخلافة الأموية بالجاهلية وانكاره شرعيتها إذن في توافق وانسجام تام مع وجهات النظر الموجودة عند المعارضة الشيعية خلال الجيل الأخير

---

(١) الطبري مجلد١ ص٣٣٥٧- ٣٣٥٨ (كيتاني مجلد ١٠ ص٢٢). ان هذه الحكاية التي تفترض مسبقاً معرفة رواية خديعة عمرو هي من الطبيعي مشكوك بصحتها أيضاً. [يذكر أبو مخنف عن النضر بن صالح العبسي ان شريح بن هانئ قد حدّثه أثناء غزوة سجستان ان علياً قد أوصاه بكلمات موجهة إلى عمرو بن العاص فيها:- يقول علي ان أفضل الناس عند الله عز وجل من كان العمل بالحق أحب إليه وان نقصه وكثرته من الباطل وان حنّ إليه ازدراه. وان عمراً يعلم أين موضع الحق فلم يتجاهل، وان عمرا ان اوتي طمعا يسيرا كان به لله واوليائه عدوا «[الطبري مجلد١ ص٣٣٥٧].

(٢) وحول هذا المفهوم ينظر بهل Buhl: علي ص١٢.

(٣) الطبري مجلد١ ص٣٣٩٦ (كيتاني مجلد ١٠ ص٢١٤).

من الفترة السورية. وهناك كل الأسباب التي تجعلنا نركز باحكام على الحالة في تدوينه التاريخي بأن اثارته الهياج ضد الامويين يفضي إلى لبّ القضية ويبدو ان معاوية ومن جاء بعده قد وجدوا في هذه الحالة مكسباً per fas et nefas للضغط أو للتشديد على السجايا والخصال العربية للخلافة السورية ولاسيما على الحلم الذي ينسب إليهم والذي انتفعوا منه في اثارة الهيجان[١]. فالتسامح والتفكير المتروي الهادئ يسبق كل إجراء أو فعل ويعدّ من مظاهر تلك السجايا التي شملها العرب تحت هذا المعنى والتسمية؛ التي يتمسكون بها باحترام وتقدير عالٍ جداً. وفي هذا الخصوص ينبغي تأويل وتفسير هذا بأنه مغاير للجاهلية: .أي القسوة والوحشية. ونلتقي عند الاخطل وغيره من الشعراء المدّاحين مع هذه السجية وكأنها صفة مميزة وثابتة ودائمة للحكام الأمويين. وعلى أية حال، فإن مؤلفاً متأخراً إلى حد ما يبدي ملاحظة بغضب ان «المآثر الصالحة التي لم يقوموا بها ابداً، هي التي تنسب إليهم». وان المجد والشهرة إنما تنشأ وتوجد في هذا العالم كفضائل للأعمال الصالحة في الحياة الأخروية. والأكثر من هذا فإن مثل هؤلاء الرجال والأفراد قد أُضفي عليهم شرفاً واحتراماً بكل السجايا المميزة التي لم تسمى، وان موجدها ومنشئها يبقى مجهولاً»[٢]. فهذا المصطلح والتعبير إذن قد اكتسب مسحة بغيضة odious ring، وان أبا مخنف قد استثمر الصفة المميزة للعرب التي احاطت بالدعاية والاذاعة عن انكار الخلافة الأموية بعد مشروعيتها في الإسلام.

ان رد الفعل العنيف ضد الامويين، ومن الجهة الأخرى التبجيل والاحترام لعلي، فأبو مخنف يعدّ الناطق بلسانه، تدلي بدليل على ضيق أفقه الكوفي، وهي تماثل وتشابه رواياته عن عائلته وقبيلته (بنو أزد). فجدّ أبو مخنف من جهة الأب مخنف بن سليمان

---

(١) لامانس، معاوية (بالفرنسية) ص٦٦- ١٠٨؛ ينظر Historisk Tidsskrift مجلد٢ جزء٥ ص٤٦٥ وما بعدها من الصفحات.

(٢) ينظر بروكلمان ص١٨ وما بعدها؛ ان الروايات التي نقلت عن مرجعيته أو مرجعية عائلته تنسجم كلياً مع هذه الصورة؛ كيتاني مجلد٣ ص٢٦١، ٢٦٨، ٦٣٢، مجلد٩ ص١٤٤ مع هامش رقم١ إلى هامش رقم ١٥٥.

الازدي، الذي كان قد شارك في حروب الفتوح في بلاد فارس، قد اثني عليه وامتدح لاخلاصه وحبه الشديد لعلي، إذ حارب إلى جانبه ضد المتمردين. ولم يخفي أبو مخنف حبه لعلي؛ وان وصفه لمعركة صفين قد اعتمد جزئياً فيها على نقل قبيلته الأزد، وإنه يندب ويتفجع على ما عاناه من اهانة وتنزيل في الكوفة خلال الفترة الاموية[١]. فضلاً عن ذلك بوسعنا اعتماداً على قراءة مقطع آخر، ملاحظة عبد الله بن عباس وهو يبدأ مهمته كناصح مخلص mentor لعلي، مع إنه لم يتمكن بأية طريقة كانت ان يحصل حتى الآن على أي منصب مهيمن إلى جانب علي، فمثلاً ان ابن عباس هو الذي كان في رواية أبي مخنف الاستهلالية المشكوك فيها قد حذّر الخليفة بأن يعهد إلى كل من طلحة والزبير بالمصرين، وان لا يدع معاوية يحتفظ بولايته. ومن الجهة الأخرى فالرواية تحدد بوضوح قيمة tax براعة أبي مخنف في ان ابن عباس قد ترك علياً في سنة ٣٨هـ وتخلى عن ولايته في البصرة. ويحتمل ان ردّة ابن عباس defection لابد وان تعزى إلى استنتاجات قد انتزعها بنفسه من حكم التحكيم[٢]، وهي نتائج وقرارات شاطره فيها الكثير من الناس الآخرين. ولم يكن باستطاعة أبي مخنف ان يخفي أو يحجب الحقائق تماماً: فقد جعل ابن عباس يناشد علياً بأنه لا يرغب في ان يعرّض نفسه للشبهة أمام الله بسفكه دماء اصحابه المؤمنين؛ ولكنه بإمكانه استخدام الاموال اتهمته الرواية ـ أثناء المحاولة حول ردته ـ بأنه قد استحوذ عليها في البصرة، وذلك بتوزيعها على المؤمنين المحتاجين[٣].

ووراء هذا البناء في تعزيز القصص الخرافية والاسطورية حول ابن عباس يمكننا ان نعي وندرك عن طريق الحواس هدف وغاية مدروسة في محاولة ردّ الاعتبار واصلاح تصرفه، الذي لم يكن في هذه المرحلة امراً عرضياً أو اتفاقياً. وعند موازنة هذه السمة

---

(١) ينظر الدوري: المدرسة العراقية.

(٢) فاجيلري جـ١ ص٧٥ وما بعدها من الصفحات؛ ولنفس المؤلف في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة جديدة) مجلد١ ص٤٠.

(٣) البلاذري ص٤٥٠- ٤٥٣ (كيتاني مجلد ١٠ ص١٩٨ وما بعدها من الصفحات).

مع حكم أبي مخنف للدولة الأموية المبرر وجوده raison وتبجيله الصريح لعلي علينا ان نستنتج بأن وجهات نظره تتطابق مع اولئك المعارضة الهاشمية، وكان مركزها في مدينة الكوفة، والتي كانت خلال هذه الفترة تتزعم المقاومة السرية الشيعية ضد الأمويين. وتفسير أبي مخنف للفتنة هكذا وبصراحة قد طبعت ووسمت بمجريات الأحداث المناهضة للأمويين بين القبائل العربية في الكوفة؛ وهي في الوقت نفسه نتاج للحالة التي كانت سائدة انذاك. ومن الصعوبة بمكان فهم اراءه كظاهرة منعزلة؛ إذ سوف نلتقي برواة شيعة آخرين لهم وجهات نظر قريبة أو أكثر تطرفاً.

وتوجد مثل هذه الرواية أيضاً عند عيسى بن يزيد بن دعب الكناني (المتوفى حوالى ٧٥٠م) مثلاً، وعيسى مع ذلك كان متعاطفاً بصورة أكثر من أبي مخنف في عرضه للمغايرة الدينية بين علي ومعاوية، فالمطالبة بثأر الدم يعدّ على نحو بين طابعاً قد استخدم كغطاء من أجل طموحات دنيوية، فلم يكن لمعاوية ولا لعمرو بن العاص أي حق معنوي للتدخل كمدافعين عن عثمان، وذلك بالنظر إلى ان السابق .معاوية .قد تركه في مركز حرج عندما استغاث به الخليفة طالباً المساعدة ضد المتمردين، وان الأخير .عمرو بن العاص .قد (تركه في وهن وضعف وهرب). ومما يستحق الذكر، برغم إن هذا منطقي تماماً في تفكيره، بأن عيسى بن يزيد يلفت النظر إلى نتائج رواية اتفاقية عمرو مع معاوية وان عمراً قد جعل معاوية يستخف بتبرير ادعاء أخذ الثأر وإنه سأل عمرو ان يبسط يده لبيعة رمزية token homage[١]. وبذلك فالراوي يعزو إلى المتحالفين صيغة البيعة الاعتيادية والطبيعية لتثبت بشكل واضح وجليّ عدم شرعية الإجراء. فهذه الرواية، التي يظهر ان لها امتداد اعلامي محدد يمتد إلى العصور العباسية[٢]. وهي ترتكز على عناصر معروفة بالفعل، وفي هذه الحالة فإن الرواية تندفع

---

(١) البلاذري ص٤٩٨- ٤٩٩؛ كيتاني مجلد٩ ص٢٤٠- ٢٤٢؛ ينظر أيضاً الدفاع عن مكاشفة علي لطلحة بطريق الحديث عن النبي الكذاب (الاغاني جـ٢١ ص١٦٣؛ المسعودي: مروج جـ٤ ص٣٢١- ٣٢٣؛ كيتاني مجلد١٠ ص٤٠٧ ومجلد٩ ص١٧٠ وما بعدها). وعن البيعة ينظر (بيعة في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة جديدة) مجلد١ ص١١١٣ بقلم أي A. Tyan.

(٢) وكما ذكرنا في السابق، فإن الرواية موجودة عند البلاذري، غير ان اليعقوبي يذكرها أيضاً (جـ٢ ص٢١٤-

باتجاه متطرف فحسب، فابن يزيد، الذي ينتمي إلى نفس الملكة العقلية كما هو الحال عند أبي مخنف، يحاول أيضاً ان يدلل على ولاء ابن عباس لعلي بحكاية من الواضح إنها مشكوك في صحتها وهي كيف قام عمرو أثناء معركة صفين بمحاولة غير مجدية وتافهة لإغراء واستمالة ابن عباس بعيداً عن الخليفة[١]. وهذا الراوية يقوم بمجرد تكييف وتعديل وجهات النظر إلى صيغة دارجة وأكثر عامية[٢].

وما قد قيل هنا عن عيسى بن يزيد يطبق تقريباً على جابر بن يزيد الجعفي (المتوفى ١٢٦ . ١٣٢/ ٧٤٦ . ٧٥٠م) الذي ذكرناه فعلا، وهو صاحب رواية رسالة الصلح التي تكشف عن تعاطفاته الشيعية[٣]. ان مادته التقليدية قد نقلت ولكن مؤلفة من أجزاء متجزئة كثيراً وما متوفر منها يتعامل فقط مع المناوشات في صفين. فقبل المعركة جعل جابر معاوية يؤثر في خطبته على مقاتليه بأن كل من الفريقين إنما يدافع عن بلده ليتغلب على العدو؛ فضلاً عن هذا فإنه اغراهم بثروة العراق[٤].وهناك رواية متأخرة

---

٢١٧) وينظر ديللافيدا ص٤٥٦ وكيتاني مجلد٩ ص٢٤٢ وهامش رقم١- ٣٢٩) يستخدمها، وفي رواية مؤيدة للأمويين تظهر عند عبد الله بن المبارك (البلاذري؛ معاوية رقم ٢٥٦؛ وينظر Acta Orientalia مجلد٢٧ ص١١٣).

(١) البلاذري ص٥٠٧- ٥٠٨ (كيتاني مجلد٩ ص٤٨٥).

(٢) وعرضياً في هذه الرواية قد أعلنا إنها رواية زائفة وغير صحيحة بالفعل في القرن التاسع من قبل هشام بن عمار الدمشقي (المتوفى ٨٥٨/ ٨٦٠م) الراوية المؤيد للامويين الذي عدّ نفسه أيضاً راوية غير ثقة. البلاذري: معاوية رقم ١٩٩؛ ينظر كيتاني مجلد٩ ص٢٥٦، ٤٨٥.[ويقصد بذلك ما أورده البلاذري عن رواية رواها عيسى بن يزيد بشأن لحاء بين الوليد بن عقبة وعمرو بن العاص. إذ علق هشام بن عمار قائلاً «نظرت في أحاديث معاوية عندكم فوجدت أكثرها مصنوعاً وذكر هذا الحديث» (أنساب جزء٥ ص٨١) [المترجم].

(٣) ينظر [في اعلاه من الكتاب ص٩٦-٩٧]. جابر بن يزيد الحارث الجعفي، توفى حوالى سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٢ وهو كوفي النشأة والسكن. ولعله كان محدثاً كثير الرواية في الحديث الشريف. وعلماء الجرح والتعديل قد تباينوا في مواقفهم أزاء الجعفي فمنهم من قال إنه ثقة وصدوق ومنهم على العكس تماماً من وصفه بالكذب والضعف. فسفيان الثوري امتدحه بقوله إنه ثبت وصدوق في رواية الحديث، بينما طعن الإمام أبو حنيفة في روايته للحديث. وواقع الحال ان روايته الاخبارية عن الأحداث التاريخية يغلب عليها عدم التماسك وعدم الموضوعية (ينظر طبقات ابن سعد جـ٦ ص٣٤٥؛ ابن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل جزء٢ ص٤٩٧؛ ابن حبّان البستي: المجروحين تحقيق محمود ابراهيم زايد، حلب ج٢ ص١١٣ [المترجم].

(٤) ابن كثير: بداية ص١٤٢- ١٤٣ (كيتاني مجلد٩ ص٥٣٧ وما بعدها) وكيتاني مجلد٩ ص٤٩٣) ينظر أيضاً ابن حجر مجلد١ ص١٠٠٧- ١٠٠٩ رقم ٢٤٩٣ (كيتاني مجلد٩ ص٦٠٨).

مشكوك بصحتها تذكر بأن علياً قد حذّر السوريين ونبهّهم من عقاب الله، وكذلك قال إنه قد ذبح بيديه أكثر من (٥٠٠) من اعدائه تنفيذاً لحديث النبي الذي أكد على عصمته (infallibility) وحقه الشرعي في ان يضرب ويعاقب بسيفه[١].

ولنقل على وجه التعميم ان جابر بن يزيد يمثل نفس الاتجاه المتطرف مثل عيسى بن يزيد، وهو أيضاً يوافق على مركز ابن عباس إلى جانب علي[٢]. وعلى أية حال فهو يمدّنا بسمة جديدة وذلك بأنه، خلافاً لجميع الرواة المبكرين جداً الذين تعاملنا معهم في هذا الكتاب يسعون إلى ربط الرواية بشهود عيان وذلك بغية ان يضفي لوناً على فهمه وتصوره. أما الرواية عن شجاعة علي فتنسب إلى نمير الانصاري، في حين بعض الروايات الأخرى . كخطبة معاوية ورسالة الصلح . تنسب إلى أبي جعفر الباقر، وزيد بن الحسن، ومحمد بن علي ومحمد بن عبد المطلب من دون أية محاولات لملأ الفترة الفاصلة بين شهود العيان وبينه شخصيا. وكذلك يمكن التحقق من اتجاهات ونوازع مماثلة في خبر يتعلق بتوزيع وتنظيم الجيشين في صفين، المعروفة أيضاً من رواية متماثلة قد رواها هشام بن محمد الكلبي، على الرغم من إنه هنا يذكرها دون اسناد

(١) ابن كثير: بداية ص١٤٤ (كيتاني مجلد٩ ص٥٣٨).
[ان إشارة البروفسور بيترسن من ان الأمام علياً قد حذّر وأنذر السوريين بأنه قد ذبح بيديه أكثر من خمسمائة من اعدائه تنفيذا لحديث شريف عن النبي إذ اثبت هذا الحديث حقه الشرعي وعصمته كما ورد في اعلاه. غير ان نص ابن كثير لايفهم منه ذلك فذكر ابن كثير عن «علماء التاريخ وغيرهم) ان الأمام بارز أيام صفين وقتل خلقا حق ذكر بعضهم إنه قتل خمسمائة رجل. واعتماداً على رواية الجعفي التي سلسلتها هي عن ابراهيم بن الحسين بن ديزيل ثنا يحيى ثنا نصر ثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن نمير الانصاري بأن الأمام كان كلما يخرج فيضرب بالسيف إلى ان ينحني السيف فيعود إلى معسكره فيصلح سيفه ويعاود القتال. يقول (معذرة إلى الله واليكم والله لقد هممت ان اقلعه- ويعني سيف الإمام- ولكن يحجزني عنه إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي» انتهى النص الذي يتعلق بشجاعة الإمام وقتاله المستميت بسيفه المشهور المعروف بذي الفقار (ينظر ابن كثير: البداية والنهاية (خرج احاديثه احمد بن شعبان بن احمد ومحمد بن عبادي بن عبد الحكيم (طبعة أولى/ القاهرة ٢٠٠٣ جزء٧ ص٢١٥) ومن المفيد القول ان ابن كثير أخذ هذه الرواية عن نصر بن مزاحم في كتابه صفين عن نفس السلسلة السندية (ينظر واقعة صفين ١٦٥، ١٦٩ [المترجم].

(٢) يظهر ان ابن عباس في روايته سوية مع أفراد آخرين من بني عبد المطلب كشاهد في رسالة الصلح. واقعة صفين ص٥٨٦؛ ينظر بروكلمان ص١٤ وما بعدها.

الجعفي[1]. ولذلك فإنها دون شك قد حركت تحريكاً جيداً well motivated بحيث ان مؤرخاً متأخراً مثل ابن كثير يفرض انتقادات لاذعة على واحدة من هذه الروايات بأنها روايات غير ثقة من وجهة النظر الشكلية، إذ يقول «اسناد ضعيف وحديث منكر (الاسناد ضعيف والحديث الذي يستحق الشجب)[2] reprehensible*. ان محاولات الجعفي لإضافة مرجع أو مصدر شاهد عيان إلى رواياته وهكذا فقد اثبت في النهاية بأنه تنقصه البراعة. ومع ذلك فإن مسلك منهجه يعدو أهمية أساسية بقدر ما نلحظه هنا من مساعي تجريبية غير نهائية ليزود علم الاخبار والذي استخدمه ووظفه كدليل ديني ورسمي مسوغ، ذلك الدليل الذي لم يستثمره أو ينتفع منه العلماء الرواد.

وعند عوانة فإننا مع ذلك نجد روايات جمعية تتقولب بنفس القالب والطراز كالتي قد أفاد منها الرواة الروّاد، مع إنهم كانوا ذا نزعات ومنحازين في صياغتهم التي استعملوها فهم ما زالوا يعبرون عن آراء العالم أو محيطه. وبصورة عامة فإن أبا مخنف

---

(١) ابن كثير: بداية ص١٤٢- ١٤٣ (كيتاني مجلد٩ ص٥٣٧ وما بعدها). استخدم البروفسور بيترسن هذه الكلمة للدلالة على ما ورد عند ابن كثير (منكر) وترجمة reprehensible يستحق التوبيخ والشجب وهذا لايتضمن البعد الناقد للحديث المنكر [المترجم].

(٢) نفس المصدر. البداية ص١٤٤ (كيتاني مجلد٩ ص٥٣٩) وحول المصطلح ينظر جولدتسيهر: دراسات محمدية جـ٢ ص١٤٤، ٢٥١، شاخت: أصول ص٣٦؛ وينظر حكم أبي حنيفة عن الجعفي (روزنثال: علم التاريخ ص٤٣٨) وينتمي إلى مدرسة شيعية وإنه يؤيد تفسير مجازي لقرآن محمد لصالح علي، جولدتسيهر دراسات محمدية جـ٢ ص١١٢ وما بعدها؛ فريدلاندر (بحثه بالانجليزية بدع الشيعة اعتماداً على ابن حزم The Heterodoxies of the shiites according to Ibn Hazm جزء٢٨-٢٩/ ١٩٠٩ المنشور في مجلة JAOS ص٢٣ وما بعدها و٨٦ وما بعدها. [ما ذكره جولدتسيهر في اعلاه إنما هو رأي عدد من المستشرقين المتأثرين بالكتابات البيزنطية الحاقدة عن الرسول(ص) والقرآن الكريم. ويعدّ رأياً استشراقياً قديماً قد ناقشه وفنده مستشرقون محدثون من أمثال مونتغمري وات وغبريللي. فالقرآن الكريم لا يعرف بقرآن محمد(ص) إنما كتاب الله تعالى. [المترجم].

استخدم البروفسور بيترسن هذه الكلمة للدلالة على ما ورد عند ابن كثير (منكر) وترجمة reprehensible يستحق التوبيخ والشجب وهذا لايتضمن البعد الناقد للحديث المنكر [المترجم].

ورد ذلك خلال تعليق ابن كثير على رواية جابر الجعفي بشأن حديث الرسول عن (لا سيف إلا ذو الفقار..) وان الإمام كان كلما ينحني سيفه يصلحه ثم يعاود القتال ان «هذا اسناد ضعيف وحديث منكر» انتهى ويقصد برواية السيف (ينظر ابن كثير: البداية جزء٧ ص٢١٥] والواقع ان ابن أبي الحديد في شرحه يمتدح نصر بن مزاحم ومعلوماته فيقول إنه ثقة ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى هوى ولا إدغال وهو من رجال الحديث (نهج البلاغة مجلد١ جزء ص١٨٣ [المترجم].

قد عمل بطريقة متماثلة ومتناظرة؛ إذ إنه استخدم ووظف الاسناد بأية حال، فالأسانيد عادة ما كانت قصيرة ولا ترجع إلى الوراء زماناً ابعد من زمن ثقاتها أو مرجعياتها كالشعبي أو آخرين. ففي إحدى المقاطع يشدّد أبو مخنف على ان ما يقوله هو «عن مجاهد، وصقعب وآخرين وهو يتوافق بانسجام مع اجماع الرواية»[١]. غير إننا عندما نصل إلى السنوات النهائية للقرن الثامن الميلادي، يصبح الأمر اعتيادياً ان يتوفر الاسناد في الرواية؛ فالراوية المؤيد للسوريين عبد الله بن المبارك (المتوفى ٧٩٧م، يصف ذلك بأنه «جزء من الدين»[٢]. وضمنياً فإن هذه التغييرات الشكلية لهيكلية وبنية النقل لاشك تعدّ تعديلاً وتحويراً عميقاً يصعب فهمه لمفهوم الرواية، تلك التي جعلناها موازية ومتشابهة أيضاً للرواية الشرعية. ففي سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٦م. أقيمت لجنة رسمية غرضها تجميع وتنسيق السنن والسير[٤٥]، وهو تطبيق وممارسة متفق عليها، غير ان الاجيال اللاحقة قد رتبت قواعد ومقاييس مخصصة للحاجات المنهجية الضرورية التي يعمل بها في الرواية الصحيحة شرعياً. ان هذه العملية الصارمة في الرواية لابد من تأويلها وتفسيرها بأنها معبرة عن حاجة الجماعات الدينية التقية في الإسلام للنقل الديني الموثوق. Inter alia بديلاً عن مثل هذه القواعد والمقاييس الادارية والشرعية كالتي قد أسستها وأثبتتها الخلافة الاموية، ومسوغاتها ومبرراتها التي اضحت الآن مرفوضة.

في كثير من الحالات فإن الرواية تطور ونمو الرواية في الفترة الاموية لم يعد بالامكان اعادة بنائها بتفصيلاتها. وهذا حقيقي بشكل خاص في روايات السوريين - المدنيين تلك الروايات التي لايمكن مواصلة تطورها بنفس الطريقة تماماً كالرواية الكوفية. وعلى أية حال نجد إن في تلك الأمثلة ان هذه العملية التي يمكن مع ذلك

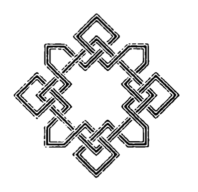
---

(١) الدوري، مدرسة العراق، وبطريقة مماثلة يتحدث سيف بن عمر (المتوفى ٧٩٦هـ) عن سيرة المؤلفين (عادة مستحسنة).

(٢) شاخت: أصول ص١٧ هامش١؛ ينظر جولدتسيهر دراسات محمدية جزء٢ ص١٤١؛ Acta Orientalia جزء٢٣ ص١١٣ وما بعدها- هذه الاتجاهات الدينية التي تؤدي إلى تطبيق اسناد مفصل، يحتمل إنها قد تأثرت أيضاً بصيغ الرواية اليهودية. ينظر جي هورفتز في Der Islam جـ٧ ص٣٩ وما بعدها من الصفحات، إذ ان المناقشة بالكاد يمكن توثيقها.

(٤٥) مرغليوث: المحمدية ص٩١ وما بعدها من الصفحات؛ شاخت: أصول ص٣٦ وما بعدها من الصفحات.

متابعتها. بأن السمة المنهجية الأكثر تميزاً فيهاهي ان العروض قد كيفت وصيغت على وفق نفس النموذج والمثال المرتب سلفاً. ان النزاع المتعلق بتبرير وتسويغ الخلافة الأموية يعدّ العنصر الأساسي وفي المقام الاول، في حين اعتبرت الكتابة التاريخية بأنها مجرد وسيلة للتعبير الأكثر ملائمة والأكثر مناسبة. واستناداً إلى المباني الجريئة التي غالباً ما تكون صريحة تماماً فإن المؤرخين قد حشوا وافرغوا في الهيكلية والبنية المخططة وجهة نظر محددة، وأن العنصر الجدلي ظل يؤدي دوراً سائداً بكل ما في الكلمة من معنى بالجدال حول التدوين التاريخي الذي أثير بشأن الفتنة. وأما النشأة الاسطورية بخصوص عمرو بن العاص والتبدلات والتغييرات في التاريخ الزمني قد قاومتها وردّت عليها الرواية السورية .المدنية ببراعة وحذق، تلك التي لم تتخلى عن مركزها وموضعها. إذن فالمعلومات من كل جانب تفضي إلى البرهنة على ان المدارس قد رفضت الموافقة بعمد على أحدهما للآخر وكذلك قد فندت احدهما الآخر. وفيما يتعلق بالمنهج فإن مناقشة التدوين التاريخي في الفترة الاموية المتأخرة لاتختلف عن مثل هذه السمات التي لاحظناها بالفعل في نشأة الرواية؛ غير إنه وفيما يخص الحقائق، فإننا نرى ان الاعلام والدعاية العراقية قد أصبحت أكثر حدّة أزاء الخلافة الاموية، وبانسجام تام مع وجهات نظر متطرفة للحركة الهاشمية. فلمّ يعد هناك جدال حول تبرير فعل معاوية والموقف الشخصي لعلي من مقتل الخليفة؛ ففي الجيل الأخير للفترة الاموية تحول النزاع والصراع ببساطة نحو شرعية الخلافة السورية، التي قد واجهت تحدياً من المعارضة الشيعية.فهل كان بالامكان التدليل على ان باعث معاوية في إجراءاته كان زائفاً وخدعة وبأن تصرفه وتصرف عمرو بن العاص تجاه خصومهم كان تصرفاً غير نبيل، فالخلافة السورية بحكم طبيعة الحال Ipso facto قد فقدت مبرر وجودها raison d'etre وان وجودها يعزى إلى اغتصاب غير شرعي. فإنها هذه العملية التي زودت وأمدت المناسبة والمادة في الجذر الاسطوري حول عمرو بن العاص. كان هذا المسلك عند أبي مخنف يقود إلى تطابق هوية الأمويين مع الوثنية قبل الإسلام وإلى تبجيل ديني أولي لعلي، وهي نفس السمات التي ظهرت عند عيسى بن يزيد والجعفي بشكل شيعي عامي وخشن.



القسم الثاني

القرن الأول من الفترة العباسية

مقدمة

محاولات الفترة الأموية في مواجهة بداية الأسلمة للنظام الاجتماعي ولاقامة معايير ونماذج تفي بمطاليب وشروط المبادئ الاسلامية الأساسية كانت بجميع مظاهرها بطيئة جداً لكي تدفع الأذى ولكي تصد تأثيرات وآثار الضغينة والحقد الكامن في العراق وبلاد فارس ضد الحكام الحاكمين. ففي سنة ٧٥٠م أطيح بالخلافة السورية واعقبها العباسيين، الذين كانوا يتزعمون المعارضة الشيعية منذ حولي سنة ٦١٨م. ومهما يكن، فإن هذا التغيير في الدولة لم يجلب ولم يحدث تصفية لحالة النزاع كما كان متوقعاً. فالخصومات والتنافرات لم تفضِ إلى مسالك أخرى للتعبير. فعملية الاسلمة قد تحققت، على نحو لايمكن انكاره، خلال الاجيال القادمة، غير ان الانشقاق والانقسام الرأسي بين العرب والموالي قد حلّ محله واستبدل بصراعات المصالح السياسية والاجتماعية. ان تحول الطرق التجارية خلال القرن الثامن . هذه التحولات التي جعلت من كرسي الخلفاء، بغداد مركزاً دولياً ـ لتكديس وتراكم رأسمال، وتطوير وتوسيع الائتمان ومؤسسات التسليف وجميعها قد اوجد قوة سياسية واقتصادية هائلة في اقاليم الخلافة الشرقية[1]. كما ان نمو المجتمع الحضري الاسلامي لبلاد ما بين

---

(١) ينظر Historisk Tidsskrift مجلد٢ جزء٦ ص٦٨٥ وما بعدها من الصفحات مع المصادر.

النهرين قد أحدث تمايزات وفوارق اجتماعية بين طبقة النبلاء الحضريين الارثوذكس (السنة) في الاقاليم الشرقية وبين الجماعات الفقيرة من الناس في المدينة والريف ومع ان هذه الحالة لا يمكن القول بأنها قد وصلت وبلغت مرحلة الأوج حتى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين[1]. ان الفترة الفاصلة بين هذه الحالة وبين الصراعات والنزاعات في أواخر الفترة الاموية قد شهدت تطوراً مع ذلك طويلاً وخفياً ومرتبكاً وإنه في غضون هذه الفترة فقط نظم التشكيل السياسي والديني للفرق وكيّف نفسه للظروف المتغيرة. فالبنية الاجتماعية في المرحلة العباسية الانتقالية كانت في الواقع في بودقة melting pot، ولكن حتى وان كان ذلك فإن تقوية وتماسك الخلافة الجديدة والنزاعات التالية والناشئة نتيجة ذلك قبل كل شيء قد تركت علامة مميزة على الجيلين الاولين للعصر العباسي.

إذن فإنه ليس بعيداً عن الاحتمال القول بأن عناصر هذه العملية في اعادة التنظيم الاجتماعي ربما قد دخلت في نزاعات وصراعات بين المصالح للفترة العباسية المبكرة جداً، إلا ان المعضلة الحقيقية إنما تتعلق بتماسك الدولة الجديدة وقوتها فقد كان إلى حد ما متصلاً اتصالاً وثيقاً بماضيها الثوري، والتي من السهولة بمكان قد تسوّى بحل وسط في أعين الاكثرية الارثوذكسية (السنية) ألا وهو توسع النبالة الحضرية، والبيروقراطية والعلماء. وكما ذكرنا سابقاً، فإن فرعاً من الحركة المعارضة الشيعية المتطرفة ضد الأمويين، قد تأسست بشكل نظامي وتحت الزعامة العباسية، التحالف الذي قاد إلى اسقاط الأمويين والاطاحة بهم. ولم يكن انهيار الدولة الأموية مباشرة بعد سنة ٧٥٠ أمراً مثيراً للدهشة. فمنذ البداية ألحّ العباسيون باصرار على تبني واختيار مبدأ الشرعية وكذلك الأيديولوجية الثيوقراطية (الدينية) في الاسلام، على الرغم من ان الحكام الجدد كانوا ينتمون إلى فرع واحد له قرابة بعيدة بعائلة النبي، والحقيقة فإنه

---

(١) وحتى في بداية العصر العباسي فإن قلقاً واضطراباً اجتماعياً في المناطق الفقيرة للخلافة شمال ما بين النهرين، وشمال افريقيا وجنوب الجزيرة العربية.. إنه جاء معبراً عنه عند الخوارج وحتى نهاية القرن التاسع أو بداية القرن العاشر لم يكن الخوارج قد حلوا على نحو محدد محل الشيعة المتطرفة (الاسماعيلية) ينظر [أسفل الكتاب ص٢٤٨].

كان متوقعاً بأن الغلاة قد كونوا رأياً عن خيبة الأمل العميقة باغتصاب العباسيين لمنصب الخلافة، إذ إنهم يعتبرون العلويين هم المؤهلون لهذا الحق. وان التحالف قد انحلّ وتعطل، وان التحرر emancipation من الشيعية قد تم اعلانه بالفعل في سنة ٧٦٢م عند أول ثورة خطيرة ضد العباسيين برعاية علوية. فانحلال وانهاء هذا التحالف غير الموفق قد انعكس في رسالة اقتبسها الطبري عن محمد بن عبد الله العلوي إلى المنصور، وذكر فيها بوضوح منزلة علي باعتباره وصي (وصي النبي بوصية Prophet's testamentary excutor) وصرّح بأنه ليس هناك عدا اسلافه بإمكانهم الادعاء لأنفسهم بحق الخلافة، وهو توكيد واصرار رفضه المنصور طبعاً وبشكل مطلق[1]. فتبادل الرسائل هذا يحتمل إنه لم يكن أكثر من خيال بصيغة أو بشكل بالغ الدقة لوجهتي نظر أساسيتين مكبوحتين في عهد المنصور. فالعباسيون لم يتخلوا ابداً عن حق مطالبتهم الشرعية. حتى وان كانوا مع ذلك لم يجرأوا في أي وقت ان ينكروا علي صراحة وإنهم نالوا هدفهم عملياً بتمثيله وتصويره على إنه الراعي المتنفذ Protégé' لجدهم الأعلى، عبد الله بن عباس. ومهما يكن فإن هذا النهج وهذا الإجراء كان يقصد منه أيضاً بأن العباسيين .بشكل واضح في عهد المنصور كان عليهم ان يحجموا عن استخدام الوسائل الشيعية. في الاثارة والهيجان كما كانوا قد فعلوه أيام الثورة[2].

وإلى جانب الحفاظ على وحدة بني هاشم (مع إنه بصيغة معتدلة إلى حد ما) فالرواية السنّية قد دافعت عن الفضائل الدينية للعباسيين بفضل وبمقتضى قتالهم ومحاربتهم ضد الحكم الأموي الآثم وغير التقي ungodly. وكان هذا في الواقع سمة سياستهم ليطابقوا أنفسهم مع المعارضة الدينية للحكام السوريين وكذلك مع اجماع الأمة orthodox precepls، وهو الأمر الذي لم تستطع الشيعة استحضاره ووضعه موضع التنفيذ وذلك لأن عضويتها بقيت تمثل الاقلية، ولكنها تطلبت واحتاجت إلى ولاء

(١) فيل Weil، g: تاريخ الخلفاء (بالالمانية) geschichte der chalifen جزءان (منهايم ١٨٤٢-١٨٤٨) ج١٢ ص٤٣- ٥١؛ غبريللي gabrieli: المأمون ص٧ وما بعدها.

(٢) النوبختي ص٤٣ (RHR ص١٥٤، ٨٠.

جميع المسلمين إلى المنفذ الذي يضعها موضع التنفيذ[1]. فالحكام الجدد، بتوافق وانسجام مع هذه الأفكار قد سعوا لتبرير واثبات أهليتهم بتقديم خلافتهم على إنها دولة (era) جديدة، التي اعتماداً على حديث للنبي ستحل محل حكم الطغيان والاستبداد. وأبكر من القرن التاسع الميلادي يبدو إن الفكرة قد ترسخت وتأسست شرعياً ورسمياً في الرواية السنية (الارثوذكسية) وبأن الثورة ضد الأمويين قد دبرت باشراف عائلة العباسيين في سنة ١٠٠هـ ومباشرة بعد موت الخليفة الأموي الورع الوحيد عمر الثاني[2].

ولهذا فإن البنية السياسية المعتدلة للفترة العباسية قد استلزمت مرة أخرى استمرارية تاريخية ودستورية. وان الجدال قد تركز حول تعيين تمييز بين الخلافة العادلة المقبولة من الله وبين الطغيان والاستبداد. ويتفق الجميع على شجب واتهام الأمويين، في حين ان الحكم على الخلفاء الأربعة الأول قد اختلف فيه بشكل كبير. فبينما يسعى الشيعة بكل وسيلة إلى اظهار ان علياً كان هو أفضل الثلاثة الذين سبقوه وان كانوا أحياناً يحاولون تسفيههم[3]. فإن الرواية السنية، تضع بصورة غير مباشرة كل من أبي بكر وعمر وإلى حد ما عثمان قبل علي[4]. ولكن ضمن الجماعات والدوائر السنية (الارثوذكسية) فإن الحكم على عثمان قد اختلف فيه وتنوع أيضاً بالنسبة إلى الظروف والاحوال. ففي رواية المدينة هناك دليل وشاهد بأن قريشاً قد فضلت عثمان، فهو الممثل للارستقراطية القديمة، وبأن علياً لابد ان يلام ويعد مسؤولاً عن الثورة، ولعل ذلك من أجل تبرئة المدنيين أنفسهم[5]. وبصورة عامة فإن الجدال العنيف والتنازع

---

(١) ينظر جولدتسيهر: دراسات محمدية جـ٢ ص٩٨ وما بعدها من الصفحات.

(٢) Historisk Tidsskrift مجلد٢ جزء٥ ص٤٦٨.

(٣) نولدكه ص٢٨ وما بعدها؛ Sarasin,w كتابه بالالمانية «علي في كتب السنة Bas Bild Alis bei der Sunna den Historikern بازل ١٩٥٣) ص١٣ وما بعدها، ٤٥، ٤٧، ٦٧.

(٤) فنسنك، ص١٠٨؛ ينظر ص١٧- ويحتمل إنه مثال متطرف عندما يدع ابن سعد العباس يقترح بأن يمين الولاء قد اقسم لعلي بينما كان محمد ممدداً على فراش الموت؛ كذلك يترك ابن سعد علياً يعترف بحقوق العباس.

(٥) ابن سعد، مجلد٣ جزء١ ص٤٤؛ البلاذري ص٤٦٧ (كيتاني مجلد٧ ص٤٢٠، جـ٨ ص٣٣١).

كان له تأثير لأن النقل الارثوذكسي (السني). ومصادفة النقل العراقي والمدني على حد سواء. قد لفت النظر إلى خبر يذكر بأن ختم خاتم النبي قد انتقل من خليفة إلى آخر كعلامة وامارة دليلاً على ان حامله إنما يعمل بالنيابة عنه إلى ان فقده عثمان في بئر في السنة السابعة من حكمه[1]. وبذلك احدث خطأ فاصلاً بين الخلفاء الراشدين وبين الطغيان.

من هذه الرؤى الكثيرة المختلفة في عثمان نجد ان البؤرة والمركز الأساسي للدليل والبينة ناشئ بموته القاسي والعنيف، أو بالأحرى تبرير القتل ونتائجه، إذ ظل في الفترة العباسية يمثل باستمرار سبباً للنزاع bone of contention بين الفرق. وفي الفترة الانتقالية إلى القرن الحادي عشر فإن البغدادي (الخطيب) مع ذلك قد قسّم الإسلام استناداً إلى الموقف المتخذ أزاء الأحداث التي أثارها مقتل الخليفة. فالنزاع ليس له تأثير bearing على الوضع الديني للمؤمنين أو فيما يتعلق بالسنة: حق علي الشرعي في قتال اعدائه قد كان محركاً أيضاً، إلا ان اخطاءه لايمكن ان تدّل على إنه قد كفر (كفراً فادحاً gross infidelity) ولا حتى إنه كان فاسقاً (مفردها فسق)، ولذلك فإن السنة تعترف بشرعية التوكيدات لكل من الفريقين. فالخوارج شجبوا واتهموا كل من العثمانية ومعاوية بأنهم كفار وان لعلي الحق الشرعي والبيّن في قتالهم، ولكنه نفسه قد انقلب إلى كافر بقبوله التحكيم في صفين. أما المعتزلة فقد استنبطوا وابتدعوا مرحلة وسطي بين الايمان والكفر تقتضي ضمناً بأنه لابد لأحد الفريقين من ان يكون فاسقاً، علماً بأنهم لم يحددوا أي واحد منهما تحديدا مؤكدا. ولذلك فإنه لا دليل شرعي من أي من الفريقين للحكم على عدو تلك الفرقة وخصمها[2]. والبغدادي قد تجاهل الشيعة ومن المحتمل إنه فعل ذلك لأن وجهة نظرهم كانت نتيجة محتومة. فالأحاديث النبوية

---

(١) ابن سعد مجلد١ جزء٢ ص١٦١ وما بعدها من الصفحات؛ البلاذري: فتوح ص٤٦٢؛ الطبري مجلد١ ص٢٨٥٦- ٢٨٥٨ (كيتاني مجلد٧ ص٣٨٧ وما بعدها؛ حتي murgotlen مجلد٢ ص٢٥٧؛ ينظر فنسنك ص٢١١ وما بعدها؛ Acta Orientalia جزء٢٧ ص١٠٢.

(٢) شارل يلا: الجاحظ (بالفرنسية) ص١٨٦.

كانت في صالح علي ولعنة الله على الذين يقاومونه وهم حشد وجمع غفير[١]. ويظهر، كما تم اقتفاء اثره في اعلاه، الآن من ان النقل الكوفي قد اعتبر معارضة معاوية للخليفة الراشدي على نحو فوري إنه فارق بين الاثنين.

ليس هنالك من شك بأن الأفكار التي قد تعاملنا معها هنا قد تلاشت تدريجيا بقدر ما ان الاتهامات والشجب بمثل هذا النوع قد انتفع من استعماله أو اسيء استعماله في كل مناسبة. ومن الجهة الأخرى فإنه من الجلي القول بأنه إذا كان موقف المؤمن من الأحداث بعد مقتل الخليفة عمدا يمكن تصنيفه ككفر، الذي يوجب اوتوماتيكيا العقاب السرمدي أو فسق والذي يجرد المؤمن من عدله (حرفيا الاستقامة والصلاح أو الراشدية Righteousness، والديني بالفطرة habitus)[٢]، عندئذ فإن أهمية النزاعات الأساسية .بصرف النظر عن معانيها المباشرة .قد اثيرت إلى المستوى الديني الذي يجعل من وجهة نظر الفرد المؤمن، قابلة للتحويل إلى قضية خطيرة في الصح والخطأ. أيضاً فمن الجلي ان المناقشة والجدال في التدوين التاريخي قد اضحت بشكل ثابت أكثر من جدال بشأن الماضي المدفون والمطمور؛ إذ كانت الكتابة التاريخية ببساطة مصنعاً لانتاج الاسلحة للمناقشة والجدال حول النزاعات السياسية أيضاً في العصر العباسي.

---

(١) كنموذج المسعودي، جـ٤ ص٣٢١ وما بعده، ينظر ابن الاثير جـ٤ ص٣٢- ٣٣؛ (كيتاني مجلد ١٠ ص٤٠٧) ينظر أيضاً كيتاني مجلد ١٠ ص٤٤٥ وما بعدها من الصفحات. [يذكر المسعودي قولا في هذا فيقول ((وفضائل علي ومقاماته ومناقبه ووصف زهده ونسكه أكثر من ان يأتي عليه كتابنا هذا أو غيره من الكتب، أو يبلغه اسهاب مسهب أو اطناب مطنب))، وفي رواية أخرى قال المسعودي ((والاشياء التي استحق بها أصحاب رسول الله من الفضل هي:- السبق إلى الايمان، الهجرة، النصرة لرسول الله، القربى منه والقناعة، وبذل النفس له، والعلم بالكتاب، والتنزيل، والجهاد في سبيل الله، والورع، والزهد، والقضاء، والحكم، والفقه، والعلم. وكل ذلك لعلي عليه السلام منه النصيب الأوفر والحظ الأكبر)). مروج الذهب، دار الاندلس، جـ٢ ص٤٢٥. [المترجم]

(٢) وحول هذه الأفكار ينظر بوجركمان bjorkman، مقالة (كافر) في دائرة المعارف الاسلامية طبعة قديمة مجلد٢ ص٦٦٢ وما بعدها من الصفحات؛ ومقالة (عدل) بقلم جوينبول Th. W. Juynboll في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة جديدة) مجلد١ ص٢٠٩.

الرواية السنية (٧٥٠ ــ ٨٠٠)

نتيجة تغير الاحوال والظروف السياسية والاجتماعية في الفترة العباسية المبكرة جداً لابد علينا ان نتوقع مناظرة لا مفرّ منها في التدوين التاريخ ان تأخذ منحى جديداً. فالشيعة والناطقون بلسان النظام الجديد كانوا منسجمين فيما يتعلق الأمر بشجب واتهام الدولة التي قد سقطت؛ في حين ان مشكلة تعيين وتحديد مسؤولية كيفية وصول الأمويين إلى السلطة بأية حال من الاحوال كانت باعثاً على ظهور آراء مختلفة ومتفرقة. فإن كان بالاستطاعة اثبات والبرهنة على ان اخفاق علي كان ناشئا عن ارتداد في المواقف الخطيرة والحاسمة من قبل اتباعه وشيعته، فإن الشيعة ربما في نفس الوقت قد خسروا حقهم في العمل نيابة عن بيت وعائلة النبي. وان أي من هذين العرضين سيخدم وسيفيد علاوة على ذلك في تبرير الحقيقة ان العباسيين هم الذين حصدوا أو جنوا الثمار. إذ سينظر إليهم على إنهم موالين لعلي وكذلك على إنهم قد اضطلعوا بالدور الرئيس في القتال والحرب ضد الخلافة غير الشرعية. وقد ظل المأزق للحكام الجدد بالدرجة الأولى يتمثل بأنهم وعلى خلاف من اسلافهم ومن الشيعة؛ لايمتلكون ولا يقتنون رواية تاريخية نمت معهم. وبينما كان العباسيون قد اشتركوا في الحركة الهاشمية لكنه من الصعب ان نجد أي ضرورة ملحة بشأن هذه المسألة إلا إنه في عهد المنصور فإن الفتق في التحالف مع الشيعة قد منع العباسيين فرصة في استثمار واستخدام مادة الاعلان والدعاية الشيعية، فالفراغ void الذي نشأ نتيجة ذلك لابد من ملأه بوسيلة أخرى. وهذا على وجه الدقة العملية الممكن ملاحظتها في ان ينشأوا تدريجيا وبجهد رواية مؤيدة للعباسيين في الاجيال الأولى بعد تغيير الدولة.

وعلى أية حال فإن الافتقار إلى رواية تاريخية يفهم منه بأية حال ان العباسيين لم يكن لهم وجهات نظر مستقلة. ويبدو ان العباسيين، كما هو الحال عند اكثرية الفرق في الإسلام المنحازة سياسياً ودينياً؛ كانت لهم الفرقة أو الحزب الداعم منذ أواخر الفترة الأموية، عندما بدأوا يفرضون مركزهم على الآخرين سياسياً بواسطة المعتزلة[1].

(١) ينظر عن ذلك اج اس نيبرج Nyberg في مقالته الأساسية من دائرة المعارف الاسلامية (طبعة أولى) مجلد٣ ص ٨٥٠ وما بعدها من الصفحات.

هذه الحركة . كما هو الحال في الشيعة والخوارج . تتمتع بأصل سياسي إلى حد بعيد وكذلك أنها قد نشأت ونجمت عن أزمة ومعضلة دينية في تحديد موقفها من الفتنة التي أثارها مقتل عثمان وان عددا من صحابة النبي البارزين .سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، واسامة بن زيد، وصهيب بن سنان وزيد بن ثابت .قد اعتزلوا عن علي واتخذوا موقفاً غير واضح وهو إنهم سوف لن يحاربوا ولا يطابقوا أنفسهم مع قضيته، حتى وان كانوا قد أقسموا يمين الولاء له وإنهم قد اتخذوا موقفا ودياً تجاهه؛ وقد عرّفوا باسم المعتزلة وصاروا المؤسسين للمعتزلة المتأخرين» كما كتب النوبختي مؤرخ الفرق[١].

ان المعتزلة كمعتقد فقهي قد صيغ في البصرة في العقود الأخيرة من الفترة الأموية مغايرة بالحركات الدينية الأخرى وإنها قبل كل شيء قد تميزت بتفكيرها في حرية الارادة والاختيار ودعوتها إلى التفكير العقلي. ولكن وحسبما يبدو ان هناك وراء تأملاتها الفقهية الثيولوجية الدقيقة اشكاليات دينية وسياسية كامنة التي ما زالت تتعلق بالمسؤولية عن الفتنة. وهذا الأمر ينطبق بصورة خاصة بشأن طلحة والزبير، اللذين ينتميان اصلاً إلى اولئك الأصحاب الذين كانوا مكرهين على اداء يمين الولاء لعلي. فالمعتزلة القدامى كانوا في الظاهر مترددين إلى حد ما في تعيين موضعاً للفسق (الخطيئة sin أو الشعور بالاثم gilt) فقد أقروا وسلّموا بأنه يمكن نسبته إلى علي وعائشة وطلحة والزبير، الذين شاركوا في معركة الجمل. والاتجاه الرئيسي، على أية حال، إلى أفراد عائشة. وبالأخص طلحة على أنهما الفساق المخطئون الحقيقيون، وأما الزبير

---

(١) النوبختي، ص٥ (RHR ص١٥٣، ١٧٩ وما بعدها)؛ الواقدي عند الطبري مجلد١ ص٣٠٧٢ على نقيض ابن سعد مجلد٣ جزء١ ص٢٠ (كيتاني مجلد٨ ص٣٢٧؛ مجلد٩ ص٥٠) راجع ص٤٢-٤٣ من الكتاب وما بعدها. ومما يجدر التنويه إليه ان نص الرواية عند الطبري اعتماداً على محمد بن سعد عن الواقدي هي:- «قال طلحة- بايعت والسيف فوق رأسي- فقال سعد- أي ابن أبي وقاص- لا ادري والسيف على رأسه أم لا، إلا إني اعلم إنه بايع كارها- قال: وبايع الناس علياً بالمدينة، وتربص سبعة نفر فلم يبايعوه، منهم، سعد بن أبي وقاص، ومنهم ابن عمر، وصهيب، وزيد ولم يتخلف أحد من الانصار إلا بايع فيما نعلم» (الطبري مجلد١ ص٣٠٧٢) ولا اعلم كيف ان هؤلاء المتربصين صاروا نواة الاعتزال الذي يرجع اصله تاريخياً إلى واصل بن عطاء ومسألة الايمان والمؤمن، ورأيه في المنزلة بين المنزلتين [المترجم].

وعلي .وكلاهما ينتميان إلى بني عبد المطلب .لهذا صاروا الممثلين والمناصرين لأصل هذه المعتزلة التي فضّلت في الوقت نفسه وبشكل مطلق علياً على عثمان في حين اعترفت أيضاً بخلافة أبي بكر وعمر بأنها خلافة شرعية، وهكذا فإن الجميع كان متفقاً مع النتيجة التي توصل إليها المبتدعون وصناع الرواية.

فالقياديون المعتزلة في اواسط القرن الثامن الميلادي .وهم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء .نتيجة لوجهة النظر المدروسة والمتقنة من قبلهم قد بقوا بوضوح ومنذ البداية بمعزل عن الامويين والشيعة المتطرفين[١]. ويبدو ان وجهات نظرهم كانت متطابقة مع تلك التي عند العباسيين، ونحن نعلم ان المعتزلة في الحجاز قد ساعدوا وشجعوا تحالف الهاشمية في حربها ضد الخلافة السورية[٢]. ومن الجهة الأخرى فإنه من الصعب جداً في هذه المرحلة المبكرة ان نؤسس ونبرهن بالتأكيد إلى أي مدى قد اتبع هذا التكوين للفرق التي مالت للعباسيين أي تطوير وتنمية للرواية في تحريك وجهة نظر هذه الفرق. ونلاحظ عند عدد قليل، مع إنهم منعزلين، من المحدثين وجهات نظر يبدو إنها تتماثل وتتطابق مع تلك الرؤى للمعتزلة المبكرين جداً. وهذا ينطبق على العالم البصري أبي بكر الهذيل (المتوفى ٧٨٤م) .وإنه كان نديم المنصور boon companion .وهو الذي جدّ في اعطاء شهرة لعلي والزبير على أساس العناصر من كل من النقل السوري .المدني والكوفي أو عن طريق مباني اعتمدت المادة المتوفرة، بشجب واتهام معاوية وعمرو، وكذلك بالتقليل من أهمية الشيعة[٣]. ونفس وجهة النظر هذه يحتمل إنها تمثلت عند معمر بن راشد (المتوفى ٧٧١م)، الذي كان أيضاً بصري

---

(١) ينظر الخياط المعتزلي، أبو الحسين بن عثمان: كتاب الانتصار والرد على الزنديق ابن الراوندي Le Livre du triomphe et la retutation d'ibn al-Rawandi l'heretique). ed. Et trad. Par N. A. Nader ١٩٥٧ (بيروت رقم٥ ص١٠٠- ١٠٤ (traduction ص١٣٨ وما بعدها من الصفحات).

(٢) بهل Buhl في بحثه بالدنماركية Alidernes stilling til de shi'itiske Bevaegelser under Umajjadne (Oversigt over Videnskabernes Seskabs Forh and Linger المنشور في مجلة كوبنهاجن (رقم٥/ ١٩١٠) ص٣٧٥، ٣٨٥.

(٣) Acta Orientalia جزء ٢٧٠ ص١٠٥ وما بعدها من الصفحات.

المولد، على الرغم من اقامته في اليمن[١]. ويكمن اسهامه الرئيس في نقل رواية المغازي عن الزهري، واسمه قد ارتبط أيضاً بعدد من الروايات حول خلافة عثمان وعلي. وهذه المادة، التي تكمن بشكل أساس بالتعديلات المنحازة لأفكار الزهري، هي أيضاً موجهة ضد الأمويين وضد شيعة علي، ففي هذه الرواية نلتقي لأول مرة بقصة رمزية عن كيف أضاع عثمان خاتم النبي. ولانعرف تقييم ورأي معمر بن راشد بشأن طلحة والزبير، إلا ان رأيه المتعاطف مع علي، الذي هو أفضل من طلحة يظهر بشكل واضح جداً اقحام أو دس في اداء الزهري حول انتخاب الخليفة، ويبدو إنها تؤشر إلى كونه معتزلياً. ونفس الشيء يصح باهتمامه بسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر، وميله هذا يجعل صحابة الرسول يعيرون اسماءهم لتعديلاته لمعلومات الزهري[٢].

وفيما عدا الهذيل وربما ابن راشد فإنه من الصعب. عملياً تأسيس وبناء أي هيكلية للرواية حول المعتزلة في هذه الفترة المبكرة. مثل هذا الاستشهاد أو الدليل الذي يمكن جمعه من هؤلاء الرواة دون شك دليل مهم لفهم ولمعرفة نزعات المعتزلة المبكرين المؤيدين للعباسيين، والمرجح ان الاهتمام بالزهري، ويمكن مع ذلك ملاحظتها في بلاط الخليفة في عهد هارون الرشيد، ربما قد أدى دوراً في هذا الخصوص. وعلى أية حال فإن الحقبة بصورة عامة قد لونت وصيغت بنزعات واتجاهات اخرى، وقبل كل شيء بحسم النزاع والمكاشفة بين الحكام الجدد والشيعة. وعلى الرغم من ان كل من الهذيل وابن راشد كانا بشكل جليّ ضد الشيعة، حتى وان كان الاتجاه السائد بأي حال لايتعارض مع برنامج المعتزلة. وان هذه الدلالة من الصعب ان تصح في صياغة الرواية التاريخية، زمن العباسيين[٣].

---

(١) Acta Orientalia جزء٢٧ ص٩٩ وما بعدها من الصفحات.

(٢) آبوت Abbot ص٢٤- لم يحصل المعتزلة على اعتراف رسمي حتى زمن المأمون بن هارون، إذ كان نفسه مع ذلك يضطهد الحركة.

(٣) ومن بين المدنيين فإنه من المنطقي ذكر محمد بن اسحاق (ت٧٦٨م) الذي يبدو إنه قد انهى تاريخه (تاريخ الخلفاء) في البلاط العباسي (آبوت ص٨٧ وما بعدها من الصفحات). وان روايته عن الحرب

في الواقع نادراً ما كان هؤلاء العلماء هم علماء البصرة أو المدينة، ولكن بصورة رئيسة كانوا علماء الكوفة الذين صاروا في هذا الوقت مرحب بهم في حاشية وبطانة العباسيين، والذين كانوا يشكلون ويصوغون الرواية المضادة للشيعة. أيضاً فإن هذا الجزء من عملية صياغة الرواية يعد جزءا غامضا جداً ويمكن تتبعه فقط في مخطط غير واضح المعالم. وللمعرفة العامة فإن الرواة الكوفيين نظير محمد بن السائب الكلبي (ت٧٦٣م) وابنه هشام بن محمد (ت٢٠٤ أو ٢٠٦م/ ٨١٩ أو ٨٢١م) قد واصلوا تلك الرواية الكوفية التي مثّلها عوانة، وبالأخص أبو مخنف. فضلاً عن ذلك فإن اخراج ما في unearthing كتاب انساب الاشراف للبلاذري من كنوز دفينة قد لفت النظر إلى الحقيقة بأن مادة الرواية المتوفرة لأبي مخنف .وهو أحد الثقات الرئيسيين عند البلاذري .لها الكثير من النقاط المشتركة مع اخبار مؤرخ بغداد سيف بن عمر (المتوفى ٧٩٦م) فالاستنتاج إذن ينبغي ان يكون على أن النقل العراقي قد ترسخ وتثبت في نهاية الدولة الأموية[١]. وأخيراً: .وعلى أساس نقاط التشابه بين المادة الموجودة عند الكلبيين وإلى حد ما عند مؤرخي المدينة المتأخرين الواقدي وابن سعد، يبني الاستنتاج بأن السابقين يمثلان مرحلة تقليدية في دمج الرواية الكوفية والمدنية[٢].وبذلك يكون واضحاً بأن عملية دمج لمختلف اسانيد (خطوط Lines) الرواية قد حدثت، وهي ملاحظة لا تصور بشكل مقنع على أية حال مراحلها المتميزة؛ فموازنة بين إداء كل من سيف بن عمر، والواقدي .وإلى حد ما المؤرخين المتأخرين . والدينوري و(إلى حد ما) اليعقوبي، سوف يظهر بأنه لابد وإنهم اعتمدوا بشكل واسع

الاهلية الأولى يبدو إنها قد ضاعت تماما، فيما عدا جزء واحد (البلاذري ص٥٠٢؛ كيتاني مجلد٩ ص٢٨٤ وما بعدها). وفي هذا الجزء حثّ علي خصومه قبل صفين على انهاء الفتنة؛ ومهما يكن فإن معاوية طالب بتسليم قتلة عثمان وتثبيت ولايته بغية الاعتراف بعلي. ومن الناحية التاريخية فإن هذا الجزء مهم لأنه يقوي ويعزز بصورة غير مباشرة الرواية السورية- المدنية بشأن وجهة نظر معاوية، إلا إنها لاتقدم أي ارضية لمكانة ابن اسحاق في التدوين التاريخي.

(١) ديللافيدا ص٤٣٤ وما بعدها، ص٤٤٣، ٤٤٧، وما بعدها، ص٤٥١، ٤٥٧.

(٢) كيتاني مجلد٣ ص٣ وما بعدها.

على مصدر مشترك، الذي بدوره لابد ان استند أو اتكأ على رواية أبي مخنف[١]. هذه الرواية المشتركة هي التي كانت محتوياتها منظمة ومعادة من جديد، وهكذا فإنها . وبصرف النظر فيما إذا كانت موحدة ومتفقة قد نشأت في مراحل تنتمي مؤقتاً إلى الجيل الأول من العصر العباسي، والظاهر إنها تتطابق مع رواية محمد بن السائب أو، ربما بالأحرى، مع رواية ابنه لرواية أبي مخنف. وموازنة بين الأفكار التي احتواها المصدر المعاد بناءه وتنظيمه reconstructed مع مادة الكلبيين واستنطاقات تفصيلات كل من الدينوري واليعقوبي وهشام بن محمد . يجعل من هذا الافتراض محتمل بشكل عال[٢]، وهذا المصدر المعاد بناؤه والمعاد تنظيمه ومادة هشام بن محمد التقليدية يمكن لهذا استعماله . بالرغم من بعض التحفظ، كوحدة؛ وكلاهما يتكئ ويستند على أبي مخنف، وبذلك فإن مشكلتنا وصعوبتنا الرئيسة سوف تشرح إذن تطور الرواية من أبي مخنف ومحمد بن السائب ثم إلى الأمام نحو المرحلة الأخيرة.

معرفتنا عن المادة التقليدية لابن السائب في الواقع هزيلة وطفيفة جداً. ففي قصة طويلة عن مقتل عثمان فإن ابن السائب . كما هو الحال لاحقاً عند الواقدي . يعدّ الثوار المصريين هم المسؤولون عن الماساة. وان ابن السائب يقدّم بجلاء نقطة أساسية كبيرة للبرهنة وللتدليل على ان البصريين، الذين كانت مشاعرهم تميل لمصلحة عثمان قد استجابوا فوراً إلى استغاثة الخليفة المكروب distressed في طلب المساعدة بينما ظل الكوفيون محايدين. وبهذه الطريقة يفسر لنا كيف ان عائشة وطلحة والزبير قد وجدوا دعما لاجراءهم وعملهم في أخذ الثأر في البصرة بعد مقتل عثمان. وان معاوية، على الرغم من استغاثات عثمان الملحة، قد أحجم أو أمسك عن ارسال المساعدة خوفاً وخشية بأن يصبح في صراع صريح ومكشوف مع صحابة النبي، في حين ان سوريين آخرين قد اسرعوا عازمين العقد على انقاذه[٣] وبعد فترة فاصلة طويلة يقدم محمد بن

(١) ينظر حول ذلك بصورة عامة Acta Orientalia جزء٢٧ ص٨٥ وما بعدها من الصفحات.

(٢) ينظر Acta Orientalia جزء٢٧ ص٩٢ وما بعدها من الصفحات. ينظر ص ٣٠٠،٣١٣من الكتاب.

(٣) طبري مجلد١ ص٢٩٨٤ - ٢٩٨٦؛ كيتاني مجلد٨ ص١٦٦ وما بعدها من الصفحات)؛ البلاذري: معاوية رقم ٢٥٥، حيث يتابع خط التفكير نفسه.

السائب رواية محددة دون زيادة أو نقصان يظهر فيها خبراً عن الظروف والملابسات الداخلية حول اجتماع التحكيم، التي ذكر إنها قد وقعت في دومة الجندل، وعند عودة علي من صفين إلى الكوفة في ٢٠ ربيع الأول سنة ٣٧هـ/ ٥ أيلول ٦٥٧)، كان خلال السبعة شهور التالية قد انشغل تفكيره في العمل الاداري ومعارضة الخوارج، وظل الأمر كذلك إلى ان تسلم رسالة التذكير reminder بأن يرسل وفداً برئاسة ابن عباس إلى اجتماع التحكيم، الذي حضره عددا من العرب البارزين أيضاً. وغياب سعد بن أبي وقاص قد تم ذكره بشكل خاص.[1] وعلى أية حال ليس هناك دليل مباشر عن موقف محمد بن السائب تجاه التحكيم، فاستناداً إلى توقيته للتحكيم لابد إنه، كما هو الحال عند أبي مخنف والشعبي، قد حدده في شهور كانون الثاني .شباط سنة ٦٥٨ ولابد إنه أيضاً قد انضم إلى تيار الاداء الكوفي بشأن نتائج التحكيم، وذلك لأنه قد جعل تحذير ابن عباس لعلي ضد انتداب أبي موسى مفاوضاً خوفا من مقاصد واغراض المخادعين، معاوية وعمرو[2].

لذا فإن الأساس في تحديد وتعيين الحكم المبني على الملاحظة وموثوقية محمد ابن السائب أمر ضعيف[3] فنحن نعلم، حتى الآن، بأنه قد أخفى واضمر تعاطفاً شخصياً ضد (الملك) السوري، وهو، ومنذ تاريخ مبكر جداً قد اسهم بشكل فعال في الحملة ضد (الملكية) السورية. وعلى أية حال فقد عاش ليرى سقوطها والقطيعة في العلاقات مع الشيعة المتطرفين radical. ان الروايات القليلة المتوفرة يبدو إنها تؤشر إلى علاقة مع تيار الأفكار الكوفية، وكذلك بأنه كان مشدداً بشكل أكبر في تصويره تعاون ابن عباس مع علي وفي كرهه للامويين. فبعد فشل واخفاق التحكيم ندم علي على عدم الاهتمام والانتباه لتحذير ابن عباس «إنه ينظر إلى المستقبل كما ينظر عبر ستار رقيق*»

(١) البلاذري ص٥٢٣ (كيتاني مجلد١ ص٣٢).

(٢) البلاذري ص٥٢٤ (كيتاني مجلد٢٠ ص٤٣) ينظر هامش كيتاني (المذكور) وكذلك ينظر Acta Orientalia جزء٢٧ ص١٥ وما بعدها من الصفحات- لعل هذه المقدمة قد ظهرت للوجود عبر تحويل انذار ابن عباس إلى أبي موسى في الاجتماع الفعلي.

(٣) ينظر Acta Orientalia جزء٢٧ ص٩٣ وما بعدها من الصفحات.

* أورد البلاذري رواية عن عباس بن هشام الكلبي عن أبيه ان عمراً قال لعبد الله ابن عباس أمام معاوية ((يا

وجاهد الكلبي بطريقة مماثلة ليبرئ ابن عباس فيما يتعلق الأمر بالاتهامات حول اختلاسه بيت مال البصرة، ويتغاضى تماماً وبالمرة عن علاقاته مع معاوية أثناء السنوات الأخيرة من (حكم علي)[١]. إذن فنحن نجد هنا لأول مرة طرقاً في الرواية التاريخية لتبرير العباسيين اكراماً واجلالاً لهم؛ فلم يعودوا مؤيدين مخلصين لعلي فحسب بل كانوا مساهمين ومشاركين فعالين ومستقلين في القتال ضد السوريين[٢].

هذا الاتجاه والميل يزداد قوة حينما نأتي إلى ابن محمد بن السائب، هشام، الذي يبدو إنه بالفعل كان يتمتع برعاية المهدي بسبب رواياته المعادية للأمويين، وان الرواية المجهولة التي طابقنا هويتها هنا معه وبتحفظ. نستطيع، على وجه التعميم، ان نقبلها ونأخذ بها بأن هشام بن محمد قد نقل خبر والده، إلا إنه بالإضافة إلى ذلك، حتى الآن، فإنه يزودنا ويوفر لنا مادة كثيرة أخرى؛ لاسيما وإنه كثيراً ما يستشهد بأبي مخنف، الذي يعدّ من أكثر النقلة أهمية بالنسبة إليه. إنه من الصعب بشكل عام ان

بني هاشم أما والله لقد تقلدتم من دم عثمان كفَرَم الاماء العوارك... وإنما نظر الناس إلى قريش ونظرت قريش إلى بني عبد مناف ونظر بنو عبد المناف إلى بني هاشم. فقال ابن عباس لمعاوية ما تكلم عمرو إلا عن رأيك وان أحق الناس ان لايتكلم في قتل عثمان لأنتما، أما أنت يا معاوية فزيّنت له ما صنع حتى إذا حُصر طلب نصرك فابطأت وتثاقلت وأحببت قتله وتربصت لتنال ما نلت، وأما أنت يا عمرو فأضرمت المدينة ناراً، ثم هربت إلى فلسطين... فلما بلغك قتله دعتك عداوة علي إلى ان لحقت بمعاوية فبعت دينك منه بمصر. فقال معاوية: حسبك يرحمك الله، عرّضني لك ونفسه فلا جزي خيراً)) انساب الاشراف ص١٠٣ [المترجم].

(١) نفس المصدر جـ٢٧ ص٩٤. لقد اقحم البلاذري: معاوية (رقم٣٥) الاتهامات ضد معاوية في تعبير ابن عباس أو في فم ابن عباس. وهذا يتطابق ويتماثل مع (التفسير) المنسوب إلى محمد بن السائب الذي كان معروفاً على شكل جزئي عند الطبري وابن سعد، وهو يستشهد بابن عباس كمصدره النهائي أو الأخير (ينظر Abbot ص٤٥ وما بعدها من الصفحات). ان أجزاء الاسطورة من العهد القديم الموجودة هنا، تتماثل تماثلاً وثيقاً مع اسفار أو مع الكتابات العربية- المسيحية المشكوك فيها من نفس الفترة- القرنين الثامن والتاسع الميلاديين- وعلى مغايرة مع ما قالته نبيبا آبوت Nabia Abbot فإنني اميل إلى الاعتقاد بأن الاستشهاد بابن عباس لابد إنه من اختراع وتلفيق الكلبي، حتى ولو ان بعض الروايات تفيد في القاء الضوء على الروايات والاوصاف القرآنية من العهد القديم، وهي روايات واوصاف يحتمل إنها معروفة لدى ابن عباس أيضاً.

(٢) GAL (S) جـ١ ص٢١١.

نتثبت ونتحقق عن مصداقية اداءاته[١]. غير ان هناك أمثلة حيث نلاحظ فيها التحول من أبي مخنف إلى هشام بن محمد أو إلى المصدر المشترك المعاد بناؤه والمعاد تنظيمه.

يذكر المصدر المشترك بأنه بعد انتخاب الخليفة أشار المغيرة بن شعبة على علي ان يبقي على ولاة عثمان .ولاسيما معاوية .من أجل ضمان ولاء الاقاليم. ومهما يكن، فعند تردد علي، سحب المغيرة هذه المشورة counsel وبدلاً عن ذلك نصحه بعزل الولاة. ولم يكن شرح ابن عباس لنصيحة ابن شعبة الأولى كانت مناسبة وقد تزعزع من عناد وصلابة علي الورعة التقية. ثم نسمع عن عدد من التعيينات إلى ولايات الاقاليم. ورضخ جميع الولاة المعزولين فيما عدا معاوية الذي رفض العزل بقوة السلاح لرجل كان قد عينه علي، وبطريقة مماثلة رفض طلب الخليفة في البيعة. وأخيراً فإن هذا المصدر يذكر بأن عمرو بن العاص، الذي كان أثناء الثورة ضد عثمان قد انسل هارباً إذ غادر فجأة make off إلى فلسطين، مباشرة بعد المقتل بدأ رحلة إلى سوريا، والواضح إنه عمل ذلك بهدف الوقوف إلى جانب معاوية[٢].

ويواصل ابن الكلبي حديثه فيكرر النقاط الأساسية في رواية أبي مخنف عن مجرى الأحداث حتى اجتماع التحكيم وعن تمرد الخوارج، إلا إنه اضاف إلى هذا الموضوع الرئيس عدداً من التفصيلات حول حكايات تلقي الضوء على آرائه الخاصة. ثم يعيد؛ خبر والده بشأن تحذير ابن عباس من استعمال أبي موسى الاشعري مفاوضاً في التحكيم[٣]، وبعد النهروان فقد جعل من عمارة بن عقبة بن أبي معيط، الأخ غير

---

(١) هناك مثال واحد متماسك فقط يمكن التحقق منه وذلك في خبر حول مقاومة العثمانية ضد علي في الرقة (الطبري مجلد١ ص٣٢٥٩- ٣٢٦٠) عن هشام بن محمد ثم عن أبي مخنف، البلاذري ص٥٠٢- ٥٠٤ عن أبي مخنف وآخرين. كيتاني مجلد٩ ص٢٦٧، ٢٨٧). ففي هذا المثال كانت الاتفاقية كاملة تقريباً؛ والحقيقة فإن الطبري في ادائه لايذكر بأن المقاومة هي عثمانية ولم يخصص ويفصل الخصائص الأساسية المطلوبة بسبب اختصار هشام بن محمد.

(٢) ينظر Acta Orientalia جزء٢٧ ص٨٨ وما بعدها مع الهوامش.

(٣) وهو يضيف نبوءة مشكوك في صحتها عن فشل أو اخفاق أبي موسى اليعقوبي جـ٢ ص٢٢١- ٢٢٢ (كيتاني مجلد١٠ ص٣٥ وما بعدها)؛ ينظر المسعودي: مروج جـ٤ ص٣٨٣ وما بعدها [ينظر ص٢٢٩و٣١٨من الكتاب].

الشقيق لمعاوية، يعلمه من الكوفة بأن علياً قد قمع suppress قراءه الخاصين والنساك godly men؛ وبأن جيش الخليفة واهالي المناطق المجاورة قد أبيدوا wipe out عملياً، وبأن اختلافات عنيفة قد اندلعت بين انصار علي. فكان تعقيب معاوية على ذلك بأنه ربما سيتوجه إلى الكوفة للانقاذ.

فهذه الحكاية بلا ريب مشكوك في صحتها إلا ان النقطة المتنافرة فيها ذات قدر من الأهمية إذ إنها تبين بوضوح النزعة والاتجاه الموالي للعباسيين في التوكيد والتشديد على كيف كان اللاانسجام بين قوات جيش علي اساسياً قد عبّد الطريق أمام الخلافة غير الشرعية[١].

هذه الرواية .رواية الكلبي وتلك الرواية من المصدر المشترك .المتحيزة والمحابية للعباسيين هي الرواية الاقوى والأكثر تفصيلا من رواية والده .فإن عملية التصفية والتطهير بين صفوف ولاة عثمان قد قدمت على إنها وصف متحيز بشكل جليّ، وذلك لأن الأسماء الجديدة تنتمي وترجع جميعها أما إلى صحابة الرسول أو إلى أبناء العباس، وان خبرها عن التعيينات لابد وان استند واتكأ على اعادة تنظيم اعتباطي وكيفي للعناصر من النقل المبكر[٢]. وبطريقة متماثلة تماماً فأن قصة مشورة المغيرة لعلي لابد وإنها قد استندت على رواية معدّلة لأبي مخنف، الذي، على عكس الكلبي والمصدر المشترك، يصور المشورة والنصيحة على إنها بغيضة وعلى ان علياً وابن عباس قد رفضاها بالاجماع[٣]. ورواية أبي مخنف مع ذلك وإلى حد ما متذبذبة في تفصيلاتها، ولا تعرف شيئاً عن تعيينات علي للولاة، فتشكيل أو بنية هذه الرواية لابد إنها قد تجذرت وترسخت عند أبي مخنف، غير ان تطورها المتحيز الآخر لابد وإنه ينسب إلى ابن الكلبي نفسه..

---

(١) البلاذري ص٥٤٢- ٥٤٣ (كيتاني مجلد١٠ ص١٠٨ وما بعدها).

(٢) Acta Orientalia جزء٢٧ ص٩١ وما بعدها. وهناك وصفة مميزة بأنه ليس هناك أحد من العباسيين قد عيّن ووضع في أماكن مكشوفة أو معرضة للخطر أمثال سوريا أو مصر.

(٣) ينظر أبا مخنف عند البلاذري ص٤٦٦ (كيتاني مجلد٨ ص ٣٣٠).

أما نقل هشام بن محمد فهو ضد الامويين بشكل قوي[١]، لكنه اتخذ موقفاً ودياً، حتى وان كان أحياناً وإلى حد ما يمسك عن ذلك، أزاء علي، الذي (مع جميع عدالته وصفائه الديني) فهو في الوقت الراهن قد تفوق عليه ابن عباس[٢] وان السمة الملحوظة والبارزة في هذا النقل في الواقع تصوير هشام لابن عباس على إنه الناصح والمخلص للخليفة وانه يلقي المسؤولية في مجيء الخلافة الأموية على شيعة علي واتباعه فنزعة واتجاه هذا التطور التقليدي للرواية إذن يعدّ في المقام الأول اتجاه موالٍ للعباسيين، وهناك دليل متميز وملحوظ بشكل كبير وإلى حد ما طريف ومهم قد دمج وكيّف وغيّر وفقاً للمعيار الذي أعده الحكام الجدد. فالعناصر الأساسية لمثل هذا الدفاع عن العباسيين قد اقتبس من النقل الكوفي، الذي هكذا وبصورة مذهلة في تاريخ مبكر قد كيف باتجاه المحيط الجديد، ويحتمل ان أحد الأسباب لهذا ربما يكمن في القطيعة مع الشيعة المتطرفين إذ حتّم واوجب تعزيز فوري وعاجل لاعادة تقديم وتفسير reexpounding رسمي ومرخص به للفتنة.

ومهما يكن فأن مباني الكلبي لحد الآن ليست سوى مواد تشكل منها مواد أخرى لتحريفات وتشويهات واسعة قد التقينا بها باختصار قبل سنة ٨٠٠م عند سيف بن عمر. وهي اختلافات وتلفيقات اظهر فلهاوزن[٣] بشكل كامل منافاتها التاريخية.

ومع ذلك فإن السؤال لم يزل باقياً بخصوص وضعية ومكانة سيف في عملية التكييف والتعديل هذه: فهل كانت مبانيه خالية من أي معنى، وأيضاً هل إنهم يشيرون

---

(١) وهكذا مثلاً البلاذري ص٥٨٧ (كيتاني مجلد ١٠ ص٣٥٤)؛ البلاذري: معاوية رقم٣٥، ٢١٥، ٢٥٥ (حيث ان ابن عباس هو الذي يعبّر عن الادانة).

(٢) ان مجموعة الرسائل الزائفة والمشكوك في صحتها التي نقلها البلاذري من ابن الكلبي (كيتاني جـ١٠ ص٤٤٤ وما بعدها من الصفحات) تشدد باستمرار على تقوى الخليفة. كذلك اليعقوبي (جزء٢ ص٢٣٥ وما بعدها من الصفحات)، ان الجاحظ ومؤلف كتاب نهج البلاغة قد افادا من نفس المادة (ينظر في هذا الكتاب ص١٦٠). وأخيراً فإنه من المهم القول ان ابن الكلبي يؤكد بالدليل - بخلاف أبي مخنف ووالده - ان ابن عباس قد احترم طلب علي باعادة اموال البصرة، فنحن نراه هنا بريء تماماً (اليعقوبي جـ٢ ص٢٤٢، كيتاني جـ١٠ ص٢٠٥ - ٤٢٣.

(٣) فلهاوزن Prolegomena ص٣-٧؛ ينظر كيتاني مجلد٨ ص٤٢ وما بعدها، ص٩٩ وما بعدها من الصفحات مجلد٩ ص٥، ٢٣، ٨٦ وما بعدها؛ كذلك Acta Orientalia جزء٢٧ ص٩٧ وما بعدها.

إلى اتجاهات ونزعات مفروضة ومتعمدة؟ وبالفعل فقد اثبت فلهاوزن ان الغرض الرئيس في اداء سيف بن عمر هو لاثبات ولاظهار ان مقتل عثمان يعزى إلى الفرقة الشيعية المتطرفة rabid (والأولى من حيث الزمان proto) السبأية، الفرقة التي اعاقت ولمدة من الزمن بعد مقتل الخليفة sabotaged انتخاب الخليفة. ولكن كان عليه ان يكفّ عن القيام بذلك بسبب افتقاره إلى التأييد (أيضاً في المدينة) إلى ان توفرت له المساندة الكوفية عندها شعر بأنه قوي إلى درجة كافية: وكان تدخل الفرقة فقط هو الذي اعاق وحال دون التوصل إلى حلّ سلمي للنزاع مع طلحة والزبير قبل معركة الجمل، وبالنتيجة معاقبة القتلة[١]. وبعد معركة الجمل شعر السبأية بعدم الرضا والاستياء من توزيع الغنائم فشرعوا وبدأوا التآمر دون علم علي. في ظل هذه الظروف أخذ سيف بوضوح يتابع الخط من هنا وحتى تبرعم وبداية نشوء الخوارج[٢].

وبطريقة مماثلة فإن سيف بن عمر يعدّ ويهيء علاقات علي مع معاوية بهذه الهيكلية، ففي قصة مشورة المغيرة بن شعبة لعلي فإنه يلحق ويضيف حججاً وخلفيات ابن عباس بملائمة المشورة الأولى مع تعقيب بأنه كان على علي ان يترك أو يغادر مكان القتل لكي يتفادى كل الشبهات في إنه قد شارك في الجريمة[٣]. وطالما اتخذت

(١) فلهاوزن: Prolegomena ص١٢٤ وما بعدها من الصفحات؛ فريدلاندر: ابن سبأ Friedlander, I: Abdallah ibn saba', der Begrunder der sia, und seine judische ursprung نشر البحث في مجلة (ZA) مجلد ١٣- ١٤ (١٩٠٩- ١٩١٠) ص٢٩٧ وما بعدها؛ كيتاني مجلد٨ ص٤٢ وما بعدها من الصفحات.

(٢) الطبري مجلد١ ص٣٢٢٦- ٣٢٢٧ (كيتاني مجلد٩ ص١٩٩). هذا الخط يؤدي إلى الخوارج وقد اشارت إليه ملاحظة الطبري مجلد١ ص٣٢٣٠ (كيتاني مجلد٩ ص١٥٠ وما بعدها، دون اسناد) ينظر [لاحقا في الكتاب ص٢٧٦]، ان رواية سيف بصرف النظر عن جزء واحد، قد نقلت على وجه الحصر من قبل الطبري، الذي تابعها كمصدره الرئيس لهذا العرض من الثورة ضد عثمان إلى معركة الجمل (الطبري مجلد١ ص١٨٤٤- ٣٢٥٥) [ينظر لاحقا من الكتاب ص٢٧٦-٢٧٧].

(٣) الطبري مجلد١ ص٣٠٨١- ٣٠٨٣ (كيتاني مجلد٨ ص٣٣٧ وما بعدها) حتى ان سيف قبل المقتل قد جعل مشورة المغيرة لعلي بالانسحاب (الطبري مجلد١ ص٣٠١٩؛ كيتاني مجلد٨ ص٢١٧) [والجدير بالذكر ان رواية سيف عند الطبري تذكر ان سهل بن حنيف قد وصل تبوك حين لقيته خيل فقالا من أنت؟ قال: امير قالوا على أي شيء؟ قال على الشأم قالوا ان كان عثمان بعثك فحيهلا بك وان كان بعثك غيره فارجع... الطبري مجلد١ ص٣٠٨٧. تشير إلى ان اعتراض سهل كان مصادفة كما تعكس الرواية [المترجم].

الأمور الآن موقفا، نرى بني أمية يتهمونه بأنه كان من ساعد على الجريمة. فالخبر حول توزيع الولايات خبر قد أُحكم وطوّر من قبل سيف مع اخبار مصير كل شخص مرتبط بالحادث؛ فسهل بن حنيف .وهو الشخص المختار ليحلّ محل معاوية .قد اعترضت سبيله خيالة معاوية، وفي شهر صفر سنة ٣٦هـ أي نهاية شهر تموز .إلى نهاية آب ٦٥٦، كتب الخليفة إليه ولكن دون جدوى، وبقي الأمر حتى الشهر التالي ربيع الأول إذ بعث معاوية رسولاً إلى علي يحمل رفضه في البيعة. وقد ذكر المبعوث أمام الخليفة ان ستين ألفاً من الشيوخ السوريين يبكون بسبب قميص عثمان القميص الذي علق على المنبر في دمشق؛ وقد اقسموا وأدوا القسم بأنهم لم يتطهروا ويمتنعوا من ملامسة النساء chastity حتى يثأروا وينتقموا بقتل علي. واندهش الخليفة بل وفوجئ بذلك بكونه الهدف للانتقام بأخذ الثأر؛ وقد أكد المبعوث ان القتلة سوف يعاقبون، وان تهديدات السبأية فقط هي التي منعته مرة أخرى من اتخاذ ذلك الإجراء[١].

لقد نجح سيف بن عمر في هذا العرض وذلك لجعله ملائماً لتمرد معاوية ومنطبقا ورؤيته العامة؛ فالمسؤولية بالنسبة إلى ذهاب القتلة دون عقاب وكذلك، بالنسبة للنزاع المسلح يقع كلية على السبأية وانصارها، اولئك الذين يجدهم سيف في المقام الأول من البدو (أهل العرب). وسنعود إلى هذه الخصومات القبلية في ادناه، إلا إنه من الواضح بالفعل الآن بأن مجرى الأحداث عند سيف قد تبدل وتغير تغيراً يصعب تمييزه فالهدف الحقيقي للنزاع .أي الإجراء بالانتقام لعثمان .قد فشل في ادخاله

---

(١) الطبري مجلد١ ص٣٠٨٧- ٣٠٩١ (كيتاني مجلد٩ ص٨- ١١) [الملاحظ ان معاوية وبعد ثلاثة اشهر من مقتل عثمان دعا رجلا من بني عبس وآخر من بني رواحة يدعى قبيصة وسلمهما طومارا مختوما. ونصحهما ان دخلا المدينة ان يقبضا على أسفل الطومار. وأوصى العبسي ما يقول. فلما فضّ الأمام علي الطومار وجده خاليا فسأل العبسي عن خبره فأجاب «ان الرسل آمنة لاتقتل» ثم اردف قائلا «تركت ستين ألف شيخ يبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد البسوه منبر دمشق، فقال الإمام «مني يطلبون دم عثمان... اللهم إني ابرأ اليك من دم عثمان، نجا والله قتلة عثمان إلا ان يشاء الله فإنه إذا أراد امراً اصابه، اخرج» وتقول الرواية ان العبسي خرج «وصاحت السبئية قائلين هذا الكلب هذا وافد الكلاب". وحدث جدال عنيف بين السبئية والعبسي. هكذا تتحدث الرواية وليس هناك من أمر يتعلق بقول الإمام ان السبئية تمنعني من معاقبة القتلة. كذلك لا تحتوي على معلومة إنهم تطهروا بعدم ملامستهم النساء [المترجم، الطبري مجلد١ ص٣٠٩٠- ٣٠٩١].

بالاعتبار في اعلان الحرب والمكاشفة مع الهمجية القبلية الهرطقية التي ينسبها سيف إلى السبأية. وفي الوقت نفسه فإن البنية للتاريخ الزمني في الأداء قد جعله بناءً على ذلك مطابقاً للعقل ومسوغاً إلى ان الصدع في العلاقات بين معاوية وعلي يرجع تاريخه إلى شهري صفر وربيع الأول وأعني آب .ايلول ٦٥٦م؛ وبهذه الوسيلة نجح سيف في ان يلهب في طلحة والزبير الروح باشارته إلى (بسالتهما في المباشرة بالقتال) بينما كان الخليفة منشغلاً في تمرد معاوية[١]. وهذا يتوافق على نحو تام مع معلومة سيف في مسألة تعليق قميص عثمان في المسجد إذ استمر لمدة سنة كاملة، وهو بالضبط الوقت الذي انقضى بين مقتل الخليفة والمواجهة في صفين[٢]. ولانعرف عن عرض سيف ما بعد معركة الجمل، غير ان الروايات هنا تشير إلى توضيح بأن الصورة التي رسمها حول النزاعات القبلية الطائفية لابد إنها قد وجدت بواسطة التبديلات والتغييرات المتميزة للنقل الكوفي إلى درجة كبيرة، مثلاً، هشام بن محمد وإلى ذلك المصدر المشترك المجهول، الذي يحتوي على تفصيلات كثيرة جداً مشتركة معه[٣]. وعرضه لايحتوي على شيء على الاطلاق بما له علاقة بالحقائق التاريخية لكنها بالأحرى تكشف عن المشاكل التي انشغل فيها معاصري سيف الخاصين. فمن المحتمل ان عبد الله بن سبأ، الذي حمّله سيف بن عمر مسؤولية الثورة ضد عثمان ومسؤولية الحقيقة التي تفيد بأن النزاع لم يحل ولم يقر في الوقت المحدد، قد عاش في منتصف القرن السابع الميلادي؛ غير ان التعاليم المتعصبة الطائفية التي تنسب إليه بالكاد لها أي شيء مشترك مع شيعة علي الاوائل كما نعرفهم في المصادر الأصلية. وعند سيف فإن ابن سبأ أو ابن السوداء الذي واعتماداً على وصفه إنه كان يهودياً من اليمن تتطابق هويته مع ابن سبأ، قد تنبأ برجعة علي (second coming). وبتفسير هرطقي .غالي .لنص من

---

(١) الطبري مجلد١ ص٣٠٩١- ٣٠٩٢ (كيتاني مجلد٩ ص٢٣ وما بعدها).

(٢) الطبري مجلد١ ص٣٢٥٥ (كيتاني مجلد٩ ص٢٣٣ وما بعدها).

(٣) ينظر Acta Orientalia جزء٢٧ ص٨٤ وما بعدها من الصفحات وهكذا فإن هذه الملاحظة تؤكد وتعزز، بالرغم من إنها إلى حد ما غير مباشرة، نقاطه التي تم ذكرها في اتصاله بأبي مخنف.

القرآن يؤكد ويجزم ان لكل نبي وصي، وان علياً وصي محمد in casu؛ ولما كان محمد هو آخر نبي، لذلك فإن علياً هو آخر وصي، وان عثمان قد أخذ دون إذن واستولى بوسائل غير مسوغة على هذا الحق أو هذه المرجعية، الوصية[١]. ونحن لسنا بحاجة إلى ان نذهب إلى التفاصيل بغية ان ندرك ونفهم بوضوح على إننا نتعامل مع أفكار متجذرة في المفاهيم الفارسية واليهودية، التناسخ metem psychosis والتقمص والمهدية Messianism. حتى وان كانت مثل هذا النوع من الهستريا (الهرع) الدينية يصعب اقصاءها أو استثناءها في الأزمنة المضطربة فهناك مبرر ضئيل للتصديق في اداء سيف. ففي المقام الأول، ان هذه المفاهيم يصعب اندماجها في الشيعة قبل نهاية القرن السابع الميلادي، عندما تشكل المتطرفون الغلاة وتزيوا بزيّ كحركة مقاومة اجتماعية ودينية في الاقاليم الشرقية[٢]. وفي المقام الثاني، فإن هوية ابن سبأ مع ابن السوداء، كما يسلم به سيف بن عمر، مشكوك فيه جداً حيث ان المصادر الأصلية تقول ان علياً قد اعدم احدهما ابن سبأ، وإنها تدلي وتقدم حججاً لهذا تختلف تماماً عن الحجج التي قدمها سيف[٣].

وأخيراً فإنه من الأهمية بمكان على أساس الاقتباسات المفترض إنها كانت أصلية عن الشعبي، ان ابن طاهر البغدادي (المتوفى ١٠٣٨) يؤكد بأن ابن سبأ الذي أخذت السبأية اسمها منه، وابن السوداء ليسا ـ كما ذكرهما سيف .متطابقين. فنبوءة ابن السوداء مستندة إلى قول الشعبي بأنه على اتفاق تام مع العقائد التي ينسبها سيف ابن

(١) الطبري مجلد١ ص٢٩٤١- ٢٩٤٤ (كيتاني مجلد٨ ص٤٩- ٥١) وأخذ كل من الاثير ومسكويه ويحتمل المقريزي رواياتهم منه فريدلاندر: ابن سبأ ص٢٩٨ هامش٣. وحول المفاهيم المذكورة ينظر فريدلاندر، المصدر هنا وهناك، وبهل Buhl ص٣٥٨ وما بعدها من الصفحات، ٣٧٤ وما بعدها من الصفحات.

(٢) فريد لاندر: ابن سبأ (جزء٢ ص١) وما بعدها من الصفحات؛ أ. س. موسكاتي ص٢٥٧ وما بعدها من الصفحات.

(٣) ان عرض البلاذري لابن سبأ بأنه مرتد هو العرض الأكثر قبولا وجدارة بالتصديق. وان الزعم بأصله اليهودي يرجع دون شك إلى بناء متأخر. ينظر البلاذري ص٥٤٢ (ديللافيدا ص٤٩٥؛ كيتاني مجلد ١٠ ص١٠٧) الذي مع مصدره أبي محنف يشير إليه على إنه عربي. وعن ابن سبأ ينظر فريدلاندر؛ موسكاتي ص٢٥٣ وما بعدها ص٢٥٦، ٢٦٤؛ هوجسر Hodgsor في دائرة المعارف (طبعة ثانية) مجلد١ ص٥١.

عمر إلى السبأية[١]، وينبغي علينا ان نفترض ونستنتج بأنه اعتماداً على هذه العقائد بالذات قد استقى سيف العناصر لعرضه حول تعاليم ابن سبأ. ان تطابق هوية ابن سبأ مع ابن السوداء وتوليف هذا المعتقد الهرطقي مع الثورة ضد عثمان بجميع نتائجها لايمكن إلا بالاعتماد فقط على بناء سيف الخاص. ونفس الشيء ينطبق على الصلة المسلم بها بين البدو الاعراب والسبأية. إذن فعلى وجه الاجمال علينا ان نفترض امراً مفروغاً منه بأن سيف قد عكس الشيعة المتطرفة في زمانه وارجعها إلى الوراء إلى زمن الحرب الاهلية (الفتنة) الأولى وذلك عن طريق سلسلة من البناءات تنطوي على المغامرة: وان تعديلاته وتبديلاته المتطرفة كان غرضها جعل أصحاب علي، الذين طابق هويتهم مع الغلاة، كانوا هم المسؤولون عن الفتنة وبأنهم قد شلّوا حرية الخليفة في اتخاذ إجراء. ونحن لانعلم بالتأكيد فيما إذا كان قد حمّل السبأية أيضاً مسؤولية اخفاق الخليفة التالي[٢]. مع ان الاقتراح بأن الخوارج قد برزوا ونموا نتيجة التذمر الذي ساد بعد معركة الجمل تشير إلى ذلك الاتجاه. وهكذا يبدو ان تحيز وتحامل سيف بن عمر يتجذر من بيئته الخاصة في نهاية القرن الثامن.

وعلى أية حال يبدو من المحتمل ان نخطو مع ذلك خطوة اقرب إلى رؤى سيف إذ كما مرّ ذكره، فإن سيف يربط السبأية بثورة البدو الاعراب ضد عثمان. وهذه بالكاد يقصد منها تلميحاً أو إشارة ضمنية إلى العداء والتنافر بين القبائل السورية والعراقية[٣]. فاستناداً إلى هذه الرواية فإن اثارة ابن سبأ الهياج قد وجد تربة خصبة فعلا في الكوفة، وان الحركة قد انضمت إليها مصر ايضا، في حين إنها لم تجد لها أي ظروف للنمو والتزايد في سوريا. وأهداف ومقاصد سيف هي مقاصد يمكن ملاحظتها في رواياته

---

(١) فريدلاندر: ابن سبأ جـ٢ ص ٤٠ وما بعدها (الترجمة جـ١ ص ٣١٠ وما بعدها).

(٢) ينظر لاحقا [ص٢٨٢-٢٨٣]. وفي رواية مبكرة جداً ان أحد اتهامات الخوارج ضد علي بأنه قد اسقط اخذه الغنائم في البصرة. ومما لاشك فيه ان هذا التفصيل بالذات قد انتفع منه سيف في ربط تذمر السبأية بعد معركة الجمل.

(٣) فقط النبوءة عن الحرة في رواية سيف قد تكون مؤشراً بهذا الخصوص «يا آل مصر، يا آل مصر، يا آل قيس؛ الفرسان والنشابة، كلامكم سوف يرفضها اربعة آلاف فارس».

عن الثورة في العراق ضد عثمان فأهل الذمة والمؤمنون قد اشتكوا وتذمروا من شخص يدعى حكيم بن جبلة، (وهو لص بهيئة جندي)، فقد نهب وسلب بعد فتح بلاد فارس وحضّ أو حثّ على الضرائب، لاسيما من الذميين. وسجنه والي عثمان في الكوفة، غير إنه مع آخرين كثر استهوته اثارة وتهييج ابن سبأ[١]. وعلى هذا الأساس فقد حقق سيف تطابقا في الهوية بين السبأية والغرائز البدوية الهمجية والوحشية untamed بمغايرة مع الذميين، فالسكان غير المسلمين المستقرين وكذلك المؤمنين المستقرين. وان وصفه لفعاليات أو نشاطات عبد الله بن سبأ في مصر كانت على نفس الخط. وقد امتنع المصريون عن التورط والتشوش بافكاره الخارجة عن الاجماع heterodor فلم يقبلونها إلى ان استحثهم على ثورة سياسية ضد ابن العاص، القرشي الذي قد استثمرهم ماليا. وقد تغلب ابن سبأ على ترددهم في النهوض ضد رجل من أصل عربي وذلك بالإيحاء إلى إنهم تحركوا بثورتهم ضد ظلم عمر الاقتصادي وسوء استعماله لاقتصاد بلدهم. «وانكم البوابة أو المدخل إلى العرب وحصنهم their dike . ولانتمي إلى عامة الخليفة"[٢]. وحينما تسلم عمرو فيما بعد الاخبار عن موت عثمان، أعلن ان الباب بين قريش والبدو قد انكسر وإنه (سوف لن يصلح إلا بمثاقب (الاشافي) التي بإمكانها تمييز وفصل الهداية من حفرة pit الشر والفساد evil وان يمنح المرء العدالة"[٣]. والواضح من فم سيف ان أهل العرب* ليس تعبير مدح أو اطراء بل

(١) الطبري مجلد ١ ص٢٩٢٢- ٢٩٢٣ (كيتاني مجلد٨ ص٥٣ وما بعدها)

(٢) كتاب التمهيد ص٧٤ وما بعدها (كيتاني مجلد ١ ص٥١ وما بعدها من الصفحات).

(٣) الطبري مجلد ١ ص٣٢٥٠- ٣٢٥١ (كيتاني مجلد٩ ص٢٣٥ وما بعدها). وهناك ملاحظة أو إشارة أخرى في المصدر المشترك (ابن الكلبي)، Acta Orientalia جزء٢٧ ص٨٩ [والرواية عند الطبري عن سيف بن عمر بشأن تنبؤ عمرو بن العاص بقتل عثمان عندما خرج من المدينة فحينما أُبلغ بخبر مقتله ومبايعة الناس للإمام علي قال سلامة بن زنباغ الجذامي: يا معشر قريش، إنه والله قد كان بينكم وبين العرب باب، فاتخذوا بابا إذ كُسر الباب. فقال عمرو بن العاص وذاك الذي نريد ولايصلح الباب إلا اشافٍ (مفردها اشفى وهو المثقب) تخرج الحق من حافرة البأس ويكون الناس في العدل سواء. ثم ارتحل راجلا يبكي كما تبكي المرأة: واعثماناه! انعي الحياء والدين، حتى قدم دمشق] فالبروفسور بيترسن قد تصرف في ترجمة عدد من التعبيرات فالعرب تحولت م١/ ٣٢٥٠- ٥١ إلى البدو، وتعبير تخرج الحق من حافرة الناس، وتعبير يكون الناس في العدل سواء هي غير guidan، seperate، والحافرة ليست pit...الخ

بالأحرى عبارة ازدرائية لعناصر ساذجة minded . simple وبسيطة من الاهالي الذين تركوا أنفسهم يستثمرون ويستغلون سياسيا ودينيا بدعاية واشاعة وبمبررات اجتماعية. وعلى فرض ان هذه القراءة صحيحة، فسنلتقي هنا لأول مرة .بالرغم من عدم مباشرتها ـ كدليل واستشهاد الكتابة التاريخية من ان التطرّف الشيعي ابتدأ تخلله وتسلله إلى الطبقات الدنيا كمعارضة اجتماعية ضد الحكام التقليديين، مع إنها هنا تتحول إلى وضع وحالة لاتمت إليها بصلة.

والرواية التي عكس سيف بن عمر صورتها ببناءات مفصلة تكشف رسوخ أو توطيد العباسيين الأول بكل الدرجات بماضيهم الثوري، وهو تواصل واستمرارية شديدة الشبه بتلك الاتجاهات التي قد لاحظناها بالفعل عند الكلبي.. والواضح ان سيفا كان ميالا للعباسيين وإنه قد اتخذ موقفا وديا تجاه علي، ولكنه يصوره ويصفه بأنه كان ضعيفا powerless أمام الشيعة المتطرفين، وبناء على ذلك فإنه كان ضعيفا أيضاً أمام خصومه. وفي دفاع سيف بن عمر عن قضية العباسيين فإن مقولة سيف بن عمر قد تحققت وانجزت بثبات استثنائي جداً في مثل هذه الظروف، وببناءات جريئة وجسورة معتمدا المصادر الكوفية التي بحوزته، وبنفاذ وحساسية بالغة جعلت لعرضه صفة مميزة لاثارة الهياج السياسي المتعلقة بالأحداث الجارية أكثر من كونه في الكتابة التاريخية ذات الأهمية الدائمية[١].

فاتساع نمو وتزايد الرواية العباسية عند الاجيال الأولى بعد تبدل الدولة قد اعتمد

[المترجم].

※ لم يرد عند الطبري في روايته عن سيف بن عمر في هذا المجال تعبير (أهل العرب) والنص حرفيا «يا معشر قريش، إنه والله قد كان بينكم وبين العرب باب..» مجلد١ ص٣٢٥١ [المترجم].

(١) باستثناء الطبري فإن الكتابة التاريخية العربية يبدو إنها قد تأثرت قليلا فقط بوجهات نظر سيف وهي نادرا ما تستشهد به وتقتبس منه، ويحتمل أيضاً ان سبب ذلك يرجع إلى طريقته في المعالجة إذ سرعان ما اهملت. وبالفعل فإن الذهبي قد اتهمه بأنه غير ثقة وبعدم موثوقيته (فريدلاندر: ابن سبأ جـ١ ص٢٩٧). ومهما يكن فإن ابن عساكر في مسألة واحدة يبدو إنه تأثر برأي سيف بقدر ما جعل«اتباع عبد الله بن سبأ... السبب الرئيس للنزاع بين الناس» (ابن عساكر ص٥٧٦، ٥٨٦؛ كيتاني مجلد٨ ص٣١٧)؛ ينظر أيضاً فريدلاندر: ابن سبأ جزء١ ص٢٩٨ هامش٣.

مثلاً اعتمادا كبيرا على المادة التقليدية من مصادر خارجية لاسيما كوفية. وباقتباس من هذه المصادر فإن فهما ذو مغزى عن الفتنة قد صار مألوفا ومصاغا من مرحلة مبكرة جداً، مع آثار قوية للنزاع العباسي مع الشيعة المتطرفين، وللمساعي في ان ينسب لهؤلاء دورا فعالا في القتال ضد الأمويين إلى جانب علي، حيث خذله وتخلى عنه اتباعه[1]. ان هذه البرغماتية والذرائعية التي لاحظها فلهاوزن عند سيف بن عمر هكذا نمت وتطورت بشكل أساسي ومتناسق الأجزاء إلى مؤسسة الخلافة العباسية. ويمكن فهمها واعتبارها رابطاً في إيجاد أو خلق رأي عام ذرائعي أخذ مكانه في مساعي وجهود الحكام الجدد في تحرير أنفسهم من اصلهم الثوري وبأن يكيفوا أنفسهم إلى بداية تحولات وتبدلات اجتماعية.

الرواية العباسية (٨٠٠ م - ٨٥٠م)

وفيما يتعلق الأمر بالعباسيين فيبدو إنهم قد علّقوا أهمية كبيرة على تمثيلهم ووضعهم موضع التنفيذ الاجماع الارثوذكسي (السني) للمجتمع الاسلامي، ولذلك فإن الكتابة التاريخية خلال النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي لابد من وصفها بالكتابة التاريخية الارثوذكسية (السنية) على الرغم من كونها في الواقع نتاج تلك الفترة فترة الصراعات العنيفة. ان الكتابة التاريخية لسيف بن عمر قد زودت ووفرت الصورة الواضحة جداً لحسم النزاع مع الشيعة، فقد ظلت تمثل فاصلا مسرحيا intemezzo ترك اثاراً قليلة جداً في الكتابة التاريخية للاجيال القادمة. حتى وان كان لابد لوجهات نظره خلال العقود الأولى من القرن التاسع الميلادي لتفسح المجال أمام خطوط جديدة للتوجهات والنزاعات.

ففي سنة ٧٩٦ ـ عند موت سيف بن عمر ـ فإن الراوية المدني الواقدي (المتوفى

---

(١) ان رد فعل الكتابة التاريخية الشيعية لمثل هذا التحدي سوف نعود اليه، ينظر لاحقا ي١٠٨ من الكتاب. واللافت للنظر إنه حتى أبو العباس، الخليفة العباسي الأول: في سنة ٧٤٩م سعى وحاول إلى تعريض العلويين الى الشبهة بتحقيق تطابق لهوية العلويين ككل مع السبأية (ينظر كلود كاهين cahen في المجلة التاريخية Revue historique مجلد ccxxx (١٩٦٣) ص٣٣٣ هامش١.

٨٢٣م) كان عليه وهو غارق في الديون، مغادرة المدينة إلى بغداد إذ دعمه أولاً الوزير يحيى بن خالد البرمكي ثم بعدئذ، المأمون يعيلونه ماديا وقد كافأه أيضاً بمنصب القاضي[1]. وهكذا فقد تابع الواقدي خطوات محمد بن اسحاق، لأنه أيضاً كان منذ أيام وجوده في المدينة قد وقّر لمعرفته برواية النبي والظاهر إنه قد نذر نفسه وكرّس حياته للأعمال (التاريخية الدنيوية historical . profane)[2] بعد وصوله إلى بغداد وعلى أية حال، فبالنسبة الينا فإنه من الصعوبة في الكثير من الاحوال تحديد ايما دلالة ومظهر لاحتمالية عن فترة تأليف كتابه وأصل مثل هذه الروايات التاريخية وكما نعلم من الاقتباسات اللاحقة. فالقصص والروايات الخاصة بعلي أو أي من صحابة النبي يحتمل جداً قد استقيت من السيرة أو من المغازي وهي تهدف إلى توضيح واعطاء أمثلة عن خدماتهم وسجاياهم شخصية، أو من أحد مؤلفات الواقدي الطوبوغرافية وذلك لغرض توضيح النشاطات أو الفعاليات المكانية للشخص المعني؛ وفي كلتا الحالتين فإن المعلومات تكون دون تماسك من الناحية التاريخية الزمنية. ومادة الواقدي التقليدية

---

(١) GAL (s) جـ١ ص٢٠٧؛ عن الواقدي ينظر ابن خلكان رقم ٦٥٥ (دي سلان جزء٤ ص٦١ وما بعدها من الصفحات)؛ هورفتز: تراجم ص٥٠ وما بعدها من الصفحات؛ وله أيضاً مقال في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة أولى) مجلد٤ ص١١٩٥ وما بعدها.

(٢) ان عمل الواقدي التاريخي يغطي، على أية حال، الفترة إلى سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥- ٧٩٦م) حيث يظهر آخر اقتباس معروف له (هورفتز: تراجم ص٥١٦). ولذا فإنه مغاير عن ما قاله هورفتز فإنني اميل إلى الاعتقاد بأن عمله (التاريخ الكبير) قد انتهى بعد وصوله بغداد، وإنه يستند ويتكئ- كما سنرى لاحقاً أو فيما بعد إلى درجة واسعة على البحث عن المصادر، التي صعب عليه اكمالها في المدينة. [محمد بن عمر بن واقد المتوفى ٣٠٧هـ/ ٨٢٢، قد اعتمد منهج علم الحديث، وهو عند الفقهاء والمحدثين يمثل انعطافا في مدرسة الحديث المتخصصة في علم السير والمغازي. واهتم الواقدي بتدوين الفتوحات واخبارها على منهج المحدثين في التشديد على سند الرواة، وقد اتصفت كتابات الواقدي عن الفتوح بالشمولية واعتمد رواياته البلاذري واليعقوبي والطبري. وله مصنفات مشهورة ضاع اغلبها وبقي له فتوح الشام الذي نشر أكثر من مرة، مع إنه مشكوك بصحة نسبته إليه اعتماداً على الاسلوب والمضمون. والواقدي الاسلمي مديني في الولادة والنشأة ثم انتقل إلى بغداد في عهد المأمون وتولى قضاء الجانب الغربي. وتوفي في بغداد. قال عنه تلميذه ابن سعد «كان عالما بالمغازي والسيرة والفتوح» طبقات جزء٥ ص٤٢٥، وكذلك وصفه ابن النديم مضيفا إلى إنه كان عالما «باختلاف الناس في الحديث والفقه والأحكام والاخبار» فهرست ص١٥٧. وذكره الذهبي بأنه «أحد أوعية العلم» ميزان الاعتدال في نقد الرجال/ بيروت ١٩٩٥/ جزء٦ ص٢٧٣ [المترجم].

لهذا لابد ان يتم التعامل معها ومعالجتها بدرجة كبيرة من التحفظ أكثر من أي عالم آخر من العلماء. وفيما يخص رواية النبي، فإن مادة الكتاب لكليهما، الواقدي وتلميذه محمد بن سعد (المتوفى ٨٤٥م) تبدو قد اعتمدت حصراً تقريباً على الرواية المدينية المحلية[1]، وبالنسبة إلى خبرهما عن الخلافة الأبوية patriarchal فانهما أيضاً يعتمدان في المقام الأول مصادر محلية[2]. واهتماماتهما بالنزاع بين علي ومعاوية يبدو على أية حال أقل نسبياً، ولهذا فإن الروايات المتوفرة لديهما التي نقلت بخصوص هذا الموضوع هي أقل تفصيلا بكثير ومن الجلي إنها من مصدر مختلف كثيراً. وهنا، أيضاً فانهما بين الحين والآخر يشيران إلى محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور (المتوفى ٧٨٦ ـ ٧٨٧م) وموسى بن يعقوب (تاريخ وفاته غير معروف). ومع ذلك، فإن نقلهما قد استند بشكل بارز على مصادر ذات أصل كوفي، وان مصادرهما المدنية قد انتفعا منها في تطوير وإحكام وجهات نظرهما الخاصة والمهمة.

وكما مر سابقا، فرواية الواقدي عن إجراءات علي بعد انتخابه خليفة .وأحاديثه مع المغيرة بن شعبة، وقصة هروب عمرو بن العاص إلى فلسطين .يبدو إنها نشأت من رواية عباسية مبكرة، ويحتمل من الكلبي على الرغم من اسناد المدني الذي قد تم تغطيته سابقاً، ومع إنه قد أعد من جديد بصيغة مجموعة من ذاكرة ابن عباس[3].

---

(١) ينظر مثلاً الواقدي- فلهاوزن هنا وهناك؛ ينظر على أية حال ملاحظاتي في بحثي في Acta Orientalia جزء ٢٦/ ١٩٦٢ ص ٢٢٠ وما بعدها.

عدد من علماء الحديث الشريف قد طعن بالواقدي كالإمام احمد بن حنبل والإمام الشافعي والإمام احمد قد اتهمه بتقليب الاحاديث واسنادها إلى غير رواتها بالكذب المتعمد. وقال عنه الإمام الشافعي ((كتب الواقدي كذب (ينظر ابن أبي حاتم الرازي. الجرح والتعديل جزء٨ ص ٢٠؛ البستي، ابن حبان: المجروحين جزء٢ ص ٢٩٠) ولكن عدد آخر من علماء الحديث قد امتدحه في رواية الحديث الشريف فقال عنه الداروري المتوفى سنة ١٨٦هـ/ ٨٠٢ ((الواقدي امير المؤمنين في الحديث)) (ميزان الاعتدال جزء٦ ص٢٧٥. مع ذلك فإن الجميع لم يعترض على مكانة الواقدي في رواية اخبار المغازي والفتوح. [المترجم].

(٢) ينظر على سبيل المثال خبر مقتل عثمان، كيتاني مجلد٨ ص١٤١- ١٩٤؛ فلهاوزن مقدمة prolegomeno ص١١٣ وما بعدها من الصفحات.

(٣) الطبري مجلد١ ص٣٠٨٣- ٣٠٨٥، ٢٩٦٥- ٢٩٦٨ (كيتاني مجلد٨ ص٣٣٨ وما بعدها، ١٤٥ وما بعدها) وعن المصادر والاسانيد ينظر Acta Orientalia جزء٢٧ ص٩٣.

كذلك وبنفس الطريقة فإنه من الواضح ان رواية الواقدي حول مشورة عمرو بن العاص مع ابنائه بشأن موقفه من الوضع الذي نشأ نتيجة انتخاب علي لابد إنه قد اختير من المصادر العراقية. علماً بأنه هنا أيضاً يشير إلى الراوية المدني موسى بن يعقوب[1]، ونفس الخبر والرواية ليست موجودة في أي مكان آخر سوى في واقعة صفين من ومصادر كوفية، وفي كلا الروايتين يذكر عبد الله بن عمر بأن النبي وكذلك الخليفتين الأولين قد توفوا وهم راضون عنه، في حين ان ابن عمرو الآخر قد شدد بأنه بفضل مركز والده المرموق كان عليه ان يفرض على الآخرين الاعتراف بمركزه بخلاف الرواية الكوفية، فإن الواقدي كان في بعض المسائل منطقيا بوضوح. ان سلوك وتصرف عمرو هنا يختلف اختلافاً كليا عن ما قيل في الرواية الكوفية، حيث ان المشاورة قد اثارها طلب معاوية من عمرو بالمجيء، في حين هنا يؤدي ويعمل تلقائيا أو فرديا sua sponte وذلك لأنه كان مستاءا وساخطا من خلافة علي، وكذلك بسبب معرفته ان الوالي السوري قد آثار الهياج بأخذ الثأر وبالانتقام وهو موجه نحو الخليفة. وعندما وصل إلى دمشق، تجاهله معاوية .ومرة أخرى مغايرة للرواية الكوفية .إلى ان عرض نفسه لمساعدته. وكان عمرو يعرف جيداً تماماً بأنهم (سوف يحاربون رجلا يشار إليه بقدم اسلامه، وبخدماته، وروابط القرابة مع النبي، بينما «نحن نرغب في هذه الدنيا» حتى وان كان في رأي عمرو بأن علياً من غير ريب قد استثمر مقامه واعتباره الديني. وعلى أية حال فإن عمرو قد جعل اختياره بسيطاً وذلك لأنه وجد الأمر مربحاً بانضمامه والتحاقه بالسوريين. وهكذا فإن تعديلات وتكييفات الواقدي كانت متماسكة ومتساوقة جداً بقدر ما تبقى هذه التعديلات ملتزمة كلية بتوقيته للصدع في العلاقات بين الفريقين إلى الزمن الذي كان مباشرة بعد انتخاب الخليفة. إذن في هذا المجال فإنه يلتزم ويتقيد فقط بالخط حيث الرواية العباسية قد رسمتها منذ البداية، والتي قد تم اقتباسها من أبي مخنف.

---

(١) الطبري مجلد١ ص٣٢٥٢- ٣٢٥٤ (كيتاني مجلد٩ ص٢٣٦؛ ينظر واقعة صفين ص٣٨ وما بعدهامن الصفحات). عيسى بن يزيد عند البلاذري ص٤٩٨، كيتاني مجلد٩ ص٢٤٠ وما بعدها من الصفحات.

أما قصة خديعة عمرو برفع القرآن في صفين فقد اختارها الواقدي من مصدر حجازي، من الزهري عبر تعديل معمر بن راشد الموالي للعباسيين[١]. ولكن خبر المفاوضات في أذرح قد نشأ دون شك من مصادر كوفية؛ فالواقدي يكرر رواية أبا مخنف حرفياً، وان الجزء الأول منها يتفق مع الشعبي كراوية، أما القسم الثاني منها فهو بسلسلة من الرواة المدنيين على نحو صرف[٢]. فالاسناد الأول يحتمل إنه صحيح، وعلى أية حال في حلقاته الأخيرة، إلا إنه ملفت للنظر حقاً بأن الواقدي (وبعده ابن سعد) .وكذلك الطبري والبلاذري .يقتبسون الخبر الكوفي بنفس الشكل والصيغة، وهي حقيقة يبدو إنها تؤشر إلى إنه في الواقع قد أخذها واستعارها من أما أبي مخنف أو من أحد تلامذته، وان كان كذلك صحيحاً فإنه يحتمل جداً من هشام بن محمد، الذي يستشهد به البلاذري كحلقة وسيطة. فإن كانت هذه القراءة صحيحة فإن اسناد الواقدي لابد إنه يعزى إلى تحريف وتشويه.

وأخيراً فإنه من المهم القول بأن الواقدي وكذلك محمد بن سعد لايعرفان شيئاً على الاطلاق حول اجتماع دومة الجندل؛ وانهما دون تحفظ يضعان التحكيم في أذرح في شهر شعبان في سنة ٣٨هـ أي كانون الثاني ٦٥٩[٣]. وبشأن هذه النقطة فإن

---

(١) ابن سعد جـ٤ ص٢، ٣- ٤ (كيتاني مجلد٩ ص٥٣١) وحول التعديلات في هذه الرواية ينظر Acta Orientalia جزء٢٧ ص١٠٠ وما بعدها.

(٢) ابن سعد جـ٤ ص٢، ٤-٥ (كيتاني مجلد ١٠ ص٢١ و ٤٠) القسم الأول (جـ٤ ص٢، ٤، ٩- ١٤) حيث اقتبس من المنصور بن أبي الاسود من مجالد بن سعيد من الشعبي، ان الحلقتين الاوليتين المبكرتين معروفتان جداً؛ أما القسم الثاني فيذكر اسناد مدني وهو الاسناد الذي يستخدمه الواقدي أحياناً في كتاب المغازي، ينظر الواقدي- فلهاوزن ص١١٢، ٢٨٤، ٣٠٨ وكذلك في قسم٥٥.

(٣) الواقدي عند الطبري مجلد١ ص٣٣٦٠، ٣٤٠٦- ٣٤٠٧؛ ابن سعد مجلد٣ ص١، ٢١ (كيتاني مجلد١٠ ص١٨، ٢٢١، ٥٣). وفي خبر ابن سعد عن اتفاقية التحكيم في صفين فإنه على نحو لايمكن انكاره قد ثبّت وقت الاجتماع بـ(بداية السنة الجديدة) (اقصد ٣٧هـ) ولم يذكر أي تأجيل. فالتناقض في التاريخ الزمني على هذا الأساس يظهر عند ابن سعد وهو دون شك له تفسير صحيح وبسيط جداً في المصادر المستخدمة، وروايته يبدو إنها أيضاً تستند وتتكئ على الواقدي، الذي بدوره قد اعتمد على الزهري. واعتماداً على الأخير (الزهري) فإن الاجتماع قد ثبّت وحدد في دومة الجندل في شهر رمضان سنة ٣٧هـ مع اقرار بالتأجيل. لهذا من الصعب إيجاد أي سبب للاتفاق مع ديللافيدا (ص٤٨٧ وما بعدها) للافتراض بأن الواقدي وابن سعد لابد انهما في هذه القضية قد عملا بالسنة القمرية ينظر ايضاً كيتاني مجلد١٠، فاجيلري جزء١ ص٨٠ وما بعدها و٨٥ هامش٢.

الواقدي يعتمد على خبر ورواية الزهري، ويرى إنه لابد ان يكون بالتأكيد يعرف التاريخ الزمني الكوفي فليس هناك من سبب يدعو إلى الشك بأن التوقيت المتأخر والصحيح تقريباً لاجتماع أذرح وان تجاهل دومة الجندل لابد إنه قد دوّن بقصد وتعمد. ان هذا يجعل كل من الواقدي وتلميذه على مغايرة مع النقل الكوفي[١] لذلك فإنه جعل حدوث المعركة فالتصادم بين علي والخوارج في النهروان – وحتى الآن فانه صحيح تماماً ـ قبل اجتماع التحكيم، وهي حالة قد ذكرها ابن سعد أيضاً بجلاء في ملخصه لأحداث هذه السنوات[٢]. ونحن لانعرف رأي وتقييم الواقدي ولا ابن سعد حول تمرد الخوارج أكثر من حكاية منعزلة يجعل ابن سعد بشكل قطعي فيها علي، يشجبهم ويتحدث ضدهم[٣]. وبأية حال، فإنهما بوضوح قد فصلوا أنفسهم عن وجهة النظر العراقية ومن تقييم الجيل الأخير، غير إنه لايمكن إدراك أي تفسير مباشر من النص ذاته.

ليس هناك، بصورة عامة، شك بأن الواقدي على الرغم من استشهاده بالرواة المدنيين ومتفرقات معينة مهمة من الزهري، فإنه يعتمد اعتماداً كبيراً على المصادر الكوفية. فالاخبار والروايات هنا والتي قد تعاملنا معها هي روايات مبهمة لولا تولينا القيام بربط وتوصيل مع الروايات الكوفية أو روايات الجماعة العباسية المبكرة جدا، التي بدورها تعتمد الرواية الكوفية. فالحالة بالنسبة إلى احتمالية إنها الرواية الكوفية يتوقف على الحقيقة بأن الواقدي كان على اطلاع بالمادة التقليدية التي لم تظهر إلى أن وجدت في المصدر المشترك ذلك الذي قد حددنا هويته بالفعل على إنه ابن الكلبي، في حين ان النقل العراقي قبل الواقدي قد نقل على شكل اقتباسات متفرقة جداً من المصادر والثقات المدنيين فقط في وصفها أحداث هذه السنوات. وتشكل

(١) ينظر على سبيل المثال أبا مخنف عند الطبري مجلد١ ص٣٣٦٠- ٣٣٦٢، ٣٣٦٣- ٣٣٦٩، ومحمد بن السائب الكلبي عند البلاذري ص٥٢٣ (كيتاني مجلد١٠ ص٧٧ وما بعدها، ص٨٠ وما بعدها من الصفحات، ص٣٢).

(٢) ابن سعد مجلد٣ ص١، ٢١ (كيتاني مجلد١٠ ص١٠٩، ينظر ص٥٣ أيضاً).

(٣) البلاذري ص٤٥٦. (كيتاني مجلد١٠ ص٤٠٨).

هذه الملاحظات دليلاً غير مباشر للانطباع على ان الواقدي لم يكن معداً مادته بشكل كامل حتى فترة ما بعد وصوله إلى بغداد، وبأنه قد عمل تحت تأثير رؤى بيئته العراقية.

وبالنسبة إلى الواقدي فإن إيجاد خط أساسي لمفهوم الفتنة أمر صعب أكثر عند العديد من المؤلفين الآخرين، إذ ان النقل غير المتماسك وغير المترابط لايقدم ولايعرض مفاتيح محددة لحلها، حتى وان كانت معرفتنا بمادته تشير إلى إنه في عدة نقاط ومسائل مهمة يمثل اعادة تقييم إذا ما قورن مع اسلافه. إنه أيضاً يؤقت الصدع، في العلاقات بين علي ومعاوية إلى زمن يأتي مباشرة بعد انتخاب الخليفة[١]، غير ان الواقدي على عكس الرواية الكوفية تعطي تاريخاً لتمرد الخوارج ولمعركة النهروان وفتح عمرو بن العاص لمصر[٢] إلى الاشهر قبل اجتماع أذرح، في شهر شعبان من سنة ٣٨هـ وأهمية هذا التاريخ الزمني ليست واضحة تماماً، وذلك يرجع إلى ما نلحظه من نقص في تفصيلات رؤية الواقدي عن علاقات علي مع جنده في صفين وكذلك عن الخوارج. والحقيقة بأنه قد انتفع واستخدم رواية معمر بن راشد بشأن خديعة رفع القرآن وهذا يؤشر إلى رغبته في التشديد على افتقاد الوحدة وعلى الخلاف داخل صفوف جند علي وهذا يجعل من الضروري بالنسبة إلى الخليفة ان يقبل في التحكيم. ونفس الإشارة يمكن مشاهدتها في مقطع آخر إذ يجزم الواقدي بأن أبا موسى الصحابي كان شخصياً غير ملام وإنه بريء فيما يتعلق الأمر بنتيجة اجتماع التحكيم، بينما تقع المسؤولية[٣] على اولئك الذين عيّنوه وبعثوه واقصد، تصريحاً وتلميحاً، بأن جماعة في صفوف جيش علي قد أجبروه واضطروه إلى ان يستعمل أبا موسى حكماً.

ومن الجانب الآخر، فإن المادة المتوفرة لدينا تظهر بوضوح ان الواقدي قد انضم واندمج بصدق في الادانة التقليدية للأمويين واتباعهم. وإنه بشكل ميكانيكي (وبدون

---

(١) ومهما يكن فإنه إلى حد ما مشكوك فيه فيما إذا كان قاصداً ان يفترض صلة بين تمرد معاوية والعثمانية.

(٢) ينظر الطبري مجلد١ ص٣٤٠٦- ٣٤٠٧ (كيتاني مجلد ١٠ ص ٢٢١).

(٣) ابن سعد مجلد٤ ص٢، ٥، ابن الاثير جـ٣ ص٢٧٨ وما بعدها (كيتاني مجلد ١٠ ص ٤٠). وهذه الرواية تفترض هنا خصيصة الاتقان في معلومة الرواية الكوفية بخصوص تعليقات ابن عباس بشأن تصرف أبي موسى.

تفكير) قد كرّر الادعاءات بشأن دنيوية معاوية وحب معاوية للدنيا، وجعله يدعى بكونه ممثلا لله god's representative، وإنه قد دحض الحجة وذلك عن طريق تأكيده ان معاوية «هو آخر الناس وإنما حكم وتولى الحكم بالغصب أو الاغتصاب»[١]. وفي موضع آخر فإنه يدسّ ويدخل في الذهن حكاية خبيثة وماكرة بأن معاوية. يشبه أبيه أبا سفيان. إذ قد حصل على سلطته procure بواسطة الرشوة وتوزيع الرشاوى[٢]. وان الرجل والشخص الوحيد المناسب لمسؤولية (لظروف المجتمع) هو على أية حال عمرو بن العاص، فإنه هو الشخص الذي قد أثار الهياج ضد عثمان، ولكنه فضّل ان يكون بمنأى، وإنه هو الذي بادر في التعاون مع الوالي السوري، وإنه هو الذي بخديعته وحيلته في رفع القرآن قد اثبت وبرهن عن إنه (لاينأى بنفسه عن الخسة والوضاعة (shunhed no means

ويبدو ان الواقدي، قبل كل شيء، قد أصر واعتبره شيئاً اساسياً في ترسيخ وتثبيت ان صحابة الرسول، بضمنهم علي، لم يكونوا مشتركين في مقتل الخليفة[٣]. فقد سقط عثمان ضحية لأخطائه الادارية[٤]، وان المسؤولية عن مقتله إنما تقع على الثوار المصريين، في حين ان البصريين والكوفيين قد استثنوا من ذلك[٥]، ويقدم الواقدي

(١) البلاذري، معاوية رقم ٢٠- يذكر أبو مخنف حكاية مشابهة إلى حد ما عن علي (أبو الفرج الاصفهاني: مقاتل الطالبين ص١٤ (كيتاني مجلد١٠ ص٤١٤).

(٢) البلاذري، معاوية رقم ٣٢٩. [لعل البروفسور بيترسن يشير إلى رواية الواقدي التي تقول فيها (كانوا يقولون ان أبا سفيان بن حرب رجل شحيح بخيل له مال، وإنما سود لرأيه وعُظّم لماله، وهلك أيام عثمان وله ثمان وثمانون سنة). البلاذري انساب/ تحقيق سهيل زكار ص١٣٩. وفي رواية أخرى عن الواقدي قال ((ولي معاوية فلم يزل امره مستقيما، ولم تزل الاموال عليه دارّة، فاستمال القلوب بالبذل والاعطاء، وكان يقول البذل يقوم مقام العدل)). البلاذري: انساب ص٩٣]. [المترجم]

(٣) وعلى نحو مميز فقد ترك معلومة سيف (طبري مجلد١ ص٣٢٤٩- ٢٣٥٠) ينظر ابن عساكر ص٦٤٧ وما بعدها؛ كيتاني مجلد٩ ص٢٣٥؛ جـ٨ ص٢٤١ وما بعدها) وبشأن ملاحظة عمرو بأن الجميع أو ان أي شخص بقي في المدينة في زمن مقتل الخليفة سوف يجلب على نفسه الشك بأنه شريك في المسؤولية، وهو تلميح موجه لعلي وصحابة النبي.

(٤) الطبري مجلد١ ص٢٩٦٨- ٢٩٨١ (كيتاني مجلد٨ ص١٤٦، ١٦٢).

(٥) الطبري مجلد١ ص٢٩٧٩- ٢٩٨٠؛ ابن سعد مجلد٣ جزء١ ص٤٤- ٤٥ (كيتاني مجلد٨ ص١٥٦ وما بعدها من الصفحات).

ملاحظة بأن العرب كانوا بالاجماع قد انتخبوا علياً، الذي قد اعترف كلية بمكانته الدينية؛ ومهما يكن فإنه يشدد على الحقيقة بأن عدداً من اكثرية أصحاب الرسول المرموقين، ومن بينهم سعد بن أبي وقاص وابن عمر (قد ظلوا بعيداً وقد انعزلوا)[١]. لقد لمّح الواقدي إلى محايدة الصحابة سابقاً؛ وان سعد بن أبي وقاص أحياناً يضيف اسمه لمساعي انصار المدينة ان يبقوا بعيداً وينعزلوا عن الثورة ضد عثمان، وهي مسألة سنعود إليها في عدد من المرات. والواقع ان سعداً كان حاضراً في جلسة استماع الحجج في التحكيم hearings. إلا ان موقفه كان موقفاً محايداً وفاتراً ولم يكن ميالاً، في حين ان ابن عمر قد ندم على حضوره ورحل حاجاً إلى بيت المقدس[٢]. وكلا القولين مجهولين وغير معروفين للرواية العربية ونتيجة لذلك فانهما من نتاج ميل الواقدي ونزعته[٣].

حتى وان كان كذلك فإن الواقدي هكذا يعلّق وزناً خاصاً على سلوك وتصرف صحابة النبي المحايدين والحياديين، ومع ذلك فإنه من الصعب تفسير وجهات نظره حول خلفيات آراء المدنيين بصورة خاصة. وان عرضه المتوفر بهذه الصيغة ليس عرضاً شيعياً. على الرغم من إنه بوضوح موالٍ لعلي. ولم يظهر هذا من نظامه الزمني فقط، بل أيضاً في تعامله المتعاطف مع العباسيين. فهو بصورة دائمة يصف عبد الله بن عباس كأنه الناصح المخلص لعلي، ومما له أهمية خاصة أيضاً ان خبر الواقدي الكامل عن كيف ان عمر عندما أحدث الديوان (العطاء) pension registers. ترك اقارب الرسول القريبين، بنو هاشم، واقصد أيضاً العباسيين ان يتقدموا كل شخص آخر. وهذه مغايرة للرواية الشيعية التي فضلّت علي، عائشة، الحسن، والحسين[٤]. اجمالاً، فإن اداء

---

(١) الطبري مجلد١ ص٣٠٧٢ (كيتاني مجلد٨ ص٣٢٧). ان الرواية بصيغة ذاكرة سعد بن أبي وقاص، ويحتمل جداً تنسب إلى رواية معدّلة لأبي مخنف.

(٢) مثال ذلك ابن سعد مجلد٣ جزء١ ص٥٠ (كيتاني مجلد٨ ص١٦٦).

(٣) الطبري مجلد١ ص٣٣٥٣- ٣٣٥٤ (كيتاني مجلد ١٠ ص٢١).

(٤) البلاذري، فتوح ص٤٤٩ وما بعدها من الصفحات؛ ينظر رواية موالية لعلي عند البلاذري فتوح ص٤٥٤ وما بعدها من الصفحات (حتي- مورغوتن جزء٢ ص٢٤٠ وما بعدها من الصفحات، ٢٤٧، وما بعدها من الصفحات) واستناداً إلى ابن سعد فإن العباس يحسب الأول في المسجلين في الديوان (هورفتز: تراجم ص٥٢١)، ينظر أيضاً Sarasin ص٢١ وما بعدها من الصفحات.

الواقدي يمثل تحولاً ملحوظا إذا ما قورن مع اسلافه، فالموقف المضاد للشيعة القوي قد حلّ محله تقويم ايجابي لعلي، واستمرار شجب الأمويين قد بقي بكامل قوته anabated. وبالفعل فقد أشار سرسن Sarasin إلى ان منصب الواقدي قد يفسر بالواقع بأنه كان يكتب خلال فترة المأمون (٨١٣ـ٨٣٣م) الذي كان حكمه حكماً موالياً لعلي بشكل نسبي، وان موازنة مع (سيرة) محمد بن اسحاق ستظهر إنه يقدر ويقيم علياً بشكل أعلى من تقدير وتقييم ابن اسحاق بكونه الصحابي والخليفة الانموذج[1] exemplary. وعلى أية حال فإنه من المحتمل ان يخطو خطوة اقرب إلى تحقيق مطابقة لهوية رؤاه ووجهات نظره.

وكما مرت الإشارة إليه باختصار في اعلاه، فقد كان للعباسيين حزبهم وفرقتهم المؤيدة لهم، أي المعتزلة، التي قد اتخذت شكلها اساساً في البصرة والتي كانت قد تميزت سياسياً في تقديرها المتعاطف والمؤيد لعلي والزبير وكذلك قد تميزت بشجبها الشديد أو المتحمس للامويين وللشيعة المتطرفين[2]. وقد لاحظنا بالفعل انعكاسات المعتزلة البصرية المبكرة جداً في النقل التاريخي لشخصيات من أمثال أبي بكر الهذلي وربما معمر بن راشد. غير ان هذه الحركة ـ على الرغم من ان رؤاها كانت منسجمة ومتساوقة مع المناخ السائد المعادي للشيعة ـ لم تظهر حتى موت هارون الرشيد في سنة ٨٠٩م إنها قادرة على ان تفرض على الآخرين الاعتراف بها جنباً إلى جنب مع رواة مثل هشام الكلبي وسيف بن عمر. وبموازاة مع العقلانية البصرية Rationalism فقد شهدت بغداد تشكيل وصياغة مدروسة للمعتزلة تحت زعامة الفقيه بشر بن المعتمر (المتوفى بين ٢١٠هـ ـ ٢٢٦هـ/ ٨٢٥ ـ ٨٤٠م) الذي كان في السابق تلميذاً لواصل بن عطاء. إلا إنه بالموازنة بينه وبين الجناح البصري، الذي بصورة عامة كان قد اتخذ موقفاً ـ أزاء علي، فالمعتقد ان بشر بن المعتمر قد تميز بشكل أكثر بوجهات نظر موالية لعلي، فإنه فضّل علياً على أبي بكر، ولهذا السبب فإنه قد اضطهد مؤخراً من قبل هارون

---

(١) سرسن sarasin ص٢٤ وما بعدها- ينظر ابن سعد مجلد٣ جزء١ ص١٣ وما بعدها من الصفحات (كيتاني مجلد١٠ ص٣٩ وما بعدها من الصفحات، ونولدكه ص١٩).

(٢) ينظر سابقاً [ص١٤٥-١٤٦ وما بعدها من الكتاب].

الرشيد[١]. وقد تغلغلت هذه الحركة في عهد المأمون، وسعت وحاولت ان تلتقي بوجهة النظر العلوية سواء دينياً أم سياسياً، بالتخطيط إلى نسق ونظام الدولة لفائدة العلويين[٢]، وإلى حد ما في سنة ٨٢٧م بتبني المعتزلة كعقيدة رسمية.

وبموازنة التيارات الموالية للعلويين ونظام المعتزلة مع وجهات نظر الواقدي سنجدهما متوافقين ومنسجمين في سماتهما الرئيسة. فاتجاه الواقدي المعادي للأمويين واضح وجلي، فقد أصر على التثبيت والبرهنة على ان صحابة النبي والبصريين ابرياء بشكل مطلق عن الكارثة التي حلّت بالمدينة والتشديد على ان عدداً من صحابة النبي القياديين (قد انعزلوا وظلوا بعيداً) عن الفتنة، وأخيراً فإنه رفض الاعتراف وحسب نظامه التاريخ الزمني التفسر الشيعي عن العلاقات بين علي والخوارج. وعلى الرغم من التحفظ والحذر الواجب عبر النقل الجزئي، أي المؤلف من أجزاء من المعلومات، فإن الواقدي يظهر بأنه على اتفاق مع وجهة النظر الرسمية خلال السنين الأولى من حكم المأمون. وفيما إذا كان منضماً ومرتبطاً بالمعتزلة فهو أمر يبقى سؤالاً موضعاً للنقاش، ولكن بالكاد هناك أي شك بأنه خلال فترة مكوثه في بغداد كرسي الخلافة، فإنه دافع عن التوفيق والمصالحة مع الشيعة المعتدلين. وان هذا الاستنتاج يتوافق بصورة غير مباشرة مع قول محمد بن سعد بأن الواقدي في مؤلفاته قد كفّ عن الجهر بعقيدته الشيعية بالتقية، مخافة بأنها تستثني المرء من الادانة الدينية[٣]. هذه المعلومة، التي تعدّ نتيجة لعلاقات ابن سعد سواء كونه تلميذاً أم كاتباً للواقدي ليس بالامكان اجازتها أو نكرانها وهي تلقي ضوءاً مهماً جداً على النشاطات الادبية لابن سعد وعلى احوال وظروف الرواية المدينية في أوج العصر العباسي. وعلى الرغم من مؤلفه عن تراجم

(١) اج. اس. نيبرج Nyberg في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة أولى) مجلد٣ ص٨٥٣؛ أي. ان نادر Nader في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة ثانية) مجلد١ ص١٢٤٣.

(٢) غبريللي: المأمون لاسيما ص٢٩ وما بعدها من الصفحات.

(٣) GAL (s) جزء١ ص٢٠٧. وهذا يتطابق مع وينسجم مع الفهرست لابن النديم في ذكره ان الواقدي كان يتعاطف مع الشيعة، ولكنه حاول التوفيق في وجهات نظرها مع وجهات النظر الرسمية (هورفتز: الواقدي ص٤٣

النبي وتعليمه في المدينة فإن مادته تكشف عن اعتماده الصريح والقاطع pronounce على الرواية العراقية، فقط بقدر ما يبدو قد ضم ودمج اداناته الشخصية الحقيقية مع وجهات النظر الرسمية في البلاط العباسي يمكننا أو بوسعنا ان ننضم إلى كيتاني للتحدث عن دمج في النقل العراقي والنقل المدني. ومرة ثانية، فإن الاستنتاجات التي نتوصل إليها هنا تتفق وتنسجم جيداً مع معرفتنا بتطور الرواية الفقهية التشريعية ابان الفترة نفسها، وذلك يبدو إنها أيضاً عراقية الأصل، وفي مرحلة لاحقة[١] فقد اندمجت هذه الآراء المدينية في نظامها وذلك لكي تلائم وتوافق محيطها أو بيئتها.

فقد واصل تلميذ الواقدي محمد بن سعد (المتوفى ٨٤٥م) في كثير من الوجوه والنواحي الإنسانية والقنوات التي رسمها معلّمه. ومن الجهة الأخرى فإن مؤلفه الأساسي، الطبقات الشاملة (الكبرى) قد رتبت ترتيبا مختلفا تماماً وكتبت لاغراض وأهداف تختلف تماماً عن تلك الأهداف في الكتابة التاريخية التي قد تعاملنا معها حتى الآن. فكتاب ابن سعد قد ثبّت بشكل قوي وراسخ اسلوب ومذهب كتابة السيّر التاريخية التي نجد عنها طرقاً لهذا الفهم مبكرة في أدب السيرة، وان المظهر والوجهة التاريخية .الدينية لهذا تعدّ ثانوية بالنسبة إلى الوجهات والطرق الأخرى: ان تصنيف وترتيب عدد من الطبقات والفئات للمؤمنين وللمسلمين العرب استناداً إلى الاجيال والخصائص والسجايا الدينية[٢]. وكما تم ذكره في مقطع منفرد (عند الطبري)،

(١) شاخت، أصول ص٢٢٣.

(٢) عن هذا التأليف ومكانته ينظر O.Loth (بالالمانية) [حول الطبقات] المنشور في Ursprung und Bedeutung der tabaqat ZDMG مجلد٢٣ (١٨٦٩) ص٥٩٣ وما بعدها من الصفحات، روزنتال: علم التاريخ ص٨٢ وما بعدها من الصفحات، وأيضاً هورفتز: تراجم ص٥٢٢ وما بعدها. وبالفعل فإن الواقدي قد وثّق في مؤلفه الطبقات (هورفتز ص٥١٦ وما بعدها). [محمد بن سعد تلميذ الواقدي، وقد صحب شيخه زمناً طويلاً وكتب له وروى عنه. وتتجلى آثار هذه العلاقة لكل من يتصفح الروايات التي أدلى بها ابن سعد حول حياة الرسول(ص) وشمائله وغزواته إذ يتكرر اسمه كثيراً. ويعدّ السند الرئيس والمباشر له لذلك يقول ابن خلكان ان كتب الواقدي المشهورة، المغازي والطبقات قد اجتمعت عند اربعة اشخاص فقط اولهم كاتبه محمد بن سعد (ينظر، وفيات/ مصر) جـ٣ ص٤٧٣، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جزء٥ ص٣٢١) وابن سعد بن منيع الزهري الهاشمي البصري مولى بني هاشم ولد في البصرة سنة ١٦٨هـ وانتقل إلى بغداد فاقام بها حتى وفاته سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤ ودفن في مقبرة باب الشام. امتدحه علماء

لايمكن تماماً القول بعدم اعتبار ان ابن سعد في السنوات الأخيرة من حياته قد أحس وشعر بافتتانه وانجذابه نحو الحنبلية، وهي التقليدية الدينية السنية الصارمة(١). ان ترتيب وتنظيم disposition ونزعته في مؤلفه واهتمامه الشديد في المجتمع العربي القديم . اعتماداً على حديث نظمه عمر .وهي آخر ما بقي من كتابات أو آثار إذ قد اختفت وتلاشت في زمانه(٢)، ان ذلك يقدم حالة في هذا الاستدلال. وعلى أية حال، فالحقيقة بكون ابن سعد، كما هو الحال بشأن معلمه، قد اشتغلا وعملا في بغداد، حيث اضطهدت السلطات العباسية الحنابلة، التي يظهر إنها كانت اثيرة ومفصلة في بلاط الخلفاء(٣)، فإن ذلك لايحدد ويوجه تلك الحالة. وكذلك فإن موقفه كما عبّر عنه في الطبقات بشأن الفتنة لايقوي ثقتنا بهذه المعلومة، وفي اكثرية الحالات فإنه يطور ويعدل من أفكار وآراء شيخه.

وكما نراه من زاويتنا فإنه ليس بالوسع الادعاء تماماً ان اهتمامه يشابه اهتمام الواقدي. ففي جميع الجوانب الأساسية فإنه يعيد الخطوط الرئيسة لرواية الواقدي بخصوص الأحداث وبشأن الترتيب المنهجي الزمني، على الرغم من ان معظم ذلك جاء على شكل مختصرات موجزة قد أدخلت واقحمت في بناء السيرة التاريخية لكتابه.. ان مواقفه الواضحة المعالم بصورة عامة تظهر بوضوح في المواد المتنوعة، التي في الأغلب نشأت من مصادر أخرى .وبالصدفة وعرضياً فإنها تختلف كثيراً .لم

التراجم فوصفه ابن خلكان بالثقة الصدوق وإنه كان كثير العلم غزير الحديث كثير الكتب (م. ن. جزء٣ ص٤٧٣). وابان ابن حجر العسقلاني عن شيوخ ابن سعد أمثال هشيم والوليد بن مسلم وابن أبي عيينة وأبي الوليد الطيالسي. واعتمد على روايات ابن سعد كل من البلاذري والحسين بن محمد بن الفهم واحمد بن عبيد [تهذيب التهذيب (طبعة أولى) جزء٩ ص١٨٢]. واورد الخطيب البغدادي رأيا في الطبقات قائلا إنه صنف كتابا كبيرا في طبقات الصحابة والتابعين والخالفين إلى وقته فأجاد فيه واحسن [تاريخ بغداد جزء٥ ص٣٢٢] وان ابن سعد كان من أهل العدالة ويدل حديثه على صدقه فإنه كان يتحرى في كثير من الروايات [ن. م. جزء٥ ص٣٢٢]. (المترجم)

(١) بتون Patton ص٦٤؛ عن الحنابلة ينظر [ص٢٣٧-٢٣٨ وما بعدها في الكتاب].

(٢) وهي حالة رمزية لتصفية امتيازات العرب عن طريق استرداد حصصهم في عطاء الدولة في ٨٣٣م.

(٣) عن ابن سعد ينظر سخاو Sachau في (ابن سعد، محمد: كتاب الطبقات الكبير (لندن ١٩٠٣) مجلد ٣٠ وما بعدها، GAL جزء١ ص١٣٦؛ (S) جزء١ ص٢٠٧ وما بعدها.

يهتم بها الواقدي. وان موافقته ومطابقته مع الواقدي تكمن في المقام الأول في نزعته المعادية للأمويين. فالاتفاقية بين معاوية وعمرو قد قدمت من قبله بشكل جديد كلياً اشبه شيء بصيغة رسائلية صاغها مولى عمرو وردان، ووفقاً إليه فإن مبادرة عمرو قد ترسخت؛ فالفريقان وعد احدهما الآخر مساعدة غير مشروطة مقابل التعهد لعمرو باعطائه مصر، «وتأييد عمرو، باذن الله، ذراع عرجاء lamed arm» كما جعل ابن سعد علياً يعلق ويعقب على هذه الحادثة[١]. وبالاتفاق مع تعريض الواقدي أو غمز الواقدي بأن معاوية قد حصل على سلطته وتدبرها عبر الرشوة، فإنها عند ابن سعد .وهنا نجده لايشابه استاذه .ان الوالي السوري أيضاً قد استخدم تلك الطريقة مع أبي موسى الاشعري؛ فهو يقدم اقتراحاً بأنه على الرغم من ان الاشعري قد رفض تعهداً بولاية الكوفة والبصرة، لكنه مع ذلك قد عمل بتواطؤ مع معاوية[٢].

وبصورة عامة فإن نزعة ابن سعد المعادية للأمويين هي هكذا مجرد توسيع وتطوير لنزعة الواقدي. وعلى أية حال فإن هناك امراً جديداً إذ إنه في الظاهر يضعف دفاع الواقدي عن صحابة النبي ويتفوق عليه في مدح علي في وظيفته كخليفة[٣]. وفي محاولة للرواية البصرية فإنه قد جعل علياً، برواية دون شك مشكوك في صحتها، يستولي على بيت المال بعد مقتل الخليفة عثمان وذلك بهدف الحؤول دون انتخاب

---

(١) ابن سعد مجلد٤ جزء٢ ص٢-٣ (كيتاني جزء٩ ص٢٣٨). [لابد من التنويه هنا إلى ان البروفسور بيترسن يشير إلى العقد الذي تم بين معاوية وعمرو بن العاص الذي نصّ الآتي:- (هذا ما تعهد عليه معاوية بن أبي سفيان وعمرو في بيت مقدس من بعد قتل عثمان بن عفان وحمل كل واحد منهما صاحبه الأمانة ان بيننا عهد الله على التناصر والتخالص والتناصح في أمر الله والإسلام) فيذكر ان الإمام علي(ع) حينما بلغه أمر ذلك التعهد خطب أهل الكوفة فقال ((أما بعد فإنه قد بلغني ان عمرو بن العاص الابتر بن الابتر بايع معاوية على الطلب بدم عثمان وحظهم عليه فالعضد والله الشلاّء عمرو ونصرته)) (ابن سعد، طبقات مجلد٤ جزء٢ ص٢-٣) وترجمة المؤلف للعضد الشلاء بالذراع والشلاء بالعرجاء أو العطباء لايفي بالغرض ثم ان الإمام لم يقل تأييد أو aid عمرو...الخ إنما انتقل مباشرة بعد المبايعة إلى قوله عضد والله الشلاء. وذكر المسعودي في مروجه ان الإمام علي(ع) خطب أهل الكوفة فقال ((أما بعد فإنه قد بلغني ان عمرو بن العاص الابتر بن الابتر قد بايع معاوية على الطلب بدم عثمان وحظهم عليه فالعضد والله الشلاء عمرو ونصرته، مروج جـ٤ ص٢٥٤)) (المترجم).

(٢) ابن سعد مجلد٤ جزء٢ ص٨٢- ٨٤ (كيتاني مجلد ١٠ ص٥٤ وما بعدها)

(٣) ينظر Sarasin ص٢٥ وما بعدها من الصفحات، ٦١، ٦٥، ٦٨.

طلحة فيستعمل المال في الضغط بانتخابه هو[١]. وهكذا فقد تحولت وانتقلت المبادرة من المدنيين، ويسجل ابن سعد بوضوح ان جميع صحابة النبي كانوا حاضرين . ولم يكن سعد بن أبي وقاص استثناءاً من ذلك . وأدوا يمين الولاء لعلي، لهذا فإنه في هذه النقطة يناقض الواقدي[٢]. وابن سعد يقدم دراسة كاملة بشكل خاص عن شخصية علي؛ ففي روايته حول هذا الموضوع، الذي اقتبسه واستعاره بشكل اعتيادي وطبيعي من مصادر أخرى غير الواقدي، تعتبر الآثار الأولى لبداية اسطورة علي في الرواية السنية . أمثال تنبؤاته عن قتله من قبل ابن ملجم...الخ[٣]، ولكنه أيضاً يرفض الاعتراف على نحو واضح الأفكار الشيعية بعودة علي بعد موته millenium وذلك بجعل ابنه الحسن يتبرأ من اصرار الشيعة بعودة علي ثانية[٤]. حتى وان كان ذلك فابن سعد قد منح حيزاً ودراسة قليلة نسبياً عن علي موازنة بما قام به عن اسلافه[٥] . لاسيما عمر . إنه كان قد اتخذ موقفاً ودياً ازاءه، فإنه يبرز للعيان، ولاول مرة في النقل السني، صورة الشهادة، حتى وان كان أحياناً على حساب صحابة النبي. بالاجمال فإن عرض ابن سعد يمثل إلى حد ما تكثيف أو أكثر حدة من عرض الواقدي، من غير ان يتخلى عن ميله للعباسيين. ولكون ابن سعد إلى حد ما حنبلياً، فإنه هكذا يعدّ ممثلاً لوجهة النظر الرسمية بصيغة وبشكل مختلف قليلا عن وجهة نظر استاذه.

الشيء المشترك بين هذين المؤرخين هو الآتي: . أولاً خلفيتهما المدينية، وهو أمر

---

(١) البلاذري ص٤٦٩، ينظر الرواية البصرية عند البلاذري ص٤٦٧ (كيتاني مجلد٨ ص٣٣١).

(٢) ابن سعد مجلد٣ جزء١ ص٢٠-٢١ (كيتاني ج٩ ص٥٠). وهنا يذكر ابن سعد الأسماء المستثناة عينها في الرواية المبكرة، فلابد ان يكون تناقضه متعمداً ومقصوداً.

(٣) ابن سعد مجلد٣ جزء١ ص١٦-٢٠ (كيتاني جزء١٠ ص٣٨٥ وما بعدها من الصفحات ص٣٥٦ وما بعدها) Sarasin ص٢٨ وما بعدها.

(٤) ابن سعد مجلد٣ جزء١ ص٢٦ (كيتاني جزء١٠ ص٤٦٣).

(٥) ينظر سخاو في كتابه ابن سعد وكتاب الطبقات الكبرى مجلد٣ جزء١ ص٣٥ [في هذه الصفحة لم نعثر على ما استنتجه الأستاذ بيترسن فابن سعد يتحدث في صفحات ٣٤- ٣٥ عن بني المطلب بن عبد المناف. إلا ان الأستاذ بيترسن محق بأن ابن سعد قد خصّص خمس عشرة صفحة من الطبقات (طبعة سخاو) في الجزء الأول من القسم الثالث للإمام علي(ع)، بينما مثلاً خصّص عن عمر بن الخطاب (رض) ثلاث وثمانين صفحة [المترجم ينظر الطبقات جزء٣ قسم١].

تابع وثانوي إلى الرواية المعدّلة المؤيدة للعباسيين للرواية الكوفية، ثانياً المناخ المحيط بشخصية علي بالموازنة بينه وبين الجيل السابق، ثالثاً، تقويهما الايجابي للعباسيين . دائماً فانهما يشددان على وحدة بني هاشم. وهناك تبديلات وتغييرات مشابهة ومتزامنة يمكن ملاحظتها في الرواية التاريخية في البصرة. وان اتجاهها الرئيس، وهو موضوع سنعود إليه لاحقا، يبدو إنه عثماني، ويحتمل أيضاً هنا إننا نلتقي عند عدد من المؤرخين اتجاهات وميول معاكسة ومضادة تكشف عن نزعات أما إنها مندمجة وممزوجة بالرواية الكوفية والبصرية وأما ان تكون تناقضات مشتركة ومتبادلة بين المدرستين[1]. ان هذا التحول الآخذ بالتقدم يتصاعد حتى بلغ الذروة عند علي بن محمد المدائني، إذ بفضل منزلته ومكانته فإنه حصل على اوسع مجال ومدى. وسوف لن نفقد النظر للحقيقة بأن المدائني كان مولى لبطن من بطون عبد شمس بن عبد مناف، التي تنتمي وترجع إلى مدينته البصرة، وهي عبارة عن تفرع من الأمويين. ومع إنه في الأصل قد تثقف ليكون فقيهاً (من قبل معمر بن الاشعث المعتزلي)، لكنه كرّس نفسه ونذر نفسه تدريجياً للدراسات التاريخية فضلاً عن صناعة الكتابة في الأدب. ومن بين مؤلفاته معالجة في رسالة عن أحد الميادين عن تاريخ البصرة وكتاب (اخبار الخلفاء الكبير)، الذي وصل فيه إلى خلافة المعتصم (٨٣٣ . ٨٤٢م) ويبدو إنه الأكثر شمولا وسعة، وقد انتقل المدائني من مدينة مولده إلى بغداد ويظهر إنه لازم بصورة خاصة الشخص المتعدد المواهب polyhistor اسحاق بن ابراهيم الموصلي وتوفي في داره سنة ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م[2].

---

(١) ينظر [في ادناه من الكتاب ص٢١٦ وما بعدها من الصفحات] وكذلك Acta Orientalia جزء٢٧ ص٩٨ وما بعدها من الصفحات.

(٢) عن حياة المدائني ينظر بروكلمان في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة أولى) مجلد٣.ص٨٧، مرغليوث، محاضرات ص٨٥ وما بعدها من الصفحات؛ شارل بلا، الجاحظ ص١٤٣ وما بعدها من الصفحات والاقوال حول سنة وفاته تختلف كثيراً من سنة ٢١٥هـ إلى سنة ٢٣١هـ وقد تبعنا حجة كويتاين Goitein باختيار سنة ٢٢٥هـ على إنها السنة الأكثر قبولا (البلاذري، انساب جزء٥ ص١٤ وما بعدها من الصفحات). [والمدائني هو أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف السمري الاخباري بصري المولد والنشأة، وسكن المدائن- طيسفون- ثم انتقل إلى بغداد ومكث فيها حتى وفاته سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٨ ويعدّ مؤسس المدرسة

ويمثل المدائني مرحلة متقدمة في صياغة وتشكيل الرواية التاريخية وإنه قد اختار مادة كتابه من الكثير من المصادر التي يصعب الحصول على أي مسح مصدري لمادته بصورة مباشرة وواضحة[1]. ان افتقار ونقص التجانس في مصادره يظهر من الحقيقة إنه اعتمد جنباً إلى جنب على مثل هؤلاء العلماء البصريين أمثال العثماني يزيد بن عياض بن جعدبة (المتوفى سنة ٧٧٥ ـ ٧٧٦م) وأبي بكر الهذيلي الذي بالكاد يكون ثقة جداً، وجويرية بن أسماء (المتوفى ٧٨٩ ـ ٧٩٠م) وسحيم بن حفص ابن اليقظان* (المتوفى

الاخبارية البصرية المعنية بالفتوح وفتوح البصرة والمشرق. وألف عدداً من الرسائل منها:- فتح الابلة، وخبر البصرة وفتوحها، وفتوح خراسان، وفتوح سجستان، وفتوح طبرستان. وكتب عن أحداث تاريخية أخرى. وأربت كتبه على مائتي كتاب ورسالة، فهناك كتب تتعلق باخبار الخلفاء وبعض الأحداث السياسية وكتب تتعلق بالانساب كنسب قريش واخبارها، واخبار النساء. وتؤكد الاقتباسات التي اقتبسها المؤرخون كالبلاذري واليعقوبي وخليفة بن خياط وأبي حنيفة الدنيوري والطبري وابن الاثير وأبي زيد البلخي وغيرهم على علو مكانته في الكتابة التاريخية (ينظر ابن النديم ص١١٥- ١١٦؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء ج٥ ص٣١٢- ٣١٣؛ د.ناجي، عبد الجبار: اسهامات مؤرخي البصرة (بغداد ١٩٩٠) ص٨٢- ٨٧، ١١٠- ١٢٢ [المترجم].

[وثّق علماء الجرح والتعديل المدائني ومكانة معلوماته ومروياته عن الفتوح والمغازي والتاريخ فقال يحيى بن معين المتوفى سنة ٢٣٣هـ/ ٨٤٧ (المدائني ثقة ثقة ثقة) [الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جزء١٢ ص٥٤] ومدحه النحوي ثعلب المتوفى سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٣ قائلا ((من أراد اخبار الإسلام فعليه بكتب المدائني)) (م. ن. جزء١٢ ص٥٤). ووصفه الخطيب البغدادي قائلا إنه ((كان عالماً بأيام الناس واخبار العرب وانسابهم، عالما بالفتوح والمغازي ورواية الشعر صدوقا بذلك)) (م. ن. جزء١٢ ص٥٤) د.حسين البهادلي: موارد الرواية التأسيسية لفتوح جنوب العراق (رسالة دكتوراه غير منشورة) بغداد ٢٠٠٣ ص٦٠- ٦٣. [المترجم].

(١) ان المادة قد تأثرت إلى حد ما باتكائها واستنادها بشكل مطلق تقريباً، ولاسيما بخصوص المراحل المبكرة جداً للنزاع، على اقتباسات في تاريخ الطبري عن عمر بن شبة الموالي للعلويين (المتوفى سنة ٨٧٥م) (وحول عمر بن شبة ينظر GAL جزء١ ص١٣٧ و(S) ص٢٠٩). لامانس: الأمويون ص٧٢ وما بعدها من الصفحات وص١٥٧ وما بعدها من الصفحات ويظهر ان البلاذري، من جانب آخر، قد استخدم المدائني مباشرة، وأحياناً بشكل حرفي ex vivo ore ينظر [لاحقاً ص١٣٨].

* هو أبو اليقظان عامر بن حفص العجيفي ويعرَف في كتب الطبقات والانساب والتاريخ بسحيم بن حفص العجيفي وشهر بلقبه (أبو اليقظان) وأحياناً يذكره البلاذري في الانساب بـ(أبو اليقظان البصري) ومعرفتنا بهذا المؤرخ النسابة قليلة ومحدودة برواية ابن النديم بذلك ظل امره مجهولا في الوقت الذي عدّت كتبه عن الانساب مصدراً مهماً لمؤلفات الطبقات والتراجم والانساب. وتشير رواية ابن النديم ان حفصاً ولد سحيم وكان شديد السواد فلقب بالاسود واسمه في الأصل عبيد الله. كان مولى لبني عجيف بن ربيعة بن مالك فلقب لذلك بالعجيفي، وذكر الطبري إنه مولى لوبرة التميمي. صنّف كتبا منها كتاب (اخبار تميم)

٨٠٥ .٨٠٦م) وبطريقة مماثلة اعتمد الموالي للأمويين مسلمة بن محارب (المتوفى تقريباً ٧٦٥ .٧٨٥م) والموالي للامويين أيضاً عبد الله بن مبارك (المتوفى ٧٩٧م)[١]. وإنه اقتبس من الكثير جداً من الرواة الكوفيين، سواء كانوا معتدلين أمثال عوانة بن عبد الحكم أم شيعة بشكل قوي أمثال عيسى بن يزيد وبشر بن عاصم (سنة وفاته غير معروفة). وهكذا فقد تشرب المدائني المؤلفات، بصرف النظر عن ميولها ونزعاتها واتجاهاتها، للاجيال السابقة، وانتفع منها كمصادر موثوقة وكأرومة butts لحججه الداحضة[٢].

هناك سمتان جديرتان بالنظر بصورة خاصة هما: .أولاً ان المدائني، مع إنه من أصل وثقافة بصرية، يقتبس من رواة عثمانيين في الاسلوب والجودة والنوعية، ولكن على الاطلاق ليس الرواية السورية .المدنية من المدرسة البصرية ابداً، حيث قد وجدت ملاذاً وملتجأ[٣]. وهو يعلم أنها لايرقى إليها الارتياب بصحتها، فهو يستشهد . مع ان ذلك نادرا .بيزيد بن عياض بن جعدبة، وهو أحد النقلة الرئيسيين في هذه الرواية. ويوحي مباشرة بأنه كان متعمداً في عزل نفسه عن تلك الحركة. أما السمة الثانية اللافتة للنظر هي ان المدائني لم يقتبس ولم يستشهد مطلقا بأبي مخنف من الراوية الذي استعمله في حالات كثيرة كل من البلاذري والطبري، وحسبما يبدو أيضاً ان كل من سيف بن عمرو والواقدي قد استعارا معلوماتهما منه، ألا وهو هشام بن

وكتاب (حلف تميم بعضها بعضا) وكتاب (النوادر) وكتاب (نسب خندف واخبارها) وكتاب (النسب الكبير). وكان واسع المعرفة في تاريخ الانساب العربية وقد اعتمد مؤلفاته كل من خليفة بن خياط والبلاذري وابن قتيبة الدينوري والجاحظ والطبري وغيرهم. وهو لم يتساهل في سنده ومن مصادره وشيوخه جويرية بت أسماء ومحمد بن سيرين وصدقة المازني ومسلم بن الجارود. ينظر ابن النديم، الفهرست ص١٠٦- ١٠٧؛ د.ناجي، عبد الجبار: اسهامات مؤرخي البصرة ص٦٩- ٧٦) [المترجم].

(١) عن الاثنين الاخيرين ينظر Acta Orientalia جزء٢٧ ص١٠٥ وما بعدها من الصفحات.

(٢) نفس المصدر جزء٢٧ ص١١٧ وما بعدها وإنه من الممكن التحقق منه بأن المدائني قد انتفع من مسلمة بن محارب والعلماء الآخرين الموالين للأمويين كمنطلق لمناظراته

(٣) في وقت واحد في الفترة التي تعامله معها هذا فإنه يستشهد بالزهري وفي هذا المثال مع رواية من الخارج تعامل وهو عثمان بن عبد الرحمن السعدي الوقاصي (المتوفى ٨٠٩م) كوسيط؛ الاغاني جزء١١ ص٣٠- ٣١ (كيتاني مجلد٨ ص٨٧ وما بعدها).

محمد الكلبي، في حين على العكس من ذلك فإن البلاذري نادراً ما يدوّن مثل هذه الروايات عن أبي مخنف كما تم اقتباسها من قبل المدائني. والتفسير الذي يمكن تصوره هو تلك المقاطع التي يستحضر ويستشهد فيها المدائني بأبي مخنف في الغالب تؤشر إلى الظروف والاحوال في البصرة وهي ترجع إلى أحد مؤلفاته عن هذه المدينة التي يقتبسها الطبري[1]. وعلى أية حال فإن التفسير إلى حد ما بأن المدائني يعدّ ابن الكلبي أقل ثقة، أو إنه يشعر بأنه قد رفض بسبب ميوله[2]، وكلتا هاتين الخصوصيتين ستظهران بوضوح عند موازنة الترتيب التاريخية الزمني لهؤلاء الرواة. إذ نجد عند المدائني لأول مرة سلسلة متقنة ودقيقة من المعلومات التاريخية الزمنية .قد اختيرت من جميع المصادر التي استعملها .والتي تساعدنا وتمكننا من تثمين وتقييم تفسيره لخلافة علي ومكانته ومنزلته في عصره. وهذه المعلومات هي: .

مقتل عثمان: ١٨ ذي الحجة ٣٥ هـ = ١٧ حزيران سنة ٦٥٦.[3]

مسيرة علي من المدينة ضد المتمردين في العراق في نهاية شهر ربيع الثاني منذ سنة ٣٦هـ/ ٢٧ أيلول .٢٥ تشرين الأول سنة ٦٥٦م (والأكثر احتمالا ورجحانا ان التوقيت الأخير هو جزء من تشرين الأول سنة٦٥٦م)[4].

الصدع في العلاقات بين علي ومعاوية بعد معركة الجمل ثم بعثة جرير بن عبد الله، التي لاتتضمن أي تاريخ محدد[5].

عودة علي إلى الكوفة من صفين في ٢٠ ربيع الأول (٣٧هـ/ ١٥ أيلول ٦٥٧م) وبقاءه

---

(١) باستثناء واحد هو الطبري مجلد١ ص٣٢٠٢- ٣٢٠٤، يتماثل مع البلاذري ص٤٧٨- ٤٧٩، ٤٨٣- ٤٨٤ (كيتاني مجلد٩ ص١٤٤ وما بعدها ص١٢٩، ١٤٥ وما بعدها. [هو يزيد بن عياض بن يزيد بن جعدبة ويرجع نسبه إلى بني ليث من كنانة وهو بصري في النشأة والسكن، توفي في عهد المهدي. ولعله من المفيد القول ان علماء الجرح والتعديل قد اتفقوا على تضعيفه في رواية الحديث الشريف (ابن سعد، الطبقات جزء٥ ص٤١٢، ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل جزء٩ ص٢٨٢) د. البهادلي: موارد الرواية ص٦٨ [المترجم].

(٢) ينظر تقييم الجاحظ رفيقه في الولاء (الموالي) لابن الكلبي، بللا: الجاحظ ص١٤١.

(٣) الطبري مجلد١ ص٣٠٦٧- ٣٠٦٨ (كيتاني مجلد٨ ص٣٢٤).

(٤) الطبري مجلد١ ص٣١٣٩ (كيتاني مجلد٩ ص١٢٠).

(٥) الطبري مجلد١ ص٣٢٥٥- ٣٢٥٦ (كيتاني مجلد٩ ص٢٣٤).

هناك لمدة سبعة شهور (اقصد حتى شهر شوال من سنة ٣٧هـ/ ١٢ آذار .٩ نيسان ٦٥٨م) وعندما طلب معاوية منه الحضور لجلسة الاستماع في التحكيم المحددة[١].

شرع معاوية في رحلته إلى دومة الجندل في بداية شهر رمضان من سنة ٣٧هـ/ ١٢ كانون الثاني .٩شباط ٦٥٨م (اقصد الأكثر رجحانا اواسط شهر كانون الثاني). وقد اعيق علي من الحضور بسبب معارضة الخوارج، غير إنه بعث ابن عباس وأبا موسى[٢].

وحينما رحل الحكمان، أدى السوريون يمين الولاء لمعاوية خليفة لهم في شهر ذي القعدة من سنة ٣٧هـ/ ١٠ نيسان .٩مايس من سنة ٦٥٨م[٣].

وعندما قتل محمد بن أبي بكر (ابن الخليفة ووالي علي على مصر)، توجه ابن عباس إلى الكوفة ليعين زياد بن أبيه وينصبه وكيلا عنه على البصرة[٤].

وبعد معركة النهروان، سعى عبد الله بن الحضرمي إلى اثارة والتحريض على الثورة في البصرة بمبادرة من معاوية[٥].

اقتراح ابن عباس على علي بأن يبعث زياد بن أبيه إلى فارس لاخماد وقمع تمرد هناك، وعند عودته إلى البصرة بعد معركة النهروان نفذ علي ذلك في سنة ٣٩هـ[٦].

ينكر المدائني ويرفض بأن ابن عباس قد ترأس الحج في سنة ٣٩هـ[٧].

في نفس السنة قيل ان ابن عباس ظل مع الحسن بن علي[٨].

---

(١) البلاذري ص٥٢٣- ٥٢٤ (كيتاني مجلد ١٠ ص٣٢ وما بعدها).

(٢) نفس المصادر والصفحات.

(٣) الطبري مجلد٢ ص١٩٩.

(٤) الطبري مجلد١ ص٣٤١٤ (كيتاني مجلد ١٠ ص١٥٢). ووضعت هذه الحادثة من قبل الكندي ص٣٠ (كيتاني مجلد ١٠ ص٢١٣) في ١٤ شهر صفر ٣٨هـ/ ٢٢تموز ٥٦٨م (؟ ربما المقصود ٦٥٨ المترجم)، ينظر ايليا بارسينا Elia bar Sinya (Bethgen: Fragmente ص١٣ وما بعدها).

(٥) الطبري مجلد١ ص٣٤٤٠ (كيتاني مجلد ١٠ ص١٨٧ وما بعدها)، واستناداً إلى البلاذري ص٥٣٠ (كيتاني مجلد ١٠ ص٧٧) ان المعركة قد وقعت في ٩صفر من سنة ٣٨هـ/ ١٧تموز ٦٥٨، وهذا من المحتمل قد تم قبوله من المدائني الذي لايوفر أكثر من التاريخ القريب والنسبي.

(٦) الطبري مجلد١ ص٣٤٤٠ (كيتاني مجلد ١٠ ص١٨٧ وما بعدها).

(٧) الطبري مجلد١ ص٣٤٤٧- ٣٤٤٨ (كيتاني مجلد ١٠ ص٢٩٦).

(٨) الطبري مجلد٢ ص١١ (ينظر فلهاوزن Kingdom ص١١١).

حدث قتل علي في ١١ رمضان من سنة ٤٠هـ/ ١٨ كانون الثاني سنة ٦٦١م[١].

وكما هو الحال في الرواية بصورة عامة فإن المدائني يؤرخ مقتل عثمان في ١٨ شهر ذي الحجة من سنة ٣٥هـ وحتى وان كان توقيت مقتل علي يختلف قليلا عن الرواية الاعتيادية المألوفة المذكورة فإن النهايات قد ثبتت بشكل جيد إلى حد ما، وفيما عدا هذه المسائل فإن الانسجامات والاتفاقات بينهما تنقطع وتتوقف. وفيما يخص السمات الرئيسة فإنه يرجع إلى الترتيب الزمني الكوفي للرواية الأموية المتأخرة، على الرغم من عدد من التعديلات والتصحيحات غير الجوهرية، التي قد تساعدنا في الحصول على التبصر في ملامحه الشخصية physiognomy، أولاً وقبل كل شيء فإنه يؤرخ، مع عوانة كمصدر من مصادره، وقوع الصدع في العلاقة بين معاوية والخليفة ما بعد معركة الجمل وبعد بعثة جرير بن عبد الله إلى دمشق[٢]. ومرة ثانية فإن المدائني بخلاف الرواية السورية المدنية، لاتميز الفترة الفاصلة بين انتخاب الخليفة وتمرد العثمانية[٣]، ولكن على العكس تماماً تذكر ان طلحة والزبير قد تخليا عن الفكرة بالبحث عن دعم وتأييد في سوريا. وهكذا فإن المدائني حال دون وجود أي صلة بين الحركتين أو التمردين.

وبصورة متشابهة، فإن المدائني يتابع التوقيت الكوفي حول اجتماع التحكيم في شهر رمضان من سنة ٣٩هـ وفي دومة الجندل، وهو الوقت والمكان اللذين قد حددا في رسالة الصلح. وبهذا الخصوص فإن المعلومة دقيقة بشكل استثنائي، وتعتمد على محمد بن السائب الكلبي، فاعتماد عليه فإن معاوية قد وصل في الوقت المحدد بينما كان علي منشغلا بالعمل الاداري وكذلك باحتجاج الخوارج ضد التحكيم، وهي

---

(١) الطبري مجلد ١ ص٣٤٥٦ (كيتاني مجلد ١٠ ص٣٦٦).

(٢) الرواية عن قميص عثمان (الاغاني جزء ١٥ ص ٧١ وما بعدها، كيتاني مجلد٨ ص٣٠٥ وما بعدها من الصفحات، لايمكن تحديدها زمنيا عند المدائني، قد نقلت من خلاله إلى أبي الفرج الاصفهاني. ومن المرجح جداً ان لها صلة ببعثة جرير بن عبد الله، إذ هي موجودة عند الطبري، كخلفية لاثارة الهيجان في سوريا.

(٣) ينظر فلهاوزن Prolegomena ص١٣٥ وما بعدها من الصفحات.

الأسباب التي دعته إلى ان يبعث بابن عباس وأبا موسى إلى حين تسلمه تذكيراً.
ويلحق المدائني بهذا الخبر رواية أخرى عن أبي الفضل التنوخي، عن راوية أو مؤلف مجهول الاسم، وعن ميمون بن مهران، الذي نقلها أيضاً إلى عمر بن عبد العزيز. فاستناداً إلى عمر بن عبد العزيز، فإن معاوية بدأ رحلته من دومة الجندل في شهر رمضان سنة ٣٧هـ وبعث مبعوثا إلى الكوفة ليذكر الخليفة بالتزامه. فأجاب علي إنه سوف لن يحضر شخصياً لأن أمر الخوارج يتطلب اهتمامه، وان مقاومتهم مسألة خطيرة جداً واخطر من الحرب مع سوريا، وعلى أية حال فإنه سوف يبعث أبا موسى وابن عباس كممثلين شخصيين له. والواقع فإن هذه الرواية تغطي أحداث الكلبي تماماً باستثناء الملاحظة الخبيثة والماكرة بشأن خطورة الحركتين، التي على الرغم من عدم وجودها في أي مصدر من المصادر الأخرى، تنسجم وتتفق بشكل جيد مع الترتيب الزمني للمدائني بصورة عامة. أما اداؤه بالنسبة إلى المفاوضات في اجتماع التحكيم . كما أشار إليها بالفعل كيتاني .فهي عبارة عن اعادة صياغة لنص أبي مخنف[1]. ومرة أخرى فإن الرواية تهدف بوضوح إلى عدم حضور علي الاجتماع وذلك بسبب الوضع الخطير الناجم من معارضة واحتجاج الخوارج.. وإنه لايلمح إلى معركة النهروان، إلا إنه على العكس من ذلك يؤكد الادعاء والزعم بأن التمرد لم يقع لحد هذا الوقت، واعتماداً عليه فإن روايته بشأن حيلة عمرو يقول فيها «ان اضطراباً وشغباً قد اندلع بين اولئك الحاضرين وان الخوارج اعلنوا عصيانهم»

ليس لدينا معرفة عن التفاصيل المتعلقة بموقف المدائني من تمرد الخوارج، وفوق ذلك، فإن ترتيبه الزمني بخصوص السنوات الأخيرة من خلافة علي هي معلومات بصورة عامة نسبية فحسب. وفي كل الاحوال فإنه قبل بالتوقيت المعروف لمعركة

(١) العقد الفريد جزء٢ ص٢٩١- ٢٩٢ (كيتاني مجلد١٠ ص٥٧ وما بعدها). ان هذا يجاري الحقيقة بأن الخوارج عندما بعث علي ابن عباس وأبا موسى إلى دومة الجندل، على الرغم من احتجاجاتهم قد انتخبوا إماماً خاصاً بهم في العاشر أو العشرين من شهر شوال سنة ٣٧هـ أي ١١ أو ٢١ آذار من سنة ٦٥٨ (البلاذري ص٥٣١- ٥٣٢؛ الطبري مجلد١ ص٣٣٦٥، كيتاني مجلد١٠ ص١٠٢، ٨١).

النهروان أي في شهر صفر لسنة ٣٨هـ أي تموز ٦٥٨م، وفي رواية وقصة مختصرة . وعرضيا إنها جاءت عن الشعبي . يذكر إنه «عندما قاتل علي الخوارج في النهروان، احتج عليه الكثير، وان عدداً من اتباعه وانصاره قد ثاروا ضده». وبهذا الخصوص فإنه ذكر بني ناجية وهم قبيلة الخريت بن رشيد الخارجي، وعبد الله بن الحضرمي الذي ثار بالبصرة بتأثير سوري، وثورة الاهواز ضد ضريبة الخراج، وهي الثورة التي انتشرت إلى بلاد فارس.. وقد استثني ابن عباس وحده بوضوح[١]، ونظام المدائني في التاريخ الزمني قد بني بتماسك شديد. ومشابهة بالرواية الكوفية في أواخر الدولة الأموية فإن المدائني ذكر دعوة ابن عباس لجلسة الاستماع في التحكيم ولاجتماع واحد فقط، وانسجاماً مع رسالة الصلح فقد عقدت في شهر رمضان من سنة ٣٧هـ أي قبل ستة شهور من المعركة مع الخوارج. وعند المدائني فإن هذه التحولات الزمنية لم تخدم ولم تفد إلا في تبرئة وتحرير علي من الاتهامات بأنه قد انتهك اتفاقية التحكيم، ولكن أيضاً تفيد في توجيه السببية في مجرى الأحداث. وان حيلة وخديعة عمرو في دومة الجندل قد حرّضت على شيء اشبه بسلسلة من ردود الفعل. وان تمرد الخوارج ومذبحة النهروان بدورها قد سببت الارتداد عن علي. وبالكاد لم نجد في أي مكان مثل هذه التحولات والتغيرات قد تحققت بشكل ثابت وراسخ جداً مثلما نجده عند المدائني، والمدائني قد خلّص الرواية من أي شك زمني أو واقعي، غير إنه ولنفس السبب، قد شكّل . وليس هناك شك بقوة مصدره . مصاعب ومشاكل لايمكن تذليلها في طريق لاتقتصر على الاجيال القادمة فقط إنما في طريق البحث الحديث[٢].

هذه الوحدة في منطقية التفكير الواضحة في عرض المدائني دون شك تتصل اتصالاً وثيقاً برغبته في ان يعزل ويفصل تمرد معاوية عن إجراء الانتقام بالثار الذي نادت به العثمانية، وفي نفس الوقت لتفسير وشرح تمرد الخوارج في ضوء الخديعة

---

(١) الطبري مجلد١ ص٣٤٤٠ (كيتاني مجلد١٠ ص١٨٧ وما بعدها).

(٢) ينظر مثلاً المناقشة عند ياقوت (جزء١ ص١٧٤ وما بعدها، جـ٢ ص٦٢٨؛ كيتاني مجلد ١٠ ص٥٥ وما بعدها من الصفحات) بشأن مكان التحكيم.

السورية. ويخدم تطبيقه العناصر في النقل الشيعي المبكر والمؤيد للعلويين، بوضوح تعصب الأمويين وتمييزهم. لايمكن انكار ان توقيت الصدع في العلاقة بين علي ومعاوية قد حدث بعد معركة الجمل، ولكن من أجل المواصلة والاستمرارية فإن المدائني أختار رواية عيسى بن يزيد وهو الشيعي المتطرف وذلك لتفسير وشرح الاتفاقية بين عمرو ومعاوية، ويقصد بها أيضاً الطموحات الشخصية لمعاوية إذ قد عرضت اوتوماتيكياً أو ذاتياً وكأنها الدافع والمحرض الحاسم[١]. وقد اعطيت لحيلة وخديعة عمرو في دومة الجندل خلفية مشابهة[٢]، ان هذا الخط قد اكتمل إلى هذا الحد عندما تسلم معاوية بيعة السوريين مباشرة وبعد اجتماع التحكيم. فالتحريف والانحراف المتحيز في معالجة إجراء معاوية .وقد ازيل كل اثر لدافع الانتقام بأخذ الثأر بشكل مقصود .تنسجم تماماً مع جميع ما يريد قوله المدائني بشأنها. ومع شدّاد بن أوس الناطق بلسان المدائني .وهو من أصحاب النبي ومن اتباع علي المخلصين .فإنه يفضل دون تحفظ علياً على معاوية إذ ان علياً اهتدي إلى الإسلام قبل معاوية، وهاجر إلى مكة قبل معاوية، وهو من عائلة افضل، وهو أكثر شجاعة وحصافة وسلامة قلب ومعاوية لم يكن سوى طليق أو معتق في الإسلام وهو ابن زعيم الاحزاب[٣]. وهكذا فإن المدائني يوازن الخلافة الأموية بالاغتصاب، وشجبه لها يفوق بكثير شجب الجيل السابق.

ويرجع المدائني في عدة مرات إلى النتائج المنذرة بالسوء والمفجعة لمقتل عثمان،

---

(١) البلاذري ص٤٩٨- ٤٩٩ (كيتاني مجلد٩ ص٢٤٠ وما بعدها من الصفحات، أيضاً البلاذري: معاوية رقم٦٠ (S)، ١٢٥، ٢٥٦.

(٢) ومجاراة مع هذا الخط فإن تصوير المدائني لأبي موسى يعدّ وصفاً فيه اطراء قليل. فعندما ثارت الكوفة ضد عثمان اختارت المدينة أبا موسى والياً (الاغاني جـ١١ ص٣٠ وما بعدها) كيتاني مجلد٨ ص٨٧ وما بعدها)، وعند وصول علي الكوفة عزله فورا (الطبري مجلد١ ص٣١٣٩، كيتاني مجلد٩ ص١٢٠). وبراعته في اجتماع التحكيم قد شدد عليها، وان تواطئه مع معاوية قد ذكر كحقيقة (العقد الفريد). وأخيراً فعندما أدى البيعة لمعاوية شرح من غير تردد رفضه المبكر للبيعة (البلاذري، معاوية رقم١٢٧).

(٣) البلاذري، معاوية رقم٢٦٠، ٢٧٠. الاحزاب هو تحالف مكّي في الخندق، ضد المدينة في سنة ٥ هجرية.

وهو السبب العميق جداً inmost للفتنة[١]. وعلى الرغم من ان المدائني لايكنّ احتراماً أو اعتباراً عالياً للخليفة عثمان: فإنه يضع أبا بكر وكذلك عمر وعلي فوقه واسمى منه، وحتى ابن عباس فلابد له ان يتنازل لعلي إذ جعل ابن عباس يصرّح «ان الناس قد أدوا يمين الولاء لعلي، وإنه أفضل رجل وهو أفضل مني»[٢]. هذا القول بأية حال لايعني ان المدائني قد تخلى عن دفاعه عن ابن عباس وعن العباسيين. على العكس من ذلك، فهو في كثير من الأحايين يشدّد على وحدة بني هاشم ضد بني أمية، وبوجود عيسى بن يزيد مصدراً له فقد اثبت ودلّل على ولاء ابن عباس للخليفة في صفين عندما حاول عمرو استمالته إلى جانبه[٣]. ولما كان ابن عباس ممثل علي الشخصي في اجتماع التحكيم فقد حذّر أبا موسى من مكر عمرو[٤]، ولم يؤد ابن عباس أي دور على الاطلاق في التسوية بين الحسن ومعاوية بعد موت علي، وبعدئذ وفي سنة ٦٧٦م رفض طلب الخليفة بصراحة ان يبايع وان يؤدي البيعة إلى يزيد بن معاوية[٥].

ان توقير المدائني لابن عباس قد أثر على نظامه في التاريخ الزمني. وفي حالة التوريخ بتاريخ متقدم للتحكيم لابد للمدائني أما ان يقدم تاريخ الصدع في العلاقة بين ابن عباس مع علي أو ان يسدّ الفراغ بمعلومات أخرى محددة للفترة الفاصلة اللاحقة، ومن الطبيعي إنه سيختار الطريق الأخير للخروج من المشكلة. فهو يذكر ان ابن عباس، حينما قتل محمد بن أبي بكر في مصر، ذهب إلى علي وهو بالكوفة بعد ان عيّن زياد بن أبيه نائباً له في البصرة. وعند افتراض في ان المدائني قد قبل بالتوقيت السائد لمقتل

---

(١) مثال على ذلك البلاذري رقم٣٠٣، ينظر رقم٥٢.

(٢) البلاذري: معاوية رقم ٢٧٠، ينظر رقم ١٢٤.

(٣) البلاذري: رقم٥٠٧- ٥٠٨، (كيتاني مجلد٩ ص٢٣٤).

[ورد هذا القول في رسالة عبد الله بن عباس ردًا على رسالة معاوية. إذ أورد معاوية فيها تلميحاً هادفاً بقوله لابن عباس «وأنت رأس هذا الجمع اليوم ولو بايع الناس لك بعد عثمان كنا اليك اسرع منا إلى علي» فأجاب ابن عباس قائلاً ((وأما قولك إنه لو بايعني الناس استقمت لي، فقد بايعوا علياً وهو خير مني، فلم تستقم له، وان الخلافة لاتصلح إلا لمن كان من الشورى ممن سماه عمر، فما أنت والخلافة يا معاوية وأنت طليق في الإسلام وابن رأس الاحزاب وابن آكلة الاكباد)) البلاذري جزء٥ ص١١٤ [المترجم].

(٤) العقد الفريد الجزء والصفحة المذكورة سابقا.

(٥) فلهاوزن Kingdom ص١٠٨.

محمد أي ١٤ من شهر صفر ٣٨هـ/ ٢٢تموز ٦٥٨م فلابد ان تكون فكرته بأن ابن عباس لم يكن له أي دور في مذبحة الخوارج في النهروان قبل بضعة أيام[١]. فضلاً عن ذلك فإنه ذكر بأن محاولة عبد الله الحضرمي للثورة في البصرة قد وقعت خلال فترة غياب ابن عباس عن المدينة. ان موازنة لرواية المدائني مع رواية البلاذري، وهي من المحتمل ان تكون سورية الأصل[٢]، ستظهر اتفاقا وموافقة لأن هذه الحادثة قد وقعت بعد فقدان مصر وبعد التحكيم، ولكن المدائني لم يكتفي فقط بنقل الحادثة الأخيرة إلى الوراء لأكثر من سنة، لكنه أيضاً قد حرّك التمرد في البصرة إلى الوراء إلى صيف سنة ٦٥٨م. وهو على خلاف مصدر البلاذري، الذي اعتمادا على ما ورد فيه ان ابن عباس بالفعل كان قد ترك عندها مدينة البصرة. «منزعجا من علي وبذلك حلّ زياد بن ابيه محله»، والمدائني يؤكد ان ابن عباس لم يزل عندها واقفا إلى جانب علي. ومن بعد ذلك فإنه يحكم هذه المسألة باتقان بصورة غير مباشرة بمعلومة عن ان ابن عباس إنه قد عاد إلى البصرة ثانية، ومن هنا فإنه في سنة ٣٩هـ قد ارسل وبموافقة علي زياد بن ابيه إلى فارس بهدف قمع التمرد الذي كان قد اندلع بعد معركة النهروان[٣]. ولم ينكر المدائني بأن ابن عباس قد تخاصم مع علي ومن ثم ترك ولايته؛ فهو يعلم بأنه في سنة ٣٩هـ لم يزل إلى جانب الحسن، وإنه كان في المدينة في الوقت الذي توفي فيه علي[٤]. وبواسطة هذه المباني الصريحة والساذجة فقد أفلح المدائني في دفع أو درأ

---

(١) ان هذا هو الادعاء والزعم العام في الرواية العربية، فاجيلري جزء١ ص٧٦ وما بعدها من الصفحات.

(٢) البلاذري ص٨٨٥- ٥٦١ (كيتاني مجلد١٠ ص١٥٦ وما بعدها من الصفحات؛ والرواية مجهولة المصدر والاسم، ولكن من دون شك هي من وهب بن جرير. ومن اللافت أيضاً ان المدائني يفوق كثيراً معلومة وهب بأن إجراء الحضرمي كان بهدف تأييد العثمانية في البصرة.

(٣) الطبري مجلد١ ص٣٤٤٠- ٣٤٤٩ (كيتاني مجلد١٠ ص١٨٧ وما بعدها، ص٢٦٤). وهنا أيضاً فإن المدائني يناقض مصدر البلاذري، بقدر ما يتعلق بأن زياد بن ابيه في الرواية الأخيرة ما هو إلا مجرد والٍ في فارس، إذ شهدت ازدهاراً اقتصادياً تحت ادارته (البلاذري، دون اسناد) مخطوط، اسطنبول ص٣٨٨؛ ينظر البلاذري ص٥٦٣- ٥٦٤، كيتاني مجلد١٠ ص٢٦٥ وما بعدها، ص١٦٥) وعند أبي القاسم (الطبري مجلد١ ص٣٤٤٩؛ كيتاني مجلد١٠ ص٢٦٤) فإن الذي عيّن زياد إلى هذا المنصب بعد النهروان هو علي. وهكذا يكون المدائني مذنبا Guilty بأنه قد قدّم قولين مزدوجين غير صحيحين.

(٤) الطبري مجلد١ ص٣٤٥٥- ٣٤٥٦؛ مجلد٢ ص١١، ينظر الاغاني جـ١١ ص١٧ (كيتاني مجلد١٠ ص٢٠٤

الصدع في العلاقة بين ابن عباس والخليفة حتى سنة ٣٩هـ وان يظهر بوضوح بأن هروبه من البصرة ليس له علاقة اطلاقا بالتحكيم أو بمعركة النهروان، التي ارتد فيها اناس كثيرون جداً.

فترتيب وطريقة ونظام التاريخ الزمني عند المدائني هكذا يكشف عن اتجاه ثنائي: الأول متمثل بهجومه العنيف بشكل استثنائي على معاوية والأمويين، وثانياً بدفاعه عن العباس والعباسيين. وفي الوقت نفسه فإنه قد اتخذ موقفا وديّا أزاء علي؛ لكن المباني الجريئة التي لاتقبل المجادلة التي ينبغي ان يأخذها على عاتقه بغية انقاذ ابن عباس تظهر على نحو حاسم بكون وجهات نظره لابد إنها تتماثل مع وجهات نظر الحكّام. ففي انتقائه وتكييفه وتعديله مصادره استنادا إلى متطلباته يظهر المدائني نفسه بأنه أكثر تماسكا وثباتا وربما من أي مؤلف آخر. وتوحي العناصر الرئيسة في عرضه بأنه كان متأثرا بالمعتزلة المهيمنة على الوضع؛ ومع ذلك فروايته عن الفتنة تختلف في عدة وجوه سواء في التاريخ الزمني أم في الواقعية عن رواية الواقدي. فاختيار المدائني لمصادره متغايرة إلى درجة بعيدة جداً عن سلفه الواقدي، وعلى الرغم من خلفيته المدنية، فانه يعتمد على تفسير مؤيد للعباسيين اعتماداً على النقل الكوفي؛ والمدائني يتفادى ذلك ويبحث عن رواة في روايات هي بالأساس معادية للأمويين بصرف النظر عن رؤيتهم وادراكهم. والظاهر ان المدائني يصّر على عزل تمرد معاوية؛ بخلاف الواقدي، وان ذلك يرجع إلى التاريخ الزمني الكوفي المبكر، ويؤرخ الصدع في العلاقة إلى ما بعد معركة الجمل.

فجهود المدائني العسيرة للتخلص من أي أثر للشرعية في إجراء معاوية وكذلك لاظهار عدم شرعيتها المطلقة تبرز كسمة رئيسة في كتابته التاريخية. وعلى نحو

وما بعدها؛ فلهاوزن: Kingdom ص١٠٧ وما بعدها من الصفحات). وهذا يتطابق تماماً ويتوافق تماماً مع انكار المدائني بأن ابن عباس لم يترأس أي موسم حج خلال خلافة علي (الطبري مجلد١ ص٣٤٤٧-٣٤٤٨؛ كيتاني مجلد١٠ ص٢٩٦). وذلك لأنه ان كان هذا حقاً فيصعب عليه المشاركة في معركة صفين. وهكذا كان منذئذ يتابع علي باخلاص.

لايمكن انكاره فإنه لم يحاول التوفيق بين عناصر في النقل الكوفي والنقل البصري الثانوي، لكن لابد ان نضع نصب أعيننا بأن توفيقه لم يهدف إلى أي انتاج ذاتي mechanical لمشاعر مجموعات ودوائر معينة مؤيدة للعلويين. وتأليف المدائني يكمن بشكل كبير في دراسة مصادره، مع إنه دون نقد تاريخي، إلا إنه تأليف له اغراض محددة جداً في الذاكرة، فانتقاء المصادر قد نفّذ بصورة متعمدة، وان العناصر التقليدية في الرواية قد تغير وتدرج لونها hue بقلمه. فخلفيته الشخصية وكذلك تعديله وتكييفه للمصادر أفضت لتدل وتؤشر إلى ان تعصبه وتمييزه للأمويين لابد إنه قد خدم مهمة موضوعية في زمنه، وهو افتراض يتقوى ويتعزز عبر اخبار أخرى. وكما تمت مناقشته في ادناه فإن اهتماماً متصاعداً بالأمويين[١]، لاسيما باتجاه اواسط القرن التاسع الميلادي، كان امراً ملحوظاً في العراق، كما هو الحال في الحنبلية، وينبغي ان لايحسب على إنه تعبير عن أي مودة للخلافة السورية، ولكنه بالأحرى كمعارضة للمعتزلة الرسمية. وفيما يتعلق بموقف المدائني من هذه الحالة فنحن نعرف اعتماداً على ياقوت بأن ابن عباس .واعتماداً على سياق الكلام sua sponte .قد حذّر الخليفة من هذه الحركة ومن الطريقة التي تظهر بها نفسها من خلال احترام شعبي أو توقير شعبي لمعاوية[٢]. وعند المدائني نفسه فهناك انعكاسات من المعارضة ضد سياسات العباسيين وهو أمر يمكن ملاحظته من عرضه المعادي للأمويين، إذ إنه يحيي وينعش الجدالات والمناظرات من جديد ضد النقل السوري ـ المدني[٣]. وتظهر وجهات نظره من جديد وبشكل صلب ومتماسك كثيراً وذلك بتفنيده المناقشة والمناظرة حول تدين معاوية، ويعرض المدائني أحد الاشخاص وهو مسلمة رجل شيعي من بني كنانة . يتحدى تبرير الإجراءات الصالحة والجيدة التي نسبتها رواية معاصرة مشكوك في صحتها لمعاوية .وهي وسيلة تخدم غرضاً وهدفاً فردياً ووحيداً لمقارعة المعارضة

---

(١) ينظر في هذا الكتاب ص٢٣٧ وما بعدها من الصفحات.

(٢) مرغليوث. محاضرات ص٨٦؛ شارل بلا: معاوية ص٥٤.

(٣) ينظر أيضاً Acta Orientalia جزء٢٦ ص١١٧ وما بعدها.

المعادية للمعتزلة في زمنه[١].

فكل من الواقدي والمدائني ينتميان إلى فترة المعتزلة من الخلافة العباسية، ويبدو ان كليهما قد تأثر بالعقائد الرسمية، حتى وان كان هناك تطور يمكن تمييزه بوضوح من الواقدي إلى المدائني.ان اعادة تقييم الفتنة بالنسبة إلى الواقدي المدني وكذلك الحكم والرأي الاسترضائي جداً عن علي بعد عنف الجيل السابق ضد الشيعة يبدو إنه كان حاسما، وقد استمر هذا الخط عند محمد بن سعد الذي كان جنبا إلى جنب مع توقير واحترام الامبراطورية العربية القديمة نلاحظ البذور الأولى لصياغة وتشكيل الشخصية الاسطورية لعلي وكذلك البذور والأصول الأولى في شجب واتهام الأمويين العديم الرحمة التي بلغت تطورها الكامل عند المدائني. لقد التقى عند هذين المؤرخين تياران، احدهما مؤيد للعلويين، والآخر معادي للأمويين، غير إن هناك خلفية مشتركة عند كليهما في نفس الجيل وان كليهما قد كيّف وعدّل بشكل مرن وفقاً لمتطلبات المرحلة.

الرواية الشيعية (٧٥٠م - ٨٥٠م)

صيغت الرواية العراقية في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي بشكل مظهر للمعارضة ضد الخلافة الأموية. وضمن هذه الهيكلية نلاحظ عدة فوارق دقيقة جداً وهي إنها بطريقة أو أخرى تعكس رؤى خاصة لرؤية الشيعة أو التشيع. فقد التقينا عند أبي مخنف في جميع المظاهر والاحوال بوجهة نظر الهاشمية في روايتهم .كما أشرنا إليه في اعلاه .الرواية المؤيدة للعباسيين فقد تجذرت وتأصلت في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي. ووجهات نظر الشيعة في شكلها الخالص وصورتها الخالصة . واقصد الاعلان والدعاية في التدوين التاريخي لصالح خلفاء علي ولصالح حقه الشرعي في الخلافة دون النظر إلى مصالح الفرق الأخرى .وهذه، على أية حال، تبدو

---

(١) البلاذري، معاوية رقم ٢٢٩ والهامش رقم ٢٤٠. ونفس الرواية، التي يبدو إنها قد انتشرت بشكل واسع إلى حد ما، قد وجدت عند الخارجي الهيثم بن عدي، ينظر عن الرواية المشكوك في صحتها حول معاوية [في هذا الكتاب ص٢٤٥].

للعيان واضحة في الفترة الأموية على الرغم من إننا من المحتمل أيضاً ان نجد انعكاسات الأفكار الهاشمية ووجهات النظر الشيعية واضحة عند الرواة الذين من خلال خيارهم الخاص في تضخيم الجور الديني الذي قد ارتكب ضد علي. ان قدرة الاقناع عند الشيعة متميزة في أول محاولة لوصف استشهاد علي، إلا إنه فيما عدا التلميح والتصريح هنا وهناك فإننا لم نجد بعد في المادة المتوافرة مثل هذه العناصر في سير القديسين كالتي نجدها فيما بعد قد لازمت وصاحبت شخصية علي. وبالإمكان ان نرى النقل الشيعي في صيغته المتميزة عند عيسى بن يزيد وجرير بن يزيد الجعفي إذ قاما بالمهمة اساسا في المغايرات والفروق بين المطامح الدنيوية السورية وبين الفضائل الدينية الواضحة عند علي. وكلا المؤلفين يمثلان موقفا أزاء المشاكل التي، مع ذلك، تخص النزاعات في الفترة الأموية. وان تغير الدولة على الرغم من استمرار الشيعة في المعارضة علما بأن معارضتهم قد اتخذت اتجاها مختلفا. فالسؤال، إذن، هو فيما إذا كانت الرواية الشيعية قد عُدلت وكُيفت إلى الظروف والاحوال الجديدة؟

ان دراسة شاملة للرواية الشيعية عن الفتنة خلال هذه الفترة ستواجه عدة عقبات. ولأحد الأمور، بما ان الشيعة حركة معارضة فإنها قد غيرت من اسلوبها، وفي مجرى أحداث القرن التاسع صارت إلى حد ما بؤرة ومركز التذمر الاجتماعي في جميع مظاهرها ووجهاتها، وأما الأمر الآخر هو سرعان ما انشق الشيعة إلى عدد كثير من الفرق، ولكل فرقة وجهة نظر منفصلة، وأخيراً، وهذا ينطبق بشكل خاص على الفرق الشيعية الغالية والمتطرفة وهو الغموض الخفي الذي يطوق اعمالهم ونشاطاتهم وربما إنه يتطلب ادبا عقدياً وتأويليا، غير ان هذا لايوفر امكانية نشوء ورقي الكتابة التاريخية بالمعنى المعقول للمصطلح وللتعبير. والتلميح الأساسي حول هذا يشاهد من الحقيقة بأنه على الرغم من إننا نلحظ محاولات لصياغة وتزوير آثار وميزات اسطورية حول شخصية علي في القرن الثامن الميلادي، لكننا لانجد إلا انعكاسات قليلة لمفاهيم البعث eschatoloiical ونهاية العالم عند الشيعة المتطرفة .وهي الأفكار ذاتها التي التقينا بها في صفة التشويه الكاريكاتوري المبالغ به عند سيف بن عمر. ونعتمد في هذه

الناحية تقريباً على اختيارات مؤرخين معتدلين جداً من النقل الشيعي، وحتى وان كانت القصص والحكايات المؤيدة عن علي متوافرة في عدد كبير وباختلاف كبير في قوة الحجة والاقناع، فنحن لانتوقع ان نجد تعبيرات وصياغات لوجهات نظر شيعية راديكالية ومتطرفة إلى أي مدى واسع .حتى الرواية المعتدلة فإننا بالكاد يمكن متابعتها بأكثر من موجز تقريبي وغير كامل.

وبالانتقال إلى راوية مثل نصر بن مزاحم المنقري (المتوفى ٢١٢/ ٨٢٧م .٨٢٨م)[١]. الذي وصفه بروكلمان على إنه المؤرخ الشيعي الرائد، سنجد سواء كانت رؤى شيعية واضحة وجليّة أم طريقة لفهم المشاكل إلى حد ما مختلفة عن تلك الطرق التي كان أبو مخنف يعمل بها ويقوم بها. وفي مناقشة بروكلمان للمنقري يشدّد على انه، إذا ما قورن مع أبي مخنف، فإن أبا مخنف يذهب أبعد من ذلك بكثير في توفيقه بين الاداءات الفردية، وإنه عادة ما يظهر عرضه بشكل مختزل إلى درجة كبيرة وأكثر منطقية من عرض نصر بن مزاحم. ومهما يكن فإن بروكلمان يسلّم جدلا ان عرض نصر الشامل لايعزى إلى اضافته المصدرية، وهو أمر من حيث المبدأ لايمكن القول بأنه غير وارد[٢]. ان دراسة كتابه (واقعة صفين) .كما سنعود إليه لاحقا .في الكثير من الحالات يثبت ويبرهن على إنه لابد ان يكون قد عرف أبا مخنف أو رواته، ولكن فضلاً عن ذلك فقد أورد الكثير جداً من الروايات المجهولة وغير المعروفة لأبي مخنف، والتي في الواقع تعطي فراسته physiognomy الشخصية وصفته المتميزة. ويبدو ان مادة نصر بن مزاحم على وجه الاجمال قد أخذت واستعيرت من ثلاثة مصادر رئيسة للجيل السابق لعصره، ومن خلالها تم الاستشهاد واقتباس النقل الأول المبكر

---

(١) بروكلمان ص٨ وما بعدها، GAL (S) جـ١ ص٢١٤- وهو على الرغم من افتراض فستنفلد في كتابه Geschichteschreiber رقم٣٧ وبروكلمان، وبالتالي فهو من جيل أصغر من جيل أبي مخنف.

(٢) بروكلمان ص١٩ وما بعدها من الصفحات. ان حجته هي inter alia ترجع إلى الحقيقة بأنه كان قد وصل إلى استعمال الطبعة الأولى المطبوعة في بيروت فقط وهي طبعة رديئة، وهي الطبعة التي تسقط الاسناد للروايات الفردية.

جداً[١]. عمر بن سعيد بن أبي سعيد الاسدي، محمد بن عبيد الله القرشي وعمرو ابن شمر. ونتيجة منطقية لهذا فإن كتابه يقع في ثلاثة اقسام رئيسة، التي من المناسب معالجتها على انفراد. ويظهر ان عمر بن سعيد قد حصل على الجزء الأساس من ادائه عن الشعبي عبر نمير بن وائلة. وهذا ينطبق ويصح في الرواية عن بعثة جرير بن عبد الله البجلي وعن نزاع الأشتر معه بعد عودته، وهي روايات قد بزّها أو فاقها أبو مخنف[٢]. وهذا العرض، على أية حال، يحمل رواية أخرى اضافية عن «عمر بن سعيد مع اسناده» (ويحتمل ان الاسناد العام في مقدمة نصر)، تتعلق بمفاوضات معاوية مع عمرو بن العاص بصيغة مشابهة للرواية الموجودة عند عيسى بن يزيد مع إنه يصعب مطابقتها معها[٣]. وفي كلتا الحالتين فإن البداية تكمن في تحذير عمرو للوالي السوري بأنه ليس نداً لعلي وإنه لايضاهي علياً، فهو لايمتلك فضيلة كهجرته ومنزلته الرائدة، وهو ليس من صحابة النبي كما هو الحال في علي، وليس له جهاد كجهاده أو كفقهه، وهو ليس كعلي في حظوته عند الله وتوفيقه له. ومع ذلك فإننا هنا نواجه جميع الصفات التي ينسبها النقل الشيعي لعلي، والمشابهة مع هذا النقل عظيمة الأهمية ولأنها كذلك فلابد

---

(١) ينظر واقعة صفين ص٣-٥ إذ كان اسناده الرئيس قد وضع أو دوّن هكذا: نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعيد، عن الحارث بن حصيره، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود، وآخرين، وهي سلسلة يتكرر اقتباسها والاستشهاد بها أيضاً من قبل أبي مخنف. وليس هناك معلومات تتعلق بالرواة الثلاث الرئيسيين.

(٢) واقعة صفين ص٢٢ وما بعدها من الصفحات، ص٦٧ وما بعدها. عن الشعبي وهو أيضاً يقتبس (نفس المصدر ص٥٨٤- ٥٨٦) رسالة الصلح بصيغة متطابقة وبخاصة مع اقتباس أبي مخنف (الطبري مجلد١ ص٣٣٣٦- ٣٣٣٨، كيتاني مجلد٩ ص٤٧٨ وما بعدها) وقد صرّح per fas et ne fas بأنه قد حصل عليها بالشكل الكوفي خاصة من سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري.

(٣) واقعة صفين ص٤٢ وما بعدها وص٤٤ وما بعدها من الصفحات.

[في رواية نصر عن محمد بن عبد الله ورواية أخرى رواها نصر عن عمر بن سعد وليس سعيد جاء فيها ((وأما علي فلا والله يا معاوية ما يسوّي العربي بينك وبينه في شيء من الأشياء وان له في الحرب لحظاً ما هو لأحد من قريش وإنه لصاحب ما هو فيه إلا ان تظلمه)). وقال عمرو لمعاوية أيضاً ((والله يا معاوية ما أنت وعلي حملي بعير ليس لك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا فقهه ولا علمه والله ان له مع ذلك لحظاً في الحرب ليس لأحد غيره)) وقد نقل هذه الروايات ابن أبي الحديد حرفيا من كتاب نصر واقعة صفين (ينظر نصر بن مزاحم، واقعة ص٤٢- ٤٦، ابن أبي الحديد شرح مجلد١ جزء٢ ص١٣٧)] [المترجم].

من وجود نوعا ما من العلاقة التي تدلل على مديونية ابن سعيد للرواية الشيعية عن الفترة الأموية، قد استعملت عنده كملحق في الهامش على الرواية الكوفية[١].

والمادة المصدرية التي عمل بها عمر بن سعيد إذن هو من مصدر عراقي احادي وصريح. وبخلاف أبي مخنف .والرواية المؤيدة للعباسيين عن ابن الكلبي .ولكنها تشابه الشعبي فإنه يتابع التاريخ الزمني الكوفي المبكر جداً، فالصدع في العلاقة بين معاوية والخليفة قد أرخت ثانية إلى زمن ما بعد معركة الجمل. ونحن لانعرف وجهة نظره عن الثورة ضد عثمان، ولكن كما يبدو من اقتباساته فإنه يشدّد على النزاع فيما يتعلق بتبرير مقتل الخليفة، الذي وفقاً لذلك يختلف أيضاً عن الرواية المؤيدة للعباسيين. ومن الجهة الأخرى فإنه يشدد على ان الجميع باستثناء السوريين قد أدوا يمين الولاء لعلي قبل معركة الجمل وبذلك فقد اعترفوا ببرائته من قتل الخليفة[٢]. لهذا فإن علياً والعراقيين هم مخولون تماماً باشهار السلاح. فإن الله قد سمح بالبراءة [dissociation .تعني الانفصال لا البراءة] (المترجم) .من المنشقين، الذين لم يراعوا الوحي الالهي، وبذلك فإنه يعدّ شرعيا وبشكل كامل مقارعة ومقاتلة فتنة من هذا النوع بعنف إلى ان، هؤلاء الخلطاء الذين قد خرقوا العهد والميثاق، يخضعوا ويستسلموا ويتوبوا[٣]. واعتماداً على هذه الرواية فإن معاوية بالكاد له أي نصيب في تمرد العثمانية[٤]، إلا ان انتخاب المهاجرين والانصار .الذي هكذا يجيز ويقر تصرف علي

---

(١) إلى نفس المجموعة من المصادر تنسب الرواية التاريخية المهمة جداً للمناظرة بين الفريقين بعد اجتماع التحكيم (نفس المصدر ص٥٩٠- ٥٩٣، فاجيلري جـ٢ ص٨٨ وما بعدها من الصفحات).

(٢) واقعة صفين ص٣٢ وما بعدها من الصفحات، عن الشعبي.

(٣) نفس المصدر ص٥٩٠ وما بعدها من الصفحات، ويقسم ابن سعيد الفرق المتنافسة إلى اربعة اقسام منفصلة:- (١) علي والكوفيون (٢) طلحة والزبير والبصريون (٣) معاوية والسوريون (٤) المحايدون في الحجاز، إذ ينتمي إليهم أبو موسى وضد اولئك الذين حذّر من مراوغتهم (الطبري مجلد١ ص٣١٥٢، كيتاني مجلد٩ ص١٢١ وما بعدها). ان الضدع في العلاقة بين معاوية وعلي قد أرخ إلى ما بعد معركة الجمل ومما يؤيد قول ابن سعيد ان قيس بن سعيد قد أرسل عاملا إلى مصر ليحل محل محمد بن حذيفة قريب معاوية بما له علاقة ببعثة جرير (واقعة صفين ص١٤٣).

(٤) إنه بصورة غير مباشرة يفصل نفسه أيضاً عن البصريين والعثمانية بين صفوفهم. وان القلة من البصريين الذين انضموا إلى علي قد اعطيت اسماءهم خصيصا بقائمة، واقعة صفين ص١٣٠، ينظر أيضاً الهامش السابق.

والذي، عرضيا، يشابه بالشورى . تلزمه أيضاً، «فاختيارهم قد رضى الله عنه، والمرتدون ينبغي ان يعادوا إلى الجماعة المؤمنة وان يعاقبهم الله»*.

وباعادة مختصرة تمهيدية لوجهات نظر ابن سعيد تظهر بوضوح ان ضيق أفق هذا المؤرخ هي صفة كوفية. وعلى عكس الرواية المؤيدة للعباسيين السابقة، وإنه يتغاضى بالمرة عن فعاليات ونشاطات ابن عباس، وإنه يعود إلى التوقير والتبجيل الكوفي المبكر جداً للاشتر، الذي شغل منصبا رفيعا إلى جانب علي[1]. وفي الوقت نفسه يشدّد ابن سعيد على التعاون الوفي والمخلص للكوفة مع الخليفة. وكما هو واضح على ضوء التحول المتحيز والمنحاز في الفترة الأموية الأخيرة سواء كان ذلك في التاريخ الزمني للصراع أم في دوافع وبواعث معاوية، والملفت للنظر في الواقع ان ابن سعيد يرجع إلى الرواية الكوفية في المقام الأول. ان إجراء الانتقام بالثأر المناف للعقل من قبل الوالي السوري يبرز بوضوح وعلى نحو لايمكن انكاره ضد براءة علي، غير ان دوافعه لايمكن اخفاؤها من أي شهوة وتوق شديد دنيوي للسلطة نظرا لأن ابن سعيد يعود باستمرار إلى المطالبة بالانتقام بأخذ ثأر الدم في مناظرة معاوية، وفي المناسبة الأخيرة

---

* البروفسور بيترسن هنا يشير إلى الكتاب الذي بعثه الإمام علي مع جرير بن عبد الله إلى معاوية الذي نقله الدينوري عن نصر بن مزاحم جاء فيه ((أما بعد فقد لزمك ومن قبلك من المسلمين بيعتي، وأنا بالمدينة، وأنتم بالشام، لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فليس للشاهد ان يختار، ولا للغائب ان يرد، وإنما الأمر في ذلك للمهاجرين والانصار، فإذا اجتمعوا على رجل مسلم، فسموّه إماماً، كان ذلك لله رضى، فإن خرج من امرهم أحد بطعن أو رغبة عنه رد إلى ما خرج عنه [يلاحظ الترجمة الانجليزية إنها لاتفي بهذا الغرض] فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين [فالإمام لم يقل عاقبوه بل قاتلوه] وولاّه الله ما تولى، يصله جهنم وساءت مصيرا، فادخل فيما دخل فيه المهاجرون والانصار، فإن أحب الأمور فيك وفيمن قبلك العافية، فإن قبلتها وإلا فائذن بحرب، وقد أكثرت في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم اليّ، احملك واياهم على ما في كتاب الله وسنة نبيه، فأما تلك التي تريدها، فإنما هي خدعة الصبي عن الرضاع» أبو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال (تحقيق عبد المنعم عامر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٠) ص١٥٧ [المترجم].

(١) إنه الشخص الذي كان خلال تمرد العثمانية يقنع ويحث علياً على اللجوء إلى الكوفة، فإنه حصل على التأييد للخليفة على الرغم من اعتراضات أبي موسى (الطبري م١ ص٣١٥٢- ٣١٥٤، كيتاني مجلد٩ ص١٢٢ وما بعدها). ومرة أخرى فإن الأشتر هو الذي أشار على علي بعدم ارسال جرير بن عبد الله مبعوثاً وذلك لأنه يعتبر جرير كتابع مصلحي لمعاوية (واقعة صفين ص٣٢، ٦٧ وما بعدها، ينظر أيضاً نصر عند الكندي ص٢٤، كيتاني مجلد٩ ص٥٦١ وما بعدها)، وإنه هو الذي أيد علياً في صفين باخلاص كبير.

في المناقشة التفصيلية بين الفريقين بعد اتفاقية التحكيم في صفين، وعلى الرغم من ان تصرف معاوية باعتباره وليّاً لعثمان ضد علي قدم وعرض على إنه غير شرعي في ضوء حق علي الواضح. وهكذا فإن عمر بن سعيد أعد تمييزاً واضحاً بما له علاقة بالعناصر في المقاومة ضد الخليفة، ولكنه يحافظ ويدافع عن الوحدة في جبهته وجبهة الإسلام ضد المتمردين. وان اداءه يحافظ على طابعه الشيعي وذلك عن طريق عدم مبالاته بجميع الاعتبارات الأخرى المتعلقة بالمكاشفة بين علي والمعارضة غير الشرعية لخلافته.

ومهما يكن فإنه في إحدى النقاط ينظر إلى خبر عمر بن سعد إلى الأمام بقدر ما يقحم عدداً من السمات الاسطورية. وأحياناً فإن اداءه يقطع بحكايات دينية وتنويرية وتثقيفية وهي من غير شك تفيد المهمة والوظيفة بصورة عامة كدلالات منذرة عن الصراعات المقبلة أو في توضيح مقام علي الديني. وعرضيا فإنه يذكر بأن موكبا جنائزياً قد مرّ على النخيلة بالقرب من الكوفة بينما كان علي معسكرا هناك وهو في طريقه إلى صفين، وبنفس اللحظة ذكر بشهادة علي بأنه كان في النخيلة مدفن كان يدفن حوله اليهود موتاهم، ويضيف الحسن بن علي بأنه حسبما يفترض بأنه كان قبر النبي هود «حينما عصاه شعبه، جاء إلى هنا ومات». وعلى أية حال فإن علياً الأكثر حكمة يرفض تصديق ذلك ويصحح القول بكون القبر هو قبر يحيى بن اسحاق بن ابراهيم، الابن المولود أولاً ليعقوب[1]. ان يهوذا هنا دون شك تعبير عام يقصد به اليهود، أو لإحدى القبائل الاثنتي عشرة لبني اسرائيل، الذين عزلوا أنفسهم عن عبادة الله الاصيلة وقد خضع لها ابراهيم واسحاق ويعقوب[2]. وبكلمات اخرى، هنا نجد

---

(١) واقعة صفين ص١٤٢. [عن نصر عن عمر بن سعد عن سعد بن ظريف عن الاصبغ بن نباته قال « قبر هود بالنخيلة، وهو قبر عظيم، كما وصفه الإمام وهو في طريقه إلى الشام، تدفن اليهود موتاهم حوله فقال الحسن بن علي عليهما السلام يقولون هذا قبر هود لما عصاه قومه جاء فمات ههنا فقال الإمام كذبوا لأنّا اعلم به منهم هذا قبر يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم بن بكر بن يعقوب... (وقال الإمام) يحشر من ظهر الكوفة سبعون ألفا على غرة الشمس يدخلون الجنة بغير حساب »[ينظر واقعة صفين ص١٤٢، ونقل الرواية ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة مجلد١ جزء٣ ص٢٨٦). (المترجم)

(٢) ينظر القرآن سورة٢ آية ١٣٣ وما بعدها من الآيات.

اعادة بزوغ وظهور موضوع الارتداد عن الدين. وفي مرحلة متأخرة يهدي راهب مسيحي في بليخ Balikh الخليفة كتاباً من عيسى (المسيح) وفيه نبوءة عن بعثة محمد والنزاع والاختلاف الذي ظهر بعد موته، وان رجلا . والتلميح هنا إلى علي .سوف يمرّ على الفرات، وإنه يمثل القضية الأصلية والواقعية وبأنه الموجب المخلص وإنه يضمن الجنة له وكذلك لاولئك الذين يتبعونه"[١]. وسابقاً لهذا قال لنا عمر بن سعيد إنه عند طلوع الشمس سيجتمع سبعون ألف رجل من ظهر الكوفة في المعسكر في النخيلة، وبذلك يكون المسير إلى صفين عندئذ يوازي ويماثل البعث والنشور «سيدخلون الجنة من غير ان يدعون إلى الحساب»، ويقول مباشرة بعد ذلك وأسفل ذلك الخبر ان سبعين ألف سيد يبكون على منظر قميص عثمان في دمشق[٢]، ووفقاً له فإن المغايرة واوجه الاختلاف الصارخة بين الفرق قد اكتملت.

هذه الرمزية في السيّر الشبيهة بالقديسين قد تسلسلت بشكل بارع في عناصر الرواية الكوفية الأصلية وهي تختم round off الانطباع عن وجهة نظر عمر بن سعيد الشيعية. وليس بوسعنا وصف روايته بأنها رواية شيعية راديكالية (متطرفة)، مع إنها دون شك نموذجية في الكتابة التاريخية العربية في زمانه وفي عصره. ولانعرف عنه معلومات شخصية، والرواية لاتتضمن بشكل خاص أي اقتباسات فيما عدا الاقتباسات من كتاب

[قال الله العلي القدير في سورة البقرة (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك وإله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الهاً واحدا ونحن له مسلمون) آية ١٣٣ [المترجم]. والآية واضحة إذا ما تم قراءة الآية السابقة (١٣٢) التي وصّى بها ابراهيم(ع) بنيه ويعقوب بأن الله تعالى قد اصطفى لهم الدين واوصاهم قائلا (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) البقرة آية ١٣٢. فليس هنالك ما يشير إلى عزل اليهود انفسهم، إذ ان الآيات ١٣٠، ١٣١ تؤشر إلى من يرغب عن ملة ابراهيم إلا من جهل أمر نفسه وسفه نفسه ولم يفكر فيها فأهلكها [المترجم].

(١) واقعة صفين ص١٦٤، ابن كثير ص١٣٩ (كيتاني مجلد٩ ص٢٩٢ عن العرني Urani، (المتوفى سنة ٦٩٥-٦٩٦) وهو راوية لكن سمعته مثيرة للريبة [الحقيقة ان رواية نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد تتعلق بالقبر الموجود بالنخيلة معسكر الإمام علي وإنه(ع) قد وصفه بأنه قبر يهوذا بن يعقوب، وعقّب الإمام إنه «يُحشر من ظهر الكوفة سبعون ألفاً على غرة الشمس يدخلون الجنة بغير حساب» فنص الرواية التي ترجمها البروفسور بيترسن إنما هو استنتاج بأن المسيرة إلى صفين كأنها البعث والنشور] (ينظر واقعة صفين ص١٦٤ وقد نقلها حرفيا ابن أبي الحديد: شرح مجلد١ جزء٣ ص٢٨٦ وابن كثير جـ٧ ص٢١٥) [المترجم].

(٢) واقعة صفين ص١٤٣.

نصر بن مزاحم، واعتماداً على سياق الكلام فإن نشاطاته لابد إنها تتعلق بالحقب حول سنة ٨٠٠م، تلك الفترة التي شهدت أيضاً نشاط هشام بن محمد وسيف بن عمر. ان موازنة بين هذه الروايات ستكشف عن كيفية تضاربها وتناقضها الواحدة مع الأخرى نقطة بنقطة، وهو موضوع سنعود إليه لاحقاً[1]. ففي الوقت الحاضر سندوّن ونشير فقط إلى ان العرض الشيعي -في التميز بالتضاد مع العرض المؤيد للعباسيين- يعطي بروزا ليس فقط بالنسبة لأوجه المظاهر الدينية لسلسلة انجازات علي بل أيضاً للتبرير بصورة ثابتة جداً عن تصرفه بطريقة تبرز وتؤكد الوحدة في حسم المكاشفة وحسم الأمور في الإسلام مع القوى غير الشرعية. فالمرتدون عند عمر بن سعيد متطابقون أو متماثلون مع العثمانية والسوريين وليس مع أصحاب واتباع علي. وكذلك كانت الرواية الشيعية تعرف كيف تكيّف نفسها للظروف المتغيرة.

ومن بين رواة نصر بن مزاحم الآخرين محمد بن عبيد الله القرشي، إلا ان نقله لايبدو إنه يثير أي مشاكل وصعوبات خاصة بهذا الخصوص وذلك لأنه يتميز فقط في قدرته على نقله مادة الجرجاني. والمسألة المهمة هي دون شك أننا مرة أخرى نلتقي مع شاهد ودليل عن كيف لمؤرخ شيعي في الفترة العباسية الأولى يلجأ إلى المراحل التقليدية في الرواية سابقاً لأبي مخنف. فالمؤرخون الشيعة على نحو متقن كانوا مع الكتابة التاريخية الهاشمية ليس من أجل محاولة الرجوع إلى الوراء حيث المصادر الحقيقية والأصلية والمصادر المنقحة قليلاً، ولكن من أجل ان يحرروا أنفسهم من الالتزام من أي علاقة مع الحكام الجدد. فعند الجرجاني ان روح المبادرة للتمرد كما هو معترف به قد تحول من معاوية إلى ايدي عمرو بن العاص، غير ان النقاط الخطيرة والحاسمة هي الآتي: -ان محمداً مشابهة بالشعبي يدافع عن المسألة بأن اندلاع النزاع قد حدث بعد معركة الجمل ويصفه بأنه انتهاك وخرق واضح وجلي لسلطة الخليفة الشرعي[2]. ان ذكر هذه الرواية، كما هو الحال في كتابة عمر بن سعيد، تشهد على ردّ

---

(١) ينظر في [الكتاب ص ٢٣٠ وما بعدها من الصفحات من الكتاب].

(٢) ينظر في (الكتاب ص ٧٤وما بعدها من الصفحات).

فعل عند الجماعات الشيعية قد اثارها وحفزها ذلك التفسير الواضح للرواية المؤيدة للعباسيين عن الفتنة بالادعاء ان أصحاب علي واتباعه بخيانتهم وخذلانهم له كانوا بصورة غير مباشرة هم المسؤولون عن الخلافة السورية. فالكتابة التاريخية المعادية للشيعة قد أكرهت وأجبرت الكتّاب الشيعة على الاصرار على السمة الدينية للنزاع كأساس لابراز الوحدة الاسلامية ضد المرتدين renegades.

ليس بالامكان لأي من مثل هذا الخط تأسيسه بثقة ويقين في مسألة راوية نصر بن مزاحم الثالث وهو عمرو بن شمر الذي ينتمي أيضاً إلى النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي. ومصدره الأساس، جابر بن يزيد الجعفي المنحاز، بطريقة غير متقنة clumsily، والذي بالتأكيد يتطلب اهتماماً خاصاً للتضامن مع بني عبد المطلب، غير ان ابن عباس يعدّ ثانوياً وفي مرتبة ادنى من علي الذي بسبب عصمته لايسمح ولايقرّ أي فسخ لسلطته المطلقة. فهذه العناصر يحتمل إنها قد ظلت تفيد وتخدم مهمة ووظيفة في الفترة العباسية، مع إنها تمثل في نفس الوقت تفسيراً شيعياً أكثر عامية وسوقية بكثير من ذلك التفسير الموجود عند المؤرخين الشيعيين الآخرين.

وبهذه الرواية المنحازة واللاجديرة بالثقة فإن عمرو بن شمر يجمع ويوحّد وصفاً مفصلاً لمعركة صفين، فقد اختار لها منطلقاً ونقطة انطلاق في نفس المصادر التي اعتمد عليها أبو مخنف. وبقدر ما يمكننا الاعتقاد به بالنسبة إلى اسانيد نصر بن مزاحم، فكلاهما قد اعتمد واتكأ على مادة رواة الأيام العراقية عند القاسم بن محمد، ويزيد بن معاوية المولى وآخرين كنقلة مشتركين joint transmitters[(١)]. وتقودنا هذه الروايات مباشرة إلى اثارة سؤال عن كيفية استخدام نصر بن مزاحم وتوظيفه لمادته. فالحقيقة التي تفيد ان عرضه وهو أقل اختصاراً من عرض أبي مخنف لايحول، كما مرّ ذكره في اعلاه، دون ان يعتمد نفسه على أبي مخنف، وإنه قد اضاف إلى مادة أبي مخنف مادة من عنده. ففي مقطع واحد استشهد بأبي مخنف فقط، واعني بخصوص تفصيل

---

(١) ينظر اعلاه من الكتاب ص٧٤ وما بعدها من الصفحات.

قصة المسير نحو صفين[١]، غير ان الاعتماد عليه يمتد إلى أبعد من ذلك. وان موازنة بين هذين المؤرخين توازي وتماثل تماماً بوضوح اوصاف التهيئات والتحضيرات للمكاشفة العسكرية وان تفصيلات معينة تتعلق بالمعارك في صفين ستظهر ان نصر بن مزاحم قد انتفع ليس فقط من عمرو بن شمر ولكن أيضاً وفي تفصيلات أخرى من مصادر اضافية كانت معروفة كذلك عند أبي مخنف، وإنها في بعض الأحيان تذكر بصيغة معدلة.

ان خبر نصر بن مزاحم عن تشكيل المقاتلين العراقيين، الذي قد تعين مكانها في الكوفة، بينما قد عيّن أبو مخنف الموضع في المعسكر في النخيلة، التي تبعد قليلاً عن المدينة، وهو خبر يتطابق حرفياً تقريباً مع رواية أبي مخنف، وهناك إضافة فقط تفيد بأن ابن عباس وعدداً من الكوفيين قد ذكروا بالاسم وهم: الأحنف بن قيس، وخالد بن المعمر، وعمرو بن عرجوم العبدي قد استجابوا فوراً عندما استدعاهم الخليفة[٢]. وقائمة الأسماء هذه هي دون شك قد اختيرت مباشرة من القائمة اللاحقة عند أبي مخنف حول توزيع القيادات، ونفس الشيء ينطبق على ويصح في الاجوبة المنسوبة للكوفيين المذكورة في اعلاه، ان ذلك ببساطة هو اعادة سبك واعادة صياغة لرسالة الخليفة. كل هذه وهي التفصيلات يحتمل إنها اضافات قصد منها البرهنة على ان معنويات الكوفيين كانت بمستوى عالٍ وبأنهم ظلوا على ولائهم لعلي. وهناك شيء مماثل يصح في رواية فاستناداً إليها ان اهالي مدينة الرقة قد رفضوا أمر علي ببناء جسر عبر الفرات كي يتمكن من عبور النهر.

ونجد نفس الرواية عند البلاذري وكما يظهر في صيغة كاملة، نعلم منها ان المعارضة ترجع إلى العثمانية الموجودين في المدينة، وباستعمال التهديد من قبل قوات الأشتر فقد بنى الاهالي الجسر. وبما ان كلا المقومتين أو الميزتين البارزتين قد

---

(١) واقعة صفين ص١٦٥، ينظر أبا مخنف عند البلاري ص٥٠٢- ٥٠٤ (كيتاني مجلد٩ ص٢٨٦).

(٢) واقعة صفين ص١٣٠ وما بعدها من الصفحات، ينظر خبر أبي مخنف عند البلاذري، في نفس الصفحة والطبري مجلد١ ص٣٢٥٩- ٣٢٦٠، (كيتاني مجلد٩ ص٢٦٧)

اختفيتا عند نصر بن مزاحم، فإن روايته تترك انطباعاً بأنه كان على علي ان يعبر النهر في المنبج[١]. وفي هذه الحالة فإنه يقتبس من المصدر نفسه كالطبري، أي الحجاج بن ارطاة (أو ابن علي) من عبد الله بن عمار بن عبد يغوث البارقي مع عمر بن سعيد كوسيط في حين يظهر أبو مخنف في رواية الطبري والبلاذري، وان نصراً يتابع مصدر أبي مخنف وهو خالد بن قطان الحارثي[٢]، في خبره عن نشاطات وفعاليات علي بعد عبوره نهر الفرات. إذن، فعلى وجه الاجمال، هناك توافق واقعي وزمني محكم جداً مع أبي مخنف، الذي لابد ومن المفترض إنه كان يعرفه، مع إنه يقتبس منه ويستشهد به في مقطع مفرد واحد فقط.

التماثل بين الروايتين بأن الصدع في العلاقة بين معاوية وعلي له أهمية أساسية. فعلى الرغم من ان المنقري، كما هو الحال عند عمر بن سعيد ومحمد بن عبيد الله، يؤرخ زمنياً لمعركة الجمل، فيجمع رواية بعثة جرير بن عبد الله إلى دمشق مع تبادل التعليقات المفصلة المعروفة اصلاً اعتماداً على أبي مخنف، فقد حلّ بعثة جرير محلها[٣]. ومع ان نصراً يذكر عالمين، هما صالح بن صدقة ومحمد بن عبيد الله، كرواة مباشرين لهذا الخبر، مع ذلك علينا ان نفترض بأنه في هذه المسألة قد حصل على معرفته، سواء مباشرة أم غير مباشرة، من أبي مخنف. وهذا الافتراض تعززه الحقيقة بأنه على الرغم من ضمه وجمعه العناصر الاولية والثانوية في النقل الكوفي فإنه أيضاً ينقل

---

(١) واقعة صفين ص١٦٩، ينظر أبا مخنف عند البلاذري، الصفحة السابقة والطبري مجلد١ ص٣٢٥٩- ٣٢٦٠، (كيتاني مجلد٩ ص٢٦٧). [رواية نصر عن عمر بن سعد عن نمير بن وعلة عن أبي الوداك ان الإمام علي قال لأهل الرقة ان يجسروا له جسراً يعبر عليه من هذا المكان إلى الشام فأبوا وإنهم قد جمعوا سفن الجسر عندهم. لذلك عبر الإمام على جسر منبج وخلّف الاشتر عليهم، فقال الاشتر لهم «إني اقسم بالله ان مضى أمير المؤمنين ولم تجسروا له عند مدينتكم حتى يعبر منها لأجردن فيكم السيف فلأقتلن مقاتلتكم ولأخربن ارضكم ولآخذن اموالكم» فأجابوا على ذلك بنصب الجسر فعبرت الاثقال والرجال» [ينظر واقعة صفين ص١٦٩، وقد نقل الرواية حرفيا ابن أبي الحديد: شرح مجلد١ جزء٣ ص٢٩٠] [المترجم].

(٢) واقعة صفين ص١٧٠ وما بعدها، ينظر الطبري مجلد١ ص٣٠٦٠- ٣٠٦٢ (كيتاني مجلد٩ ص٢٦٧ وما بعدها من الصفحات).

(٣) واقعة صفين ص٦١ وما بعدها، ينظر ابا مخنف عند البلاذري ص٤٩٤- ٤٩٧ (كيتاني مجلد٩ ص٢٥٣ وما بعدها) كذلك فإن اسناده المفصل الذي يضم أيضاً اسما فارسيا يلقي الشك عن مدى الثقة بهذا الاسناد.

إشارة وذكراً بتحذير المغيرة بن شعبة لعلي بعدم ضرف معاوية عن ولايته في سوريا وإنه جعل علي يتابع ويشايع هذه المشورة إذ إنه لايستطيع ان يكون مسؤولا أمام الله على إنه رجل آثم ومخطئ بكونه عوناً للرجل الآثم والخاطئ erring[١]. وان هذه المعلومة قد واجهناها أو التقينا بها أيضاً لأول مرة في الكتابة التاريخية العراقية عند أبي مخنف، إلا إنه في هذه الحالة جاء فقط بعد انتخاب الخليفة مباشرة، وعند نصر، على أية حال، فقد أقحمت بماله علاقة مع اقامة جرير بن عبد الله المؤقتة في سوريا، وحينما طلب معاوية في رسالته ان يمنحه علياً سوريا ومصر كجباية (موارد الدخل من الضرائب). وبشكل خاص فإن هذا التماثل يعزز بشكل قاطع احتمالية كون نصر على معرفة بأبي مخنف لذلك اعتمد عليه، حتى وان لم يكن قد استشهد به، وهذه توضح بشكل أكثر كيف إنه قد جمع ووفق بين عناصر من الرواية الكوفية لكي تخدم اغراضه.

وهكذا فإن نصر بن مزاحم يشكل النقطة المركزية في الكتابة التاريخية الشيعية الأولى ويبدو في نفس الوقت إنه حاول الحصول على صورة شاملة بضمه عناصر أساسية من أبي مخنف. ان منهجه المساعد، ليس أقل من كتّاب التاريخ المتعاصرين المؤيدين للعباسيين، يتصف ويتسم بالتوفيق .أو حيثما لم تمكّنه مادته من تغطية وجهات نظره الخاصة .في بناء التفصيلات. وإنه يشابه اسلافه، فاتجاهه وميله شيعي، مع إنه بالكاد يعدّ شكلاً من أشكال التطرف[٢]. وإنه أيضاً يحافظ بشكل واضح على التاريخ الزمني الكوفي المبكر، ولاسيما معرفته برواية أبي مخنف في النقل العراقي، الذي تكون نتيجته استعراض عدم الموافقة لرؤاه التي قد اضطلعت بها الرواية المؤيدة للعباسيين وهذا لابد من إنه كان مقصوداً. والتناقض ظاهرياً، بأنه قد انتفع من شهادة

---

(١) واقعة صفين ص٥٨ وفي نفس الصدد والقرينة فإن نصرا يعرض الحكاية بأن معاوية قد أكسى منبر دمشق بقميص عثمان (ينظر أبا مخنف في الاغاني جزء١٥ ص٧١ وما بعدها، كيتاني مجلد٨ ص٣٠٥ وما بعدها من الصفحات).

(٢) ينظر بروكلمان ص٩- ١٤.

ونص سيف بن عمر بذكره مباشرة انه وبعد وصول المعلومات عن مقتل الخليفة أصّرت عائشة على عدم شرعية القتل[١]. وقد عدّ تمرد العثمانية إنه وبشكل طبيعي انتهاك للحكم الشرعي وسوف يتلقى على ذلك عقاب الله، ولكن يظهر في الوقت ذاته كأنه فاصل مسرحي intermezzo قد انقضى وزال بانقضاء معركة الجمل[٢]. ويعزل نصر معاوية ويفرده بما يتعلق الأمر بالمحايدين الذين وقفوا على الحياد: .سعد بن أبي وقاص الذي يرفض رأساً عرضه بأن الشورى هي التي تأخذ على عاتقها وهي التي تتولى انتخاب خليفة شرعي[٣]، وكذلك أيضاً أهل المدينة وعبد الله بن عمر، الذين عزلوا أنفسهم بوضوح عن السوريين[٤]، في حين ان علياً ومن جانبه قد فهم وجهة نظرهم[٥]. ولنتحدث بشكل عام، فإن الكتابة التاريخية عند نصر بن مزاحم تمثل صيغة أكثر وضوحا لوجهة النظر الشيعية في التحول والانتقال إلى القرن التاسع الميلادي: ان فضيلة وجدارة علي الدينية البارزة واعتماده المطلق على بيئته ومحيطه قد تمت المحافظة عليه بثبات ورسوخ، ومما لاشك فيه ان ذلك في معارضة للرواية المؤيدة للعباسيين. وبصفة نصر بأنه راوية مستقل فإنه كان ذا أهمية خاصة كونه مركزاً للكتابة التاريخية الشيعية للاجيال المبكرة، فمؤلفه التاريخي لم يكن عملا مقصوراً على واقعة صفين، لكن أيضاً يشتمل على سلسلة من المؤلفات وجميعها على شكل كتب لها أهمية خاصة بالنسبة للشيعة[٦]، وأخيراً يبدو نصر بإنه قد اشغل موقعاً مركزياً بكونه حلقة وسيطة للنقل الشيعي في القرن التاسع الميلادي.

ان رد الفعل الحذر والواعي من الرواية الارثوذكسية (السنية) في العقود حول سنة ٨٠٠م يمكن تتبع اثارها بعدة أشكال مختلفة، ولكن ذلك يكون دائماً بمنوار (أداة

(١) الطبري مجلد١ ص٣١١١- ٣١١٢ (كيتاني مجلد٩ ص٣٣ وما بعدها، ص٤٠ وما بعدها).
(٢) واقعة صفين ص١٨.
(٣) نفس المصدر ص٧٩ وما بعدها من الصفحات، ينظر اليعقوبي جزء٢ ص٢١٧ (كيتاني مجلد٩ ص٢٦٣).
(٤) واقعة صفين ص٨٠ وما بعدها من الصفحات.
(٥) نفس المصدر ص١٢٩.
(٦) ينظر GAL (S) جزء١ ص٢١٤.

كشف) تستغل وتستعمل شخصية علي والظلم والجور الذي ارتكب ضده. وانعكاساً لهذا الجدل الغعنيف ولهذا الهجوم العنيف واحتمال إنه قد أثير ضد ابن الكلبي . يمكن ملاحظته مثلاً بقصة وحكاية مفردة ومنعزلة عن أبي القاسم بن محمد وهو من ناحية أخرى مجهول تماماً[1]، واستناداً إلى هذه الحكاية فإن الخليفة اعلم وأخبر ابن عباس عن مبادرة طلحة والزبير في دعوى الانتقام بأخذ الثأر «على الرغم، باذن الله نحن نعلم إنهم أنفسهم هم القتلة». وفي الوقت نفسه، قال علي لابن عباس عن مشورة المغيرة، التي قد رفضها وذلك لأنه لم يجرؤ على «استخدام النفاق في.... دينه» وان المغيرة قد أدرك بأن من الأفضل له ان يتجنب ويتفادى أي وصمة أو لطخة slain على حكمه. ان إشارة ابن عباس إلى حديث نبوي الذي يعترف بالخدعة في الحرب، قد رفضه وقد رد الخليفة عليه ايضا، ولذلك فإن ابن عمه انحنى لطلبه الديني تأدباً واحتشاماً propriety «لم أجد شيئاً اسهل من طاعتكِ». هذه الرواية تتابع رواية الواقدي بشكل دقيق وأمين وبكل معنى الكلمة، غير ان مغزاها وغايتها قد عكست وقلبت تماماً بتنقيحات وبتنميقات retouching قليلة. ومرة أخرى، فقد شدّد على استقلالية الخليفة وطاعة ابن عباس المألوفة ومرة ثانية أيضاً فإن تمييزاً قد عقد بين العثمانية ومعاوية. إذ ان تصرف علي الديني والاخروي، نجد ان أبا القاسم قد دافع عن تبرير ذلك.

لذا، وعلى الرغم من النقل المنعزل والفردي فإن هذه الرواية تمس مرة أخرى وتعالج باختصار مرة أخرى المسألة الحاسمة في المناقشة الشيعية. وعلى أية حال، وبصرف النظر عن الأجزاء العامية وغير المصقولة في رواية الجرجاني، ليس هناك أحد من المؤرخين الذين تمت مناقشتهم هنا يمكن ولأي سبب من الأسباب الظاهرة اعتباره متطرفاً. أنها صفة مميزة بالنسبة إليهم بأنهم قد عزلوا فعل معاوية عن العثمانية، ولكن من الجهة الأخرى، وبما ان الرواية الكوفية المبكرة جداً كانت مصدرهم فقد أصروا على عدم شرعية معاوية في مقاومة علي لاتكمن في المطالبة بأخذ ثأر الدم

---

(١) الطبري مجلد١ ص٣٠٨٥- ٣٠٦٨ (كيتاني مجلد٨ ص٣٣٩ وما بعدها) المسعودي جزء٤ ص٣٠٠- ٣٠٣، الواقدي عند الطبري مجلد١ ص٣٠٨٣- ٣٠٨٥ (كيتاني جـ٩ ص٣٣٨ وما بعدها).

ولكن في الحقيقة إنها كانت موجهة بشكل مباشر نحو لوم الخليفة وجبهة الاجماع المحيطة به.

الرواية المتبقية المؤيدة للأمويين (٧٥٠م - ٨٥٠م)

وفي الحقيقة، كما تردد ذكره كثيراً، بأن الرواية السورية كما وجدت في روايات صالح بن كيسان والزهري عن الحرب الاهلية الأولى لم تظهر إلا قدراً قليلا من القابلية للنمو وان الرواية العباسية والرواية الشيعية وقد فاقتها وبزتها منذ فترة مبكرة جداً، ونجد ان الرواية السورية، باحتفاظها للوقت الحاضر نواة النقل السوري، قد تأسست بوضوح وان مؤرخي الدولة العباسية لم يكونوا فقط مدركين بوجودها إنما لابد بدرجة ما أيضاً إنهم قد عرفوا وجهات نظرها وانتفعوا منها. وهذا ظاهر على حد السواء في الآثار المناسبية للجدل العنيف الآخذ بالتقدم وهو أمر ملحوظ، ولأنها قد اقتبست في سياقات أخرى من قبل عدد من المؤرخين البارزين لتلك الفترة. وعلى الاجمال، فإننا مدينون في معرفتنا عن الرواية السورية المدنية عن الحرب الاهلية إلى البلاذري فقط إذ يوفر صيغة متماسكة إلى حد ما، في حين يحصر الطبري نفسه في أجزاء منعزلة ومفردة من الزهري

لقد تم الاستشهاد والاقتباس من الزهري في كثير من الأحايين أكثر من أي راوية آخر مؤيد للأمويين، ولعل ذلك يرجع إلى ارتباطه وصلته بالبلاط الأموي مع ان هذا لايسوي ولايعادل مكانته كمؤلف لسيرة النبي لمشرع legist مدني (من المدينة). ومهما يكن فإن مدرسة رواة المدينة، الواقدي وابن سعد، يستشهدان به باستمرار وبشكل نظامي ومما لايمكن انكاره فإنه كان يتردد ذكره في كثير من الأحيان مصدراً لأحاديث النبي في مصلحة المدينة بكل معنى الكلمة[١]، ولكنه أيضاً وفي مناسبات يعدّ مصدرا للروايات التاريخية، واعتيادياً يعتمد على اسناد مدني على وجه الحصر[٢].

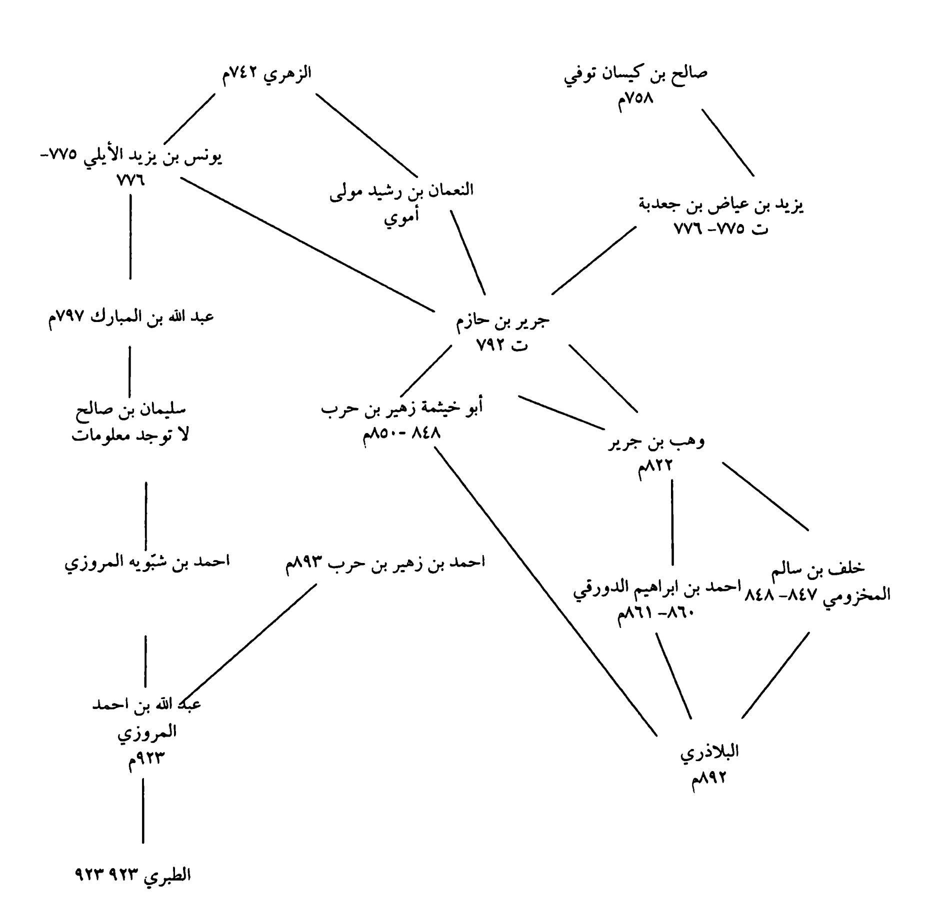
(١) مثال ذلك ابن سعد مجلد٣ جزء١ ص٣٨، ٤٤، ٧٢، ١١٨، ١٥٤ (كيتاني مجلد٨ ص٣٠٨، ٣١٠، جـ٧ ص٤٢٠، مجلد٩ ص٤٠٨، ٦٢٥، ٣٨٢).

(٢) ابن سعد مجلد٣ جزء١ ص٥٢ (كيتاني مجلد٨ ص١٨٨ وما بعدها، ينظر مجلد٧ ص٤٢٠). وفي احوال

ومدرسة الحديث العراقية أيضاً تنقل كثيراً من الاقتباسات عن الزهري، ولكن كمصدر تاريخي دنيوي profane historical، فالعراقيون لابد وإنهم أيضاً وبشكل واضح جداً قد عرفوا صالح بن كيسان وآراءه[1]. وكلا هاتين الراويتين متميزين وغريبتي الاطوار إذ ان نقلهما يظهر إنه قد اقتصر على مجال ضيق إلى ابعد الحدود، مع إنه بشكل استثنائي هم من مجموعة من العلماء المتجانسين. ويعيننا اسناد الطبري والبلاذري في عمل قائمة بأسماء ثقاتهم للاقتباسات عن الزهري وفي حالة البلاذري عن صالح بن كيسان، وبتلك الوسيلة نحصل على المخطط الآتي: .

كثيرة كان محمد بن عبد الله كحلقة وسيطة بين الزهري والواقدي. وباستثناء الرواية المحلية على أية حال رواية ابن سعد مجلد٤ جزء ص٣-٤ (كيتاني مجلد٩ ص٥٣١).

(١) الطبري مثلاً يذكره عفويا في مواضيع أخرى وأكثر حيادية من التاريخ الاسلامي المبكر ولكن بطريقة اتفاقية أو مصادفة بشكل غريب وبطريقة غير مقنعة بشكل خاص، مثال الطبري مجلد١ ص٢١٣٩- ٢١٤١، ٢١٤٤- ٢١٤٥ (مع عيسى بن يزيد كحلقة وصل!) ص٢٢١٤- ٢٢١٥. (كيتاني مجلد٣ ص٨٧، ١٣٢، ٢٨٠)- وهناك تفصيل أو تفصيلان اصليان من المدرسة السورية- المدنية عند عبد الله بن المبارك المؤيد للأمويين، الذي عمل كناقل لرواية الزهري عن ولاية قيس بن سعيد في مصر، الطبري مجلد١ ص٣٢٤١- ٣٢٤٢، ٣٢٤٥- ٣٢٤٦، ٣٣٩١- ٣٣٩٢ (كيتاني مجلد٩ ص٣١٦، ٣٢٥ وما بعدها من الصفحات).


الزهري ٧٤٢م
صالح بن كيسان توفي ٧٥٨م
يونس بن يزيد الأيلي ٧٧٥-٧٧٦
النعمان بن رشيد مولى أموي
يزيد بن عياض بن جعدبة ت ٧٧٥- ٧٧٦
عبد الله بن المبارك ٧٩٧م
جرير بن حازم ت ٧٩٢
سليمان بن صالح لا توجد معلومات
أبو خيثمة زهير بن حرب ٨٤٨ -٨٥٠م
وهب بن جرير ٨٢٢م
احمد بن شبّويه المروزي
احمد بن زهير بن حرب ٨٩٣م
احمد بن ابراهيم الدورقي ٨٦٠- ٨٦١م
خلف بن سالم المخزومي ٨٤٧- ٨٤٨
عبد الله بن احمد المروزي ٩٢٣م
البلاذري ٨٩٢م
الطبري ٩٢٣ ٩٢٣

أعد هذا الجدول في الواقع بصورة راسخة و ثابتة. وان الساق الرئيسة لسرد الحكايات يتبع بشكل عام هذه المسالك في كل مكان، في حين تقع المادة المختلفة خارج هذا النظام تماماً[١]. وباستثناء الخط من عبد الله بن المبارك (المروزي) يؤدي إلى الطبري، الذي ربما كان بخاصة يرتبط بمرو في بلاد فارس، فإن الوجود والكينونة المستمرة للرواية السورية المدنية لابد إنها اقتصرت أو تحددت بهذه المجموعة أو الدائرة الخاصة من العلماء، الذين لايستشهد بهم من نواحي أخرى في النقل التاريخي إلا في النادر، وان اكثرهم ينتمون ويرجعون إلى البصرة. فيزيد بن عيّاض بن جعدبة، الذي كان مقيماً في هذه البلدة نحن مدينون له كلية بالنسبة إلى معرفتنا عن صالح بن كيسان وجرير بن حازم وابنه وهب بن جرير اللذين، كيونس الأيلي، حازوا باحترام عالٍ باعتبارهم رواة ثقات. ومما له أهمية كبيرة فإن أعضاء هذه الدائرة (المجموعة). على أية حال جرير بن حازم ويونس بن يزيد. يبدو انهما أيضاً قد شغلا نفسيهما في رواية النبي ورواية المغازي[٢]، التي، وكما هو الحال في أمور فيلولوجية (في فقه اللغة) وفي نفسير وتأويل القرآن، وقد وضعهم هنا على اختلاف مع الكوفة، وهو اختلاف كان من المحتمل جداً مقصوداً فرحيل الرواية السورية. المدنية إلى البصرة ينبغي إنه قد حدث ووقع في فترة مبكرة جداً، ويحتمل إنه قد حدث قبل سقوط الخلافة الأموية[٣].

---

(١) ابن عساكر أيضاً استعمل في احوال كثيرة الزهري عبر القناة المعتادة، انظر كيتاني مجلد٨ ص٢٣١، وعن المؤرخين الآخرين فقط عمر بن شبة (المتوفى ٨٧٥م) يبدو إنه كان عارفا بالزهري عبر قنوات أخرى مثال الاغاني جـ٤ ص١٨٥ وما بعدها. وجزء ١١ ص ٣٠ وما بعدها (كيتاني مجلد٧ ص٣٤٩، جـ٨ ص٨٧) ولكن بشكل مشتت ومتفرق جداً ولذلك ليس بالامكان رسم أي استنتاج واضح. وبشأن المادة المختلفة ينظر Acta Orientalia جزء ٢٧ ص٩٩ وما بعدها.

(٢) رونثال، علم التاريخ ص٣٢٣ وما بعدها.

(٣) وتأييدا لهذا يمكن ذكر ان الزهري قد توفى سنة ٧٤٢م، ولكن أيضاً فإن يونس بن يزيد وكذلك ابن جعدبة ويحتمل جرير بن حازم كانوا أنفسهم شهودا للفترة المضطربة، وسقوط الخلافة الأموية والنزاع العباسي المبكر جداً مع الشيعة في بداية سنوات ٧٦٠م، والحوادث التي تورطت بها البصرة. وان نفس التاريخ قد وثق من قبل أحد الموالي الأمويين ويظهر من خلال نقله رواية الزهري. وينظر عن الراويتين البصريين الأخيرين في منتصف القرن التاسع الميلادي سابقاً [في هذا الكتاب ص٢٠٤ وما بعدها من

هذه الاعتبارات قد تقود وتفضي إلى الاستدلال بأن العلماء في البصرة الذين استعملوا النقل المؤيد للأمويين هم أنفسهم كانوا متعاطفين مع الخلافة السورية، وربما تحث وتغري على إيجاد سند ودعم لمثل هذه الفكرة بالدرجة الأولى في حالة ان ابن جعديه وجرير بن حازم قد تبنيا بصراحة وبغير تحفظ رواية كل من الزهري وصالح بن كيسان على التعاقب إلى حد ما، وبقدر ما يمكننا الاحتكام إلى تنقيح البلاذري. والحقيقة كون أحد نقلة هذه الرواية كان مولى أموي هو النعمان بن رشيد، وربما أيضاً لايؤيد مثل هذا الاستنتاج. ومن الجهة الأخرى فإنه من الغريب ان مثل هذا الجزء من الرواية كما قد اكتشفنا من جديد في البصرة يتعامل كلية مع النتائج المباشرة لمقتل عثمان، أما خارج هذه الفترة فإنه بالكاد يحتوي على أية إشارة إلى الأحداث على عهدة وعلى ثقة المدرسة السورية المدنية، في حين كان كل من الزهري وصالح بن كيسان، باستثناء الحرب الاهلية، يقتبسان بشكل ثابت عبر الثقاة المدنيين المحليين عند ابن سعد والبلاذري[1]، وكذلك ليس بشكل مقنع خاصة وبشكل غير نظامي جداً عند الطبري[2]. وفوق ذلك، بقدر ما يمكن الاحتكام إليه من مؤلفات البلاذري، فإن مدرسة البصرة لايبدو إنها قد تعاملت مع حكم وخلافة معاوية، وان الروايات القليلة عن هذا الموضوع هي المعروفة عن ابن جعدبة لاتؤشر إلى أي مودة أو ميل نحوه. وعلى العكس، فإن ابن جعدبة يستهجنه ويلومه على حبّه للدنيا وعلى طموحه اللامبرر له بأن ينصب نفسه ويعين نفسه ممثلا لله[3].

الصفحات من الكتاب].

(١) مثال ابن سعد مجلد٣ جزء١ ص١٩٣، ٢٤٩ وما بعدها من الصفحات ص٢٥٨ وما بعدها، مجلد٣ جزء٢ ص٣١، البلاذري ص١٠٤، ٢٦٦ (كيتاني مجلد٥ ص ١١٠، ٦٥، ٥٧، ٢١٣، ٦٩ وما بعدها، مجلد٤ ص١٣٨، مجلد٣ ص٨٧، مجلد٥ ص٣٦٥). ويظهر صالح بن كيسان عند ابن سعد كتلميذ للزهري عن هذا ينظر شبرنجر: ملاحظات ص٢٠٨، ٢١١).

(٢) ينظر ص١٠٩ هامش٣، كذلك عند ابن عساكر (ص٣٤١، كيتاني مجلد٣ ص٢٣٨ وما بعدها)، الذي قدم رواية عن علاقات علي مع أبي بكر باسناد: يونس بن بكير - محمد بن اسحاق - صالح بن كيسان - عروة - عائشة، حيث ان الحلقتين المبكرتين جداً لاشك انهما زائفتان.

(٣) البلاذري: معاوية رقم ٢٠، ١٢٤، ينظر ص٢، ١٤٨ و٣٤٠. وتعبيرات مشابهة لكره معاوية توجد عند الدورقي، البلاذري ص٤٢٩ (كيتاني مجلد ١٠ ص ٤٠٤ وما بعدها).

ونعتقد ان الأمر يكون أكثر صحة للقول بأن مدرسة البصرة ليست مؤيدة للأمويين، غير إنها عثمانية إلى حد ما وإنها قد انخرطت في سلك اتهاماتها لعلي في مشاركته في مقتل عثمان، وإنها عارضت الشيعة، لاسيما الفرع الكوفي. هذا الاستنتاج طبقا ووفقاً لما قد علمناه من جهات أخرى فيما يخص وجهة نظر البصرة السياسية ومواقفها المعارضة لشيعة الكوفة سياسياً ودينياً وثقافيا[١]. ان البدايات غير الناضجة للفرقة العثمانية في البصرة قد وجدت بالفعل بعد مدة قصيرة من مقتل الخليفة، ويبدو ان البلدة قد أيدت عمل وإجراء طلحة والزبير وفي مناسبات متأخرة قد اعترضت على علي؛ وتشير المصادر بوضوح إلى ان مواقف العثمانية قد استندت على روابط القرابة والتبعية مع عثمان[٢]. وعلى أية حال فالعثمانية برهنوا على تحيزهم المتطرف، والأكثر رجحانا بسبب رفضهم واستهجانهم الشيعة، مع إنهم من الجهة الأخرى لم يكونوا راغبين بالاعتراف بالأمويين الذين لم يبدوا لهم أي تعاطف. فالرواية البصرية في الغالب تطري بافراط عائشة وطلحة وبخاصة الزبير كأنصار للمقاومة الاصيلة ضد علي، وباستشهاد واقعي للرواية السورية .المدنية فإن البصريين قد تجنبوا وتفادوا الرواية الكوفية التي تؤشر إلى مطابقة تمرد معاوية مع العثمانية كما نراه قد نفّذ بشكل خاص في الكتابة التاريخية العباسية. ومهما يكن فإن البصرة خلال الخلافة السورية مالت بعاطفتها إليها وذلك لأنها القوة الوحيدة التي باستطاعتها مقاومة الشيعة. فبعد اسقاط الأمويين اتخذت تدريجياً اشكالا ومظاهر أخرى، غير إنه مع ذلك ظلت تدافع عن مسألة اشتراك علي في مقتل الخليفة. وأنكرت الحق الشرعي الخاص بعائلة النبي للخلافة[٣] كموضوعات مهيمنة في موقفها المعارض من الاتجاهات المؤيدة للعلويين.

---

(١) تأييد البصرة لانتفاضة شيعية سنة ٨١٥م يحتمل ان ذلك يرجع إلى العداء للسياسة الفارسية للمأمون والفضل بن سهل ينظر شارل بلا: الجاحظ ص١٩٤ وما بعدها من الصفحات.

(٢) الزهري عند الطبري مجلد١ ص٣١٢٦- ٣١٢٨، أبو مخنف عند البلاذري ص٥٠٢- ٥٠٤. ووهب بن جرير (؟) نفس المصدر ص٥٥٨- ٥٦١ (كيتاني مجلد٩ ص٥٦ وما بعدها من الصفحات) ص٢٨٧، مجلد١٠ ص١٥٦ وما بعدها من الصفحات.

(٣) جولد تسيهر: دراسات محمدية جزء٢ ص١١٩ وما بعدها من الصفحات، لامانس: معاوية ص١٠٩ وما بعدها من الصفحات، بلا: الجاحظ ص١٨٨ وما بعدها من الصفحات.

وبصرف النظر عن المؤرخين الذين تمت مناقشتهم هنا فإن الرواية البصرية تبدو وكأنها قد انتقلت على شكل متشظي ومن أجزاء[١]. وفي وقت متأخر ففي مؤلفات راوية مثل مسلمة بن محارب (المتوفى تقريباً سنة ٧٦٥ ـ ٧٨٥) الذي، كما يبدو، ينتمي إلى فرع بصري من العائلة الأموية، نلاحظ انعكاسات في مناسبات أو انعكاسات مناسبية من دفاع عن معاوية وتهجمات حقودة rancorous على علي، مع إنه يظهر، وعلى شكل متناقض، بأنه قد وصل في وجهات نظره بالمقام الأول من خلال تكييفات وتعديلات متحازة في النقل الكوفي. وعلى مغايرة لهذه hereto فإن مؤرخين بصريين آخرين من نفس الفترة يظهروا رد فعل تجاه النقل المؤيد للأمويين كمحاولات للتوفيق بينها وبين العناصر الدخيلة والمتفرقة، وفي أغلب الحالات ينبغي علينا ان نعتبره امراً مفروغاً منه، من أصل كوفي، مع العلم إنها ما زالت تستند على وجهات نظر عثمانية. فالبصريون لم يكن لديهم أية رواية محلية ومستقلة يعتمد عليها ولم يكونوا بهذا يختلفون كثيراً عن العباسيين، إذ ربما ان رؤيتهم الخاصة ببلدتهم قد خدمت السوريين والمدنيين، غير ان رد الفعل الواقعي هذا من هذا النقل يبدو مرة أخرى ليكشف عن ميولها ميول ليست باتجاه الأمويين، ان كان هناك شيء البتة، فإنه تجاه العثمانية.وكان أبو بكر الهذيلي، وهو لم يكن مؤرخاً موثوقاً ولا بارزاً بشكل خاص (توفي سنة ١٦٧هـ/ ٧٨٤م)، اقوى بكثير من أي من الكتّاب الآخرين المذكورين هنا كمعارضة لمعاوية. «ولو إنه لم يتعامل مع الناس بطريقة صبورة وكريمة ومتسامحة، لكان قد مسح وازيل من على وجه الأرض»[٢]. ومن الجهة الأخرى، إنه يشعر باحترام

---

(١) ينظر عن ذلك Acta Orientalia جزء٢٦ ص٩٨ وما بعدها من الصفحات.

(٢) البلاذري، معاوية رقم ٣٣٠، وهكذا انقلب حلم معاوية إلى الضد منه.

[في رواية ذكرها البلاذري في الانساب نقلا عن المدائني عن عبد الله بن فائد عن أبي بكر الهذلي وليس الهذيلي Hudhali عند الأستاذ بيترسن ان الهذلي قال: قال الحسن (والمعتقد الإمام الحسن) لو سلك معاوية بالناس غير سبيل الاحتمال والبذل والمداراة لاختطف اختطافاً وهو قول اقرب إلى ما ذكره الأستاذ بيترسن لكنه ترجم لاختطف اختطافا He would have been wiped off وكما ترجمناها تقريباً لأزيل أو مسح من على وجه الأرض the face of the eart وهي ترجمة لاتعطي نفس النبرة الموجودة في النص [المترجم]. البلاذري: كتاب جمل من انساب الاشراف، تحقيق د.سهيل زكار/ طبعة أولى بيروت ١٩٩٦ ص١٣٧.

وتبجيل معين للزبير، الذي، عرضياً، يظهر إنه قد أصبح نوعاً ما كقديس وراعٍ في البصرة[1]. ومادتنا، بقدر ما تفضي إليه، هكذا تؤشر إلى ان المؤرخين البصريين للأجيال الأولى في الفترة العباسية قد نصّبوا أنفسهم ناطقين بوجهات النظر العثمانية، ولم نجد اتجاهات عباسية ولا شيعية في رؤاهم. ان المحافظة على الرواية السورية ـ المدنية بشأن الفتنة وكذلك المحاولات لضمها وتوحيدها مع العناصر الدخيلة والمتفرقة أو حتى بتحويل الرواية الكوفية فيما يتعلق بهذا الغرض بالذات إلى مسائل في هذا الاتجاه.

ظلت الرواية السورية ـ المدنية، دون شكّ، معروفة، وان كان يستشهد بها نادراً، في العراق في القرن التاسع الميلادي، إلا إنه وحسبما يظهر صارت محدودة في مواضع معينة من البصرة، أما خارج البصرة فيبدو ان النقل قد كان كيفما اتفق haplazard، وهذا الأمر نجده حتى في البلدة نفسها إذ إنه قد حدث ضمن نطاق فرقي ضيق وفي العقود التي امتدت إلى سنة ٨٥٠م، وهي الفترة التي وصلت فيه المعتزلة الرسمية أوجها، فإن النقل المؤيد للأمويين من الراجح إنه لم يعدّ نافعاً ـ أو بالأحرى أفاد فائدة أحادية أو من جانب واحد وفردية ـ لوجهات النظر العثمانية. وكما هو الحال في الاجيال السابقة فإن الرواية الكوفية والمدنية، وكذا الحال في الرواية البصرية ـ التي حسبما يظهر لم تزل موجودة في السنوات الأخيرة من حكم المأمون ـ قد انسحبت باتجاه بغداد، المركز الأول لحالة الاثارة ferment السياسية والدينية والثقافية. ولكنها لم تخضع ـ كما كان الحال في معلومات المدرستين الاخريتين للرواية ـ لأي شكل من أشكال عملية التحويل غير إنها ولكونها قد سلمت بصيغتها وشكلها الخالص وبذلك سرعان ما أصبحت داخلة في كتابة البلاذري التاريخية.

وقد جيء بالنقل المؤيد للأمويين إلى بغداد بشكل رئيس عن طريق رواة من أمثال أبي خيثمة زهير بن حرب (المتوفى ٨٤٨ ـ ٨٥٠م) وابنه احمد بن أبي خيثمة (المتوفى ٨٩٣م) واحمد بن ابراهيم الدورقي (المتوفى ٨٦٠ ـ ٨٦١م). وعلمنا على وجه التأكيد

---

(١) شارل بلا، الجاحظ ص١٠٧، ١٥٨ وما بعدها.

ان الراوية الأول والأخير قد ذكرا من بين أسماء جماعة الفقهاء الذين جيء بهم بأوامر من المأمون ليمثلوا أمام محنة inquisition المعتزلة باتهام كونهم اتباعاً لأحمد بن حنبل والمعارضة الحنبلية[١]. وقد استسلموا وأذعنوا للضغط من قبل قاضي البلاط court of Justice وبذلك أعيدوا وردّوا من سامراء، محل اقامة الخليفة، إلى بغداد للاعلان رسمياً عن تبرأهما من المذهب الحنبلي وان يقسما بالتخلي عنه abjure أمام جمهرة وحشد من الفقهاء والمحدثين.

ليس لدينا معرفة خاصة عن الثلاثة فقهاء المذكورين آنفاً الذين شاركوا في الحركة الحنبلية. إذ يشار إليهم أحياناً فيما يتعلق الأمر بالإمام احمد ومبادئ النقد التقليدي للرواية التي أسسها وانشئها. ففي أدب التدوين التاريخي المتأخر (عند السخاوي، فإنهم قد ذكروا بكل تقدير واحترام على إنهم تلامذة احمد بن حنبل[٢]، وعلى العكس، فإن احكامهم الخاصة على الرواة غير الثقات تحمل بصمة حادة وفي بعض الأحيان تقريباً مرائبة إذ يعتقدون بأنهم أصح معتقداً. وكما اشرنا إليه في اعلاه، فإن مدرسة المؤرخين البصريين قد اشتهرت على مغايرة من المدارس التقليدية للرواية الأخرى، برصانتها وبكونها قد حافظت وبقيت مبتعدة و منعزلة انعزالاً نسبياً عن عمل التكييف والتعديل العملية التي كانت مستمرة ومتواصلة في مكانٍ آخر. والظاهرة نفسها يمكن التحقق منها أيضاً بخصوص المبادئ والعناصر الأخرى ضمن مدرسة الحديث البصرية. ويبدو ان المدرسة البصرية ذاتها لم تمارس أي نقد منظم للروايات، والمرجح ان هذا يرجع لأن مادتها قد تحولت أو انتقلت بشكل أكثر صرامة من المدارس الأخرى[٣]. وعلى ايدي أو بواسطة الحركة الحنبلية، التي وصلت عبر الفقهاء المذكورين آنفاً، فقد احرزت على أهمية خاصة، وربما يرجع ذلك لسبب رئيس وهو إنها اكتفت واقتنعت بالمتطلبات الفنية للرواية الموصوفة برصانتها ونقلها الخالص

(١) باتون Patton ص٦٤. وقد نشأت من الطبري، الذي كان نفسه قد عارض الحنابلة. ليس هناك أي سبب في الشك في صحتها.

(٢) روزنثال: علم التاريخ ص٣٦٢، ٣٧٣ وما بعدها، [ينظر في الكتاب ص١١٩-١٢٠].

(٣) بلا: الجاحظ ص٨٩

pure. وقد قدرت وانصفت جداً أفكار ابن حنبل النظرية حق قدرها وشكّلت لهذا السبب فقط مسألة ملائمة وصالحة للانطلاق نحو المنهجية المنظمة اعتماداً على خطوط الاتجاه الذي قد وضعه[١].

فضلاً عن ذلك فإن المادة التي سلمت وعلى ثقة ومرجعية هؤلاء الفقهاء تتماثل وتتوافق على نحو كامل مع وجهات نظر الحنابلة، وهو مسعى المحافظة في اعادة بناء مجتمع اسلامي استناداً إلى النماذج التي يفترض إنها قد اقيمت وعينت في المجتمع الاسلامي المبكر جداً. فالمادة التي نقلت على ثقة مرجعية الفقهاء الثلاثة المذكورين في اعلاه هي اجمالا متطابقة مع جوهر المادة التي عملت بها المدرسة البصرية، وكثيراً ما تكون هذه المرويات هي نفسها التي نقلها كل من أبي خيثمة والدورقي. وهكذا تكون هذه المادة محدودة بشكل ضيق على فترة النزاع أبان خلافة علي. ومهما يكن، فإن هذا لايعني بأن هؤلاء العلماء كانوا متعاطفين بشكل كبير مع سوريا أكثر مما كان عليه اسلافهم البصريين أو المدرسة الحنبلية بصورة عامة. وهذا قد توضح أو تبين تماماً وبشكل خاص عند الدورقي. فالدورقي يتقاسم زملائه من أبناء بلدته احترام وتبجيل الزبير بصورة معتدلة ويذكر ان نصيحة ومشورة عائشة تكمن بجعله خليفة، إنما كانت تريد ان تعينه اميراً على المقاتلين بشكل مؤقت إلى ان يتقرر مصير القتال والحرب[٢]. وان بغضه تجاه معاوية يظهر ويتكشف في رواية اعتماداً عليها بأن علياً قال بأنه «لم يخلق إلى الخلافة خوفاً من رجل من بني أمية يسيطر عليها ويتملكها لنفسه. ويتلاعب بكتاب الله» وهو معلم جليّ من معالم ما بعد العقلانية Rationalism - post[٣].

ان نقل هذه المادة هو نقل ضيق ومحدود أيضاً في ان يوفر ويزود الدليل والتوجيه نحو تفسير لوجهات النظر الفردية لهؤلاء المؤرخين[٤]. وتفسير دوافعهم في الفات

---

(١) ينظر عن الحنابلة [في الكتاب ص٢٣٢ وما بعدها من الصفحات].

(٢) البلاذري ص٤٧٥ (كيتاني مجلد٩ ص٦٦). والرواية قد تكون نسخة معدّلة أو مكيّفة للرواية المتماثلة عند الزهري بخصوص معاوية. وعلى نحو متماثل ومتناظر، فإن أبا خيثمة (البلاذري نفس الصفحة) جعل البصريين يؤمنون ويستنكرون على طلحة لمشاركته في مقتل عثمان، مع إنهم لايشملون الزبير.

(٣) البلاذري ص٤٢٩ (كيتاني مجلد ١٠ ص٤٠٤).

(٤) ان الاستمرارية والتواصل في التاريخ الزمني للنقل يحتمل إنه برهان ودليل نسبي على اكتمالها ومن الجهة

النظر إلى المصادر المؤيدة للسوريين وكذلك للانتفاع وللافادة منها لابد لهذا السبب قد اتكأت واستندت بصورة كلية على فيما إذا كانت هذه المصادر بالفعل قد اقحمت في إطار وهيكلية الحنبلية من المحتمل جداً ان مدى ملائمة وتطبيق هذه الرواية لابد ان يوضح ويفسر بأنه محاولة لاعادة بناء الشرعية للخلافة الأموية، حتى وان كان من الصعوبة بمكان اعادة الشرعية للأمويين أنفسهم. وبهذه الوسيلة تتم المحافظة على الاستمرارية في المجتمع الارثوذكسي (السني) كما يراه احمد بن حنبل. فمعاوية لم يثر تمرداً ضد علي انطلاقاً من الطموحات الشخصية، إنما من أجل التوكيد على إنه بصفته ولي الضحية فإنه مخول للمطالبة بالانتقام بأخذ ثأر الدم شريطة ان يكون مقتل الخليفة قد ارتكب بشكل غير شرعي. وفوق ذلك، فإن حكم التحكيم لم يكن غير شرعياً، كما أكد عليه النقل الكوفي، وان معاوية لم يتلقى البيعة قبل حكم التحكيم.

لكل هذا لابد من إضافة وجهة أو مظهر آخر ذلك الذي دون شك قد أدى دوراً حيوياً واساسياً في المناظرة والجدال الحنبلي. وكان في الواقع عبر تطبيق واستعمال النقل المؤيد للسوريين على إنهم قد عبّروا عن مواقفهم المعارضة للمعتزلة التي كانت هي المهيمنة والمسيطرة ومحاولاتها لجمع وتوحيد وجهات النظر المؤيدة للعباسيين ووجهات النظر المؤيدة لعلي، وهي حقيقة، قد زودت ووفرت، بشكل مخالف أو على الضد، تفسيراً ملائماً ومرجحاً للهجمات المطلقة العنان unbridled التي شنها المدائني في هذا الوقت تحديداً على الأمويين. وبشرط ان هذه القراءة صحيحة. فإن الجدل في التدوين التاريخي يقودنا إلى اثارة عنيفة وغير طبيعية قد وقعت في منتصف القرن التاسع الميلادي بين المعتزلة الرسمية والمعارضة الحنبلية، وان ردّ الفعل (الارثوذكسي) السني والمدن المزدهرة، كالبصرة وبغداد، من المحاولات العباسية لصياغة وتشكيل المجتمع الاسلامي حسب تصورهم الخاص.

الآخر، ليس بوسعنا ان نعرف معرفة واضحة ومحددة عن أي من القصص والحكايات التي ربما قد حصلوا عليها من المصادر الأخرى.

اعادة مختصرة للنقاط الاساسية

(١)

لـم يحـدث تغير الدولـة فـي سنة ٧٥٠م اقامـة جسر للعـداء والخـصومة تلـك التـي نغّصت Embitter الفتـرة الأمويـة ولكنـه، اذا كـان هنـاك أي شـيء، فقـد هـدى وارشـد الامويين الى سبل جديدة؛ كذلك لم ينته ولم يتوقف صياغة الرواية التاريخية في ذلك الوقت. ولكي نحدد أنفسنا في الحاضر بالجيلين الاولين من الخلافة العباسية حتى وفاة هارون الرشيد في سنه ٨٠٠م نرى كيف ان هذه الفترة هي فترة متميزة بصورة طبيعية تماماً في المساعي الجديدة للحكّام بغية تقوية وتعزيز سلطتهم. وان الصدع في العلاقة ـ ويحتمـل كـان في عهـد المنصور ـ مع الشيعة الراديكاليـة ـ المتطرفـة ـ الـذين كـانوا يهيئون طريقهم الى السلطة ان هو إلا مظهر واحد في هذه العملية، ومع انه لاسبيل الى الـشك indubitably ان ذلـك يعـدّ ذا اهميـة بعيـدة المـدى لكونـه يعكـس الحاجـة الـى استيعاب اساسي للسلطة والنفوذ الخلافي (من الخليفـة) مع الاغلبيـة (الارثودكسية) والجماعات الأجتماعية البارزة والقيادية في الاقاليم الشرقية من الامبراطورية. ومن بين المصاعب والمشاكل الاخرى الحادثة والطارئة في الفترة، فترة الانـدماج والتماسك Consoldition هـي مركزيـة سـلطة الخلافـة منـذ نهايـة سـنوات القـرن الثـامن المـيلادي، واقامة خليفة الله العباسي، والنمو الهائل للبيروقراطية.

وفي حالات كثيرة فان المسلك والطريق لهذه المركزية قد تهيأ وترتب بالتقاط وبالتعرف على الخيوط التي تقود الى الوراء حيث الروايات السياسية والادبية للدولة الساسانية، وهو اجراء لم يسبب بعد وحسبما يظهر أي اصطدام بين الثيوقراطية حكومة رجال الدين في بلاد مابين النهرين والاسلامية والاتجاهات المعادية للفرس. فالرواية ومنذ الساسانيين في بلاد فارس ممكن ملاحظته في الادب المتبرعم والناشىء Budding عن النظرية السياسية اذ ان العناصر المندمجة ايضاً، وعلى اية حال، ومنذ القرن التاسع الميلادي للنقل التاريخي ضمن اعتباراتها التعليمية او المواعظية didactic لقد ابتدعت هذه الرواية الرسمية النظرية، وهي الرواية الأولى التي تقترب وتدنو من تلك التي حدثت بالفعل في اواخر الفترة الأموية، من قبل الموظفين الحكوميين للادارة المركزية، ولكنها لم تظهر بأنها قد احدثت من قبل الخلفاء العباسيين انفسهم[١]. وعلى اية حال فبوسعنا مع ذلك متابعة اهتمام العباسيين المبكر في النقل العربي ونكتشف ان عدداً من الرواة البارزين للفترة قد عملوا تحت اشراف ورعاية البلاط. وهذا ينطبق بصورة مشتركة inter alia علي محمد بن اسحاق وابن الكلبي. ان الاتجاهات والنزعات الفارسية في الادب والادارة المتصلة بها لم يكن له الا انعكاس ضعيف وواهٍ على الكتابة التاريخية لهذه الفترة وبالكاد قد ادى الى أي تأثير يمكن تقديره على مناظرات ومناقشات المؤرخين للمشاكل والمسائل، ولم تجر أية محاولة لتوريط الفرس في النزاعات التي أثارتها الفتنة[٢]. ففي صياغة وتكييف الروايات التاريخية وفي المجادلات والمناظرات التي تعكس الاهمية الاساسية قد تركزت على مسألة المسؤولية عن الفتنة وكذلك عن الخلافة الأموية. وان المحرض والدافع الحاسم لابد انه مع ذلك يمكن البحث عنه في موقف الخلافة العباسية من أصلها الثوري وأيضاً في موقف الشيعة.

---

(١) ص ١٣٢ وما بعده من الصفحات من الكتاب

(٢) ولم نلتقي بمساعي ومحاولات للموازنة بين الفرس والعرب حول شخصية علي حتى نجده عند الدينوري وتماثلاً وتطابقاً فان اليعقوبي حاول ان يثبت الصلة العائلية بين عائلة النبي والساسانيين

هناك سمة واضحة للطرق الفرعية للرواية التي نقوم بمهمتها هنا وهي سمة التحيز الى طرف واحد محدد. ومعرفتنا عن النقل التاريخي لهذه الفترة محدودة بالنقل المؤيد للعباسيين، وبالنقل الشيعي المعتدل وبالعثمانية في حين ليس هناك توضيح لا بالنسبة الى الشيعة المتطرفة ولا بالنسبة الى الخوارج، بصرف النظر عن بضعة اجزاء متناثرة جداً.. لهذا فان مجموعة مفصلة غير عملية وقابلة للتطبيق بهدف الحصول على تبصر في كيف ان معارضة الخوارج قد تم ابعادها بالتدريج الى الاقاليم الخارجية للخلافة، وان يحلّ محلها الشيعة الراديكالية. والمرجع، كما لمحنا اليه في اعلاه، انه ليس هناك رواية تاريخية شيعية على الاطلاق وعلى أي نطاق جدير بالاعتبار. وربما الشيء نفسه، تقريباً، ينطبق على الخوارج في الفترة العباسية. ان المؤلفين الارثودوكس السنة والشيعة المعتدلين قد وقفوا بمعزل وبصورة ثابتة عن الخوارج وهذا يبدو واضحاً من الاهتمام والعناية بالمواضيع التي لها شأن واهمية خاصة لهذه الجماعة المعارضة. وهناك حالات عن هذه المسألة في مؤلفات مثل (كتاب النهروان) الذي ينسب الى أبي مخنف ونصر بن مزاحم والمدائني[1]. وان موقف الاول من هؤلاء المذكورين من الرواية الخارجية قد علّقنا عليه بالفعل. اما بخصوص نصر بن مزاحم والمدائني فعلى الرغم من اننا لانعلم عن موقف أي منهما من الخوارج فان كتاباتهما هي، ان كان هناك شيء، ذات طبيعة في المجادلة ايضاً.

ومن المحتمل ان انقسام الخوارج الى فرق ثانوية اصغر قد وجد اتباعها بصورة رئيسية في الاقاليم البعيدة عن مركز الامبراطورية وغالباً في المناطق غير المزدهرة وغير الثرية وان الصفة المتعصبة والتعصبية بصورة عامة لهذه الحركات حال دون أي تطوير للرواية التاريخية. وعلى الاجمال، فإن هذه المؤلفات المتأخرة التي تتمثل بها هذه الملاحظة، وكما نعلم حتى الان، قد اعتمدت نقل عبد الله بن يزيد الفزاري. وهو حقيق في رواية جنوب الجزيرة العربية بشكلها المعدّل والمكّيف تكيفاً ثيولوجياً قد

(١) فاجيلري جزء ١ص١٤

وجد عند أبي سعيد القلهاتي في القرن الحادي عشر[١] للميلاد وكذلك في عروضات متأخرة كثيراً عند البرّاري (في النصف الثاني من القرن الرابع عشر للميلاد» والشماخي (المتوفى ١٥٢١). ان كلا المؤلفين ينتميان الى المغرب ومؤلفاتهما قد هيئا وأعدّا في ظروف واحوال اقتصادية وثقافية مرضية بصورة كبيرة عن ماهو متوفر في الفترة العباسية المبكرة جداً. وعن المؤرخين الخوارج بالمعنى الضيق للكلمة خلال هذه الفترة فان الوحيدين المعروفين على نحو محدد وحسبما يبدو هما خالد بن سعيد[٢] (المتوفى سنة٨٠٦م) والهيثم بن عدي الطائي (المتوفى ٨٢٢ .٨٢٣[٣] السيء الصيت. وعلى الرغم من كثرة انتاج الهيثم فان القصص التي نقلت على عهدته وعلى ثقته قد انحصرت في حكايات او في اجزاء ذات قيمة مشكوك في صحتها جداً، والتي لاتتعارض ولاتتناقض بأية طريقة في النعوت – كالكاذب او الكثير الكذب وناشر الفضائح – التي أُختيرت له من قبل المْعاصرين له[٤] وعلى الرغم من ان الاعتبارات الدينية ربما اعترضت الى درجة كبيرة طريق انتقال الاقتباسات من المؤلفين الخوارج

(١) عن التاريخ ينظر ام كفافي في مجلة Bulletin of the faculty of Arts of the Egyptan University مجلد١٤ جزء٢ ص٣٠ وما بعدها Cairo

(٢) فاجليري جزء٢ من ٣ ومابعدها – احدى انعكاسات الجدل العنيف دون شك موجود في رواية استناداً اليها فان الاشتر، ويزيد بن قيس، وشبت بن الربعي كانوا بين اولئك الذين ظلوا يقاتلون بعد خديعة رفع القرآن في صفين، كما يذكر ابن الكلبي (الطبري مجلد ١ ص٣٢٧٤ -٣٢٧٦ كيتاني مجلد ٩ ص٤٣١ ومابعدها من الصفحات) ان علياً عندما كفّ السلاح عن عمله في صفين بعث بأربعة رجال من بينهم يزيد بن قيس وشبت الربعي الى معاوية ((لحثه على عقد اتفاقية بوسعها اعادة الوحدة لنا ولمجتمعنا)) وعرض شبت بن ربعي ان يسلم قتله الخليفة (عمار بن ياسر) الى معاوية ورواية هشام بن محمد هي من المحتمل تعديل او تكييف لرواية عند أبي مخنف تتعلق بالمفاوضات قبل المعركة ينظر في الكتاب ص١٢٤]

(٣) وبشأن الاخير ينظر ابن خلكان رقم ٦٣٤ ((دي سلان جزء ٣ص ٦٣٣ ومابعدها من الصفحات)) = مرغليوث: محاضرات ص٩٥ ومابعدها؛ روزنثال: علم التاريخ ص٦٣، ٦٥.

(٤) وهناك أجزاء تؤكد صحة كتابه (كتاب الخوارج) موجودة فقط عند ابن كثير البداية ص١٤٩،١٥١، والبلاذري ص٥٣٣،٥٣٤ ((كيتاني مجلد ٩ ص٥٣٩ وما بعدها مجلد ١٠ص١٠٤ ومابعدها، ص١٠٩) ويحتمل ايضاً النبوءة المشكوك في صحتها عن اخفاق أو خذلان أبي موسى المعروفة كذلك عند أبي الكلبي (اليعقوبي جزء ٢ص٢٢٢، ينظر في الكتاب ص٧٦ هامش٢١. وعند البرّاري (فاجليري جزء ٢ص١٢ ومابعدها)، وكلاهما قد ذكر سويد بن غفلة الجعفي Ghafala (المتوفى سنة ٦٩٥-٦٩٦)؛ ينظر كيتاني مجلد ١٠ص٣٥ ومابعدها، وفي الكتاب ص١٠٧.

الى الادب التاريخي المعروف لدينا، فهناك بالكاد أي سبب للاعتقاد بأن أي كتابة تاريخية خاصة برؤية الخوارج .بصرف النظر عن رواية الهيثم بن عدي الذي حسبما يبدو قد تعامل مع الكثير من المواضيع الأخرى وجدت في هذه الفترة.

هكذا فالرواية في الفترة العباسية المبكرة جداً كانت تتحرك ضمن اطار ونطاق ضيق واحادي الجانب وليس بالامكان التوقع بأنها تقدم صورة كاملة عن الرؤى المتصارعة والمتنازعة في تلك الأيام. وبتحولنا الى النقل المؤيد للعباسيين والنقل الشيعي المعتدل نجد ان الأول، العباسي، قد قدم مسألة كبيرة للبرهنة عن انجاز عبد الله بن عباس الى جانب علي كناصح مخلص له؛ وكذلك فإن افتقار الخليفة إلى نجاحات بما سببه اتباعه وانصاره الذين فشلوا والذين خذلوه، وفوق كل ذلك اجبار علي على الوصول إلى اتفاقية التحكيم في صفين، ويرجع أيضاً إلى تخليه عن حقه الشرعي كخليفة renunciation tituli ، في نفس هذه المناسبة. فالسمة الأولى قد التقينا بها مبكراً جداً في الرواية، عند هشام بن محمد الكلبي، أما الثانية فقد نقلت إلى نتيجتها المنطقية عند سيف بن عمر في عهد هارون الرشيد؛ هاتان المسألتان الرئيستان في الجدال والمناظرة المؤيدة للعباسيين هما متصلتان اتصالاً وثيقاً مع بعضهما البعض الآخر.

ويكشف النقل الكوفي في ذلك الحين من الفترة الأموية محاولات ومساعٍ لايجاد متغاير واقعي بين فروسية وشهامة علي وسلوكه وتصرفه المحرك الديني الخالص وبين حلم معاوية؛ فسياسته الانتهازية Opportunism والمماطلة والتسويف بالإمكان تفسيرها دون عناء ملحوظ بأنه نقص وافتقار في الكفاية والمقدرة، وجبن، ومكر وخداع guile واظهار بهدف تبيان المغايرة مقابل استقامة علي وامانته. وفي الكتابة التاريخية الشيعية فإن المغايرة والفرق في ان هذا الأمر متوقع ونتيجة منطقية ايجابية من دون تحفظ تماماً، وهذا ينطبق كذلك على الفترة العباسية فلعلنا نلتقي ذلك في عدة مرات في الكتابة التاريخية لنصر بن مزاحم[١]. وفي الرواية المؤيدة للعباسيين، على أية حال، فإن

(١) ينظر بروكلمان ص٩ وما بعدها من الصفحات

استقامة وسلامة نية علي الخليفة قد اتخذت بصورة غير مباشرة صفة السلامة والاستقامة الغير تأملية أو الطائشة unreflective والصرامة الغير عملية doctrinnaire أما اللاعقلانية أو التفكير غير السليم في اصراره بأنموذجه ومبادئه تجاه اعدائه وخصومه غير الشرعيين فقد أشار إليها ابن الكلبي بالفعل، وقد كررها المؤرخون اللاحقون، غير ان العلماء الشيعة قد فنّدوها. وبما ان هذه هي المسألة الرئيسة في الرواية المؤيدة للعباسيين قد شهدت بصحتها الحقيقية التي جعلت من إجراء ابن عباس البعيد النظر والحكيم والواقعي والرزين deus ex machina في المواقف التي كان فيها علي قد تصرف تصرفاً غير حكيم، وغير واقعي، وامين ومستقيم أكثر مما ينبغي «ابن عباس ..... يرى المستقبل مثلما يراه عبر حجاب رقيق» وتعليق ابن الكلبي السابق post festum بشأن تحذيره من المرامي والاهداف السورية في التحكيم. كما ان المغايرة الفعلية في تصويره نوايا علي ومقاصده النبيلة وتأثير ابن عباس الايجابي فان سيف ابن عمر يحمّل متطرفين شيعة رئيسيين proto ـ السبئية وهم الصورة المنعكسة للشيعة المتطرفة rabid في عصره ـ المسؤولية عن اندلاع الفتنة، حيث تجذر وتأصل الخوارج بين صفوفها.

لقد أشرنا في اعلاه عن ردّ فعل المؤرخين الشيعة على هذه الاتهامات. وبوسعنا احياناً التحقق بالتفصيل عن كيف فصلوا وافردوا انفسهم عن مساعي الفرقة المتعارضة والمضادة في تصوير علي على انه تحت حماية protege ابن عباس او ان ابن عباس قد حجمه وقلل من مكانته الى حالة أشبه بتلميذ امام اتباعه وشيعته وكيف انهم دافعوا عن تبرير وتسويغ استقامته وامانته. وعبد الله بن عباس في الرواية الكوفية كما تمثلت عند عمر بن سعيد ونصر بن مزاحم، مع إنه كان يوجه اليه انتقاداً صريحاً غير انه لم يؤد الا دوراً غير مهم وقد حلّت محله جبهة موحدة خلف علي ضد المقاومة غير الشرعية. فالمؤرخون الشيعة من اجل مواجهة الهجوم الكبير الذي وجهه سيف بن عمر ضد مفاهيم الايمان عند الشيعة، المفاهيم التي اعاقت، حسب ادائه، علي عن متابعة مقاصده واهدافه العميقة جداً inmost، إذ ظلّ هؤلاء يؤكدون باستمرار على انتقال الوحي

الإلهي إلى عائلة النبي وقد التقينا لأول مرة بتنبؤات النبي في الاحداث التالية post eventun بشأن مزايا علي وفضائله عند عمر بن سعيد كعنصر ثابت وراسخ في مناظرته، وبفضل مكانته واعتباره الديني وبفضل التبجيل والاحترام الذي احيط بشخصيته فانه قد رفع فوق الفتنة، وان الفضل والمفخرة المحضة في ان يحارب المرء ضد المرتدين وبأنه قد تركز حول الكوفة، وهي معقل الرواية الشيعية الاكثر صلابة. فها هنا قد وجد علي انصاره واتباعه المخلصين جداً ازاء العثمانية وازاء معاوية، والحقيقة ان الكوفيين بعدئذ قد أيدوا مشروع مكيدة التحكيم في صفين، مع هذا لايعني بأنهم قد خذلوه، ولكنهم قد قاموا بذلك الاجراء اقتداء بالنبي. اما نصر بن مزاحم، فهو على مغايرة من ابي مخنف، يشير الى ان معاهدة الحديبية كمثال او نموذج لتخلي علي عن حقه الشرعي كخليفة. وهكذا فانه هجوم وبنفس الوقت دفاع في هذا التدوين التاريخي لوجهات النظر التي دارت حول المسألة الاساسية في برنامج الشيعة. وتسويغ هذه الكتابة التاريخية هو اصرارها على ان المتحدرين من علي قد انتقل اليهم الوحي الالهي. فإذا ما كان على الرواية العباسية ان تخضع في هذه المسألة وتستسلم، فان الشرعية للخلافة الراشدة سوف يتقوض وينهار.

وكلا النقلين المؤيد للعباسيين والشيعي المعتدل ـ على الرغم من اختلاف في التشديد ـ قد استخدم المطالبة بثأر الدم كمحرك في مناظرة ومجادلة معاوية، في حين ان التكييف الشيعي المألوف والدارج، كالذي وجد عند عيسى بن يزيد والجعفي، فإنه بالكاد يظهر للعيان في هذه الروايات. الا انه وبينما كانت الرواية الشيعية عند عمر بن سعيد ونصر بن مزاحم تحاول ان تصدق باتهامات معاوية المنافية للعقل ضد علي بالاشارة الى ان المهاجرين والانصار بانتخابهم اياه خليفة فإنهم قد اعترفوا ببرائته، والرواية المؤيدة للعباسيين تستعيد الى الذهن وتحيي تأكيد ابي مخنف بأن مطالبة معاوية منذ البداية بأخذ ثأر الدم وبالانتقام كان مجرد ادعاء وذريعة، يضاف اليها اتهامه وعمرو بن العاص بأنهما قد تخليا عن الخليفة المقتول وخذلاه. وتجعل تسلل هذه المسألة والمبدأ الاساسي مع الهجوم على الشيعة في هذا الجزء من الرواية الأمر

واضحاً وبيّناً بأن الشيعة وبسبب ارتدادهم قد جلبوا مسؤولية ثقيلة باعترافهم ليس فقط بعدم شرعية سلطة الخليفة انما ايضاً باعترافهم بالعناصر الجرمية.

ومن اجل سوق ودفع هذا الجدال الحاذق والبارع الى النتيجة المنطقية التي تدور حول تبرير وتسويغ دعوى او زعم عائلة النبي وتبرير مشروعية الخلافة العباسية. وان ثنائية هذه المجادلة المزدوجة والثنائية يفترض ان تخدم وتفيد في اختيار مصادر أي من الفريقين. فالرواية المؤيدة للعباسيين، التي قد بنيت واقيمت بصلابة وثبات وقوة عجيبة ومدهشة في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، قد استعارت واقتبست مادتها بالمقام الاول من ابي مخنف. وبواسطة بناء ينطوي على المغامرة والجرأة Venturesome فقد اخضعت العناصر الى اعادة صياغة واعادة سبك من جديد اعتماداً على متطلباتها العاجلة والآنية، وهو اجراء قد بلغ تطوره الكامل في الكتابة التاريخية عند سيف بن عمر. وعلى وجه الاجمال فان هناك حالة ومسألة للاستنتاج بان ابن الكلبي، الذي كان بوسعنا متابعة اراءه التي لدينا في عدة امثلة قد أدى دوراً بارزاً واساسياً في صياغة التفسيرات العباسية بشأن الفتنة، وانه لابد ان يكون قد بذل جهداً في التأثير الحاسم تماماً على المؤرخين في عصره وفي العصر المقبل مباشرة. ان الذرائعية والبراغماتية التاريخية عند سيف، وهي التي القى عليها فلهاوزن الضوء، هكذا ينطبق ويصح في هذا النقل برمته، وان تعديله وتكييفه للرواية قد تجاوز وتفوق بعيداً عن ذلك النقل الشيعي المتعاصر بالشكل والصيغة التي نجدها عند نصر بن مزاحم، وصار له موضعه الثابت ولاسبيل للشك فيه في الاعلان والدعاية العاصفة في الدولة الجديدة كمبرر لوجودها raison d etre. والرواية الشيعية المعتدلة، على اية حال، قد تفادت وتجنبت أبا مخنف، حتى وان كان من المحتمل ان نصر قد انتفع منه دون ان يستشهد بمؤلفاته بشكل خاص. وعلى العكس فانها قد رجعت بالفعل الى العناصر المبكرة للنقل الكوفي. فالنتيجة المتناقضة ظاهرياً نوعما لهذه العملية هي: ان الرواية الكوفية عن الفتنة لم تعد طويلاً تتحدى او تقارن بالرواية المؤيدة للأمويين، في حين ان عناصرها المبكرة جداً – الشعبي والى درجة ثانية الجرجاني – كانت

مواجهة ومتحدية للاخرى، في الطبقات Layers الثانية والثابتة في الرواية. وبهذه الطريقة فقط يكون بالامكان تعديل وتكييف النقل الكوفي الى حالة جديدة في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي.

(٢)

وحين الاقتراب من العقود المبكرة من القرن التاسع الميلادي نجد ان هذا الموقف وهذه الحالة تخضع الى تغير سريع وشامل عندما اندفعت المعتزلة نحو الدخول في السياسة والدين في عهد المأمون. كانت الحركة ومنذ اواخر الدولة الأموية وحسبما يظهر إنها الحركة المؤيدة للعباسيين، وحتى وان كان ردّ الفعل المعادي للشيعة لم يغير في هذا الوضع بشكل يمكن تقديره، فمن الصعب ان نعثر هناك على أي تساؤل عن صياغة لرواية معتزلية قبل المأمون. ولم تصل الحالة الى نقطة التحول والانعطاف الا حينما أبدت مدرسة الاعتزال في بغداد مصالحة وتسوية مع الشيعة المعتدلة. فالتسامح ازاء علي امر ممكن ملاحظته عند المؤرخين البارزين لهذه الفترة وكذلك فإن هذا وجد طريقه ايضاً في التعبير عن الادانة المتماثلة والمتعاظمة للأمويين حتى ان الواقدي قد انشأ وسبك وجهات نظره «المؤيدة للعلويين بالمقام الأول» اعتماداً على المادة المؤيدة للعباسيين للجيل السابق وانه لم يقم بأي عمل سوى تقديم وعرض هذه المادة بشكل موصول حتى فترته (زمن الواقدي) ومهما يكن فان هذه الرواية قد تم التخلي عنها وتركها الآن (يقصد حقبته) تماماً من قبل المدائني، الذي جمع مادة متفرقة ومتناثرة وبعيدة كل البعد عن التجانس. ومع ذلك، فانه ليس هناك أحد من المؤرخين قد انتفع من الأدب الشيعي المتعاصر، بصرف النظر عن محمد بن سعد، الذي دعم التبجيل الديني ودافع عن شخصية علي، ومن ثم فان التقارب واعادة العلاقات الودّية هي بالاحرى مؤيدة لعلي؛ فهي لم تكن شيعية إنما هي متابعة وتواصل مع قنوات أخرى. وكان التشديد الرئيس في مناظراتهم ـ وعند المعتزلة على الاجمال ايضاً ـ يكمن بالمقام الأول في مسعى الحكام لإحداث تفاهم مع الشيعة المعتدلة وتحت اشراف عباسي. وليس بوسعنا القول بأنه من غير المحتمل ان تكون العوامل الاجتماعية

والراديكالية للشيعة المتطرفة هي عوامل مساعدة في هذه العملية التي يمكن ايضاً تفسيرها في التلهف والتوق العباسي الشديدين في التشديد على التواصل والوحدة الدينية التي ادّعوا إنهم يمثلونها وينفذونها. هذان الاحتمالان بالكاد يمكن عدّهما متناقضين بشكل مشترك أو انهما كانا مقصورين وعلى أية حال، فقد كانت المعتزلة مرة أخرى العامل المساعد في جلب وحمل مساعي الخلافة العباسية لتثبيت هويتها وبذلك تتحكم بالمؤسسات الاسلامية الدينية والسياسية وتجعلها في الطليعة.

ومن الجهة الأخرى، هناك صلة قوية وحميمة لايرقى اليها الشك بين المأمون ومحاولات خلفائه المباشرين في جعل سلطة الخليفة القاسم المشترك للقواعد السلوكية الراشدة للمجتمع الاسلامي وتعديل وتكييف تطورها العقائدي للرؤى الاساسية للعباسيين، وردّ الفعل المتنامي تحت زعامة احمد بن حنبل (المتوفى ٨٥٥م). وكما اشرنا في اعلاه فان المعتزلة كانت تمثل في جميع مظاهرها وجهات النظر الخاصة للعباسيين، فمن الناحية الفقهية فانها تتصف بالعقلانية وبالنقد اللاذع للرواية المقيدة (بالارثودوكسية). وعلى خلاف مفهوم الاخيرة التجسيمي المفرط لله Antropomorphic، فان المعتزلة سلّمت وادعت لنفسها حرية ارادة الفرد والتميز بين جوهر الله المميزة وبين كلمته. أما من حيث المنهج فان المعتزلة تختلف بوضوح عن النظرية الثيولوجية العربية القديمة التي اعتمدت الحديث النبوي في استخدامها في مذهب اللوجوس العقلاني الهيليني ومبادىء ومفاهيم المادة والعرض في تفسير القرآن. وتأويله تأويلاً مجازياً. فالفقه المعتزلي التأملي هكذا يفضي الى صميم الثيوقراطية (حكومة دينية) الاسلامية. وهو مذهب القضاء والقدر وحرية الارادة والاختيار، ان علم الحديث والعقلانية متجابهان ومتواجهان كنقيضين لايمكن التسوية بينهما[1]. وبالنسبة الى احمد بن حنبل فان النزاع ببساطة كان حول تبرير التقليدية الاسلامية وكينونتها كأساس للمعتقد الديني، ولذلك فان هذه الصدامات والمناوشات

---

(١) جولد تسيهر، اسلام ص٦١-١٠٢، اج-١س. نيبرج Nyberg في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة أولى) مجلد ٣ص٨٥٠ ومابعدها من الصفحات.

ليس من السهولة ان تنقطع وتتضاءل دون ان تخلف معالمها وآثارها أثراً على الكتابة التاريخية المعاصرة فمن الطبيعي ان هجوم المعتزلة على الرواية الاسلامية يقحم نفسه ويؤثر ايضاً على الكتابة التاريخية[١]. أما عن وجهات نظرهم الاساسية والاصلية فانهم اعتيادياً قد احتجوا بتكديس الرواة للمعلومات الفردية وغير المتماسكة وغير المترابطة. وتشابهاً مع نموذجهم وطرازهم القديم .الارسطوطاليسي . قد ألقوا بالشك على فيما اذا كان التاريخ يعدّ في الواقع علماً: .فهو ليس كالعلم التجريبي انما يتعامل مع معلومات فردية متناثرة ومسهبة بشكل واسع، وانها لا تكون ملائمة لاعادة فحصها ثانية بالوسائل والطرق العقلية. وبخصوص النتاج المنجز، فانه في نظرهم بمستوى لايعلو اكثر من كونه جمعاً للنصوص وتصنيفها، انه اداء ميكانيكي ويدوي في نقل من قبل آخرين. وبقدر ما يأخذ المؤرخ على عاتقه فقط تصنيف وتقويم معلوماته كوحدة واحدة في منظور شامل بهدف الوصول الى شرح عام وتفسير عام لاسباب أو لاقامة ربط في العلاقات للاحداث التي يتطلبها ويحتاجها التاريخ بصفة العلم التطبيقي. ان نقد المعتزلة للتأليف السائد حول الرواية الاسلامية سيكون بالطبع مرخص ومجاز كشرط اساسي وهو ان أي تأمل فلسفي للتاريخ يعدّ الهدف الاسمى لكل حرفة ومهنة تتعلق بالازمنة الماضية، غير انها قد أخفقت بالمرة وذلك لعدم وجود مثل هذا الشرط الاساسي في الاسلام مطلقاً، فقد كان في الواقع امراً غريباً ودخيلاً على جوهر الإسلام. فلم تكن الكتابة التاريخية العربية مفتقرة في مضمونها المفاهيمي، وان العنصر التعليمي فيها واضح دائماً بشكل كبير جداً، حتى وان كان كامناً ومفهوماً ضمنياً بشكل طبيعي، إلا ان الحاجات الملحة المقدمة من المعتزلة تتضمن واقعياً وعلمياً انطباعاً بأن الكتابة التاريخية قد تحررت وانفصلت عن اساسها الديني ووظيفتها السياسية. وهي عملية في اعادة تنظيم وتكييف ولذا فإنه امر بالكاد يكون عملياً ومحتملاً في الظروف السائدة.

فالهجوم والمهاجمة العقائدية على التقليدية العربية قد شنها وبدأ بها المعتزلة

---

(١) الخياط رقم (S) ص١٠٣-١٠٤، ص١٤٣ ومابعدها من الصفحات؛ مهدي ص١٣٧ ومابعدها.

وهكذا طعنت بوصفها معتقداً عصب الحياة Life nerve في بناء المجتمع الاسلامي[١].
وليس هنالك من شيء سوى القرآن، الذي بأستطاعته استناداً الى عقيدة المعتزلة ان يقدّم للمسلمين التوجيه السلطوي المطلق فقد قبل العقلانيون، الرواية فحسب لكونها لاتتعارض مع أوامر القرآن ووصاياه ولكونها قد اكتسبت اعترافا مشتركاً. ومن الموثوق به القول ان المخزون من الروايات كالتي قد وجدت في القرن التاسع الميلادي لابد وانها صارت مرمى وهدفاً سهلاً للنقد العقلي؛ ولكن مرة أخرى يبدو ان النقد قد حثّ الرواة العرب أنفسهم على صياغة واستنباط الاحتياجات الأساسية بصورة أوضح حتى الآن لهيكلية النقل واطاره[٢]، وفي الانتقالة التالية نضع ونخطط مخططاً لنقد الرواية من أجل تخليصها من العناصر غير الجديرة بالثقة والتصديق. وكان الشافعي (المتوفى ٨٢٠م) الأول بين الفقهاء الذين رجعوا وعادوا بشكل حاسم جداً إلى هجوم المعتزلة على وفق مبدأ مبرر لوجود (Raison detre) الرواية وإلى الثقة والتصديق بالرواية الشرعية عبر استنباط دقيق ومحدد للحاجة الملحة لذلك بغية الادعاء وحق المطالبة بالتصديق والصحة الشرعية فعندها لابد من متابعة الرواية واثرها إلى فترة النبي وصحابته، وبذلك فإن فقه التشريع عند الشافعي ربما قيل إنه قد خضع للنقد، غير ان ذلك لم يحل دون، بل لم تستطع ان تحول دون من ان تكون الروايات الكاذبة والمزيفة وكذلك لم تستطع الحيلولة دون ان تكون المرويات الكاذبة والمزيفة وكذلك لم تستطع الحيلولة دون وجود القصص الموثوقة على إنها انعكاس ماضوي وقديم يرجع إلى حقبة النبي وصحابته. لقد تم التعامل مع هذا المأزق وهذه المعضلة في الجيل التالي من قبل تلميذه احمد بن حنبل إذ جمع ووحد منظومة متماسكة لنظام ورؤية الشافعي مع النقد التقليدي، والذي يحتمل انه حتى الان لم يكن كاملاً، ولكن برغم ذلك فان عملاً جديداً قد بدأ يتسم بمدى اعظم واسمى من

---

(١) عن ذلك ينظر بصورة خاصة شاخت: أصول ص٤٤، ٤٠ ومابعدها من الصفحات ص٢٥٨ومابعدها.
(٢) ومن الجهة الاخرى فان المتن الحقيقي للرواية لم يخضع ابداً الى فحص رئيسي، باستثناء في بعض الحالات التي تفيد في توضيح الشكل الخارجي للرواية وبالنتيجة يمكن فحص اصالتها.

المفهومية، انه عمل جديد بفضل معتقدها الاساسي الفعلي لينعش قدراً كبيراً من المقاومة للتقليدية الاسلامية[1]. وعرضياً فان احمد بن حنبل لم يستخدم التدوين اطلاقاً، وفي الكثير من الحالات كان تطويرا واكمالاً لقواعد ومبادئ فلسفة التشريع عند الشافعي في مساعيه لاعادة بناء وادارك وتحقيق الافكار الأساسية للمجتمع الاسلامي الراشدي الارثودوكسي قبل ان تحطم الفتنة وحدته. وعلى اساس المخزون والمدخر من المرويات وجميع التسهيلات النقدية التي تحت تصرفه فانه قد كافح من غير شك انطلاقاً من قناعته العميقة جداً من أجل ايجاد هيكلية جديدة يقع ضمن نطاقها ما قام به النبي والخلفاء الاول في تأسيس الاسلام،وبالنتيجة فقد انقلب بقوة ووضوح ضد كل بدعة. وبالمحافظة على مثل هذه المظاهر والاوجه لمذهب ابن حنبل باعتبار انها ذات اهمية خاصة في هذا الصدد[2]، نجد بأن الاهمية الكبرى للسمات الجديدة لمساعيه في رفع الاسلام والارتقاء به إلى ما فوق الفتنة، لأنه ومنذ موت عثمان قد انقسم الى معسكرات متعادية ومتضاربة لاتقبل المصالحة. وكان جداله العنيف موجها بالمقام الاول ضد المعتزلة والخوارج والشيعة المتطرفة، جميعهم قد انبثقوا من الحرب الاهلية الأولى. وهو يعلق بصورة خاصة اهمية كبيرة الشأن على التواصل والاستمرارية في الاسلام تلك التي قد تم انجازها بواسطة الخلافة القرشية،

---

(١) وانه دون شك من الصحيح القول ان نقد ابن حنبل للرواية قد برهن واقعياً بأنه نقد غير كافٍ وإنه بعيد عن حد الكمال، وان تلميذه قد مارس وطبق تقنية نقدية اكثر دقة وتنقيحاً. وبرغم ذلك- فقد انتقد اوعيب عليه كفقيه جولدتسيهر في بحثه بالالمانية- Neu. Materialien zur litteratar des Veberliferungs – wesen bei den Muhammed anern (في DMG مجلد ١٨٩٦/٥٠ ص٤٦٥-٥٠٦) (مادة جديدة عن الحياة خلال الفترة المحمدية) إذ يبدو اكثر تحمساً؛ فالمسألة هي:- ان افكاره قد بدأت العمل جديداً بهدف تطوير الإسلام. وعن احمد بن حنبل والحنبلية ينظر Patton احمد بن حنبل والمحنة (بالانجليزية) ليدن ١٨٩٧، كذلك اج لاوست Laoust في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة ثانية) مجلد١ ص٢٧٢ ومابعدها؛ لَاوست ايضاً: الحنابلة (بالفرنسية)(الحنبلية في عهد الخلافة العباسية) في مجلة REI١٩٥٩ ص٦٧-١٢٨) Lehanbataisme sous de Califat de Baghdad

(٢) ان مسعى ابن حنبل الرئيس قد طبق بشكل طبيعي على القتال ضد عقائد المعتزلة والمناظرة والمنطق، وكان نفسه ثابتاً على المبدأ في الدفاع عن مفهوم تجسيم الله. ومن الجهة الأخرى فانه فصل نفسه عن الميول الفارسية في عصره، ففي نظره ان النتائج النهائية لهذه الحركة انما هي نتائج ضد الاسلام.

«التي ليس لاحد الحق في معارضتها». والنتيجة لابد ان تكون بان شرعية الخلافة الأموية لايمكن انكارها والتبرأ منها[1] ومن هنا ايضاً نتابع بأنه خلافا لأغلبية معاصريه، فانه لم يرفض الاعتراف بالنقل السوري والمؤيد للأمويين (حتى وان كان بالكاد يحمل أي مودة وميل نحو الحكام الأمويين)، ولكنه لايضع النقل السوري بمنزلة تعادل وتضاهي النقل السني (الارثودكسي) ولا النقل الشيعي المعتدل.

وفي مذهب أهل الحديث المتعاصر كما وجدناه ينطبق على ابن سعد وغيره من مؤلفي مجموعات الطبقات .فالاراء الشخصية للرواة المتميزين في المقام الأول هو الذي حدد وقرر تقييم ثقافته واقصد ميل واتجاه القصص والمرويات او القاص والراوية اكثر من الدقة والاتقان العلمي. ومع ان ابن حنبل لم يتخلى بوضوح عن هذه الرؤى، فإنه يظهر اقل اهتماما بوجهات النظر الفرقية الموجهة أكثر من اسلافه بها. فالرواة السوريون والمؤيدون للأمويين من امثال الزهري لايمكن إدانتهم، كما هو الحال بالنسبة إلى المؤلفين الآخرين، لكونهم قد خدموا الأمويين بصفة موظفين حكوميين، حتى وان كان هناك شكوك بخصوص وجهة النظر الدينية للشخص الذي نحن بصدده فانه مع ذلك يؤدي دوراً ما في تقييمه، ومن الواضح فانه يعتبر المصداقية الشخصية للراوية ونقل المعلومة غير الجوهرية او العرضية أمراً حاسماً وقاطعاً بما له علاقة بمدى ملائمتها للتطبيق[2]، فان هذه الاستشراف الاساسي يفيد في شرح وتفسير التساؤل الآتي لماذا كان ابن حنبل وفي الاجزاء التاريخية الخالصة في فقهه يتابع الزهري كمخبره او راويته الرئيس مع انه لم يكن ابداً، وهذا مغاير بشكل جذير بالملاحظة مع الرواية البصرية، المصدر الاخير والنهائي والمطلق، ولكن لأنه وبشكل مجرد الناقل الرئيس لمرويات شهود العيان واقصد في جميع المظاهر التكييفات

---

(١) الحقيقة التي تفيد بأن معاوية وابنه يزيد ينتمون بعد كل هذا الى صحابة النبي واتباعه والمرجح ان لهذا شأناً واهمية في هذا- الخصوص فالاتهام والشجب المطلقين دون قيد ربما يجلب على نفسه نتائج خطيرة.

(٢) يذكر السخاوي بان احمد بن حنبل قد كتب كتاباً عن (الاسماء والالقاب)Patronymics روزنثال، علم التاريخ ص ٣٧٠ ومابعدها؛ ينظر ايضاً ٢٦٣، ٢٧١، ٤٤٠ ان هذا العمل الذي قد نقل عن ابنه صالح يحتمل كانت له مكانة ووظيفة ومهمة في نقد التراجم وقد مارسها احمد بن حنبل وطبقها.

والتعديلات غير الموثوقة من النقل السوري .المدني[1]. ومن جهة النظر الموضوعية على نحو صارم فان نقده للرواية في هذا المجال ايضاً تعاني من عيوب ومواطن خلل جديّة، ومع انه نفسه كان بالكاد قادراً على ان ينظر عبر آلية في دحض وتحريف الرواية التي كانت قد حدثت. وعلى اية حال، فان المسألة الاساسية تبقى هي: .بطرح احمد بن حنبل مطاليبه الرسمية والواقعية ومحاربته ومقارعته المتعصبة ضد المعتزلة فانه قد ردّ بحجة معاكسة على المبادئ المعادية للاسلام من العقلانية، وانه قد عبّد الطريق في تجديد ثقافة وعلم تقليدي بجميع تشعباتها.

وهناك نقد اقسى واكثر صرامة للمادة التقليدية في الرواية عند تلامذته. فابنه عبد الله ابو عبد الرحمن بن احمد (المتوفى٩٠٣ . ٩٠٤) الذي حرّر وحقق فقهه، قد برهن ودلل على انه ناقد اكثر صرامة وصلابة لمثل هذه المادة التقليدية للرواية عن والده، الذي قد قبل بها على الرغم من التحفظ بخصوص الصدقية والموثوقية بالنقل؛ ومن بين تلامذته من المؤرخين – أبو خيثمة زهير بن حرب، الدورقي، وابن أبي خيثمة . فقد مارسوا أيضاً اعتدالاً أكثر بكثير منه. وبوسعنا ملاحظة كيف ان النقل السوري – المدني، الذي كان خلال اوائل العصر العباسي قد وجّه من المدرسة العثمانية الضيقة الافق في البصرة، وكيف إنه قد تولى الأمر في الربع الثاني من القرن التاسع هؤلاء المؤرخون الذين حملوها ونقلوها إلى بغداد، عاصمة النقاش والجدال السياسي. وقد تميز هذا النقل بشكل خاص على إنه تدبير وطريقة لمعالجة خالصة ومتجانسة بشكل استثنائي وممتاز، لذا وفي هذا المجال فقد واجهت وبطريقة مرضية الاحتياجات التي قد وضعها احمد بن حنبل وفي إحدى المسائل فقط فقد انحرف هؤلاء المؤرخون عن توجيهات شيخهم الأساسية: وبغية ان نكون رأياً وحكماً من المادة المتوافرة، فإنهم لم يحاولوا اطلاقاً ان يعودوا بالتحقق والتثبت من معلوماتهم إلى الوراء حيث شهود العيان لكنهم ابقوا على مرجعية الزهري وصالح بن كيسان بشكل ثابت على انهما النقل

---

(١) ينظر جولد تسيهر. «مادة جديدة» ص٤٧٤.

الأخير والنهائي، ومن الجهة الأخرى، فإن اسماءهم لم تظهر ابداً بخصوص الرواية الكاذبة والمزيفة للزهري الموجودة عند معمر بن راشد وتلميذه عبد الرزاق التي يظهر إنها كانت معروفة في بغداد في ذلك الوقت. ان هذا الاختلاف بين منهجية ابن حنبل وتلامذته هو اختلاف جدير بالملاحظة، وبذلك ومما لاشك فيه انه كان امراً متعمداً. وفي هذا المجال فان المؤرخين هنا كان يؤشر اليهم بأنهم، شأنهم شأن الفقهاء الذين كانوا من بين تلامذته، اكثر حنبلية من ابن حنبل نفسه.

ومن الجهة الاخرى فان تلامذة احمد بن حنبل لم يخففوا ولم يعدّلوا من هدفه الرئيس اطلاقاً. انه هدف في تجديد الاسلام استناداً على النماذج التي اقامها وعينها النبي والمجتمع المبكر جداً. وحول هذه المسألة ايضاً يبدو ان للرواية السورية – المدنية وظيفة مهمة وذات شأن في مناظرة المؤرخين الحنابلة. ففي المكان الأول، في طبيعة الاشياء، فقد اثبتت حالة الخلافة الأموية كحلقة شرعية وضرورية في المجتمع الاسلامي، وثانياً، فمن الممكن كما هو الحال في الفترة الأموية استعمالها بلغة المعارضة ضد التفسير الكوفي للفتنة، وثالثاً ونتيجة لذلك فقد أفردت نفسها عن الميول والاتجاهات المعتزلية المؤيدة لعلي والاتجاهات العقلانية والفعلية. وكما تحقق في اعلاه، بأن المدائني كان يختلف عن الواقدي ومحمد بن سعد في انه قد عاد مرة اخرى الى التاريخ الزمني الاساس للنقل الكوفي، وكذلك في انه وضع وفرض تشديداً اكبر على البواعث والدوافع الدنيوية لمعاوية. فان هذا التكوير conglomerate للعناصر من اصل وعصر مختلفين جداً لايمكن عرض أي مبرر وسبب للتفسير على انه السبب الوحيد المقدر للمواجهة مع وجهات النظر الشيعية، فالعرض عند المدائني دون شك يلتقي ايضاً مع التفسير الحنبلي حول الفتنة. وان ترتيبه للتاريخ الزمني للأحداث يتطابق بالفعل والشكل ولايمكن انكاره مع ذلك الترتيب الزمني للمؤرخين الحنابلة سواء كان بما يتعلق بالصدع في العلاقة بين معاوية والخليفة ام في التميز في الفرق بين اجراءات الأمويين وبين اجراءات معاوية؛ غير ان اتهاماته العنيفة الموجهة للوالي السوري قد تحرز وتحصل على ثقة وأهمية خاصة ويرجع ذلك للحقيقة الواضحة فعلاً بأنهم قد

انطلقوا في شنهم الهجوم ضمن هذه الهيكلية. وبكلمات أخرى، فالمرجح ان المدائني قد جادل بعنف ضد المؤرخين الحنابلة على نفس المستوى الذي كان هؤلاء المؤرخون قد اختاروه هم بأنفسهم.

وفي الكتابة التاريخية المؤيدة للعلويين والمعتزلة فان تحولاً يمكن ادراكه قد حدث من الواقدي الى المدائني، فمن محاولات ومساعي الواقدي في التوفيق والتسوية بين وجهات نظر العلويين والعباسيين، وبين اتهام المدائني المزاجي لمعاوية. واهمية هذا التطور ينبغي ان لايستخف بها وذلك لانها تدلل وتبرهن بطريقة لافتة جداً بان المعارضة الحنبلية ولابد انها كانت واسعة الانتشار ومقنعة جداً في مدن الاقاليم الشرقية وبأن الولاة، ومما لا شك فيه، بأنها على حق، قد فسّروها على انها خطر جدي على سياساتهم. وان هذا الاستنتاج يتفق وينسجم تماماً مع الاجراءات التي قد اتخذتها الحكومة من اجل شن هجوم معاكس على الحنابلة، interalia، وباقامة المحنة (inquisition)؛ ومن بين ضحايا المحنة احمد بن حنبل، وأبي خيثمة، والدورقي. وفي نطاق هذا الهيجان العنيف الذي شمل الكتابة التاريخية، قدمت لنا بعضاً من نفاذ البصيرة، مما يتعلق بالمعركة ومقاومة النبالة أو نبلاء المدن الارثودكس السنة ضد المساعي العباسية التي مورست بالقوة على المجتمع الاسلامي معتقدات غريبة عليه ومغايرة له، والتي كذلك وللمرة الأخرى تضمنت واستخدمت برنامج الخلافة ابان هذه الفترة.

(٣)

كانت احدى الآثار والسمات المتميزة في الفترة العباسية المبكرة الفتنة والجاذبية التي مارسته مدينة بغداد على المحيط الثقافي المعاصر، وبما له صلة بالكتابة التاريخية التي لم تستثن من هذه الآثار. فان عدداً من العلماء الكوفيين والبصريين والمدنيين، الذين حصلوا على ثقافاتهم في مدنهم التي ولدوا فيها او تلك التي حصلوا عليها خلال سفراتهم العلمية في طلب العلم، قد اجتمعوا في بغداد، وكان عليهم تقريباً ان يعملوا تحت تأثير الجماعات والدوائر القيادية في المدينة، اما في بلاط الخليفة او عند

الجماعات المعارضة. وهناك طريق متماثل من الممكن التحقق منه في ميادين السياسة والاقتصاد. فقد بلغت الخلافة العباسية الى مرحلة من التطور المثير للاعجاب جداً في الميدان السياسي، أما وفي النواحي الاقتصادية والاجتماعية وبوسعنا تقصي أثر نفس الاتجاه وذلك عن طريق التركز والتحشد في الكثافة السكانية في العراق، في حين ان بعض اقاليم الخلافة الاخرى، نظير سوريا ومصر فيبدو انها ظلت في حالة انحطاط وانحدار اقتصاديين. فقد شهدت المدن العراقية بروز وظهور طبقة وسطى اجتماعية مزدهرة وثرية، بصفة اصحاب بنوك وممولين لهم صلات مع البلاط الخلافي. الا ان هذا التوسع الاقتصادي قد أدى الى إحداث فجوة متنامية بين طبقة النبلاء الحضريين الرئيسية والقيادية وبين الطبقات الدنيا في المدن والريف، الفجوة التي بلغت في غضون القرن التاسع الميلادي الى حدّ نزاع وصراع كامن بين الشيعة المتطرفين وبين (الارثدوكسين) وبين السنة وتبلور اخيراً بحركة الاسماعيلية، وهي حركة قد ركزت كرهها على الطبقات (الارثودكسية) السنية تدريجياً.

كانت الاتجاهات والنزعات السياسية والثقافية في الاقاليم المركزية من الخلافة في القرن التاسع الميلادي ذات علاقة متبادلة بصورة واضحة. فعندما كان الجاحظ وهو الناطق بلسان المعتزلة الاكثر شهرة، في كتاباته وهي دون شك كتابات ملهمة قد شجعت عليها الدولة رسمياً كانت تلك الكتابات تجيب وتدافع عن قضية العقلانية، إذ كان لايناشد مجموعة اكاديمية ضيقة انما كان يناشد الطبقات الوسطى المزدهرة ذات المطامح والتطلعات الثقافية والفكرية؛ وعندما انتقد المعارضة المعادية للمعتزلة فإنما كان قبل كل شيء يهاجم الرواية الاسلامية التي قيدت المجتمع. فالنقطة الأساسية والحيوية في هذه المناظرات والمجادلات مع ذلك لم تزل تدور حول حق الخلافة وفيما إذا كانت تعتبر نفسها فوق القانون والشرع وان جميع الاخطار الناشئة وأن هذه التجربة ربما تخلق فجوة بينها وبين الاغلبية السنية (الارثودكسية) تلك التي تسعى منذ البداية جداً إلى محاولة الحصول على تأييدها ودعمها، والتي من الصعب جداً امكانية الاستغناء عنها. ان هذا التصادم في المصالح الذي تمت ملاحظته فعلاً في الكتابة

التاريخية عند المدائني والحنابلة واثبت كونه ذات طبيعة بعيدة المدى والأثر. فقد وجدنا عند المدائني ايحاءا آخر للمجادلة العنيفة ضد النزعات والميول والاتجاهات المؤيدة للأمويين على مستوى أقل سمواً ونفس الأمر ينطبق تقريباً على الجاحظ (المتوفى ٨٦٩ م)

فإن الجاحظ في كتاباته المبنية على المجادلة لسنوات ٨٣٠م ٨٤٠م تعمل مع ثلاثة مجموعات متميزة في ذلك العصر وهم: المعتزلة، حيث كان هو نفسه ضليعاً وخبيراً بها، إذ إنه كان معروفاً عنه بذلك؛ والشعوبية (وهي حركات فارسية)؛ واخيراً ما كان يسميه (النابتة) (The Raw Youth Party)[1]. ووصفه لهؤلاء النابتة يتطابق مع المجسمة المحافظين في الإسلام أما سياسياً فيتطابق مع الذين يوصمون بأنهم انصار مواليّ الأمويين، إذ ان قلمه اللاذع يمثله بالاتقياء أو الورعين الاوغاد Scoundrels السيئين. ولم يعط الجاحظ أي تعريف أو تحديد مفصل عن أي المجموعات – الاجتماعية والجغرافية – التي في ذهنه، غير إننا نعلم من الكتابات الأخرى بأنه يميز اجتماعياً بين النخبة المثقفة والدهاء الذين تربطهم رابطة مشتركة. ايضاً نعلم إنه إلى حد ما يشدد بغطرسته على ان التنور المدرسي والمتعلق بالتعاليم التقليدية الخاصة بمذهب ما Scholaslic، إذ أدرك هو بهذا المصطلح والتعبير وتلك المجموعة والدائرة Ciricle من العلماء العقليين التي ينتمي هو إليها، وعلى هذه المجموعة ان تسوس وتقود الجاهل؛ ونعلم اخيراً إنه قد تأسف بعمق على العكس، ان الرجل العادي يفضل ان يساس من قبل (المجسمة) الذين كما مثلهم يمثلون التقليدية الاسلامية المحافظة والضيقة الافق والمتعصبة[2]. فلكل هذه الواحدية المتحيزة التي يتصفون بها فإن الحدود الفاصلة للتمييز بينها توفر توضيحاً بيّناً وجليّاً للمعارضة التي واجهها العباسيون واصطدموا بها في الدوائر والمجموعات السنية (الارثودكسية) وإنه مما لاشك فيه بل من الثابت ان

(١) الجاحظ: النابتة ص٣٠٢- ٣٢٥.

(٢)النجم-T-: الانجليزية) دراسات في كتابات الجاحظ (اطروحة غير منشورة، لندن ١٩٥٨ص ٢٠٨ ومابعدها من الصفحات.

هذه المعارضة العقلية التي وجدت لها اسلوباً للتعبير وسط التيارات الشعبية المؤيدة للأمويين التي ظهرت في هذه الفترة. ففي مناظرات الجاحظ فإنه يشبّه ـ ولعله بطريقة مبالغ بها نوعاً ما ـ الميول والاتجاهات المؤيدة للأمويين والاعجاب بفضائل معاوية، إنها السجايا المتميزة التي يمتلكها أصحاب النبي والتابعون ويشبهّها باعجاب المتطرفين الشيعة بعلي. وكان يوجه وابل شتائمه ونقده بالمقام الأول إلى دنيوية وحب الأمويين للدنيا، ولاسيما معاوية. وهكذا فإن الجاحظ يصنف نفسه أو يصف نفسه جنباً إلى جنب مع المدائني؛ وانه يشدّد على ان الأمويين قد استنزلوا لعنات الكفر على انفسهم بجرائمهم ضد علي وانصاره وباغتصابهم سلطة الخلافة[1].

فالتيارات المؤيدة للأمويين ذات المضمون والمحتوى متنوعة ومختلفة بدرجة كبيرة ويمكن تتبع اثارها حتى النصف الاول من القرن الثامن الميلادي. ومما لاريب فيه ان القبائل العربية السورية قد طوقت نفسها Surrounded بنطاق الذاكرة لايام عظمة ومجد الخلافة في عهد معاوية ويزيد بالاحترام والتبجيل، الا ان هذه التيارات لم تحرز أي اهمية سياسية الى ان اعارت نفسها واضفت على نفسها الاستثمار والاستغلال من قبل الفرع الاول والمبكر من الدولة، السفيانيون، ضد الفرع الآخر[2]. المروانيين. وقد انشغل هذا النمط من الرواية بالمقام الاول بصفات وسجايا معاوية الشخصية، ومع ذلك فان مسألة اساسية تخص الراوية مسلمة بن محارب (المتوفى تقريباً سنة ٧٦٥ ـ ٧٨٥) ـ وهو أحد افراد الأسرة السفيانية، بميزة اضافية الى تلك اذ انه حسبما يظهر كان عليه ان لايقرّ هجوم الرواية الكوفية على معاوية. وظل الامر كذلك حتى تغيير الدولة في سنة ٧٥٠م اذ يظهر ان هذه الرواية قد استخدمت بصفة اسطورية عند ما، وفي مواجهة

---

(١) وهذه بشكل خاص الحالة في كتابه امامة معاوية بن ابي سفيان، رسالته في النابتة، ورسائله في امر الحكمين (شارل بلا، معاوية ص٥٣ ومابعدها، الجاحظ: النابتة ص٣٠٢-٣٠٥، الجاحظ: شارل بلا بحث (بالفرنسية) رسالة غير محققة عن الجاحظ حول التحكيم بين علي ومعاوية Une risala inedited de Gahiz sur larbitrage enter Ali et Muawiya (مجلة المشرق ١٩٥٨ القاهرة). ص٤١٧ – فما بعدها.

(٢) لامانس الامويون ص٣٩١ ومابعدها من الصفحات ينظر Acta Orientalia جزء٢٧ ص١٠٩ ومابعدها

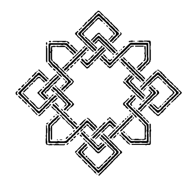
للاتهام الرسمي ولشكوك علماء الحديث، صار عليها لزاماً ان تحدد وتوضح موقفها ازاء فضائل معاوية ويزيد. ومن المحتمل إنه بسبب هذه الهجمات فانه عند عدد من الرواة، عبد الله بن المبارك المروزي (المتوفى سنة ٧٩٧م) والسوري اسماعيل بن عياش. صار بوسعنا ملاحظة عدة طرق لفهم مفاهيم للإمام يشابه تلك المفاهيم الشيعية، والتي لابد ان تكون قد نشأت وظهرت للوجود خلال المناظرة والمجادلة ضد هجمات الشيعة[١]

وعلى اية حال، ليس هنالك من سبب للاعتقاد بأن صياغة هذه الرواية في نهاية القرن الثامن الميلادي قد حصلت على ارضية او حجة اكبر أو إنها قد تمتعت باعتراف عام وكبير، باستثناء انها كانت تعبّر عن ردّ فعل امام اتهام الخليفتين الأمويتين الاولين، اللذين، برغم كل شيء، فانهما كانا من بين صحابة النبي والتابعين. وعندما كان هذا الاتهام في عهد المعتزلة فقط قد اتخذ صفة الاستقامة في الخلق وانها قد ترافقت وارتبطت بالهجوم على التقليدية عندها اكتسبت الرواية المؤيدة للأمويين هدفاً عاماً بشكل أكبر. وبامكاننا، بشكل عام، التحقق من ان الرواة الثانويين امثال السوري هشام بن عمار، والدمشقي، في العقود الوسطى من القرن التاسع الميلادي قد عاودا هذا النقل؛ وبوسعنا متابعة اقتباسات المدائني المتكررة عنه، ومن أجل ان يفصل نفسه بحزم عن هذه الرواية واخيراً فإنه أزاء هذه الرواية ايضاً قد تحول الجاحظ في هجماته الساخنة ضد الاعجاب بمعاوية[٢]. وبالكاد فإن مسألة الاعجاب بالأمويين له أية صلة بالحنابلة ولكنه قد ظهر ونشأ تلقائياً، وعلى العكس، فإن الحنابلة بمبادئهم الانضباطية والصارمة يكون من الصعوبة عليها ان تعترف بصياغة رواية غير متكلفة وعطوفة homely. مهما يكن فالحالة مشتركة بين كل منهما إذ إنها قد انبثقت من السنة (الارثدوكس) في مدن الاقاليم الشرقية — فالتيارات المؤيدة للأمويين كانت معروفة في العراق وفارس وخراسان — وان كليهما قد تحول بشكل مطلق ضد المعتزلة.

(١) Acta Orieutalia جزء ٢٧ص ١١٣ ومابعدها من الصفحات.

(٢) ينظر Acta Orientalia ص١٧ ومابعدها.

وهكذا فإن رواية العلماء والرواية الشعبية على حد سواء قد قد عكستا الصراعات العنيفة بمعتقداتهما الأساسية والبعيدة الأثر حوالي منتصف القرن التاسع الميلادي المتعلقة بتبرير وتسويغ الرواية الاسلامية



القسم الثالث

محاولات ومساع للتسوية

تمهيد

تاريخ الخلافة السياسي والثقافي في النصف الاول من القرن التاسع الميلادي يمثل فترة انتقالية . فالمظهر الخارجي قد تميز بالعظمة والروعة المحيطة بالبلاط في بغداد وبجهد عاقد العزم الي درجة كبيرة من قبل الخلافة في الهيمنة على تطور الاسلام عقيدياً وسياسياً. وان الانحلال والتفكك الاقليمي في مرحلة مبكرة .الدولة الأموية في قرطبة والدويلات polities في شمال افريقيا والطاهريون في بلاد فارس .لم تكن حتي الان قد اثرت في وحدة اراضي الخلافة. وعلي أية حال، فان الشؤون الداخلية قد عرضت صورة مختلفة : ـ فالحالة السيئة للامور المالية للحكومة ويعدّ هذا نتيجة من نتائج نظام الاقطاع بالالتزام Farming لجمع الضرائب وفي منح الاقطاعات الي الموظفين بدلاً من الرواتب والأجور قد أدى هذا بالتدريج إلى تجريد الخليفة وحرمانه من حريته في الاداء، لاسيما عندما حلّ المرتزقة الاتراك على نحو واضح محل المقاتلة العرب في سنوات عام ٨٣٠م. وهناك عامل اضافي أدى إلى هذا التقويض والاضعاف في سلطة الخليفة وهو يمكن في التسرب والتخلل الشيعي في البداية في الارادة، وبصورة خاصة في خزانة الدولة، وهي عملية قد قادت الى النتيجة المنطقية في سنة ٩٣٧م بتأسيس منصب أمير الامراء؛ ومنصب الوزير، وعلى أيةحال وعلى نحو دوري، تقلده شيعي، الذي كان لأسباب دينية يشعر بأنه غير ملزم أزاء

الخليفة السني (الارثودوكسي) في حين كانت صلاته وروابطه مع المصرفيين البارزين في بغداد الذين كان بمقدورهم متابعة و تعقب سياسته المستقلة إلي حدّ ما.[١]

المهم بشكل اساسي في هذه الفترة ان العباسيين، ازاء تنامي المقاومة السنية (الارثدوكسية) استمروا في اصرارهم على حقهم في الفصل والتقرير عملياً بما هو شرعي في المجتمع الاسلامي. وفي ضوء ذلك فان المأمون .بتخليه عن خطته في تدبيره الدولة لصالح العلويين .في سنة ٨٢٧م يكون قد رسّخ رسمياً تفضيل على أي شخص آخر و يكون قد وجّه مساعيه في حظر الاعجاب بمعاوية،[٢] ومن ثم فانه بعد ست سنوات قاد سياسته الي نتيجتها المنطقية بجعله المعتزلة المذهب الرسمي. وقد أثارت هذه الاجراءات ردّ فعل (ارثودوكسي) سني عنيف بزعامة احمد بن جنبل.[٣] فالظروف الخارجية وكذلك قوة المعارضة قد اجبرت خليفة المأمون المعتصم (حكم من ٨٣٣ . ٨٤٢م) الى ترك العاصمة المضطربة والمشاغبة Turbulent، والانتقال الى المدينة المؤسسة حديثاً، سامراء.[٤] واستطاعت المعتزلة بمساعدة العامل المساعد المحنة فحسب من البقاء عقداً آخر حتى سنة ٨٤٨م، عندما صار الموقف حرجاً جداً اذ ان المتوكل كان عليه ان يلغي الإعتزال ويقضي على المعتزلة كمذهب للدولة وتدريجياً اتجه نحو القبول بالمبادى الحنبلية وكانت الفرصة الملائمة المباشرة، من غير ريب، محاولة يائسة وغير ناجحة في تحرير الخلافة من التأثير الخانق Stifling للحرس التركي،[٥] ولكن استسلام المتوكل بشروط مع ذلك يعدّ حدثاً ذات مدي

---

(١) مانسيون (بحثه بالفرنسية) دراسات، حول الشيعة المتطرفة في بغداد نهايه القرن الثالث الهجري Researches sur les Shiites entremistes a Baghdad a la fin du toisie'me siecle de l'hgrira في مجلة ZDMG (مجلد ٩٢ /١٩٣٩) ص ٣٧٨ وما بعدها؛ ينظر سورديل Sourdel، بالفرنسية (كتابة الوزارةالعباسية في سنة ٧٤٩ الى ٩٣٦م) ٩٣٦ . ٧٤٩ Le vizirat Abbaside de صفحات هنا وهناك (دمشق ١٩٥٩ . ١٩٦٠) ٩٣٦.

(٢) المسعودى: مروج جزء ٧ ص ٩٠٢ وما بعدها من الصفحات.

(٣) عن المعارضة الحنبلية والمحنة بصورة عامة بتّون Patton كذلك اج لاوست في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة ثانية) مجلد ١ ص ٢٧٢ وما بعدها.

(٤) المسعودي جزء ٧ ص ١١٨ وما بعدها من الصفحات.

(٥) نفس المصدر جزء ٧ ص ١٩.

واسع جداً كيان او بالحقيقة اعلان ان سلطة الخلافة ينبغي عليها ان تتخلى عن الاصرار بأن آهليته كامام مؤهل او مخول لتثبيت وترسيخ الخط الاسلامي الديني والسياسي الرسمي. وبعد هذا الوقت فان هيكلية وبنية الاسلام (الارثدوكسي) السني قد تثبت باجماع الامة Communal Precepts ، حتى وان كان الفقهاء السنّة[1] (الارثدوكسيين) والقضاة بفصل سلطاتهم ان يكونوا قادة.

وهذا لا يعني القول ان التذبذبات لم تعد ظاهرة في موقف البلاط الخلافي، فالصراع والنزاع بين (الارثدوكسيين) السنة والشيعة كان مع ذلك جليّ وبادي للعيان، على الرغم مما يبدو بأقل ثبوتاً ورسوخاً في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي مما كان عليه سابقاً والى مدى اكبر عما كان عليه في أيما وقت مضى إنها مصممة محددة بالموقف الحالي. فالعوامل متنوعة فيما يتعلق بالمقدرة والقوة والمغايرات في البلاط الخلافي وبالتماثل وجهات نظر لشخصية المحازبة المتنوعة قد جعلت نفسها تؤمن وتعتقد من غير اي استمرارية صارمة. فمما هو ملفت للنظر تزايد التخلل والتسرب الشيعي الى ديوان المال وإلى المعارضة والمقاومة التي أثارتها هذه العملية. وفوق ذلك فان تحول الشيعة المتطرفين الى حركة اجتماعية ثورية الاسماعيلية وبداية الانتفاضات والثورات (الاسماعيلية) في الاقاليم والتحول نحو القرن العاشر الميلادي كل هذا قد اجبر البلاط الخلافي أيضاً على ان يحدد بوضوح موقفه من النزاعات الدينية.[2]

ومن دون شك فان التسويات قد برهنت و دللت على انه لا محيص عنها ويتعذر اجتنابها بين الحركات المتنافسة inter alia وذلك بغية صياغة جبهة مشتركة ضد تسرب الإسماعيلية، ليس فقط من وجهة النظر السياسية انما ايضاً من وجهة النظر الدينية

---

(١) سورديل بحثه بالفرنسية (السياسة الدينية لخلفاء المتوكل). La politique religieuse des successeurs dal – Mutawakkil في مجلة Stavdia Islamica (باريس) ص ٥ . ٢١.

(٢) الطبري مجلد ١ ص ٦ . ٧ ينظر مهدي M في دراسته بالانجليزية (فلسفة التاريخ عند ابن خلدون دراسة في الاسس الفلسفية لعلم الثقافة) Ibn Khalduns Phoilosophy of History study in the Philosophical Foundation of the Science of culture لندن ١٩٥٧) ص ١٣٦.

والثقافية. ففي الميدان الفقهي فان من اكثر السهامات شهرة كانت تكمن في مساعي الاشعري (المتوفي سنة ٩٣٥م) البارعة والماهرة لخلق وايجاد وجهات نظر محصله ومركبة (للارثدوكسية) السنة والمعتزلة، وان المؤرخين لم يبقوا أيضاً بمعزل أو غير متأثرين ببواعث آثار الدفع من العقلانية وان مثل هذه المحاولات مع ذلك يمكن اقتفائها في الكتابة التاريخية الجريئة والمفصلة عند المسعودي (المتوفي ٩٥٦م)، اذ حاول للمرة الاخرى ان يسوي بين التفسير المؤيد للعباسيين وذلك المؤيد لعلي بشأن الفتنة.[١] ونفس الاتجاه والنزعة قد وجد له اسلوب للتعبير في تقويم على انه علم مساعد على النموذج الارسطوطاليسي في أدب علم السياسة اثناء هذه الفترة. والنتيجة الرئيسة لصراعات القرن التاسع الميلادي، على أية حال قد اثبتت وبرهنت على ان الكتابة التاريخية كما هو الحال في قواعد ضبط الحديث قد احتفظت باستقلاليتها وواصلت الاعتماد على اسس المادة التقليدية في الرواية كما تم نقلها وان علم التصنيف الاستدلالي الذي احتاجته وتطلبته المعتزلة لتبرير وجودها لم يتغلب على المصاعب على نحو حاسم، وحتي بالنسبة الى المسعودي فقد كان عليه لدرجة كبيرة ان يتبع طرق ومناهج الجمع في التأليف. ففي مقدمته لتاريخ الرسل والملوك شدّد الطبري، في الواقع، على اعتماد وتبعية المؤرخ على النقل، الذي ينبغي، على أية حال، ان لا يستخدم بهدف «الاستدلالات العقلية او التنوير الفكري». فاعتماداً عليه فانه قد سعي بامانة واخلاص ليوجد ثانية وينتج ثانية ما كان قد تعلمه من المؤلفين الاخرين. ومع ذلك فان الكتابة التاريخية في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي قد اكتسبت شخصيتها عبر سلسلة طويلة من التركيبات (المحصلات) Stytheses تلك التي لخصت عمل الاجيال السابقة. وان من اكثر المؤرخين شهرة لمثل هذه المجموعة: البلاذري، الطبري، الدينيوي، اليعقوبي. ومع انهم يختلفون بشكل واسع في الجدارة وفي ابداء وجهات النظر فان هؤلاء المؤرخين يشتركون في المحافظة على او في التوكيد على أسس الرواية، وفي نفس الوقت فإنهم قد شهدوا على امكانية ايجاد

---

(١) اتمنى ان تكون هناك فرصة فيما بعد لتفسير وتقديم بياناً عن رواية المسعودي حول النزاع بين علي ومعاوية.

محصلة أو تركيبة دائمية وثابتة بشأن هذه المادة. ومن المحتمل ان تطور المعتزلة قد اسهم توضيح وتفسير الموقف (الارثدوكسي) السني والشيعي المعتدل، على الرغم من انه ليس بوسعنا الاعلان على إنه لا مجال للبحث في الامكانية بان الدوافع او آثار الدفع .او اذ شئت التحدي .من المعتزلة قد أثار او استدعي هذه الأعمال. فبالنسبة الى العالم الخارجي ان هذا التحول في الاهتمامات وفي المناهج كما انعكس في الادب التاريخي يثبت نفسه على أية حال في ان المصطلح الفني للتعبير الشائع والسائد علم الاخبار قد حلّت محله كلمة تاريخ، الذي يغطي العرض التاريخي الزمني المتعاقب والمترابط منطقياً.[١]

البلاذري (المتوفى ٨٩٢م)

كثيراً ما يؤكد الباحثون على ان اعمال ومؤلفات البلاذري: .كتابه انساب الاشراف وكذلك كتاب فتوح البلدان .قد فاقت الى حدّ بعيد الكثير من مؤلفات المؤرخين الاسلاميين القدامى وذلك يرجع إلى تجرده وعدم تحيزه الواضح[٢]. حتى ان معاصريه واخلافه قد امتدحوه كرجل له أهلية وجدارة كبيرتين، والحقيقة انه قد عمل تحت اشراف البلاط العباسي الأمر الذي جعل من المستحيل على المؤرخين الآخرين، بصرف النظر عن ملاحظاتهم الشخصية الانتفاع من مادته ومرجعيته ومصدريته، حتى ان شيعياً مثل الشريف المرتضى قد برّر مثل هذا الاجراء بالتصريح (بأنها معرفة مشتركة وعامة بان مصدراً سنياً معترفاً به، وانه لايؤيد بأية طريقة الشيعة؛ وإنه دقيق في كل ما يقوله[٣]. ان اعتبار البلاذري العالي وتقديره قد أصبح ثابتاً في البحث الحديث والمرجح ان ذلك يرجع إلى عدم طمسه وعدم قمعه الرواية المؤيدة للأمويين. فإن هذه الحالة التي جعلت اداءه مصدراً تاريخياً قيّماً بالنسبة الينا ولكنه ليس بالامكان ان

---

(١) روزنثال، علم التاريخ ص ١٠ ومابعدها من الصفحات.

(٢) باستثناء تقويم روزنثال في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة ثانية) مجلد ١ص٤٧١ ومابعدها، الذي بالغ في تقدير مكانته كمصدر.

(٣) ينظر البلاذري: الانساب المقدمة جزء ٥ص٢٣،٩ ومابعدها من الصفحات

نعيد تقييم حقيقي لتدوينه التاريخي من مؤلفاته. ان آليته الأمينة والموثوقة في الرواية التقليدية واقتباسه الصادق للأدلة من كل من الفريقين لا تحول دون أي ميل اواتجاه بديهي وافتراضيpriori . وفي الواقع إنها قد تسبب باثارة الاسئلة عن السبب الذي اختار فيه البلاذري هذا الترتيب والتنظيم وفيما إذا كان يعزى هذا إلى خطة ومشروع مقصود ومدروس ومن ثم متحيز.

وان اس.د. كويتاين[1] محق في لفت الانتباه الى ان ترتيب وتنظيم كتاب أنساب الأشراف المتناقض ظاهرياً، والذي لم يؤد الى اضعاف البنية والهيكلية التي تحركت الكتابة التاريخية الاسلامية ضمنها فقط، لكن تلك التي جعلت الكتاب كمعلم وأثر في كتابة التراجم والأنساب والتاريخ في قوة ومقدرة الامبراطورية العربية. وانه لفت الى الاستنتاج «بان خصوصية وميزة الكتاب في التدوين التاريخي (يحتمل) انها عكست حقيقة تاريخية واقعية» وشدّد على ان موضوعية البلاذري لايمكن ارجاعها الى استقلال الحكّام الاقتصادي، ولكن الى عرضه المتعاطف نسبياً من سلطة الخلفاء الأمويين المطلقة وكذلك إلى الادارة القوية وهذا ربما يؤكد على رغبة الخلافة العباسية في متابعة خط مماثل[2]. وعلى اية حال فان وجهة النظر هذه قد اقتضت ضمناً وفي المقام الأول، على ان الخلفاء العباسيين انذاك، إذ تمتع البلاذري بحظوتهم ورعايتهم، قد اعترفوا بشرعية الخلافة الأموية، وفي المكان الثاني، فان معاصريه قد اعترفوا أيضاً بالحقيقة التاريخية كما عكستها آلية البلاذري التاريخية. وبمعنى اخر، فمن المفترض انه قد عمل استناداً الى وجهات نظر علمية حسب المفهوم الحديث. ليس اي من هذه الافتراضات المسبقة ممكن الدفاع عنها بداهة.

وعلى وجه الاجمال، فإن عمل البلاذري يشمل الفترة حتى خلافة المنصور (٧٥٤ـ

(١) العرض التالي يستند بشكل كبير على مقدمة كويتاين الرائعة في طبعه اورشليم (القدس) الجزء الخامس؛ ينظر نفس المؤلف: مكانة البلاذري ص٦٠٣ ومابعدها من الصفحات.

(٢) البلاذري: انساب جزء٥ (مقدمة ص١٥ ومابعدها. وقد اقتبست هذه الفكرة من مرغليوث: محاضرات ص١٦

٧٧٥) وان مخطوطة اسطنبول التي اعتماداً عليها قد طبع الكتاب وتحتوي على ١٢٢٧ ورقة (٢٤٥٤صفحة)[1]، منها اقل بكثير من الثلث (٤٥٤ ورقة) تتعامل مع الخلفاء الأمويين فضلاً عن هذا هناك بحوث ومناقشات مفصلة عن خلافة عمر وعلي، ٧٠ ورقة و٥٧ ورقة على التوالي. ومن بين الأمويين فان الاهتمام قد تركز بشكل مهيمن على حكومات معاوية وعبد الملك، إذ خصص عنهما على التوالي (٦٠) ورقة و(١٣٠) ورقة، في حين قد اعطى للخليفتين العباسيين الاولين حوالي (٣٠ورقة) لكل واحد منهما فقط، وهناك شخصيات مرموقة اخرى من الدولة العباسية قد تعامل معها بشكل سطحي فحسب. وان آخر ترجمة مفصلة خصصها للحجاج بن يوسف، وهو والي عبد الملك المثير للرعب Awe – inspiring، في العراق. والاهمية الرئيسة هكذا ارتبطت واتصلت بالخلافة القرشية في أزمنة الأمويين، وبضمنها ايضاً الفترات الحاسمة للأزمة في التاريخ الاسلامي المبكر جداً.

ان فحص تخطيط وترتيب كتاب فتوح البلدان للبلاذري ستؤدي الى ذات النتيجة. والحقيقة بأنه كتاب محدود زمنياً بالعصر الأموي ولم يكن هذا بالأمر العجيب وذلك حينما نرى التوسع في الامبراطورية قد توقف مؤقتاً في اواسط القرن الثامن الميلادي*

(١) عن الاتي ينظر البلاذري: انساب (جزء ٥) مقدمة ص١١ ومابعدها من الصفحات؛ حمد الله: ام (بالفرنسية) بحث عن كتاب الانساب للبلاذري في مجلة دمشق ص١٩٧ ومابعدها من الصفحات) (Le livre des genealogies' d.al Baladuri) Bulletin d'etudes Orientales

* درس عدد من الباحثين العرب والمسلمين البلاذري ومكانته العلمية وموارده في الانساب والفتوح في رسائل جامعية منها مثلاً رسالة د. حسين البهادلي عن رواية البلاذري عن فتوح بلاد الشام، وهي رسالة ماجستير غير مطبوعة سنة ٢٠٠٠، ورسالة احسان صدقي العمد، البلاذري، وهي رسالة دكتوراه من جامعة الكويت سنة ١٩٧٨. ولقبه البلاذري نسبة الى البلاذر شجر ينبت في الصين ويزرع في الهند. وقد اختلف العلماء في الشخص الذي شرب البلاذر فهل هو جابر (الجد) ام احمد، بمعنى من شربه فوسوس ولعل هناك مبالغة في ربط شراب البلاذر بالبلاذري وربما تعني ان عائلة البلاذري قد نزحت من منطقة تشتهر بذلك النبات. كان البلاذري كثير الرحلة في طلب العلم وواسع الاطلاع وكان يتابع الوصول الى الوثائق وقد تميز بحس ادبي رفيع. وانه اعتمد في معلوماته على مصادر مشهورة كأبن سعد والواقدي والعباس عن ابيه هشام الكلبي. وكان راوية للشعر. واعتمد كتاب البلاذري الفتوح علماء كثر امثال ابن الفقيه الهمذاني، والمقدسي البشاري، والمؤرخ ابن العديم. وقد دلل الباحث البهادلي ان كتاب فتوح البلدان المتوافر ناقص ومختصر (ينظر البهادلي، حسين: رواية تحرير بلاد الشام (رسالة) (المترجم)

وان الخلفاء المتأخرين نتيجة لذلك لم يتم ذكرهم إلا بشكل متقطع ومتفرق[١]. لابد ان يكون هدف البلاذري في ان يقدم وصفاً منظماً ومرتباً عن الامبراطورية جغرافياً وإلى حد ما تاريخياً وكذلك ليقدم وصفاً لنظام ادارتها. وفي هذا الخصوص ايضاً يذكر بأن ذلك يعدّ من «مزاياه وخصائصه في التدوين التاريخي» وهو بذلك يعكس الواقع التاريخي. ولكن هذا ايضاً لم يكن من الناحية الافتراضية والبديهية يحول دون وجود ميل او اتجاه. ومما هو جدير بالملاحظة ان كلاً من اقسام الكتاب الرئيسة ينتهي برواية عن التعريب في عهد عبد الملك لنظام الدولة وادارتها[٢]. كذلك يجدر ملاحظة ان المناسبة في المثال الاول هي بشأن عدم جدارة الموظف اليوناني**، اما المثال الثاني فقد حدث بالنسبة للاداريين الفرس. فهذه المقترحات القليلة وحدها تشير الى انه حتى وان كان وصفه لمؤسسة (المملكة العربية) ونظامها يحمل انطباعاً عن الحقيقة التاريخية، فالكتاب يصعب القول إنه قد ألف لمقاصد وأغراض علمية، ولكن لغرض تزويد وصف انموذجي لتكوين وبنية المجتمع العربي. ايضاً فان هذا التأليف يؤيد الانطباع بان اهتمام البلاذري في الاختلافات بين الفرق التقليدية انما هو اهتمام ثانوي بالنسبة إلى معالجته العمل البنائي الهائل الذي كان يشكل الاساس في تنظيم الامبراطورية. وفي هذا المجال أيضاً، نعتقد بصحة طريقة تناوله للمصادر التي تميزت بواقعيتها ورصانتها، لاسيما اذا ماقورنت مع الجيل السابق.

اما من ناحية التدوين التاريخي فان كتاب البلاذري (أنساب الأشراف) كما اشار الى ذلك كويتاين، يمهد السبيل مجدداً بماله علاقة بنماذجه وأمثلته ونهجه. حقيقة، ان الهيثم بن عدي قد الف بالفعل كتاباًبعنوان كتاب الأشراف[٣] غير ان تعاطفه الخارجي

---

(١) مثال البلاذري: فتوح ص١٣٤، ١٤٦، ٢٣٠، ٢٩٩ ٠حتي – مورغتن جزء ١ ص ٢٠٦، ٢٢٥، ٣٦١، ٤٦٢)

(٢) البلاذري: فتوح ص١٩٣، ٣٠٠ ومابعدها (حتي – مورغتن جزء١ ص٣٠١، ٤٦٥ ومابعدها

** ولعل المقصود سرجون كاتب معاوية [المترجم].

(٣) ابن خلكان رقم ٦٣٤ ٠دي سلان جزء ٣ص٦٣٤) ينظر البلاذري: انساب جزء ٥ المقدمة ص٢، كويتاين: البلاذري ص٦٠٣. [هو ابو عبد الرحمن الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الطائي (المتوفي سنة ٢٠٧/٨٢٢م) ويعدّ من بين المؤرخين الذين كتبوا حول (اخبار الفتوح) وفعلاً فان البلاذري قد اعتمد على كتاب الهيثم

وعدم الثقة به وعدم مصداقيته لعلها قد اعاقت كتابه لكسب الاعتراف. ومن الجهة الاخرى فليس هناك اي شئ مشترك بين كتاب البلاذري وكتاب ابن سعد في بنيته، ومن غير شك ان ذلك يرجع الى ان هدف كتابه يختلف عن هدف أدب الطبقات.أخيراً فانه قطع الصلة بأداء تلك الهيكلية التاريخية الزمنية التي كانت قد احرزت على اعتراف الجيل السابق. ان جميع هذه الظروف تؤشر الى ان هدفه في الانحراف عن الصيغ الراسخة والمعتادة لا تقدم عرضا مجرداً وغير مزخرف؛ فقد عمل البلاذري بشكل تحليلي بنفس الطريقة تماما كالتي في كتاب فتوح البلدان وانه قد اختار هذه الصيغة الخاصة بقصد وبشكل مدروس.

يظهر من المادة التي بحوزتنا ان البلاذري قد انتفع من المصادر المكتوبة والمصادر الشفوية على حد سواء، واكمل مثل هذه المعلومات التي وجدها في مؤلفات ابي مخنف والكلبي والهيثم بن عدي وابن سعد والمدائني بوسائل النقل الشفوية عن الأثنين الأخيرين: فاستخدم تعبير«اخبرني او أبلغني» الذي يظهر مكرراً، بينما في الاقتباس العادي .ايضاً عن ابن سعد والمدائني .فانه قصر نفسه وقيّد نفسه بذكر تعبير[(١)] (قال). ومن الواضح ان البلاذري قد عمل بجهد على مؤلفات رواته، وهي سجية وخصيصة مهمة بقدر ماكان هكذا قد حصل على وسيلة الوصول الى المصادر الأولية والأساسية أفضل من التعديلات والتكييفات الأخيرة لهم. وما اقتبسه من المصادر الشفوية، اذن، كان بشكل رئيسي عبارة عن ملاحق او تتمات خاصة. وقد ساعدتنا هذه الحالات بشكل اكثر في اعطاء تاريخ لمؤلفه على نحو دقيق الى حد ما. وبالنظر الى ان المدائني قد توفي في سنة ٨٤٠م وان ابن سعد قد توفي في٨٤٥م وان البلاذري يستشهد بالمتوكل (٨٤٧ ـ ٨٦١م)ex vivo ore[(٢)]، في حين ان كليهما المتوكل

في فتوح العراق والشام والمشرق خمس مرات. وقد اورد له ابن النديم كتاباً اخر عن هذا الميدان بعنوان (نزول العرب خراسان والسواد). ينظر الفهرست ص(١٥١)؛ وعن ترجمة حياته ينظر الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ج١٤ ص٥٠-٥٤). ياقوت الحموي: معجم الادباء ج١٩ ص٣٠٤-٣١٠) (المترجم)

(١) البلاذري انساب جزء ٥ (مقدمة) ص١٤ ومابعدها من الصفحات

(٢) البلاذري فتوح ١٤٦ (حتي – موزغتن ج١ص ٢٢٥) انساب ص٣٤٥ (دي غويه ص٣٨٥)

والمنتصر (٨٦١ ـ ٨٦٢) قد تمت الاشارة اليهما في مكان آخر على انهما قد توفيا، فجمع كتابه واعداده لابد انه قد امتد على مدى سنوات كثيرة جداً، والمرجح من سنوات ٨٤٠ م حتى في وقت ما من سنوات ٨٦٠م. ويحتمل ان كتابه فتوح البلدان قد ابتدأ في تأليفه في عهد المستعين (٨٦٢ ـ ٨٦٦م) وبالكاد إنه قد انتهى منه قبل سنوات ٨٦٨ ـ ٨٦٩ كأبكر فترة[١] ومن الناحية الزمنية فان الكتابين اذن قد ظهر الواحد منها قريباً من الآخر، وواقعياً، فانهما يكملان أحدهما للآخر في نواحي ومواطن كثيرة. والمسألة المهمة في هذا الصدد، على اية حال، ان التخطيط لهذين الكتابين لابد ان حدث بصورة متعاصرة الى حد ما،وحينما كان النزاع المتعلق بالمعتزلة لم يزل مع ذلك الموضوع الذي يحمل اهمية.

ينبغي، ان نلاحظ أخيراً بان آلية رواية البلاذري قد تميزت برصانة كبيرة. فانه يستشهد ويقتبس من رواته، باخلاص وامانة وحتى عندما يأخذ على عاتقه الاختصار فان اختياره كثيرا ما يكون قريباً جداً من فهم الاصل ومعناه اكثر مما قامت به رواية الطبري[٢] ونادراً ما نلحظ نقداً مباشراً في مؤلفاته، باستثناء مثال واحد في ادانته، اعتمادا على ثقة هشام بن عمار الدمشقي، لمعلومة عيسى بن يزيد المحرّفة بشكل لا سبيل الى الشك فيه[٣] فمن ناحيته نجد البلاذري قد اعلن عدم استحالتها بالموازنة بينها وبين الروايات الاخرى، وهي اعتماداً على معياره الأصيل، حول نفس الموضوع. ولعلنا يمكن وصف منهج وطريقة البلاذري اذن بأنه يعرض الجدال بطريقة الحوار التي قد وجدنا ذلك بالفعل يتردد عند المدائني.

---

(١) البلاذري: فتوح (مقدمة)، ص٢ [هناك رواية بأن المدائني قد توفى سنة ٢٢٥/ ٨٣٩م] (المترجم)

(٢) البلاذري، انساب جزء ٥ (مقدمة ص٢١ ومابعدها من الصفحات. [من الجدير بالذكر ان هشام بن عمار ثم يليه المدائني هما من اكثر الرواة التصاقاً بالرواية الأموية ويعدّ هشام وكأنه راوية محاسن وفضائل معاوية وسجاياه. وتعكس بعض رواياته كرواية معاوية والجارية الخراسانية وكأنه لايفارقه حتى في منامه وفي شؤونه الخاصة جداً (المترجم) البلاذري انساب ص١٥٤.

(٣) ينظر في هذا الكتاب ص٨٣، ٢٤٩.

ان اداء البلاذري بشأن اعتناق علي للاسلام، علاقاته بمحمد[١] يعتمد اعتماداً كبيراً على ابن سعد، اذ يرجع اليه العرض الحيوي عن علي vita ante datum، واليه ايضاً يرجع التبجيل والاحترام، ومهما يكن فانه يضيف انتقاداً لاذعا للخليفة[٢]، ولذلك فإننا نلتقي بالفعل بمنهجه الاستدلالي. ففي رواية المقدمة والاستهلال، وهي مجهولة المؤلف، نجد النبي قد تنبأ بخلافة ابي بكر وعمر وعلي،في حين قد أهمل عثمان، وهذا هو النقل السني (الارثودكسي)، على الرغم من انه نقل متحيز بشكل واضح[٣]، وعلى أية حال فان هذا النقل ومباشرة يوازن عن طريق تعقيب استقاه البلاذري من الدورقي واستناداً اليه فان علياً قد علّل ذلك الخطر من خليفة أموي جديد وكان باعثه الحقيقي الذي دفعه إلى قبول الخلافة[٤]، وهو قول في هذا المحتوى يصعب ان يكون موقفاً ايجابيا بشكل مطلق،لكنه بالاحرى نوعا من الهبوط المفاجيءanticlimax للنقل الاستهلالي. ونفس الشيء ينطبق على القصص بشأن تأليه علي التي تفقد تماما الدافع المثير عن طريق رواية أخرى تفيد ان علياً نفسه قد تذمر من الاعجاب المفرط به الى حد العبادة بانه كان هو المقصود به[٥]. وهذه هي المرة الاخرى التي يوازنها برواية من الزهري، الذي يقول فيها ان الراوية سعيد بن مسيب قد تدخل في النزاع بين علي وعثمان ويذكر بأن عثمان كان قد اعتنق الاسلام مبكراً. ويذكر ما لعلي من اعتبار

---

(١) وحول علاقات علي الشخصية واحواله ينظر انساب ص٤٢٥-٤٥٧ (ينظر كيتاني مجلد ١٠ ص٣٨٥ - ٤٦٤)

(٢) ينظر ابن سعد مجلد ٣ جزء ١ص١١-١٩. توازن مع البلاذري ص٤٢٥ - ٤٢٦، ٤٤١، ٤٤٥. (كيتاني مجلد ١٠ ص ٣٩١ ومابعدها من الصفحات) وبخلاف ابن سعد الذي جعل من علي المؤمن الاول بالإسلام فان البلاذري يؤكد ويصر ومصدره الواقدي ان خديجة كانت اول المؤمنين جاء بعدها ابو بكر ثم علي ثم زيد بن ثابت.

(٣) البلاذري ص ٤٢٩ (كيتاني مجلد ١٠ ص٤٠٤)

(٤) البلاذري (٤٢٩ كيتاني مجلد ١٠ ص٤٠٤ ومابعدها.

(٥) البلاذري ص٤٣٤ (دي غويه ص٣٩١) يشدد البلاذري مرة بعد اخرى ان ليس لعلي أي علاقة بالاتجاه أو بالنزعة المتطرفة التي كان عبد الله بن سبأ الناطق بلسانها (مع انها لم تكن حسب البلاذري الحالة الاولى البلاذري ص٤٤٩، ٤٥٥، ٥٨٥ (كيتاني مجلد ١٠ ص٤٣٩؛ ديللافيدا ص٥٠٤)

ديني يطوق صحابة الرسول الأول[١]. ومرة ثانية فان المسألة هنا هي ردّ فعل جليّ وانفصال متعّمد ومدروس لا سبيل الى الشك فيه من الصياغة الاسطورية عند الشيعة، وفي كلا المثالين وعبر الروايات التي عند البلاذري لابد انه كان يمتلك مرجعية أساسية بشكل متغاير مع الروايات الشيعية، وهكذا فانه ينكر التسلسل والتعاقب للخلفاء الأول وهي ظاهرة مشتركة تماما في زمنه. ومن الناحية الأخرى، لم يتجنب علي من إنه ـ وهنا بخلاف أبي بكر وعمر والى حدما معاوية ـ جلب على نفسه مسحة او أثراً هزلياً من خلال حكايات حاقدة لم تعرف الا عند البلاذري فقط[٢].

وبشكل مغاير للوصف الغزير بخلافة علي وللقسم الخاص بمعاوية عند الطبري، فان مناقشة البلاذري لحكومة علي، مع انها ضخمة جداً، لا تحتوي الا على قليل من المعلومات المتماسكة والموضوعية. فالصلح بين معاوية والحسن بن علي في سنة ٦٦١م قد درسها وتعامل معها في عهد خلافة علي؛ وحتى في مثل أحداث مركزية من أمثال الثورة الشيعية الحقيقة الأولى التي تزعمها حجر بن عدي في سنة ٦٧١م وإجراء معاوية بهدف تحقيق نجاح انتخاب يزيد خليفة له قد عولج بشكل سطحي تماماً. وحول الحدث الأولى من بين هذه الأحداث فإن البلاذري قد قيّد نفسه واقتصر على اقتباس من مصدر واحد أو مصدرين يستنكر فيه قتل ابن عدي، وحول الحدث الثاني فإنه لم يستعمل في هذا السياق سوى رواية أحادية، هي بمثابة تنبؤ مسبق للأحداث praedictum post eventum قد حذّر منه يزيد بشكل خاص ونبهه من اشخاص مثل ـ الحسّن بن علي، عبد الله بن عمر، وعبد بن الزبير ـ من احتمالية تخيل منافستهم له في الاسبقية[٣]. ان تقديم وعرض البلاذري لخلافة معاوية على وجه

(١) البلاذري ص٤٧٣، ٤٥٥ – ٤٥٦ (كيتاني مجلد ١٠ ص٤٠٥)

(٢) ينظر دي غويه ص٣٩١، بهل Buhl، علي ص٦ ومابعدها – وفي الترجمة السابقة ايضاً عن عقيل اخي علي فليس هناك من سر بعدم احترام عقيل له، او الحقيقة ان عقيلاً قد وقف الى جانب معاوية خلال النزاع.

* المقصود هنا الحسين بن علي لا الحسن (رض) (المترجم).

(٣) البلاذري؛ معاوية ارقام ٣٦٠،١٠٩،١٠٦(ينظر ٣٦١) و٣٩٠

الاجمال قد اتخذ شكلاً تحليلياً؛ مع إنه أحياناً جاء مضطرباً، وعلى شكل حكايات لتوضيح خصال معاوية الشخصية ومركزه الاجتماعي. وان جزءاً كبيراً جداً من موضوع البحث هذا، قد استعاره واستقاه من أطراف واشخاص كثيرين .المدائني والهيثم بن عدي وهشام بن عمار والدمشقي وغيرهم .قد عُرف من مصادر أخرى(١) غير اننا نراهم هنا لأول مرة احتمالية بأنهم قد اجتمعوا بصفة وصفية كاملة الى حد ما.

والبلاذري كأكثرية المؤرخين العرب لا ينكر بان معاوية كان ذا سمعة رديئة ومشهور بحبه للدنيا: مع عمرو بن العاص كناطق بلسانه قد دوّن البلاذري في رواية عن الهيثم بن عدي بانهما اثناء حملتهما ضد علي كانا يقاتلان من أجل أطيب الاشياء في الدنيا(٢)، وتابع البلاذري قوله بالصريح بأن معاوية قد تغلب على علي وهزمه بفضل خصائصه وسجاياه الشخصية، وبراعته مقابل استقامة علي وأمانته(٣)، وان هذا الخط قد وصل الى اوجه وذروته في الأداء المتعلق بتبادل الكلمات بين معاوية وعمرو بن العاص الذي برّهن بصورة غير مباشرة مرة أخرى على ان معاوية من الناحية الدينية قد أخفق في تحقيق المتطلبات او المطلوبيات الاسلامية الملحة والصارمة .فالرجل الحليم هو«الذي يعطي الاولوية للدين على أي مسألة أخرى على الاطلاق» ـ ولكن، من الناحية الاخرى، فانه يعترف بان معاوية يمتلك دون جدال القدرة والكفاية بأن يشغل منصبه: بالصبر والحلم والشهامة ورباطة الجأش(٤)، وقد دافع على ان الندم والتأسف

---

(١) بخاصة من مؤلفات ابن قتيبة والجاحظ

(٢) البلاذري معاوية رقم ١٦، كذلك رقم ١٠ (عن ابن الكلبي) [والرواية عن العمري عن الهيثم عن شيخ من حمير، ان عمراً قال لمعاوية ((والله ما تقاتل علياً ولايقاتلك ليدخل الجنة اغلبكما لصاحبه. وما تقاتلان الا على الدنيا، فأطعمنا مما تأكل لنتاضل عنك نضال من يريد الاكل)) البلاذري: انساب ص٢٦ — ٢٧ (المترجم)

(٣) نفس المصدر رقم ١١ (هشام بن عمار). رواية هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم، ان معاوية قال ((أعنت على علي بكتماني سري ونشره اسراره وبطاعة اهل الشام لي ومعصية اصحابه له وبذلي مالي وامساكه اياه)) انساب ص٢٤ (المترجم)

(٤) البلاذري: معاوية رقم ٨ [لقد اورد البلاذري عدة روايات في هذا الخصوص منها رواية هشام بن عمار ان معاوية سأل عمرو بن العاص من هو ((ابلغ الناس، قال عمرو اتركهم للفضول، قال فمن اصبر الناس قال: اردهم لهواه برأيه قال فمن اسخاهم؟ قال من بذل دنياه لدينه قال: فمن اشجع الناس؟ قال: من ردّ جهله

التقليدي الذي لايجتمع بأي الاشكال الاخلاقية في الاسلام، غير ان البلاذري يشدّد أيضاً على انه قد ارتفع فوق الجاهلية بكثير وذلك بفضل حلمه، الذي شرحه ووضّحه عبر سلسلة طويلة من الروايات، وفضلاً عن هذا فانه يمتلك سلطة السيد sayyid النموذجية للتغلب والسيطرة على التنافرات والخصومات بضمنها تلك التي لها طبيعة قبلية[1] والمقدمة او التمهيد الذي اشار النقل إليه بأن الانصار ومعاوية لهما جدّ على مشترك في المجتمع القبلي[2]، ولكن في مقاطع اخرى فشل في التشديد على ان معاوية قد سعى في اتّباع خط كل من ابي بكر وعمر الا انه نجح وافلح في ابتداع اسلوب خاص به؛ وهذا أيضاً كان من أجل مصلحة العرب[3]. فالخصال العربية

بحلمه، قال: فمن اعلم الناس؟ قال: من آثر دينه قال: صدقت)) انساب ص٢٤. وعن المدائني وابن الكلبي سأل معاوية ابن الكواء اليشكري ((نشدتك الله كيف تعلمني؟ فقال: اما اذا نشدتني الله فاني اعلمك واسع الدنيا ضيق الآخرة، قريب الرشا بعيد المدى تجعل الظلمة نوراً والنور ظلمة)) البلاذري انساب ص٢٤. وذكر البلاذري عدة روايات تعكس سجية معاوية بالحلم والصبر منها رواية عن المدائني انه قال: اذا ذهب اصحاب رسول الله(ص) ذهب الورع، واذا ذهب من بقي من اهل الجاهلية ذهب الحلم (انساب ص٤٦). وعن هشام بن عمار ان معاوية قال: ((افضل ما اعطيه الرجل العقل والحلم (ص٤٦). وعن المدائني قال معاوية لعمرو بن العاص: ما أبلغ من دهيك قال: لم أدخل في أمر قط الا خرجت منه. قال معاوية: لكني لم أدخل في أمر قط فأردت الخروج منه) انساب ص٤٦ (المترجم).

(١) نفس المصدر ارقام ٣ – ٤. [ذكر البلاذري عدة روايات عن سجايا معاوية الدنيوية والتي تعكس حلمه منها:- رواية هشام بن عمار ان بعض قريش سألت معاوية شيئاً فأعطاه ثم سأله شيئاً اخر فاعطاه ثم سأله ثالثاً فمنعه ((ولم يزل ملحاً عليه حتى اعطاه ذلك فقال القريشي يا أمير المؤمنين ان الضجور تحلّب العلبة، فقال معاوية: نعم وربما زبنت (دفعت) الحالب وكسرت انفه)) انساب ص٢٣. وعن المدائني ان معاوية كان يقول ((لااضع لساني حيث يكفيني مالي ولا اضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولا اضع سيفي حيث يكفيني سوطي، فأذا لم أجد من السيف بدا ركبته)) انساب ص٢٨. ورواية عن سعيد بن ابي سعيد ان أبا الجهم العدوي قد اغلظ لمعاوية قائلاً له ((اراحنا الله منك يامعاوية فقال: ويحك الى من: الى بني زهرة فما عندهم نصر ولا فضل، ام الى بني مخزوم فوالله لو نالوا من الأمر شيئاً ماكلموكم كبراً ام الى بني هاشم فوالله لو نالوها لاستأثروا عليكم، وانّا على ما فينا لنعطي السائل ونجود بالنائل، ولاتزال العرب غلب الرقاب مارأوا اشياخنا على المنابر)) ص٢٨ – ٩، (المترجم)

(٢) نفس المصدر رقم ١، رقم ٧٢

(٣) نفس المصدر رقم ١٣١ وينظر رقم ١٧٦. [اورد االبلاذري رواية عن المدائني ان معاوية حينما قدم المدينة خطب الناس وقال ((اني رمت سيرة ابي بكر وعمر فلم أطقها فسلكت طريقة لكم فيها حَظ ونفع على بعض الأثرة فارضوا بما أتاكم مني وان قلّ فان الخير اذا تتابع وان قلّ أغنى وان السخط يكدّر المعيشة، ولست بباسط يدي الا الى من بسط يده، فاما القول يستشفي به ذو غمر فهو دَبرَ اذني وتحت قدمي حتى

للامبراطورية الأموية .وهو نفس التطور كما يمكن متابعته في كتاب فتوح البلدان . التي هكذا تم التأكيد عليها مع إنه دون أية فكرة باتهام معاوية؛ بأن كان فيه ضعفاً ومواطن ضعف شخصية، غير ان عهده لم يكن عهداً تميزيا ومميزاً.

من العبث البحث عن النزعات والاتجاهات المعادية للأمويين بشكل مطلق في قراءة رواية وصف معاوية هذا. ان المرويات ذات الرؤى الواضحة في عدائها للأمويين قد وقعت بالفعل، غير انها في أغلب الحالات كانت متوازنة ومتعادلة مع مرويات معاكسة وبشكل متساو[1]. ولنتحدث بصورة عامة،فان البلاذري يوافق على ويسلّم بأن معاوية كان زعيماً لدولة عربية خالصة .ولو انها ليس لها الا موضع اعجاب قليل من الناحية الدينية، وبعدئذ ومن غير شك فانه يتمتع بتبجيل نسبي لمواهبه كحاكم، بالصيغة التي جاء بها وصفه عند ديللافيدا [بالنص الايطالي] « Come uno dei rappresentanti piu tipiche deil ideale nazionale arabo»[2] (وترجمته بصورة عامة ان معاوية يمثل النموذج التقليدي للقومية العربية).فالتشديد على هيمنة الارستقراطية العربية في العصر الأموي قد ابتدأ هكذا، وقد بلغ ذروته، في عهد عبد الملك، وعلى الضد فإنه وفي هذا الخصوص له اهمية كبيرة في الكشف عن الكيفية التي كان البلاذري يثمن ويقيم الانتقال من خلافة علي التي طبعت حسب رأيه، بطابع ديني إلى «الملكية والدولة العربية» في السنوات المشوشة تشويشاً كاملا والتي أعقبت موت عثمان. وعلى الفور بله مباشرة نجد وصف البلاذري لهذه الفترة سيبدو مضطربا، وانه من الصعب الاستنتاج والاستدلال اعتماداً على أقواله على القاسم المشترك عن وجهة نظره في المكاشفة بين معاوية وعلي: انه كان يعرف وقد اعلن ذلك وبيّنه في روايتين كوفيتين للصدع في العلاقة بين علي والوالي السوري مباشرة بعد انتخاب الخليفة،

يروم العوجاء)) انساب ص٥٥ (المترجم).

(١) مثال على ذلك الاحاديث النبوية المشكوك بصحتها بشكل ثابت ضد معاوية أو معه Pro et contra اعتماداً على هشام بن عمار ومن المصادر الشيعية ينظر (ص٢٤٥ من الكتاب)

(٢) البلاذري؛ معاوية مقدمة ص١٢ ومابعدها.

والرواية الكوفية المبكرة عن بعثة جرير بن عبد الله؛ واداء أبي محنف في تبادل المذكرات والتعليقات بين الخليفة والوالي، فالروايات السورية .المدنية عن صالح بن كيسان والزهري المتعلقة بتطور النزاع؛ واخيراً الروايتان الكوفيتان والمؤيدتان للسوريين حول اجتماع التحكيم، فقد حقق البلاذري جميع تلك المرويات بطريقة تجعل من الصعب اقصاء الرأي الشخصي.

فالرواية عند البلاذري حول طلب علي من معاوية لم تكن بصيغة انذار[١]؛ إذ لابد لفكرته ومشروعه ان يشدّد على ان عليا قد طلب البيعة فقط من الوالي السوري دون أي نية في التدخل في ولايته. وهذا يؤيد أكثر ما ألحقه بخبره عن ما قاله صالح بن كيسان بأن عليا كان ميّالا ومقتنعاً بأن يترك معاوية ويحتفظ بمنصبه[٢]. وهذا ينسجم تماماً مع عدم ربط البلاذري بين تمرد طلحة والزبير بين تمرد معاوية، لأنه قد ذكر، وعلى الضد من ذلك تماماً، مع الرواية السورية .المدينة مصدراً له، بأن الأخير (معاوية) لم يشهر السلاح حتى إلى ما بعد انتهاء معركة الجمل، على الرغم من إنه قد كان عازما على الشروع قبل ذلك بإجراء الانتقام لثأر الدم[٣]. ويكرر البلاذري .أقصد في وقت ما بعد معركة الجمل .دون اسناد، ولكن في المقام الأول عن، خبر بعثة عبد الله بن جرير إلى دمشق وتبادل التعليقات والمذكرات المفصلة عند أبي محنف[٤]. وعلى أية حال، فمما يستحق الذكر ان البلاذري الان وللمرة الأخرى يذكر ان معاوية كان هو الذي ابتدأ باجراء الأخذ بالثأر. وانه هو الذي أقنع شرحبيل بن السمط ان يحشد الدعم السوري لرفض طلب علي في البيعة للخلافة وذلك لان معاوية ينبغي

---

(١) البلاذري ص٤٦٧ – ٤٦٨ (كيتاني مجلد ٩ص ١٩) عن ابي مخنف

(٢) البلاذري ص٤٦٨ (كيتاني مجلد ٩ص١٩ ومابعدها؛ بصرف النظر عن هذا التفصيل، فان البلاذري يصرف النظر عن نسخة الرواية السورية جانباً بشكل مؤقت

(٣) البلاذري ص٥٠٤، ٥١٤ – ٥١٥ (كيتاني مجلد ٩ص ٢٨٩، ٤٨٨ ومابعدها من الصفحات) ينظر البلاذري؛ معاوية رقم ٢٧٠ (عن المدائني) إذ يستخدم ابن عباس نفس المناظرات في حالة الوليد بن عقبة ومثل اشخاص آخرين كما كتب إلى معاوية بخصوص المقتل والأخذ بالثار (ينظر كيتاني مجلد ٩ سنة ٣٦هـ ص٣٥٣،٣٤٢). والمرجح انه استفسار بشأن تفسير الابيات الشعرية في المقاطع التي تم اقتباسها اولاً.

(٤) البلاذري ص٤٩٤ -٤٩٧ (كيتاني مجلد ٩ص ٢٥٣ ومابعدها من الصفحات)

عليه قبل اي شئ آخر ان يثأر لدم عثمان. وان المعلومات بشأن اتفاقية معاوية مع عمرو بن العاص، من الناحية الاخرى، قد تضاءلت أهميتها الى نتيجة ثانوية في الصدع في العلاقة بينه وبين الخليفة[١].

ان وصف البلاذري للتحضيرات والتهيؤات الحربية وكذلك لمعركة صفين لا تختلف جوهريا عن وصف الطبري، فكلاهما قد اعتمد على ابي مخنف تماما[٢]. والاختلاف اللافت للنظر كثيراً يكمن في اعتبار البلاذري اكثر اختصاراً على خلاف الطبري[٣]، فلم يكن لديه أي شئ اطلاقا حول مساعي قرّاء القرآن في تسوية وحسم النزاع قبل معركة صفين، كما إنه ايضاً قد تجاهل وصف أبي مخنف لبداية الخلاف والتنافر الذي ساد في معسكر علي وهو تنافر قد أحدثه احتكام السوريين الى القرآن. وبدلا عن هذا فانه يحدد ويحدث مسألة كبيرة في أسباب الانشقاقات القبلية والصراعات المنغصة والمريرة التي قد أعقبت ذلك[٤]. كما انه أقحم روايات مؤيدة للسوريين في سياق هذا الكلام بهدف الاشارة الى ان معاوية لم يطرح حق المطالبة بالخلافة، لكنه كان يسعى وينشد فقط الى أخذ الثأر لدم عثمان، وبانه اكتفى بل اقتنع بتلقي البيعة لمنصب وظيفة أمير وبالمطالبة بانتخاب خليفة جديد، وأقصد انه اعتبر علياً على انه قد قبل بتسوية وتوصل الى تفاهم وتسوية حول موقفه هذا[٥].

---

(١) البلاذري ص ٤٩٨ – ٤٩٩ (ديللا فيدا ص٤٥٣ وكيتاني مجلد ٩ ص٢٤٢ هامش ١).

(٢) ينظر ديللا فيدا ص٤٥٨ ومابعدها من الصفحات

(٣) وبالمصادفة ايضاً وعلى شكل متغاير عند الدينوري وابن الكثير

(٤) البلاذري ص ٥١٣ – ٥١٤ (كيتاني مجلد ٩ص ٤٨٧). وخصص حيزاً اكبر وبشكل خاص لعمار بن ياسر البطل الخارجي المستقبلي، لموت عبيد الله بن عمر (ينظر كيتاني مجلد ٩ص ٤٨٥ ومابعدها من الصفحات) [وماله علاقة بتسمية عمار بن ياسر بالخارجي توحي الى ان عماراً كان من الخوارج وهذا لايتفق مع الفحوى التاريخي لانشقاق الخوارج اثناء معركة صفين وارتدادهم عن الامام، وكما يصفه ابن سعد فإنه من المستضعفين الذين كانوا يعذبون بمكة. الطبقات مجلد ٣ ق١ ص١٧٣. وهو أول من بنى مسجداً يصلى فيه (م. ن. ص١٧٨) ومن قال فيه الرسول(ص) ((تقتلك الفئة الباغية)) (م. ن. ص١٨٠) اشارة الى قتل الأمويين له في معركة صفين. وكان انذاك شيخاً آدم في يده الحربة ومعه الراية التي قاتل بها مع الرسول(ص) – م. ن. ص١٨٣ – وعند قتله قال فيه الامام علي رحم الله عماراً يوم اسلم ورحم الله عماراً يوم قتل ورحم الله عماراً يوم يبعث حياً)) (ن. م. ص١٨٧) فكيف يكون عمار خارجياً؟ [المترجم]

(٥) البلاذري ص٥١٤ – ٥١٦ ٠كيتاني مجلد ٩ص٤٨٨ ومابعدها من الصفحات

وقد استعار البلاذري ذلك القسم التمهيدي لروايته حول اجتماع أذرح من صالح بن كيسان[١]، وألحقه برواية أبي محنف مع بعض الاختلافات[٢]. فيستحيل علينا تحديد وتقرير أي من الادائين كان هو المفضل عند البلاذري كما إنه في الواقع من غير المحتمل بأن يكون التساؤل والاستفسار حاسماً بالنسبة له او بالنسبة الى تقويمه للأحداث، كما انه ليس هنالك من سبب لافتراض بأنه قد ميّز أو لحظ الفرق بين اجتماعي التحكيم المتعاقبين. ان النقطة الجوهرية في الموضوع كانت بالأحرى هي ان علياً، بصرف النظر عن الاتجاه الذي قد اتخذت به جلسة الاستماع إلى الحجج في التحكيم، كان هو الجانب الخاسر وتعزى تلك الحالة الى براعة كل من عمرو بن العاص في مناوراته والى الصعوبات والمشاكل التي واجهت علي مع الخوارج.

ففي المقام الاول، ألحق البلاذري خبر صالح بن كيسان حول مفاوضات التحكيم مع قصتين مشكوك في صحتهما عن نافع؛ وهو مولى عمر،واستناداً إليه فإن عمراً، وبعد المفاوضات مع أبي موسى، فاق عبد الله بن عمر براعة في المناورة وذلك بعرض الرشاوى عليه من أجل سحب ترشيحه لمنصب الخلافة[٣]. وواصل البلاذري، في رواية مختلفة وعن طريق آخر، لكنها مجهولة، قائلاً ان عبد الله بن عباس كان قد حذّر علياً من إرسال أبي موسى؛ وانه قد تطوّع ليتولى ويأخذ على عاتقه مسؤولية المفاوضات بنفسه خشية من الخدع ruses السورية. وقد رفض علي العرض، غير انه تأسف وندم فيما بعد على انه لم يقم بذلك بعد ان علم بنتيجة المفاوضات[٤]. ان هاتين الروايتين دون شك ترجعان الى معالجة عقلانية مؤيدة للعباسين المتأخرين post eventum وانهما يخدمان أظهار المغايرة بين الشعور الودي والنية الحسنة لعلي مع

(١) البلاذري ص٥٢١ – ٥٢٣ (كيتاني مجلد ١٠ من ص٢٨ ومابعدها من الصفحات) ليس هناك اشارة الى الزهري هنا

(٢) البلاذري ص٥٢٥ – ٥٢٧ (كيتاني مجلد ١٠ ص١٩ ومابعدها من الصفحات، ص٢٢ ومابعدها

(٣) البلاذري ص٥٢٣ (كيتاني مجلد ١٠ ص٣١ ومابعدها.

(٤) البلاذري ص٥٢٤ (كيتاني مجلد ١٠ ص٣٤). ينظر العقد الفريد جزء ٢ص ٢٩١ والبيهقي: Mah ص٣٩٩ (كيتاني سنة ٣٨هـ ص٢٩)

الآخرين وكذلك الى ضعفه.

وفي المقام الثاني، فإن الخبر بشأن اجتماع التحكيم يرتبط بحلقة مع تمرد الخوارج ارتباطاً وثيقاً جداً. ولحد الآن فإن البلاذري مع ذلك قد تغاضى وأهمل تسلسل ابي مخنف هذا وكذلك قد تغاضى عن مسألة تكوين شيعة علي[1]، وبدلاً عن ذلك فانه اتخذ موقفاً متبنياً وجهة نظر الشعبي التي لم تدل بوضوح على موقفه من علي الى حد ما، وان «اكثرية (رجال علي) قد وافقوا على تعيين الحكمين»؛ وإنهم كانوا يعتبرون التحكيم إنما هو الحلّ المعقول، على الرغم من الحقائق التي تدلل على ان عليا كان بفضل الموافقة على رغبة الخوارج في العودة إلى المعركة[2]، وان سهل بن حنيف، والي المدينة، في رواية أخرى مختلفة ومجهولة، قد لاحظ أيضاً الحالة الاستثنائية بعدم تقرير وحسم الموضوع بقوة السلاح[3]. ووجهة النظر هذه،ومصدره صالح بن كيسان، قد أحكمت وأتقنت إلى حد ان العراقيين لم يكونوا راغبين في توقع هذا الإجراء حتى يروا فيما إذا كان الخليفة سيقبل بحلّ غير معقول من قبل الحكمين[4]. ومن هنا يتقدم البلاذري مباشرةً إلى مسألة اجتماع التحكيم الذي يقحم فيه ويدّس فيه خبراً عن موقف ابن عمر؛ ومن ثم يستمر بذكر الخبر على إنه وبعد معركة صفين عاد علي إلى الكوفة في العشرين من شهر ربيع الأول (٣٧هـ/٥ ايلول ٦٥٧) إذ مكث هناك مدة سبعة شهور (وأقصد حتى حوالي العشرين من شهر شوال سنة ٣٧هـ/حوالي ٣١ اذار سنة ٦٥٨م) منهمكاً بالمهام الادارية وبالمشكلة مع الخوارج، الى ان ذكّره معاوية وفي شهر رمضان سنة ٣٧هـ/١٠شباط ـ ١١ آذار من ٦٥٨م) تعهده

---

(١) ينظر في الكتاب ص١٢٧ ومابعدها.

(٢) البلاذري ص٥١٩ ـ ٥٢٠ (كيتاني مجلد ٩ص ٥٤٥) [اورد البلاذري عن عبد الله بن صالح بن مسلم عن اسماعيل بن مجالد عن ابيه عن الشعبي إنه عندما اجتمع الامام ومعاوية على ان يحكّما رجلين اختلف الناس على علي فكان عظمهم وجمهورهم مقرين بالتحكيم راضين به. وكانت فرقة منهم .وهم زهاء اربعة الاف من ذوي بصائرهم والعبّاد منهم .منكرة للحكومة) انساب جزء ٣ ص١١٢ (المترجم)

(٣) البلاذري ص٥٢٤ (كيتاني مجلد ١٠ ص٤٩٠)

(٤) البلاذري ص ٥٢١ (كيتاني مجلد ٩ص٥٤٥ ومابعدها.

بالتزامه بحضور جلسة الاستماع في التحكيم[١]. وكان ردّ فعله في ارسال ابي موسى يتوقف على الصدع الأخير في العلاقة بين الخوارج وعلي، وانتخابهم عبد الله بن وهب إماماً في العاشر من شهر شوال (٢١ اذار ٦٥٨م). وبعد اجتماع التحكيم غير المجدي استحّث علي والحّ مجدداً على الخوارج في العودة، وفي شهر محرم من سنة ٣٨هـ/ ٩حزيران .٨تموز باشر القتال ضدهم حتى الاشتباك في القتال في معركة النهروان في التاسع من شهر صفر٣٨/١٧ تموز٦٥٨م[٢].

فالانطباع المباشر من وصف البلاذري وتصويره للأحداث التي وقعت بعد النهروان هو انطباع يؤشر بقوة الى سلسلة من عمليات الانحلال والتصفية التي بلغت ذروتها بمقتل علي. وقد أُرهق الخليفة بعبادة worship اتباعه له .ومن بينهم عبد الله بن سبأ[٣] .وكذلك بتحضيراته من أجل استئناف القتال ضد السوريين وقد أعيق أيضاً بسبب شغب و اضطراب الخوارج المستمرين والمتواصلين، وبسبب تمرد الخرّيت بن راشد[٤]. وهكذا فان الانحلال المتعاظم الخطورة والمستفحل قد توضح وتمثل بشكل اكبر .وهذا الخبر أيضاً قد أحكم باتقان اكثر مما قام به الطبري .بسلسلة من الهجمات التي ألهبها السوريون على قواعد علي في الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين، وأخيراً بسقوط مصر[٥]. ونتيجة لذلك فقد وجد معاوية الآن نفسه بان الامور قد تطورت لصالحه بدرجة كبيرة حتى انه ليس هنالك من حاجة على الاطلاق الى ان يتدخل في

---

(١) البلاذري ص٥٢٣ – ٥٢٤ (كيتاني مجلد ١٠ ص٣٢ ومابعدها.

(٢) البلاذري ص٥٣١ – ٥٣٢ (كيتاني مجلد ١٠ ص١٠١ ومابعدها من الصفحات

(٣) البلاذري ص٥٤٢ (كيتاني مجلد ١٠ ص١٠٧، ديللا فيدا ص٤٩٥) ينظر مرة اخرى البلاذري ص٥٨٥ (الجاحظ: البيان مجلد ٢ ص٧٣، فريد لاندر: ابن سبأ جزء ١ص ٣٢١ ومابعدها من الصفحات) إذ ينكر مرة اخرى التطرف الشيعي ويصرّ على ان (الولاء العلوي) قد وجد من قبل اشخاص غير معروفين ومجهولين قبل ابن سبأ.

(٤) حول هذا ينظر البلاذري ص٥٣٣ – ٥٥٨ (ديللا فيدا ص٤٩٧) ص٥٧٦ – ٥٧٨ (كيتاني مجلد ١٠ ص١٩٢ ومابعدها من الصفحات. [هو الخريت بن راشد السامي بن اسامة من لؤي وكان مع الامام علي) ينظر انساب الاشراف ج٣ ص١٧٧] (المترجم)

(٥) البلاذري ص٥٦٣ – ٥٧٦، ٥٧٩ – ٥٨٦ (كيتاني مجلد ١٠ ص٢٧٧ ومابعدها ص ٢٩١ ومابعدها ص٣١٨ ومابعدها ص٣٢٧ ومابعدها؛ ديللا فيدا ص٣ – ٥ ومابعدها من الصفحات.

المشكلة[١].

وواقعياً فالمهم هنا ان اصرار البلاذري الثابت على ان اجراءات معاوية لاتعزى الى طموحه فقط، وان هدفه الاساسي في إثارة المقاومة كان للانتقام بأخذ ثأر الدم لعثمان. ومباشرة منذ البداية فان خبر البلاذري حول انتخاب الخليفة المضطرب تؤشر بوضوح جداً الى ان القادة المتمردين ضد عثمان وهم أيضاً الذين وبصورة عملية قد شقّوا طريقهم عبر انتخاب علي وضد ارادته وفرضوا عليه تحالفاً مع القتلة وحمايتهم[٢]. فجموعته هي التي أغرت وحثت معاوية على ان يتخذ موقفاً متعارضاً ومختلفاً من علي: «فان سلّم لي قتلة اقاربي وثبّت وصادّق على ولايتي، فسوف أعترف به. والشرط الوحيد الذي به اكفّ عن وأتخلى عن الانتقام بأخذ الثأر دون أن اكون سوقياً، اي فرداً مذلاً» وهكذا جعل البلاذري معاوية يصرّح وهو يستشهد بمحمد بن سعد[٣].

وهناك نقطة بارزة أخرى في رواية البلاذري وهي اصراره وتوكيده على ان اكثرية العراقيين قد وافقوا على اتفاقية الحكيم وان الخوارج هم الذين اضعفوا الوحدة في معسكر علي واجبروه على ان (يعمل بعكس مزاجه[٤]، وبمعنى آخر، كان علي ضحية حركات كان هو نفسه قد أحدثها وسبب جزئياً بحدوثها،تلك التي لم يكن

---

(١) البلاذري ص٥٤٢ (كيتاني مجلد ١٠ ص١٠٧ ومابعدها)

(٢) البلاذري ص٤٦٥ (ديللا فيدا ص٤٣٥)

(٣) البلاذري ص٥٠٢ ينظر ايضاً ص٤٩٤ (كيتاني مجلد ٩ص٢٨٤ ومابعدها ص٢٥٣) وكلمات الاستهلال موجودة في سيرة معاوية؛ البلاذري ص١. [يذكر البلاذري رواية عن محمد بن اسحاق بن يسار – وليس كما اورده البروفسور بيترسن محمد بن سعد – ان معاوية ردّ على كتاب الأمام علي يدعوه فيه إلى البيعة وحقن دماء المسلمين قائلاً ((ان دفع اليّ قتلة ابن عمي واقرني على عملي بايعته والا فاني لااترك قتلة ابن عمي واكون سوقة هذا ما لا يكون ولا أقار عليه)) انساب تحقيق سهيل زكار جزء ٣ص ٧٨ واعتقد ان سوقة هنا لايقصد منها سوقياً كما فهمها الاستاذ بيترسن (المترجم)

(٤) البلاذري، ص٥٤٢ (كيتاني مجلد١٠ ص١٠٨) [قدم البلاذري عدة روايات عن الواقدي واحمد بن ابراهيم الدورقي والزهري والمدائني تشير الى ذلك مثلاً ((فلما رفعت المصاحف فمال كثير من اصحاب علي الى ما دعوا اليه وحرّموا القتال واختلفوا)) وكذلك عن علقمة بن قيس قال (٠قلت لعلي: اتقاضي معاوية على ان يحكم حكمان؟ فقال: ما اصنع انا مضطهد. كذلك قيل لعلي ان الأشتر لم يرضَ بالصحيفة ولم يرَ الا قتال القوم فقال: ولا انا والله رضيت ولن يصلح الرجوع بعد الكتاب)) ينظر انساب الاشراف ج٣ ص١١٠ (المترجم)

بوسعه السيطرة عليها. والبلاذري يعترف اعترافاً كاملا بشرعية خلافته؛ ومهما يكن، فإنه عندما ابتدأ الارتداد لم يكن له خيار آخر إلا ان يشهر سيفه، وهو إجراء قد اوحاه الله إلى محمد[١]. وهناك، على عكس من هذا القول، أختلاف واضح بين تمرد معاوية وبين ارتداد الخوارج، ونظراً لأن الخوارج قد تسببوا في سلسلة من العمليات المعينة في التدمير، فإن دعوى معاوية مبررة بوصفه أجراء بأخذ الثأر، وان انتصاره في نهاية المطاف قد دعّم بواسطة الانحلال والتفكك الداخلي في سلطة علي. وهكذا فإن البلاذري قد صوّر ورأى شرعية الخلافة الأموية بروح استرضائية وتوفيقية، فإنه لم يجعل حقها الشرعي للخلافة موضع نقاش، غير انه يشدّد بصورة غير عاطفية تماما على مسؤولية الخوارج.

ان خبر البلاذري يبدو في الوقت نفسه يفضي الى دفاع عن العباسيين .وهنا باستمرار يطابق الهوية مع بني هاشم. ومع ذلك فان البلاذري يشير الى ولاء واخلاص ابن عباس، غير انه لايجعل امر ترك ابن عباس علياً في سنة ٣٨هـ سرا؛ وعلى أية حال فإن «الفرار» لايرتبط بأي أحداث حاسمة،باستثناء اتهام أبي الاسود الدؤلي له بالاختلاس والفساد الاداري، وهي حادثة ليس لها صلة وثيقة بمجرى الأحداث السياسية[٢]، ويؤكد البلاذري ان معاوية لا يقّدر تبرير اتهام ابن عباس بالمشاركة في جريمة مصير عثمان ولومه له بتأييده الشخصي الذي قد وفّر ملتجئاً آمنا للقتلة .وهي انعكاسات لاسبيل للشك في كونها التهم المؤشرة ضد علي .وذلك لأن سلوك معاوية الخاص كان مشبوهاً ومريباً وأنه كان متردداً بشأن الانتقام بأخذ الثأر[٣].ان الشأن والهم الاساس في هذه المروايات هو،على أية حال،ايجاد تبرير وتسويغ لابن عباس، وهناك ظاهرة متأخرة وثانوية في الرواية التي لاتشكل محكاًtouchstone مطلقاً يقيم البلاذري

---

(١) البلاذري ص٤٥٣ – ٤٥٧، ينظر ابن الاثير جزء ٤ص ٣٠ ومابعدها (كيتاني مجلد ١٠ص ٤٠٤)

(٢) لقد تمت الاشارة مباشرة الى ان ابن عباس لم يزل يتبع علياً بعد معركة النهروان على الرغم من ان مصادر أخرى قد جزمت بانه قد تركه قبل ذلك الحين)) البلاذري ص٥٥٢ دون اسناد؛ كيتاني مجلد ١٠ص٢٢٥

(٣) البلاذري، معاوية ارقام ٢٥٥، ٢٧٠، ٣٣٤

من خلالها وجهة نظره في علاقات ابن عباس مع معاوية.كان في الغالب .ومن ثم بشكل عام معتمدا على عوانة مصدراً له .يجعل ابن عباس يعترف بخدمات وفضائل معاوية، وهي معلومات غير موجودة عند المؤرخين الآخرين، وهي الآن صارت من الطبيعي لها مرجعية خاصة بمصدره عوانة حتى وان كان المؤلف لم يخفي سراً بجعله ان الخليفة كان مولعا بالأمور الطيبة والجميلة في هذا العالم، وحتى وان كان اعترافه بكفاية وبمقدرة الخليفة كحاكم قد حصل على قدراً ضئيل من الضغينة والمراره التي يصعب احتمالهاgalls wormwood (ليس هناك من هو اكثر منه استحقاقا للملك[١].

ان اعادة شرطية ومؤقتة لتحليلنا المختصر عن تقويم البلاذري للنزاع سيظهر دون شك بأنه يشكل أساس في نزاهته وتجرده الواضح انما يخبئ اتجاهاً واعيا ونزعة واعية. فمن الطبيعي انه يقبل بشرعية خلافة علي، وايضا انه ليس علي فحسب بل كان كل من أبي بكر وعمر إذ كانوا افضل أهلية من الناحية الدينية لمنصب الخليفة من عثمان ومعاوية[٢]. ان العلامة الفارقة التي تم التأكيد عليها والدفاع عنها هي بين الخلافة المفعمة بالحيوية الدينية وبين ملك[٣] الأمويين. ومن الجهة الاخرى، فانه لم يعترض على شرعية الخلافة الأموية، بل إنه يقدم اعترافاً بقوتها المفرطة. فقد كانت تركة علي وارثه من عثمان وان الانحلال الداخلي لقاعدة سلطته قد مهّد الطريق لمعاوية. وعندما جرّد ارتداد الخوارج عليا من الاعتراف العام فانه لايعدّ خارجا على الشريعة بأن يتلقى البيعة بقدر ما ان كل من الحسن بن علي وعبد الله بن عباس قد وافقا عليه. فالبلاذري يحترم شرعية الخلافة الأموية حتى وان لم يكن شخصياً متعاطفاً ازاء الولاة السوريين.

ومن الناحية الأخرى فمن الصعب بشكل خاص ان نضع عمل البلاذري في

---

(١) البلاذري، معاوية ارقام ٢٥٥ن٣٣٤، ٢٧٠ [ان اصل الرواية عن المدائني عن ابي عبد الله الحنفي عن رجل قال: قال عبد الله بن العباس، مارأيت احداً كان أحق بالملك من معاوية، لله درّه انه كان لحليماً وان كان الناس لينزلون منه بأرجاء وادٍ خصب، لم يكن بالضيّق المتصعب الحصوص)). ٠انساب ج٥ص٥٤، تحقيق سهيل زكار (طبعة اولى بيروت ١٩٩٦) [المترجم].

(٢) البلاذري، معاوية رقم ٢٧٠.

(٣) البلاذري، فتوح ص٤٦٢ (حتي – مورغوتن ج٢ ص٥٧٥) وفيه قصة عن خاتم النبي المنقوش.

تماسكه وترابطه الزماني والمكاني في انه كان من بين المؤرخين العرب مما لا سبيل الى الشك فيه وأحد المؤرخين الذين وصلوا، بشكل أقرب جداً، الى الحقيقة التاريخية،غير انه يعدّ اقل اهمية في هذا المجال، حتى وان كان حكمه المتوازن قد تم الاعتراف به من قبل معاصريه. وكان في متناول البلاذري مادة ضخمة جداً،وان توزيعه وترتيبه اياها وبطريقته الناجحة والمستقلة قد جعلته بارزاً بشكل كامل ومطلق بين الكتّاب العرب القدامى. ان استخدام مصادره استخداماً بارعاً الى أبعد حدّ، وان عرضه لخلافة علي قد إتكأ وأعتمد بشكل رئيسي على التسلسل في اقتباساته واقتطافاته من مؤلفات أبي محنف ومن الرواية السورية ـ المدنية مع صالح بن كيسان والزهري كثقات ومصادر في الحلقة الأخيرة من السلسلة. حتى وان كان البلاذري في أمثلة نادرة ينقل ويحمل الروايات . أمثال رواية عيسى بن يزيد ورواية هشام بن عمار . فانها، قد فهُمت وادركت من قبله على انها، مشكوك بصحتها* وان دقة ضبطه من نوع عالي المستوى جداً، وهنا أيضاً فإنه يستعمل مقياسا معيارياً يساير الظرف، وفي أغلب الأحيان فإن مقياسه أفضل من مقياس الطبري، وان اداءاته، بشكل طبيعي مخلصة وصادقة جداً. وإنه مما يستحق ذكره بشكل خاص، وعلى خلاف مع الطبري، بأن البلاذري كان يفضل المصدر الأصلي على المصدر الذي دخلته التعديلات والتكييفات المتأخرة سواء كانت لديه معرفة مباشرة أو غير مباشرة عن ذلك الحدث، وإنه كان يرجع إلى الوراء إلى أبي مخنف بينما كان الطبري يفضل المصدر المشوش، وهو سيف بن عمر وإنه كان يكتفي فقط بالحاق المصادر الصادقة والمجرّدة.

ففي تصوير البلاذري ووصفه السابق لخلافة معاوية نجد . كما سبق ذكره في

---

* اعتقد على العكس ان البلاذري قد أولى رواية هشام بن عمار اهتماماً واهمية فهو الراوية المعوّل عليه والمباشر، فالتغيير الذي قد كرره البلاذري في النقل هو (قال) او (حدثنا) او (حدثني) هشام بن عمّار بالنسبة الى البلاذري. فضلاً عن ان رواياته جميعها تعدّ في صالح معاوية واظهار سجاياه في السخاء والدهاء والحلم والبراعة في الاداء. وانه كان بحق راوية معاوية الخاص، ولهذا نجده قد اعتمده البلاذري في القسم الخاص بمعاوية فقط اكثر من (٢٥) خمس وعشرين مرة ولم يعلّق في أي منها على ان روايته هي موضع شك. (المترجم)

اعلاه .بأن ما عرضه من معلومات يخضع الى تغيير في الخصيصة والشخصية، فالبلاذري لم يقدم وصفا متعاقباً ومتتابعا حتى إنه كان يتغاضى بله ويهمل أحداثاً مهمة؛ وبدلا عن ذلك فإنه كان محللا. ومصدره الرئيس هنا هو المدائني، ويحتمل إنه استقى معلوماته من كتابه أخبار الخلفاء الكبير؛ الذي يشكل الأساس لـ (٢٢١) و٥٥٪ لل(٤٠٥) رواية في هذا القسم، (٣٠) من هذه الروايات قد اختيرت اعتماداً على عوانة، و(٢٤) اعتمدها على هشام بن محمد الكلبي (٢٧) عن الهيثم بن عدي. ومن اللافت أن ابا محنف والزهري وهما الرواة الاساسيان عند الطبري لم يستشهد البلاذري بهما[١]. وبالموازنة مع المدائني فان جميع المصادر الأخرى لها اهمية ثانوية ضمن هذا القسم[٢] اما في الاقسام السابقة، فان المدائني ايضا يعّد الراوية الرئيس للبلاذري[٣]، ولكن فقط بوصفه ناقلا للرواية الكوفية.

أما من الناحية المنهجية فان منهج البلاذري هو منهج تحليلي، وان شئت، جدليّ دون شك يتصل و يرتبط بفن المناظرة المنظمة للمدائني عن القصص والروايات المؤيدة للأمويين وتفنيداته الشخصية. ان انحراف البلاذري عن المدائني في تصوير ووصف الفتنه لابد إذن ان يعزى الى اختلاف في التفسير. ففي جميع المظاهر الخارجية نجد انهما كانا في تساوق وانسجام بجعلها تاريخ الصدع في العلاقة بين علي ومعاوية الى ما بعد معركة الجمل، وان الاختلاف الوحيد هو كون البلاذري هنا بفضل الدليل معتمداً الرواية السورية .المدنية، وهذا ما كان المدائني يهمله. كذلك فان البلاذري في الأكثر يصّور عبد الله بن عباس بنفس المظهر كثيرا كما فعل شيخه ومعلمه[٤]. وهناك تباين واختلاف مميز يظهر في قراءة الأحداث ما بعد صفين؛

---

(١) يذكر الزهري على أية حال في مناسبة واحدة.

(٢) الدمشقي، والعمري ومحمد بن سعد فإنه كان يستشهد بهم بتكرار كثير في (٣٢٠) مرة و(٢٠) مرة و(١٢) مرة لكل منهم على التوالي

(٣) ففي القسم الخاص بخلافة عثمان (طبعة اورشليم القدس جزء ٥) يستشهد بالمدائني بـ١٦٣ مرة واعني اكثر تكراراً من أي مصدر آخر؛ البلاذري؛ انساب جزء٥ (مقدمة) ص١٤ ومابعدها؛ ديللا فيدا ص٤٣٠.

(٤) كلاهما كان يشدد على اخلاص وولاء ابن عباس لعلي –في الحالة التي يعتمد مباشرة على معلمه –

فالمدائني يصرّ ويؤكد على نحو بيّن على أن تمرد الخوارج قد أثارها حكم الحكمين وخديعة عمرو بن العاص، بينما نرى البلاذري بالكاد يرفض شرعية اجتماع التحكيم، ولكنه يضع تشديداً على مسؤولية الخوارج في انحلال خلافة علي. ونعتقد ان النقطة الأساسية هي ان البلاذري لم يعّد يشاطر، أو لم يعد قادراً على الابقاء على، تعصب النقل الكوفي أزاء الأمويين وهكذا فليس لديه أي شئ يجمعه أو يلتقطه من المدائني في الدفاع عن تبرير حملة معاوية في الانتقام بأخذ ثار الدم، وانه لهذا ايضا يتجاهل سلسلة طويلة من المرويات حول خلافة معاوية تلك التي استقاها الطبري من المدائني[1].

وهناك سمة بارزة في فراسة Physiognomy فاعتماداً على المظهر الخارجي تظهر على انه قد اعترف بشرعية الخلافة الأموية وبحكمها النافذ والفعّال، انه هكذا أو بشكل طبيعي يتفادى أي ثغرة في التواصل والاستمرارية في الخلافة من الخلفاء الأول إلى العباسيين. ويجاري هذا الخط تماما الاتجاه العام أثناء ردّ الفعل ضد المعتزلة في عهد المتوكل (٨٤٧ . ٨٦١م) في الحركة التي وجدت تعبيراً لها عند الحنابلة. وهذا لا يعني القول بان البلاذري كان حنبلياً، حتى وان كانت آليته في الرواية التقليدية، وفي اقتباساته عن الحنابلة البصريين للرواية المؤيدة للأمويين، واعترافه بالدولة السورية ربما يبدو وكأنه تعبير عن آثار الدفع impulses من هذه الحركة..

ويبدو لي ان شدة التأثير هي حالة أخرى لنفس الاستفسار والتساؤل وحول مكاشفة البلاذري لتمجيد وتبجيل الشيعة المتحيز نحو علي، وبالنتيجة أيضا فإنه مع محاولات الفترة المعتزلية في إيجاد تسوية للنزعات والاتجاهات المؤيدة لعلي. وبنفس الطريقة فإن البلاذري لا يعدّ مهماً دون الإشارة إلى ثباته في استنكاره لطمس ومحو العناصر

وانهما ايضاً يتفقان على ان عبيد الله بن عباس وليس عبد الله هو الذي انضم الى معاوية ابان الخلافة القصيرة الامد للحسن (دي غويه ص٣٩٢، فلها وزن Kingdom ص١٠٩).

(١) مثال على ذلك فلهاوزن Kingdom ص١١٩، ١٢٧، ١٤٣، ومابعدها – واختلاف محدد ربما يظهر عند البلاذري وهو يقتبس من المدائني شيخه، بينما يعدّ عمر بن شبّة (تـ ٨٧٥م)، الناقل الطبيعي للطبري، وهو أصغر بجيل واحد. ففي سيرة حياة معاوية يستشهد بابن شبّة مرة واحدة فقط.

العربية من التاريخ الإسلامي المبكر، وكذلك في مِجاراة الاتجاه العام في ذلك الوقت. ففي توكيده باللفظ على السلطة المطلقة للخلافة العربية يمكن في أية حال اعتباره معبّراً عن نزعات واتجاهات في وجهات النظر ازاء الخلافة العباسية في فترة انحلالها. ومما يستحق الذكر ان رواية البلاذري قد أحدثت أو قد جيء بها للاستنتاج تقريبا في الزمن عندما كانت، في عهد المنصور، التأثيرات العربية قد بدأت تفسح المجال أمام الحكم البرمكي، ونمو وازدهار البروقراطية الفارسية، وفيما بعد بالحكم العسكري التركي. ففي كتابة هناك نجد توكيداً للذات العربية، ليس بطريقة عدوانية، ولكن تقتضي ضمنا في توكيدها بالذات على عظمة الإمبراطورية العربية. فضلا عن ذلك انه عمل يواصل فيه الدراسات النسبية المبكرة جداً ويواصل فيه عمل محمد بن سعد في صيغة نظامية تراتيبية. ان كلا من كتابي البلاذري متشربان بتوازن ورباطة جأش صارمة ودقيقة وتماسك واتساق بارع، وبدون شك فانهما يعدّان افضل نتاج للكتابة التاريخية الإسلامية المبكرة.

(٣)

الطبري (المتوفى ٩٢٣م)

يتميز إنتاج الطبري قبل كل شيء بأجزائه وحجمه الضخم وكذلك بشموليته، ان ثمرة مثل هذه المعرفة والتجربة تلك التي قد حصل عليها من خلال سفراته إلى مراكز العلم والتعلم القديمة: بغداد حيث أقام فيها .والبصرة والكوفة، وفي سوريا وفي مصر[1]. وان استقلاليته الاقتصادية المادية، بخلاف مثلا، البلاذري، يبدو أنها قد مكنته، بعد سنوات دراساته وتعلمه، ان يكرّس نفسه بكل ما في الكلمة من معنى لعلمه. وكفقيه متقيد بالشافعية، ولو بفراسته الخاصة، فانه بالكاد قد أحرز على شأن وأهمية

---

(١) عن الطبري ينظر GAL (جزء ١ص١٤٢) وما بعدها (S) جزء ١ ص٢١٧ وما بعدها من الصفحات؛ ار. باريت Paret في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة أولى) مجلد ٤ ص٦٢٥ وما بعدها؛ مرغليوث: محاضرات ص١٠١ وما بعدها من الصفحات.

اكبر[١]. غير ان تفسيره للقرآن، جامع البيان في تفسير القرآن، وكتابته التاريخية، تاريخ الرسل والملوك، قد تمتعا بشرعية معترف بها تقريبا وانه شأنه شان الكثير جدا من المؤلفات القديمة، قد سيئ معاملته وعومل بقسوة من قبل المعقبين والمبسطين. وان عمله في التفسير يمثل في فترة ما وفي نفس الوقت محاولة لتلخيص ما كان، واعتماداً على المعيار في زمنه، تفسيراً للقرآن جديراً بالاعتماد والقبول إنه التفسير المتمسك بالتقاليد في المسائل الدينية وكذلك لاخراج تأليف يبدع ويحدث تصنيفاً (ارثودوكسيا) سنيا منفصلاً بوضوح عن الخوارج والشيعة المتطرفين، وقد رفض بالمرة أدلتهم[٢]. ومن الناحية المنهجية فان تفسير الطبري لافت للنظر كثيراً وذلك لشروحه وتفسيراته الرصينة والمتزنة، ولعلاقتها المعجمية المتعلقة بالمفردات اللغوية Lexical، والنحوية والتاريخية اكثر من أصالته العقيدية. ويعتمد كتابه على نحو مميز على معرفة ضيقة وصارمة كما قد تطورت واستنبطت في المدارس الفيلوجية (في فقه اللغة المقارن) والتاريخية؛ إذ يعتمد على سنة النبي، وصحابة النبي واتباع النبي، ملحقة بإجماع السنة (الارثودوكس). وهكذا فان نظرته واستشرافه التي يمكن رؤيتهما على انه محافظ على القديم بشكل أساسي وجوهري[٣].

المبادئ العامة التي تبناها الطبري في تفسيره قد طبقت أيضا على صناعة كتابه التاريخي، الذي بحكم الزمن يبدو انه قد ألف بتاريخ متأخر عن تفسير القرآن، وانه شكل من أشكال الملاحق بالتفسير والمكمل له[٤]. وبافتراض انه كذلك فلدينا في الوقت نفسه تفسيراً معقولا وجديراً بأنه قد نظم ورتب تاريخه ترتيبا حوليا، سنة بعد أخرى وحدثا بعد آخر وبذلك أقام وانشأ عرضه على اسلوب ـ في الغالب ـ روايات متوازية ومتماثلة ومتساوية في الأهمية وكذلك مترابطة، وفي العادة ملحقة بتعقيبات

---

(١) فقط حكمه القاسي على ابن حنبل له أهمية بهذا الخصوص

(٢) جولدتسيهر: الإسلام ص٥٠ وما بعدها من الصفحات. وعلى أية حال لم يستطع تماما تفادي تأثير وجهات النظر الشيعة والمعتزلة

(٣) نفس المصدر ص٥٢، ٥٧ وما بعدها

(٤) مرغليوث، محاضرات ص١٠١

من عنده، وانه كان يؤكد .بصورة غير مقيدة على شروط كيف ان كل حدث ينبغي ان يتموضع وكيف يفسر. وهذا هو أحد الأسباب التي جعلت الطبري يقدم لقارئه انطباعا، مباشرا وبشكل ساحق، عن الحلقة الأخيرة لثقاته.

أما المشاكل التي تتعلق بمصادر الطبري وطريقة معالجتها وتناولها فهي باعث لأن تكون في الغالب أهدافا ومواضيع لدراسة فلهاوزن وكيتاني بشكل مضنٍ وشامل إلى حد كبير. ان وصف وعرض مصادره لم تسبب مثل هذه المصاعب والمشاكل كما حدثت في حالات الدينوري واليعقوبي، إذ ان عرض هؤلاء في صناعة التأليف كان متماسكاً ومترابطاً ومنطقيا وهي دون اشارات واحالات مصدرية. ويسلك الطبري ويشايع تقنية تقليدية محافظة، فهو يستخدمها استخداما مخلصا إلى حد ما؛ حتى في مختصراته وايجازاته المتحيزة أو ذات الهدف المعين والمناسبية فإنه بالكاد يكشف ويشير إلى أي تشويه وتزييف. فالمصاعب لا تظهر حتى ان نقوم بشرح وتفسير اختياره الغريب والمتحيز لمصادره، ولا سيما التساؤل عن السبب الذي جعله يفضل في المقاطع الطويلة مصدراً محرّفا مثل سيف بن* عمر بدلا من المصادر المتسمة بالتجرد والاخلاص كأبي مخنف وعوانة وآخرين التي كان يعرفها والتي يستخدمها كثيراً[(١)].

---

* [سيف بن عمر الأسيدي التميمي الكوفي ولادة والبصري سكنا، المعروف براوية الفتوح. مكانته عند علماء الجرح والتعديل غير عالية علميا، فهو عندهم متهم بدينه ومتزندق وساقط الحديث وقد اتهم بالوضع وعدم الموثوقية وبالكذب واختلاق الأحاديث، وانه ضعيف ومتروك. هذا الموقف من سيف يتعلق برواية الحديث الشريف. أما في رواية الأخبار فالتقييم يختلف فانه أخباري عارف وأنه عند ابن حجر العسقلاني عمدة في التاريخ [ينظر ابن حبّان. المجروحين جـ١ ص٣٤٥؛ أبو نعيم الاصبهاني: الضعفاء - تحقيق فاروق حمادة، الدار البيضاء ١٩٨٤ جـ١ ص٩١، ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، بيروت ١٩٨٤، جزء ٤ ص٢٥٩] (المترجم)

(١) ولنتحدث على نحو صارم، بأن هذه المشكلة هي مشكلة شخصية أكثر من كونها منهجية ونقدية، حتى وان كان البلاذري قد أبدى علامات أو اشارات عن أخذه الرواية المبكرة جداً كقاعدة وأساس له، فان العلامة الفارقة بين المصدر الأساس والثانوي بالطبع غريب عن الكتابة التاريخية الإسلامية. وبهذا الخصوص، وكما نعتقد سيكون من الأصح القول ان ذلك ان هو إلا دوافع شخصية وبشكل أساس في منهج الطبري الانتقائي الذي هو بحاجة إلى شرح.

[هناك الكثير من الكتابات عن الطبري المؤرخ والمفسر.ومن بين أهم الملاحظات المتعلقة بموضوع البحث هي ان تاريخ الطبري يعدّ مصدرا أساسيا عن الكثير من الرواة المشهورين والمغمورين، إذ لولا تاريخ

ويصح هذا بشكل عام في وصف الطبري للثورة ضد عثمان والسنة الأولى من خلافة علي فانه يتابع سيف، ومناقشته عن التحضيرات والاستعدادت للمكاشفة بين علي ومعاوية فأنه يتابع أبا مخنف كليا ما خلا وفي مرات هنا وهناك يقطعها بمصادر أخرى. ووصفه للجزء الأخير من حكم علي فإنه قد احتاج إلى ان يتخذ بصيغة وأسلوب إعادة صياغة لرواية أبي مخنف مع تعقيبات نادرة وثانوية وفي مرتبة أدنى من مرويات أخرى. واعتياديا فان الطبري يقتبس من أبي مخنف من دون ناقل[١]، وهو كالبلاذري من المحتمل أنه قد اعتمد على مؤلفاته، وهو افتراض قد تؤيده الحقيقة بأنه في الغالب، وأيضا حيثما يجتزئ العرض بأسانيد retrospective استعادية وذلك باستعادة الأحداث الماضية، فأنه يتابع الوصف المعقول والمتماسك عند أبي مخنف.

وفيما يتعلق بالسنوات الأولى من خلافة علي فان المحتويات والمضامين الواقعية للعرض على أية حال قد انتقلت وتحولت باقتباساته من سيف بن عمر كليا. وبالإمكان تعريف وتحديد طريقته بالقول أنه ولحد هذه الفترة يتابع ويشايع رواية سيف على أنها الرواية الأساسية، ولكنه أيضا يستشهد بالواقدي وعمر بن شبة (المتوفى ٨٧٥م) وان رواية الأخير المدائني[٢] قد اعتمدها كحالة في تنويع مصادره إذا فضلت هذا القول،

الطبري مثلا لما استطعنا معرفة ان كتاب سيف بن عمر (الفتوح الكبير والردة) وهو ضائع الآن كان آنذاك في القرن التاسع والعاشر الميلاديين موجوداً بنسختين إحداهما نسخة عبيد الله بن سعد عن عمه يعقوب بن إبراهيم ولقبهما المشهور الزهري) وثانيهما عند السري بن يحيى بن شعيب بن إبراهيم الكوفي التميمي. والواقع ان مؤرخا متأخرا هو ابن حبيش (المتوفى ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) هو المؤرخ الوحيد الذي حفظ لنا رواية سيف بن عمر في كتابه (غزوات ابن حبيش). ومن اعقب الطبري من المؤرخين المسلمين قد اعتمدوا على رواية الطبري اعتماداً كبيراً أمثال مسكويه وابن الاثير وابن خلدون] [المترجم]

(١) هشام بن محمد الكلبي نلتقي به بشكل متفرق فقط كحلقة وسيطة، ومن بعد ذلك اعتياديا بخصوص تفصيلات محددة. وهذا ينطبق بشكل خاص بتفصيلات تتعلق بمعركة صفين (الطبري مجلد ١ ص٣٢٥٩-٣٢٦٠، ٣٣١٥، ٣٣١٨- ٣٣١٩، ٣٣٢٢ كيتاني مجلد ٩ص٢٦٧، ٤٦١ وما بعدها من الصفحات ٤٦٦، ٤٦٨).

(٢) ويستشهد بالواقدي بشكل رئيس عن تاريخ نكبة عثمان، ويحتمل اقتباساً من كتابه عن المدينة. ان جميع الاقتباسات عن عمر بن شبة تقريبا ترتبط بتمرد العثمانية والمرجح أنها قد أخذت من مؤلفاته الطوبوغرافية عن البصرة والكوفة، التي يذكرها الطبري في مكان آخر (جزء ١ ص١٣٧ GAL ان المصادر الأخرى- مثال الزهري والشعبي، وأحيانا مصادر شيعية أيضا أمثال الجرمي ونصر بن مزاحم- فهي تستخدم بشكل متفرق. (من الأمثلة على تصرفات الطبري الخاصة التي يمكن ذكرها وصفه لبداية ظهور العثمانية، إذ ان

كعامل تصحيحي لرواية سيف. أما انتقاء الطبري واختياره للمصادر الإضافية فمن الطبيعي إنه يعتمد على أي كتاب سيقدم له في الحالة الفردية المعلومات الكاملة بشكل أكبر، مع العلم ان التفسير الأكثر رجحانا يبدو ان الطبري يستخدم المدائني والواقدي لابرازهما كآراء تعقيبية opinio communis للجيل الذي يأتي بعد سيف من اجل توضيح وشرح احكام وتطوير وتعديل وتخفيف الاصرارات والتوكيدات المطلقة غير المقيدة لرواية لأخير، وذلك لان الاقتباسات من الواقدي والمدائني توقف وتنقطع في ذات الوقت عندما يترك الطبري سيفا كمصدر رئيس. وفي حالة عمر بن* شبة .وهو مؤرخ بصري مع ميول شيعية وصاحب الحكايات التاريخية الاسطورية والخرافية .فإن الطبري حسبما يظهر ينتقي الروايات من المدائني تلك التي تحمل طابع وبصمة دفاعية معتدلة عن علي. وربما تكون مرويات أخرى تحمل اتهامات غير مباشرة لعائشة[1] وقصص لإظهار ان البصرة «لم تحترم النبي» وان علياً قد

سيفا (الطبري مجلد ١ ص٣٠٩١- ٣١٠١، ٣١٠٢- ٣١٠٤، ٣١٠٥-٣١٠٦) عن طريق عمر بن شبة ومصدر أو مصدرين (الطبري مجلد ١ ص٣١٠١- ٣١٠٢، ٣١٠٢- ٣١٠٤، ٣١٠٥-٣١٠٦) قد نقحت وصححت، أو الوصف عن الاتفاقية بين معاوية وعمرو) وإقامة جرير بن عبد الله المؤقتة في سوريا، وهي الأمثلة التي كان فيها سيف قد الحق مع الواقدي وعمر بن شبة (مجلد ١ ص٣٢٥٢- ٣٢٥٥، ٣٢٥٥- ٣٢٥٦) وإذن فليس هناك من سبب للافتراض، كما فعل اج، أي، ار، في كب Gibb (دراسات في الحضارة الإسلامية ص١١٨) بأن الطبري كان يفضل سيفا على الواقدي وذلك لان وجهات نظر الواقدي قد وصمت بالهرطقة (البدعة)- وعن عمر بن شبة ينظر الإشارات أعلاه من ص٩٢ هامش ٤٥

* عمر بن شبة بن عبيد بن يزيد بن ريطة النميري البصري مولى بني نمير بن عامر بن صعصعة ولد في البصرة ١٧٣هـ/ ٧٨٩ وانتقل إلى سامراء وتوفي فيها سنة ٢٦٢ هـ/ ٨٧٥ وصفه علماء التاريخ والتراجم بأنه كان فقيها ثقة صدوقا، عالما بالسير وأيام الناس وأنه صاحب أخبار ونوادر ورواية. وصنف عددا كثيرا من الكتب والرسائل تتعلق بتواريخ المدن والأحداث التاريخية والانساب منها كتاب (النسب) وكتاب (أخبار بني نمير) وكتاب (البصرة) (وكتاب المدينة) وكتاب (أمراء البصرة) وكتاب (أمراء المدينة) وكتاب (أمراء الكوفة) وكتاب (أمراء مكة) (ينظر ناجي، د. عبد الجبار: اسهامات ص ٩٠- ٩٢، ٢٧٧- ٢٨١) (المترجم)

(١) الطبري مجلد ١ ص٣١٠١- ٣١٢٦،٣١٠٢، ٣١٣٧،٣١٣٤- ٣١٣٨ (كيتاني مجلد ٩ ص٥٣، ٥٦، ٥٨، ٦١) [ففي أحد هذه الأمثلة ما ذكره عمر بن شبة بان أنصار الجمل عندما أسروا عثمان بن حنيف عامل الإمام علي على البصرة أرسلوا أبان بن عثمان إلى عائشة ام المؤمنين يستشيرونها بأمر عثمان بن حنيف فقالت (اقتلوه)، وكان عثمان من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله فلما استنجدت به امرأة قالت السيدة أم المؤمنين (احبسوه ولا تقتلوه) (الطبري (عمر بن شبة) جزء ٤ ص٤٦٨-٤٦٩ [المترجم]

أفردهم عن العثمانية، وهي حقيقة على الرغم من ان الزبير قد استحضر نبوءة محمد بشأن الفتنة[١].

ليس هنالك من سبب يدعونا للاستفسار عن مدى ثقة الطبري برواية سيف بن عمر للأحداث وبالاعتماد على مؤلفات سيف عن الردة وتوسع العرب وعن الفتنة فان أداء الطبري قد تعرّض إلى عدم التوازن واتضح بأنه ينقصه الانسجام بشكل حاسم، كما أظهره فلهاوزن. ولعلنا هنا نضيف بان الطبري قد كتب ربما بعد عقد أو عقدين بعد البلاذري والدينوري واليعقوبي، ولابد من الافتراض بأنه كان عارفا بوجودهم. وفي الواقع من اللافت بأنه قد ركب رأسه وتصرف بطريقته الخاصة مع العلم ان كتابات البلاذري كانت تحت تصرفه. وقد كان على علم بالرواية السورية ـ المدنية، لكنه قد طمسها وكتمها تماما تقريبا، وأنه على شكل متناقض في الظاهر قد اعتمد بشكل أساسي على مقاطع كالتي هي موجودة عند أبي مخنف التي قد أهملها البلاذري، واختار مصدراً أُحاديا بشكل خاص لمروياته الأساسية في أقسام لها أهمية جوهرية وأساسية. ومن ثم فالاشارات بان انتقاءه للمصادر كان انتقاءً متعمدا ومقصوداً وربما أيضا على مغايرة من اعتماد أسلافه للمصادر.

ومن الجهة الأخرى فمن الواضح ان الطبري لم يكن بوسعه مواصلة خط سيف بن عمر في التفكير والاهتمام دون انقطاع وتساوق وثبات؛ فهو يتوقف فجأة وبشكل مبتور بعد وصف معركة الجمل، وان آخر المعلومات التي قد اختارها من هذا المصدر تتعلق باتفاقية معاوية وعمرو، وإذ ذاك وعندئذٍ فإن الاقتباسات المتنوعة والمختلفة من الواقدي والمدائني قد توقفت وانقطعت أيضا. وان الطريقة التي حدث فيها هذا الأمر كانت أيضا طريقة مميزة. فبالنسبة إلى معلومات سيف فأنه بعد المعركة في البصرة

---

(١) الطبري م١ ص٣١٣٦-٣١٤٠، ٣١٤٣-٣١٤٤ (كيتاني مجلد ٩ ص٦٠ وما بعدها، ١١٩ وما بعدها من الصفحات [أورد الطبري عن عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن، قال حدثنا سليمان بن ارقم عن قتادة عن أبي عمرة مولى الزبير، قال: لما بايع أهل البصرة الزبير وطلحة قال الزبير: إلا ألف فارس أسير بهم إلى عليَ فاما بيّته وأما صبّحته، لعلي أقتله قبل ان يصل الينا فلم يجبه أحد. فقال ان هذه لهي الفتنة التي كنا نحدث عنها، الطبري م١ ص٣١٣٧. [المترجم]

ابتدأت السبأية تتآمر وتكيد بغير علم علي وان الأصول والبذرات الأولى لمعارضة الخوارج قد اخترقت هذه الخطوط[١]. ويضيف الطبري معلومة مسبقة Propria auctoritatc بأنه في ذلك الوقت بالذات كان علي قد تحرر من فرقة الشيعة ومن الضغط الذي مورس على حريته في العمل، وبان الفرقة قد تركته[٢]. وبدون ان ننكر أنها طريقة غير متقنة وغير بارعة إلى حد ما في تخليص نفسه من رواية سيف، إلا انها تكشف بان فهم الطبري بوضوح وإدراكه بان وجهات نظر سيف تعدّ منسجمة ومتساوقة مع وجهات نظره، عندئذ تحول إلى أبي مخنف للاعتماد عليه.

وفي وصف الطبري لانتخاب علي، وعلى مغايرة لعادته المعتادة، فانه يستخدم سيف كملحق أو إضافة لمصادره الأخرى. وحول هذه المسألة المثيرة للجدل فانه بوضوح يضع قدرا وافرا وكبيراً من الادلة ومن شهود العيان. وعن طريق مرويات عن

(١) الطبري مجلد ١ ص٣٢٢٦- ٣٢٢٧ (كيتاني مجلد ٩ ص١٩٩) [ان البروفسور بترسن في هذه الإشارة يقصد ما قاله الطبري عن السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة انهما قالا بايع الأحنف من العشي لأنه كان خارجا هو وبنو سعد ثم دخلوا البصرة فبايع أهل البصرة على راياتهم...الخ فليس في هذه الرواية أي أثر لبدايات الخوارج المعارضين للإمام إنما الأمر يتعلق بالاحنف بن قيس وبني سعد لأنهما قد اعتزلا المشاركة في معركة الجمل وانه وقومه بعد المعركة بايعوا الإمام علي. وقد حدثت هذه الحادثة سنة ٣٦ هـ ولما تقع معركة صفين بعد. الطبري م١ ص٣٢٢٦ [المترجم]

(٢) الطبري م١ ص ٣٢٣٠ (كيتاني مجلد ٩ ص ١٥٠ وما بعدها). [وهنا أيضا قد فهم البروفسور بترسن الحادثة على غير وجهها فقد أورد الطبري خبراً عن السري وعن شعيب وعن سيف وعن محمد وطلحة قالا ان الإمام أمّر ابن عباس على البصرة وولّى زياد بن أبيه الخراج وبيت المال وأمر ابن عباس ان يسمع من زياد، وجرى حديث بين الإمام وابن عباس بشأن زياد الذي وجد فيه الإمام دراية وخبرة بينما كان ابن عباس على خلاف من هذا الرأي. فليس هناك ما يؤشر ان الإمام عليا قد تحرر ونفض يده عن فرقة الشيعة ومن ضغوطها. كما ان الطبري قد أقحم في هذه الرواية حول المناقشة بين الإمام وابن عباس فقرة نصها «واعجلتِ السبئية عليا- عن المقام- أي في البصرة- وارتحلوا بغير إذنه، فارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمراً ان كانوا ارادوه، وقد كان له فيها- البصرة- مقام (انتهى النص) والمعروف ان السبئية ليست فرقة الشيعة وليس هناك ما يؤيد ذلك، فضلا عن ان الرواية مقحمة وليس لها معنى. فارتحال السبئية عن البصرة دون إذن الإمام لا يفهم منه القطيعة بين الإمام وشيعته. كما ان هناك عدة إشارات عند الطبري عن سيف بن عمر تبين بجلاء ان السبئية والأعراب كانوا يهدفون إلى شقّ وحدة المؤيدين للإمام (طبري م١ ص٣٠٨١، ٣٠٩١) وعن سيف أيضا فإن طلحة والزبير عندما عقد العزم على الطلب بدم عثمان وقتال السبئية حتى يثأروا وينتقموا وهذه أيضا روايات مقحمة وغامضة أخرى لا يفهم منها الشيعة على الإطلاق [المترجم]

محمد بن الحنيفة وعبد الله بن عباس، وهي مرويات قد سبق بالفعل البرهنة على أنها مشكوك في صحتها. والطبري يؤكد ويرسخ بأنه باستثناء العدد القليل فان المهاجرين والأنصار قد انتخبوه، وان (الناس) قد بايعوا علياً، لذلك فان شرعية الانتخاب قد تقررت بطريقة ارثودكسية (مألوفة) مرضية[1] وبعد ذلك فإنه كان يتحقق من ذلك على أساس المدائني واقتباس واحد من الزهري بان طلحة والزبير قد انضما وانخرطا في أداء يمين الولاء «على الرغم من ان البعض قال.. انهم بايعوا رغم إرادتهم»[2]. عندئذ فقط فإن الطبري يعود إلى سيف، الذي أفاد منه في توريخ الانتخاب وكذلك في البرهنة على التنافرات بين صحابة الرسول والسبئية، إذ كان استياؤهم وسخطهم هي الوسيلة المؤثرة بالفعل في رعاية وتشجيع التنافر والشعب فيما بينهم[3]. وجميع هذه الأمثلة والمثال الوحيد الاستثنائي تفضي إلى توضيح الكيفية التي شكلت معلومات سيف القسم المدروس والمقصود من خطة الطبري، فاستخدام كل من عرض سيف والمتنوعات والمرويات المختلفة variants من الواقدي والمدائني لابد أنها قد رتبت ونظمت مسبقا وسلفا بعناية ودقة.

وعلى الرغم من الإضافات المعتدلة والاعتدالية، فان معالجة الطبري للسنوات الأولى لخلافة علي قد تأثرت بشكل قوي بحكم سيف بن عمر. وبواسطة الواقدي

---

(١) الطبري مجلد ١ص٣٠٦٦- ٣٠٦٧ (كيتاني مجلد ٨ ص٣٢١ وما بعدها) وحول الرواية المحرفة ينظر Acta Orientalia جزء ٢٧ ص١١١، وعن مذهب الخليفة الارثودوكس ينظر E. Tyan مقالة bay'a في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة ثانية) مجلد ١ ص١١١٣ وما بعدها، ينظر في الكتاب ص١٦٤.

(٢) الطبري مجلد١ ص٣٠٦٧-٣٠٧٢ (كيتاني مجلد ٨ ص٣٢٢ وما بعدها) [يورد الطبري عدة روايات عن عمر بن شبة على ان الأنصار قد بايعوا الإمام إلا نفراً يسيرا. وفي رواية يقول الطبري فيها وحدثني من سمع الزهري يقول هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا... وقال آخرون إنما بايع طلحة والزبير عليا كرها، الطبري مجلد ١ ص٣٠٦٩- ٣٠٧٠ [المترجم]

(٣) ينظر استنتاج الطبري مجلد ١ ص٣٠٧٨ (كيتاني مجلد ٨ ص٣٣٥) [ويقصد قول الطبري الذي نصه «قال أبو جعفر وسمح بعد هؤلاء الذين اشترطوا الذين جيء بهم، وصار الأمر أمر أهل المدينة، وكانوا كما كانوا فيه، وتفرقوا إلى منازلهم لولا مكان النزاع الغوغاء فيهم» انتهى قول الطبري، والنص فيه غموض وعدم ترابط مع انه خلاصة لما وقع من اختلاف بشان بيعة طلحة والزبير وانهما بايعا كرها أو كما قال واللّج أي السيف على عنقي. لكن الطبري مع ذلك يختم هذه الرواية المتقطعة بقوله وبايع الناس كلهم. الطبري مجلد ١ ص٣٠٧٧- ٣٠٧٨ [المترجم]

وأبي هلال الشيعي على نحو صرف[١] فان الطبري شدّد على انه ليس بوسع علي ان يضع جانبا ويلغي مكانته واعتباره الديني لمصلحة الانتهازية وذلك بالابقاء على ولاة عثمان في مناصبهم، وفي مرحلة لاحقة فانه قد سعى بشكل مماثل، وهنا يعتمد الطبري مصدرا ومرجعية من أبي بكر الهذلي والزهري، ليبين ويعرض بأنه مباشرة وقبل معركة الجمل كان علي مع ذلك يستحث خصومه ويلحّ عليهم بأن يجعلوا القرآن معولاً لحسم مسالة خلافاتهم[٢]. وبمعنى آخر، انه شددّ على عزم علي في تفادي الحرب الأهلية، ومن الجهة الأخرى، فان اقتباساته من سيف تفيد في عرض وإظهار اتباع وشيعة علي المتطرفين rabid وبأنهم كانوا دوما يمنعونه ويعيقونه في الوصول إلى غرضه وهدفه. ففي هذه الطريقة يصبح غرض الطبري من الممكن إدراكه. وانه يشاطر إصرار سيف بان النزاعات قد اثارتها السبئية، وبذلك فانه وضع قوة كبيرة جداً في مسالة تبرئة علي وتبرير موقفه. وبالنسبة إليه فان الأمر لم يعدّ مجرد استفسار عن وضع مسؤولية الفتنة، ولكن أيضا في عرض وإظهار ان عليا والدوائر والجماعات من أهل المدينة والعراقيين الذين وقفوا وراء خلافته قد امتلكوا وأحرزوا الإرادة والتصميم باتخاذ خط صافٍ ومستقل وديني على الرغم من تخريب المتطرفين من الشيعة. وانه حافظ على .ويحتمل على مغايرة مع سيف .ان عليا قد وفق بتحرير نفسه من قيودهم واشكالاتهم trammels بالرغم من ان شيعة علي الحقيقيين لم يصبحوا حقيقة مادية وواقعية إلى حين انسحاب الخوارج بعد صفين[٣].

ومن الناحية الأخرى، فان استعمال سيف بن عمر مصدراً رئيساً لابد انه قد مارس تأثيراً لا محيص عنه أيضاً فيما يتعلق بمعالجة الطبري لمسألة علاقات علي مع معاوية. وبوجود سيف مصدراً له فقد رأى ان الصدع في العلاقة مع الوالي السوري هو صدع يتعذر معالجته وإصلاحه وذلك عندما اتهم علي مباشرة بعد انتخابه، وعلى نحو مميز،

(١) الطبري مجلد ١ ص٣٠٨٣- ٣٠٨٥ وص ٣٠٨٥- ٣٠٨٦ على التوالي (كيتاني مجلد ٨ ص٣٣٩ وما بعدها.
(٢) الطبري مجلد ١ص٣١٧٥-٣١٧٦، ٣١٨٤-٣١٨٧ (كيتاني مجلد ٩ ص ١٣٤ وما بعدها).
(٣) الطبري مجلد ١ ص ٣٣٥٠-٣٣٥١ (كيتاني مجلد ٩ ص٥٤٢)

فانه لا يقتبس أي مرويات متنوعة في هذه المناسبة، وعلى العكس فإنه كان يشدّد على الشعور والوعي الديني في الاحتشام واللياقة لابد ان تتطلب الاقصاء الفوري لمعاوية من منصبه، دون الحاجة إلى محاولة «دلهم أو قادهم .السوريون .إلى موضع الماء الذي هم أنفسهم قد تركوه[1]» «فقد أودع الله الحكم والسطوة (السلطان) في الإسلام لنا» وكما جعل علي يصّرح في دعوته للقتال ضد السوريين «لعل الله سيصلح بمساعدتكم الضرر الذي قد تسبب للناس في الأقاليم (أهل الآفاق)[2]».

لذلك فمن المفهوم ان الطبري لم يجده مناسبا استعمال رواية أبي مخنف في تبادل التعقيبات بين الفريقين بعد معركة الجمل، وكذلك فإن استخدام سيف مع ذلك لابد ان يؤثر في معالجته للمكاشفة بين علي ومعاوية. كما ان اتفاقية عمرو مع معاوية قد أُرخت، بتأثير من الواقدي وسيف، في وقت سابق لوصول جرير بن عبد الله، وان هذه

(١) الطبري مجلد ١ ص٣٠٨٥- ٣٠٨٦ (كيتاني مجلد ٨ ص٣٣٨ وما بعدها من الصفحات [الواقع ان هذه المعلومات التي أخذها الطبري عن محمد الذي حدثه بها هشام بن سعد عن أبي هلال قال:- فيروي قصة ابن عباس مع الإمام بعد ان أشار المغيرة بن شعبة على الإمام أما الابقاء على عمّال عثمان أو الابقاء على معاوية وتثبيته في منصبه لأن به جرأة وهو في أهل الشام مسموع الكلمة. فأبى الإمام الرأيين قائلا «والله لا أُدهن- بمعنى اداهن- في ديني ولا أعطي الدني في أمري» وهذا النص قد ترجمه البروفسور بترسن في أعلاه ترجمة لا تتفق مع هذا القول، وربما أراد البروفسور ما ذكره ابن عباس للإمام بان الحرب خدعة ثم قال «أما والله لئن اطعتني لاصُدرنّ بهم بعد وِرد، ولاتركنهم ينظرون في دُبر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها، في غير نقصان عليك ولا أثم لك» انتهى القول، إذ ليس هناك ما يدل على موضع ماء وأنه قد يدلهم عليه ثم يتركون ذلك الموضع، بما تشير إليه تعبيرات (لاصُدرّن بهم بعد ورد ولأتركنهم ينظرون في دبر الأمور..الخ [طبري مجلد ١ ص٣٠٨٥- ٣٠٨٦] [المترجم]

(٢) الطبري مجلد ١ ص٣٠٩١- ٣٠٩٤ (كيتاني مجلد ٩ ص٢٤). [وهنا أيضا لابد من التعليق على ترجمة البروفسور بترسن لعبارة «فقد أودع الله... الخ» فالرواية جاءت عن طريق السري وشعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا. وتتضمن الرواية استئذان طلحة والزبير في العمرة. ثم ما أراده أهل المدينة من معرفة موقف الإمام علي من محاربة أهل القبلة، أو أيجسر عليه أو ينكلُ عنه. فكان رأي الإمام غزو الشام والحرب. وهنا خطب الإمام أهل المدينة ودعاهم إلى القتال قتال أهل الفرقة قائلا «ان الله عزّ وجلّ بعث رسولا هاديا مهديا بكتاب ناطق وأمر قائم واضح... وان المبتدعات والشبهات هن المهلكات إلا من حفظ الله، وان في سلطان الله عصمة أمركم، فاعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكره بها، والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الإسلام ثم لا ينقله إليكم أبداً حتى يأرز الأمر إليها- إلى المدينة- انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون يفرقون جماعتكم، لعل الله يصلح بكم ما افسد أهل الآفاق وتقضون الذي عليكم» انتهى قول الإمام)، وبذلك تظهر الاختلافات في الترجمة [المترجم] طبري ص٣٠٩٢-٣٠٩٣

خطوة المبادرة مرة أخرى قد تحولت إلى عمرو نفسه. وكما هو الحال في المصادر تماماً: وهكذا هنا أيضا ومن خلال نبوءة كاهن يهودي فان عمراً كانت له معرفة مسبقة بنتيجة النزاع ولذا كان بوسعه نتيجة لذلك ان يتجاهل مثل هذه الاعتبارات الدينية التي ربما تثار بطريقة أو أخرى ضد هذا التحالف؛ وهكذا يختتم الطبري الرواية قائلاً ما نصه: .«وفي هذه السنة أعطى عمرو اعترافه بمعاوية واتفق معه على شنّ الحرب على علي[1]». وهكذا فهدف معاوية .من خلال تفسير المصدر الذي لا ينكر تطرفه .وهو بالفعل إذن استنتاج سابق .كان موجهاً برغبته وتوقه الشخصي الشديد للسلطة، وان الباعث الحقيقي للنزاع، وهو حقه الشرعي title في الانتقام بأخذ ثأر الدم، لم يؤخذ بالحسبان تماماً. فحينما لم يعدّ السبئية يمثلون أي عقبة أمام حرية علي في التحرك والعمل كذلك وللسبب نفسه لم يعدّ هنالك أي عقبة بالنسبة له في معاقبة قتلة عثمان. وعلى أية حال فإن الطبري لم يوفق في أي مكان من خبره عن بعثة جرير إلى سوريا في ان يذكر إصرار معاوية على حقه الشرعي في الأخذ بثأر الدم غير إنه ظل بشكل ضيق ومحدود ملتزما بطلب الخليفة في البيعة[2]. وان خطوة المبادرة في النزاع، إذن، على الاجمال تنسب إلى معاوية وعمرو، إذ لم يعدّ هناك أي ضرورة للصفح من جانب علي أو بحاجة إلى كبش فداء .السبئية .في تحمّل تبعة المسؤولية.

وهكذا كان الطبري واقعيا متفقا ومنسجما مع أبي مخنف فيما يتعلق الأمر بتاريخ الصدع في العلاقة أنه كان مباشرة بعد انتخاب الخليفة، إلا ان الاتهام ضد معاوية قد تفاقم وأثير عبر التبديلات والتغييرات التي أخذها على عاتقه وتولاها كما هو الحال عند الواقدي وسيف بن عمر، بعد معركة الجمل؛ وكان القصد من خبر جرير بن عبد الله، الذي استقاه من المدائني، فإنه من الجلّي كان لخدمة الغرض نفسه. وان ما تبقى من قصة ورواية الطبري فإنها تشايع، كما تم ذكره بالفعل، بشكل متسم بالتقليد

(١) الطبري مجلد ١ ص٣٢٤٩- ٣٢٥٤ (كيتاني مجلد ٩ ص٢٣٥ وما بعدها من الصفحات)

(٢) الطبري مجلد ١ ص٣٢٥٤- ٣٢٥٦ (كيتاني مجلد ٩ ص٢٣٣ وما بعدها)، وقد اقتبس الطبري عوانة مصدراً عن بعثة جرير، الذي كانت روايته، مصادفة جاءت مقاربة جداً من رواية الشعبي. لذلك ليس بوسعنا ان نستبعد احتمالية مهما بدا من ضعفها بان إهمال وإقصاء باعث معاوية ربما يرجع إلى اختصار الطبري.

والمحاكاة تقريباً رواية وقصة أبي مخنف، وهي إشارة تبين رؤيته لهذه الفترة التي لا تختلف كثيراً عن رؤية الأخير ـ أبي مخنف .. وبافتراض هذا التفسير الذي قدّم بالفعل عن أبي مخنف هو التفسير الصحيح، فإن الطبري عاد إلى حالة الدفاع عن مصالح العباسيين والعلويين، وعلى الضد، أيضا عاد إلى الاتهام القاسي والجافي للأمويين، وكان في هذا على مغايرة تماماً مع موقف البلاذري، وبالإمكان دعم هذا التصور والفهم بالتاريخ الزمني للطبري وكذلك بتقويمه لعبد الله بن عباس والخليفة وعلاقاتهما. أما بخصوص التاريخ الزمني، وهنا أيضا فان الجزء الأخير من خلافة علي هو الذي يستحق اهتمامنا الخاص. وهذا ينطبق بشكل خاص على التواريخ اللاحقة، أما التي ثبّتها وعيّنها الطبري نفسه والتي أخذت عن أبي مخنف فهي حسب الآتي: .

تاريخ اتفاقية التحكيم في صفين «اعتماداً على ما ذكر» قد وضعه في يوم الأربعاء (١٥ من شهر صفر سنة ٣٧هـ/ ٢آب ٦٥٧) مع تعهد والتزام الحكمين بان يجتمعا في رمضان القادم[١].

وفي تلك السنة انسحب الخوارج من علي ورفاقه[٢].

اجتماع التحكيم قد وضع في سنة ٣٧ هـ دون تفصيلات أخرى وأقصد قبل ٨ حزيران [٣]٦٥٨م.

وعندما افترق الحكمان، أدى السوريون البيعة لمعاوية، وعندئذ فانه في سنة ٣٨ هـ هاجم علي في مصر والبصرة[٤]...الخ.

معركة النهروان قد وضعت في سنة ٣٧ هـ وأقصد مع ذلك قبل ٨ حزيران ٦٥٨م، ولكن بعد اجتماع التحكيم[٥].

---

(١) الطبري مجلد ١ ص٣٣٤٠ (كيتاني مجلد ٩ ص٤٨١)

(٢) الطبري مجلد ١ ص٣٣٥٠(كيتاني مجلد ٩ ص٥٤١)

(٣) الطبري مجلد ١ ص٣٣٥٤ (كيتاني مجلد ١٠ ص١٨)، ويذكر الطبري امراً مختلفاً، مع إنه على أية حال لم ينتفع منه، بأن الواقدي يؤرخ الاجتماع في شهر شعبان سنة ٣٨ هـ (طبري مجلد ١ ص٣٣٦٠)

(٤) الطبري مجلد ١ ص٣٣٩٦ (كيتاني مجلد ١٠ ص٢١٤).

(٥) ينظر كيتاني مجلد ١٠ ص٧٧ عند الطبري مجلد ١ ص٣٣٨٧- ٣٣٨٩ (كيتاني مجلد ١٠ ص٩٩ وما بعدها) يذكر على أية حال بان اكثرية الرواة قد أرخوا المعركة في ٣٨ هـ ويستشهد بمفهومية أبي مريم الذي من

وبعد معركة النهروان ترك كثير من الناس عليا، ومهما يكن فان عبد الله بن عباس لم يزل يذكر بانه بقي إلى جانبه[١]، ولم ينفصل عن الخليفة إلا في سنة ٤٠ هـ «وهذا ما هو ثابت عند جميع الرواة».[٢]

والتاريخ الزمني للطبري على الإجمال هو حسب النموذج المعتاد والمألوف.ومع ذلك فمن اللافت للنظر انه قد اختصر رواية أبي مخنف بشأن الصدع في العلاقة بين ابن عباس وعلي. وقد حذف واسقط مسألة تبادل الرسائل المشوهة للسمعة، والتي اختتمها أبو مخنف بتهديدات ابن عباس بأنه سوف يغير موقفه ويقوم برحلة إلى معاوية. حتى وان لم يكن الطبري قد أنكر فساده الإداري واختلاسه الأموال في البصرة، فانه أضاف بطريقة تهدف إلى التقليل من خطورة الموقف بان ابن عباس لم يأخذ اكثر مما كان يستحقه[٣].إلا انه بعدئذ، ومباشرة أي قبل هذا القول فان الطبري يعيد من جديد «استناداً إلى ما ذكر، فان هدنة* قد اتفق عليها بين علي ومعاوية (في سنة ٤٠هـ) بعد تبادل المكاتبات التي كانت شاملة جداً ليذكر** (هكذا وجدت) بأن يكون العراق لعلي، وسوريا لمعاوية». وان خطوة المبادرة في هذا قد نسبت إلى معاوية[٤]. ان هذا المقطع عند الطبري، الذي بسببه استشهد بزياد بن عبد الله البكائي

ناحية أخرى هو مجهول في ان يوضح لكذا حدث. ينظر أيضا الطبري مجلد ١ ص٣٤١٣- ٣٤١٤ (كيتاني مجلد ١٠ ص١٥١ وما بعدها).

(١) الطبري مجلد ١ص٣٣٤٠ (الشعبي، كيتاني مجلد ١٠ ص١٨٧ وما بعدها)

(٢) الطبري مجلد ١ ص٣٤٥٣ (كيتاني مجلد ١٠ ص٢٠٣) فانه ينكر بان ابن عباس قد ظل مع علي وأنه فقط ترك ابنه الحسن عندما توصل الأخير إلى تفاهم مع معاوية (مجلد ١ص٣٤٥٥-٣٤٥٦، (كيتاني مجلد ١٠ ص٢٠٣ وما بعدها)

(٣) الطبري مجلد ١ ص٣٤٥٣- ٣٤٥٥ (كيتاني مجلد ١٠ ص٢٠٣ وما بعدها، وهامشه رقم ٢ على ص٢٢٢)

* وردت عند الطبري المهادنة مجلد ١ ص٣٤٥٣ [المترجم]

** ورد عند الطبري التعبير [مكاتبات جرت بينهما يطول ذكرها الكتاب على وضع الحرب بينهما ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام [مجلد ١ ص٣٤٥٣ [المترجم]

(٤) الطبري مجلد ١ ص٣٤٥٢- ٣٤٥٣ (كيتاني مجلد ١٠ ص٣٣٠) وقد اقتبس المقطع نفسه عند كيتاني اعتماداً على أبي الفرج الاصفهاني (الأغاني جزء ١٠ ص١٥٧) وفيما يتعلق بشخصية معينة في محاولة ومسعى النابغة لرعاية وتشجيع الخلاف بين علي ومعاوية من اجل الحصول على حظوة واستحسان معاوية وهذه الإشارة مع الإشارة عن بسر بن ارطاة تخص الحملة ضد الحجاز واليمن في نفس تلك السنة. وعند ابن

(المتوفى ٧٩٩ ـ ٨٠٠ م)، ثم عن محمد بن اسحاق، لا يقف منعزلا تماماً في النقل العربي فقط، إنما بصراحة وبشكل مكشوف قد تناقض مع المصادر الأخرى التي تكشف عن وجود مشاكل ومصاعب أمام علي في إقناع الكوفيين حول تجديد الهجمات على سوريا، وهي مشاكل قد صمت الطبري عن ذكرها بشكل خاص. ليس هنالك من سبب في ان يلحق ويربط أي مصدر أو مرجعية تاريخية إلى هذه المعلومات، التي يحتمل أنها ترجع إلى سوء الفهم أو إلى سوء في بناء معلوماته، ان وضع الطبري لهذه المعلومات في سياق هذا الكلام لابد ان يفهم منه بأن ذلك يعدّ محاولة للتمويه gloss بشان الصدع في العلاقة بين ابن عباس وعلي[1]. فتصوير الطبري في مخططه وشكله العام لابن عباس لابد وإنه في الأحوال الطبيعية يحتوي على العلامة المؤشرة لمصدريه الرئيسين، غير ان الانطباع الإجمالي للناصح المخلص والأمين إلى جانب علي يبرز هنا بالشخص المبدع والخلاّق بشكل خاص، فبطل العباسيين لا ينفذ أية تسوية وأي صلح مع الأمويين، ولكنه يتابع ويشايع عليا بإخلاص إلى ان تحول عنه علياً بشكوكه التي لا أساس لها من الصحة، وانه رفض ان يضم جهوده إلى الحسن في تسوية الأخير وصلحه مع معاوية[2].

يتابع الطبري في حكمه على علي نفسه الخطوط التي قدمت في المقطع السابق بقدر ما انه يجمع ويضم كاتب سيرة النبي، فان ابن هشام في وصفه الشبيه بسيّر القديسين عن خيرية وأفضل مؤيد لمحمد والذي لم ينحرف. وهنا فانه يرتبط ويرافق

الكلبي (جمهرة الأنساب، مخطوط، بريطانيا ورقة ١٣٨(ر-ف)، كيتاني مجلد ١٠، أيضا الاستيعاب ص٦٥ والأغاني جـ٤ ص١٣١ وما بعدها؛ كيتاني في الوضع السابق) هذه الحادثة قد ذكرت بهذا الخصوص لكي لا يكون للمقطع بهذا السياق أهمية بالنسبة لنا وحسب راوية الطبري، البكّائي، الذي كان تلميذا لابن اسحاق، غير انه بطريقة أخرى نادرا ما يستشهد به هنا (ينظر على أية حال الطبري مجلد ١ ص ٣٤٥٠-٣٤٥٢، كيتاني؛ مجلد ١٠ ص٣٠٧ وما بعدها من الصفحات). ينظر ابن خلكان رقم ٢٤٧، فستنفلد رقم ٣٥، روزنثال: علم التاريخ ص٣٢٢، آبوت Abbot ص٨٩، ٩٤، ويخطأ كيتاني تسمية أبو اسحاق بدلا من ابن اسحاق في الإسناد.

(١) ينظر فلهاوزن: Kingdom ص١٠٤ وما بعدها من الصفحات، إذ لا يمكن ان يكون حدسه ممكنا للدفاع عنه.

(٢) نفس المصدر ص١٠٨ هامش رقم ١.

التأييد بالنبرة في الرواية العراقية عن نشاطاته وفعالياته باعتباره خليفة النبي[1]. وتقييم الطبري يتوافق ويتطابق على نحو واضح وبشكل جيد مع ذلك التقييم في المدرسة العراقية ولاسيما مدرسة أبي مخنف. ومع ان هناك أهمية اكبر تتمثل في الاتجاه والنزعة الصارمة والقاسية المعادية للأمويين والتي يمكن ملاحظتها في عدة نقاط عند الطبري، والأكثر وضوحا ربما هو في معالجته للتمرد السوري. فليس هنالك من شك بأن سبيل معاوية في الوصول إلى الخلافة قد نظر إليه بأنه اغتصاب وغير شرعي، بدءاً من إعلان الوالي السوري الصريح عن عدائه لعلي، وقد وصل ذلك ذروته عندما تلقى البيعة خليفة وحينما هزم عمرو بن العاص بمناوراته البارعة outmanoeuvered أبا موسى في جلسة الاستماع في التحكيم. ان مثل هذا الاتهام القاسي وإلى زمن تأليف الطبري لكتابه ربما كان ينظر إليه على انه متناقض نوعما. ففي الكثير من النواحي فان وجهة نظره . كما سيتضح في أدناه . تقترب من وتدنو من وجهات نظر الشيعة المعتدلين كما صيغت عند الدينوري واليعقوبي، وهو عامل يؤخذ بعين الاعتبار سوية مع انفصاله الذي لا يمكن تسويته من قبل الشيعة المتطرفة كما رآه هو قد صيغ في موضوع السبئية ولعل ذلك يساعدنا في تصنيف وتعيين الطبري في سرده الزماني والمكاني.

وفي نفس الوقت عندما كتب الطبري حولياته كانت الحركة الاسماعيلية المعارضة قد خلفت وحلّت محل الخوارج في العراق. فانتفاضات الزنج ٨٧٠ .٨٨٣م ربما مع ذلك لها شخصية و صفة خارجية، ولكن من الآن فصاعداً فان الإعلان والدعاية الاسماعيلية قد تحركت إلى الإمام نحو الطبقات الدنيا في الريف وكذلك في المدن ثم انتهت إلى ان تطبع الثورات الخطيرة في الفترة اللاحقة بعلامة بارزة. وفي هذا الوضع فان سلطة الخلافة، على أية حال، وعلى نحو دوري قد حاولت الحصول على تسوية وصلح مع الجناح الشيعي المعتدل، وهي حالة تؤدي منطقيا إلى عدم الاستقرار وإلى القلق الفعلي في الميزان الاجتماعي والسياسي خلال الأجيال اللاحقة وحتى

(١) سارسين Sarasin ص٣٠ وما بعدها من الصفحات.

أواسط القرن العاشر الميلادي.

ومع ان الطبري لم يكتب أبداً تحت إشراف رسمي أو شبه رسمي، فان وجهة نظره في الحوليات وكذلك في تفسير القرآن تتوافق تماما مع الوضع الشرعي (الارثودكسي) السني في مثل هذه الحالة. فمن المؤكد ان السمعة الحسنة العالية التي يحتفظ بها والتي تولاها من قبل معاصريه تعطي أهمية وشأنا كبيرين لآرائه. وقد شهد بصحة هذا غضب وحنق الحنابلة الشديد عليه انتقاما لهجماته عليهم[١]، وكذلك يتضح هذا الموقف العدائي من الأخبار المتوافرة عن حالات الشغب التي عمّت عند تشييع جنازته في بغداد وذلك بسبب اتهامه بأنه متعاطف مع الشيعة[٢]. ومن المسلم به ان نصّر على ان مثل هذه النزعات المعارضة للأمويين التي قد وجدناها عنده قد وجهت ضد وجهة نظر البلاذري، فالجدال العنيف المباشر لا يمكن ملاحظته في أي مكان. وعلى أية حال، ومما لاشك فيه بان هجماته ضد معاوية على انه قد اغتصب السلطة قد تشير إلى الرؤى التي قد هيمنت وسادت في الإسلام، ومن بينها تلك الخاصة بالمدرسة الحنبلية. فالطبري، كما هو الحال عند الحنابلة، يصّر على إقامة الدليل على جزمه وتوكيده من خلال مرويات ترجع في التاريخ إلى الوراء حيث المتعاصرين مع الحدث، غير إنه وبمغايرة مع الحنابلة فانه أيضا يعتبره شيئا أساسا في إثبات ذلك والبرهنة على ذلك منذ البداية بان طموحات معاوية في السلطة ترجع إلى إنه قد تربى عليها والتي لا علاقة لها، مثلاً، بمناقشة ومجادلة البلاذري بأنه قد عمل شرعياً بوصفه ولياً لعثمان

وبغية توضيح وفهم غرضه ومرماه لابد للطبري من العودة إلى الرواية العراقية القديمة من نهاية القرن الثامن للميلاد، عند أبي مخنف في صفائها، وعند سيف بن عمر في صيغتها المحرّفة المؤيدة للعباسيين وبعض الأحيان قد يلجأ إلى سلسلة من

---

(١) ار، باريت Paret في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة أولى) مجلد ٤ ص٦٢٥. وبشكل مميز فان الطبري في حولياته قد تفادى قدر الإمكان ذكر نزاع الحنابلة مع المعتزلة في عهد المأمون ومن أعقبه من الخلفاء.

(٢) مرغليوث، محاضرات ص١٠١ وما بعدها ص١٠٨

القمع والطمس الفضيع للحقائق[1]. وفي هذه الحالة أيضا فان وجهة نظره .بصرف النظر عن مراعاته المبادئ الأساسية .التي بالامكان وبشكل مناسب جداً موازنتها مع المدرسة الحنبلية في ارتدادها إلى الرواية السورية .المدنية، وباختلاف واحد وهو إنه بخلاف الطبري أو سيف، فأن هذه المدرسة لا تسعى إلى شرح وتفسير مستمر للتوزيع التاريخي لهذه المسؤولية. أما من ناحية التدوين التاريخي فان المنهج الذي استخدمه الطبري يصعب ان يقال بأنه يمثل أي تقدم. فأداؤه يدلي بدليل بّين في الدفاع عن العباسيين وعن علي[2]، وان الموقف السني (الارثودوكسي) قد تحقق بصورة اقل استقلالية مما هو عليه الحال في (تفسيره)، وعمله ينقصه القدرة على الإقناع وقوة الحجة التي كانت متمثلة عند البلاذري.

ان إسهام الطبري الشخصي بشكل كبير .أيضا فيما يتعلق بالحنابلة .يكمن في خطته الواسعة القياس لتاريخ شامل في الحوليات. حتى وان كان (ومرة أخرى كما هو الحال في تفسيره للقرآن) محافظا بدرجة كبيرة ومع ذلك فقد أوجد عرضا زوّد السنة (الارثودكسي) بثقل الموازنة بشكل دائم، وان فضيلته وآهليته الواضحة قد قدمت ثروة إلى وجهات النظر الجامعة والشاملة الأساسية التي صيغت من قبل النبي، بتساوق وثبات وعلى أساس (ارثودكسي) سني. ان محصلة الجمعية الطبرية في الكثير من الحالات قد أنجزت الحاجات والضرورات في زمنه وفي زمن الأجيال اللاحقة افضل من إجلال وتقدير البلاذري لعظمة الإمبراطورية العربية، أو الايدلوجية الحنبلية ولعلها ايدلوجية طوباوية .وهي طريقة للفهم لم تعد قادرة على ان تفرض بالقوة نفس الاهتمام كما هو الحال في مسعى الطبري في وضع الفتنة في سياق الكلام وفي بيئة عصره ومحيطه.

---

(١) ينظر فلهاوزن، Prolegomena ص١٤٤، هامش ٢ ولم يكتم الطبري، عرضيا، أي سرّ في انه قد طمس الكثير من الأمور المؤلمة.

(٢) عن تعاطفه المؤيد للعباسيين كما يظهر في وصفه للثورة العباسية واستقرارها بنظر اس. موسكاتي Moscati في مجلة Rendiconti della Reale Accademia dei Lincei (Roma) سلسلة ٨ عدد ٤ (١٩٤٩) ص٣٢٣ وما بعدها من الصفحات، ٤٧٤ وما بعدها من الصفحات سلسلة ٨ عدد ٥ (١٩٥٠) ص٨٩ وما بعدها.

(٤)

الدينوري (المتوفى حوالي ٨٩٥م)

من الصعب جداً ان نحافظ على الوعي في تسلسل الأحداث للرواية الشيعية في القرن التاسع الميلادي، فبعد موت نصر بن مزاحم (٨٢٨م) كان هناك فراغ وفجوة مميزة في معرفتنا عن النقل الشيعي، وان أحد الأسباب لذلك هو ان مثل هؤلاء المؤلفين المتشيعين كالدينوري واليعقوبي (المتوفى ٨٩٧م) يختلفون عن المؤرخين الآخرين لأنهم لا يستشهدون ولا يعرّفون برواتهم.. ونحن نعرف بالتأكيد ان الكتابة التاريخية الشيعية أو المتشيعة. ويحتمل بمركزها الذي ظل باقيا في الكوفة. قد وجدت فعلا، ومن عدد قليل من الأمثلة نعرف أسماء النقلة، ولكن فيما عدا ذلك لا نعرف شيئاً؛ فهيكليتها ومحتوياتها قد زالت نهائيا أو قد تلاشت. وبالكاد فإن هذه الفترة قد شهدت أي راوية يمكن ان يُعدّها حاملا وناقلا للرواية الشيعية بالمعنى من المعاني الذي كان عليه نصر بن مزاحم. ففي جانب من التفسير لهذه الظاهرة ربما نجده بشكل يمكن تصوره في اندماج النقل الكوفي بالرواية السنية (الارثودكسية)، والنزعات والاتجاهات المعتزلية المؤيدة لعلي ويحتمل أنها قد أضحت غير ضرورية ومهما تكن الظروف فقد أصبحت رواية شيعية خاصة ومعتدلة؛ ولدينا فقط معرفة غير محددة وغير متفق عليها بشان هذه المسائل.

ان كتاب نصر بن مزاحم. ويحتمل ليس كتابه واقعة صفين فقط. وأفكاره يبدو انه بصورة عامة، ومن الطبيعي، قد انتشر وظل ينتشر لأجيال كثيرة، ضمن الجماعات والدوائر الشيعية. فابنه الحسين بن نصر كان كثيراً ما يبدو انه ناقل لمرويات والده، والذي أيضا قد أعقبه احمد بن عيسى بن موسى العطّار وهو بطريقة أو أخرى مجهول تماما[١]. وان هذه الرواية قد دونت مباشرة في الكتاب الضائع الآن وهو (كتاب في

(١) مثال الأغاني جزء ٩ ص٥ (كيتاني مجلد ١٠ ص٥٩؛ ينظر الطبري مجلد ١ ص٣٣٦٣-٣٣٦٩؛ كذلك مقاتل الطالبيين بالنسبة إلى وصف موت علي (كيتاني مجلد ١٠ ص٤١٠، ٤١٢، ٤١٤)؛ الطبري مجلد ١ ص٣١١١- ٣١١٢ (كيتاني مجلد ٩ ص١٢٠ وما بعدها من الصفحات- ان كنية احمد بن عيسى العطّار

سيرة علي) تأليف إبراهيم بن ديزل الهمداني (المتوفى ٨٩٦ ـ ٨٩٧م)[١]. وكما ستتم الإشارة إليه في أدناه بان نصر بن مزاحم يعدّ المصدر الرئيس للدينوري والذي استُخدم أيضا من قبل اليعقوبي والمسعودي. فضلا عن ذلك فان كتابه (واقعة صفين) قد استخدمه الشريف الرضي (المتوفى ١٠١٥ ـ ١٠١٦م) في كتابه نهج البلاغة* وكذلك

(تاجر العطر ينظر دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص٧٥١ وما بعدها) وهو اسم كما هو الحال بالنسبة إلى نصر بن مزاحم وبنو عجل التي ينتمي إليها احمد بن عيسى، وكانوا شيعة تحداريا أو في العادة

(١) كيتاني مجلد ٩ ص٢٩٢ وما بعدها من الصفحات ص٥٣٧ وما بعدها من الصفحات ٦٠٨، ٦١٧، ٦٣١ (واعتماداً على ابن حجر جزء ١ أرقام ٢٤٩٣، ٢٠٠٨) جزء ٣ ص١٦٠٢ وفيه استشهاد بكتاب صفين من تاليف الديزي) جزء ١٠ ص٢٢٨ (إذ استشهد به معتمداً الذهبي وابن كثير) ينظر أيضا (جزء ٩ ص٢٩٣)

* ان رأي البروفسور قد سبق وان أثير في الكتابة التاريخية وقد وقف عليه ابن أبي الحديد في النهج، فذكر أولا وقبل كل شيء ان هناك فرضية على ان الكتاب من تأليف الشريف الرضي محمد بن أبي احمد الحسيني نقيب الطالبيين. وابن أبي الحديد قد أشار في العنوان إلى انه «جمع الشريف الرضي» غير انه قد وقف بشكل واضح جداً لا مجال للغموض والشك فيه على ان هذه الفرضية الشكّية آنذاك- أي زمن ابن أبي الحديد المعتزلي- غير صحيحة فيقول «ان كثيراً من أرباب الهوى يقولون ان كثيراً من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة وربما عزوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن وغيره وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم فضلّوا عن النهج الواضح وركبوا بينات الطريق ضلالا وقلة معرفة بأساليب الكلام وأنا أوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط فاقول لا يخلو أما ان يكون كل نهج البلاغة مصنوعا منحولا أو بعضه والأول باطل بالضرورة لأنّا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقد نقل المحدثون كلهم أو جلّهم والمؤرخون كثيراً منه وليسوا من الشيعة ينسبوا إلى غرض في ذلك. والثاني يدل على ما قلناه لان من قد أنس بالكلام والخطابة وشدّ اطرفا من علم البيان صار له ذوق في هذا الباب لابد ان يفرق بين الكلام الركيك والفصيح وبين الفصيح والافصح وبين الأصيل والمولد وإذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاما لجماعة من الخطباء أو لأثنين منهم فقط فلابد ان يفرق بين الكلامين ويميز بين الطريقتين إلا ترى انّا مع معرفتنا بالشعر ونقده لو تصفحنا ديوان أبي تمام فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد وقصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام ونفسه وطريقته ومذهبه في القريض. إلا ترى ان العلماء لهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه لمباينتها لمذهبه في الشعر وكذلك حذفوا من شعر أبي نواس شيئا كثيرا لما ظهر لهم انه ليس من ألفاظه... وأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحد ونفسا واحدا وأسلوبا واحداً كالجسم البسيط الذي ليس بعض من ابعاضه مخالفا لباقي الابعاض في الماهية وكالقرآن العزيز أوله كأوسطه وأوسطه كآخره وكل سورة منه وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور ولو كان بعض نهج البلاغة منحولا وبعضه صحيحا لم يكن كذلك فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم ان هذا الكتاب أو بعضه منحولاً إلى أمير المؤمنين عليه السلام. واعلم ان قائل هذا القول يطرق على نفسه مالا قبل له به لأنّا متى فتحنا هذا الباب وسلطنا الشكوك على انفسنا في هذا النحو لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله(ﷺ) أبداً وساغ لطاعن ان يطعن ويقول هذا الخبر منحول وهذا الكلام مصنوع وكذلك ما

أيضا كأساس لشروحات ابن أبي الحديد (المتوفى ١٢٥٧م) لكتابه[١] وقد عادت رواية نصر بن مزاحم للظهور ثانية في فترة متأخرة في أزمنة ما بعد الأزمنة القديمة عند الذهبي (المتوفى ١٣٤٨) في كتابه تاريخ الإسلام وعند ابن الكثير (المتوفى ١٣٧٣) في كتابه البداية والنهاية[٢]. إذن فانه كتاب له أهمية بعيدة المدى

بهذه التفاصيل تكون معرفتنا عن هذا الموضوع قد استنفذت عمليا. إن أدبا معينا وربما كان قد ظهر في هذه الفترة بخصوص شخصية علي. فالبلاذري واليعقوبي والجاحظ وابن أبي الحديد يقتبسون سلسات طويلة من الرسائل وحكم ومأثورات مشكوك في مصداقيتها، غير ان مثل هذه المجاميع من الرسائل والأقوال المأثورة Lettera et dicta ليست بالضرورة هي انتاجات لوجهات نظر شيعية[٣]. ان افتقار معرفتنا قد يمكن توضحه بشكل افضل في المثال الآتي: ـ إذ يذكر ياقوت أحد الأشخاص وهو إبراهيم بن سعيد بن هلال، وهو كوفي المولد وتوفي في أصفان في سنة ٢٨٣ هـ/ ٨٩٦ .٨٩٧م ويبدو ان مجال اهتمامه، كما انعكس في إنتاجه، هو استرداد لكتاب المدائني، على الرغم من رؤيته الشيعية. ولكي نحتكم لعنوانات نشاطاته فإن المواضيع

نقل عن أبي بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والأدب وغير ذلك وكل أمر جعله هذا الطاعن مستنداً فيما يرويه عن النبي(ﷺ) والأئمة الراشدين والصحابة والتابعين والشعراء والمترسلين والخطباء فلناصري أمير المؤمنين عليه السلام ان يستعد إلى مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغة وغيره وهذا واضح)). فابن أبي الحديد وهو معتزلي وقف موقفا مفنّدا وبشكل لا غبار عليه من ان الرأي القائل بان نهج البلاغة منسوب بعضه أو كله إلى الإمام علي(ع) هو رأي باطل ورأي البروفسور ستيفن في هذا المجال باطل اعتماداً على موقف ابن أبي الحديد الصريح، وابن أبي الحديد قد توفي في منتصف القرن السابع الهجري. [المترجم]

(١) كيتاني مجلد ٩ ص٤٣٣ والمناقشة بشان مصداقية نهج البلاغة وقيمته في جي سلطان (بالفرنسية) دراسات عن نهج البلاغة ١٩٤٠ (Etudes sur Nahj al- balagha) هنا وهناك في الكتاب.

(٢) عن الذهبي ينظر GAL جزء ٢ ص٤٦ وما بعدها من الصفحات، (S) جزء ٢ ص٤٥ وما بعدها، وعن ابن الكثير ينظر اج لاوست Laoust في مجلة أربيكا Arabica مجلد ٢ (١٩٥٥) ص٤٢ وما بعدها من الصفحات. انه في الواقع ملفت للنظر بالنسبة إلى ابن الكثير في استخدامه هذا المصدر فهو لم يكن شيعيا وانه يرفض ولأسباب متعلقة بالمبدأ وبشكل غير متحفظ، أي دليل أو بينة شيعية.

(٣) ينظر كيتاني مجلد ١٠ ص٤١٧ وما بعدها من الصفحات. ان كلا من البلاذري واليعقوبي يذكران شخصاً معيناً هو إبراهيم بن غياث مصدراً، وعلى أية حال فان البلاذري قد استخدمه مع ابن الكلبي باعتباره الحلقة المباشرة في الإسناد.

التي ناقشها في رسائل أو مقالات هي تتعلق بمقتل عثمان، ومعركة صفين، والتحكيم[١]. إلا إنه ليس هنالك من شيء قد نقل باسمه في المصادر التي نعرفها. ويمكن تطبيق نفس الشيء على المؤلفين الشيعة الآخرين، فهم بالنسبة الينا مجرد أسماء فحسب ومن الممكن تخيله تماماً بأن العروضات المتماسكة، كما علمنا ذلك من فترة الانتقال من القرن الثالث إلى القرن الرابع الهجري عند الدينوري واليعقوبي، لا تشجع ولا ترعى النقل الخاص بالرسائل والمقالات، وان رؤى الشيعة المعتدلة تشابه كثيراً تلك الرؤى (الارثودكسية) السنية في أنها لم تزدهر بأي صيغة أخرى عدا في رؤى نصر بن مزاحم. ومن الجهة الأخرى، فإن الصيغة الاسماعيلية الثورية سياسيا لا يبدو أنها قد رعت وشجّعت أي رواية مستقلة. فليس للاسماعيلية أي كتابة تاريخية حقيقية مستقلة[٢]، ونحن لا نعرف أية عناصر في النقل الذي قد تأثر بايديولوجيتهم.

كذلك لا يبدو ان كتاب أبي حنيفة الدينوري الأساسي (الأخبار الطوال) قد كان مشهورا بشكل خاص ومحترماً ومعتبرا بين معاصريه؛ إذ لم يستشهد به المؤلفون الآخرون، وان اسمه لم يذكر إلا في النادر[٣]. وإنه نفسه لا يستشهد برواته، كما لم يوفر ولم يزود على الاطلاق روايات متماثلة ومتناظرة حول نفس الموضوع، ولكن

---

(١) مرغليوث: محاضرات ص٩٧ وفيما يتعلق بالروايات الأخيرة فإنها تسمح لنا تعيين ومطابقة هوية مثل هذه المادة كالتي عملت بها الرواية الشيعية، فليس هناك عناصر غير معروفة ومجهولة قد وقعت وليس هناك حسبما يظهر أي إشارة لأي تحريف مميز ومعلوم للرواية ضمن هذه المجموعة والدائرة.

(٢) رورنتال: علم التاريخ ص٥٦ وما بعدها، ينظر ص١٩٩ من الكتاب

(٣) كراتشكوفسكي ص ٢٠ وما بعدها، ص ٥٠ وما بعدها ينظر برنارد لويس في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة ثانية) مجلد ٢ ص ٣٠٠، وينظر الأدب الذي استشهد به هناك [لابد من القول ان الدينوري كونه عالم فلك ونبات فقد كان ذا وجهة عقلية وعلمية في كتابة التاريخ، وانه بالفعل فقد صوّر الأحداث التاريخية بأسلوب دقيق. وانه قد أُعتمد على مصادر أصلية مفقودة في الوقت الحاضر أمثال ابن الكيّس النمري (الأنساب) وكتاب عبيد بن شريه (أخبار الماضي)، وكتب الهيثم بن عدي وابن الكلبي والاصمعي. فمادته عن الخوارج قد اعتمدت كتاب الهيثم بن عدي (الخوارج) ومادته المعرفية المتنوعة قد أعتمد فيها على (معارف) ابن قتيبة. وان المؤرخين قد أخذوا عنه بعكس رأي البروفسور بيترسن فالفارقي ابن الازرق اعتمد اعتماداً كثيراً على معلوماته التاريخية. حقيقة ان المؤرخين المعروفين عن أحداث الفتنة والصدع في العلاقة بين الإمام علي ومعاوية لم ينقلوا عنه علما بأنه قد اعتمد الشعبي والهيثم بن عدي والاصمعي [المترجم]

اعتماداً على أساس المعلومات التي تحت تصرفه فقد ابتدع وأحدث عرضا سلساً وأنيقا على الرغم من إنه منظم تنظيما متفاوت الجودة وان التشويه والتحريف يعلن نفسه حتى وان كان من وجهة نظر آلية ميكانيكية خاصة. وفي حين ان الدينوري قد خصص حوالي عشرة سطور عن النبي، فإن الثلاثة خلفاء الأول قد نالوا وحصلوا على سبعين صفحة في مجموعها، وان خلافة علي قد نالت أكثر من ثمانين صفحة، ومن الجهة الأخرى فإن الأمويين قد عوملوا بشكل سطحي تماماً بحوالي مائة وثلاثين صفحة[١]. وهكذا فان خلافة علي، ولا سيما نزاعه مع معاوية والخوارج، هو الموضوع الذي كرّس الدينوري وخصص اهتمامه به.

فلقد تمت البرهنة والتثبت منذ مدة طويلة بأن عرض الدينوري لهذه الفترة قد اعتمد بشكل كبير على (واقعة صفين) لنصر بن مزاحم بما له علاقة بما يفضي وينزع إليه الكتاب، وأقصد ابتداءاً من بعثة جرير بن عبد الله فصاعداً إلى اجتماع التحكيم في صفين[٢]، وبصرف النظر عن بعض التفصيلات من المصادر الأخرى فان الدينوري يبدو قد قصّر وحدّد نفسه بهذه الرواية الواحدة حتى وان لم يكن الدينوري يتابع واقعة صفين بشكل يتسم بالمحاكاة والتقليد، ولكنه كما سيظهر في أدناه، يعدّل ويغيّر معلومات كتابه وفي المسائل الحيوية، وان اعتماده على هذا الكتاب واضح جداً ويمكن متابعته بقدر ما يذهب إليه نصر. والتشابهات الحرفية ملفتة للنظر، وكذلك الحال في بواعثه ودوافعه فانه يتقيد بشكل وثيق جداً بمرويات نصر بن مزاحم. والأمثلة الموضحة التي سنعتمد على الاستشهاد برواياتهم عن ارسال علي جرير بن عبد الله إلى معاوية، وهي مسألة تتعلق بمادة نصر التي لا توجد في المصادر الأخرى[٣]. ان التقديم الفعلي والواقعي وأسلوب نصر هما على اتفاق وثيق، وان دافع علي في مطالبة معاوية

---

(١) ينظر كراتشكوفسكي ص٥٣ وما بعدها، GAL جزء ١ ص١٢٣

(٢) بروكلمان ص٤ وما بعدها، كيتاني (ص٤٣٣) وفي عدة مناسبات. فأوجه التماثل والتطابق، على أية حال، تنطبق على نهج البلاغة وقد أخذت من كتاب نصر

(٣) واقعة صفين ص٣٣ وما بعدها، الديتوري ص١٦٥

بالبيعة كل ذلك متطابق معه، وان الأساس الشرعي لانتخابه يعدّ نفسه الذي ذكره الثلاثة الذين* سبقوه. وعلى أية حال فالعامل الحاسم يبدو لي بان أداء الدينوري لمقطع من رسالة علي التي يتعامل فيها مع موقف الفريقين من مقتل عثمان ربما يبدو متناقضا، شريطة ان يكون أحدهما غير عارف بوصف نصر. فقد جعل الدينوري عليا يقول لمعاوية ان هؤلاء هم الذين ارتكبو قتل الخليفة وقد استدعاهم للمثول أمامه وقد تعهّد بان يتعامل معهم على وفق أحكام القرآن والسنة النبوية. وهذا المقطع هو المقطع الوحيد القابل للشرح والتفسير بتوليفة أو توحيد لفكرة التحكيم، كما تطورت ونمت فيما بعد، وان إعادة بناء واعية ومدركة عن التهديدات وعن الإشارة الافترائية المشوهة لسمعة أسلاف معاوية في رواية نصر بن مزاحم. والقول بأنه ليس هناك مصدر للدينوري سوى (واقعة صفين) تؤيده دراسة لنزعته وميله. ففي هذه الاقسام من الكتاب لم يذكر الدينوري راويته، غير ان النقطة الحاسمة هي انه مع التحفظ على عدد قليل من التعديلات والتبديلات وإحلال شيء محل شيء آخر فانه قد اتبع تنظيم وترتيب نصر لموضوع البحث في كل مكان من الكتاب. وبالإمكان ملاحظة أوجه التشابه والتماثل جنبا إلى جنب، بصرف النظر عن اختلاف الرواة عند نصر؛ وان الفروق والاختلافات يصعب رؤيتها في أي مكان في عرض الدينوري، أيضا فان الاختلافات والتنوعات هي أما قد أهملت بصمت أو أنها جيء بها لتكون منسجمة مع مجرى وسلسلة روايته أو خبره الرئيسي.

مالذي استعمله الدينوري بطريقة أخرى وذلك لجعله ملحقا لهيكلية عمله ولنطاق

* [يقصد البروفسور بيترسن ما ورد في كتاب الإمام علي إلى معاوية الذي حمله جرير بن عبد الله إذ قال فيه «أما بعد فقد لزمك ومن قِبلك من المسلمين بيعتي وانا بالمدينة وانتم بالشام، لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فليس للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد، وانما الأمر في ذلك للمهاجرين والأنصار فإذا اجتمعوا على رجل مسلم، فسمّوه إماماً، كان ذلك لله رضى، فان خرج من أمره أحد بطعن فيه أو رغبة عنه ردّ إلى ما خرج منه، فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاّه الله ما تولّى ويصله جهنم وساءت مصيرا، فادخل فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار... وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على ما في كتاب الله وسنة نبيه...» (المترجم)

عمله حول الأحداث التي غطّاها كتاب واقعة صفين؟ وهذا يمكن تثبيته عن الطريق غير المباشر فقط، وحول هذه المسألة فانه بالكاد تقديم تقييم عملي ومعقول اكثر من كونه افتراضا أو حدسا. ومع ذلك ومما يستحق ذكره فان التشابه في هذه الأقسام والأجزاء مع أبي مخنف تدخل بشكل كبير في هذه الصورة، والملفت للنظر بشكل اكثر هو وصفه لاجتماع التحكيم وتمرد الخوارج. ان احتمالية كون الدينوري ـ شأنه شأن البلاذري والطبري ـ قد استخدم مؤلفات أبي مخنف لا يمكن القول بان ذلك غير وارد. وعلى أية حال، ففي عدد من الحالات لعلها تشير بالأحرى إلى انه قد استخدم واحداً أو اكثر من التعديلات والتكييفات المتأخرة لنقل أبي مخنف من أجل ان يظهر بأنه في بعض المسائل قد انحرف عن رواية أبي مخنف في النقل الكوفي، وحتى في هذه المسائل فمن غير ريب كان منسجماً at one مع المؤلفين المتأخرين، ولا سيما مع الواقدي وسيف ابن عمر واليعقوبي في مغادرتهم وانحرافهم عن أبي مخنف. وهناك احتمال بأنه قد انتفع في هذه الحالات من مصدر مشترك ـ يرجح ان يكون هشام بن محمد الكلبي ـ المذكور في أعلاه، حتى وان كان هذا الافتراض من الناحية العملية يتحدى أي دليل أو إثبات مطلق[1]. والذي كان يعرفه من نواحي أخرى فقد اقتصر على عدد قليل جداً من التفصيلات دون ان تكون لها أهمية كبيرة بصورة عامة[2]، شريطة ان يكون هذا التفسير صحيحا. ولابد ان يكون مصدر مادة الدينوري لهذا السبب ضيقة ومحدودة جداً بعدد قليل من الكتب والمؤلفات، وبالموازنة مع بعض المؤلفين المتعاصرين فان أفقه الفكري كان محدوداً بشكل ملفت للنظر. فبوصفه عالما

(١) Acta Orientalia جزء ٢٧ ص٨٧ وما بعدها، لاسيما ص٩٤ وما بعدها- إذ يستشهد الدينوري بمصادره وهم ابن الكلبي والهيثم بن عدي؛ مرغليوث، محاضرات ص١١٣، كراتشكوفسكي ص٥٥، وينظر الفهرست.

(٢) وفي إحدى المقاطع لابد انه قد استعمل الزهري في وصف اجتماع التحكيم فهناك مقطعان من المعلومات المجهولة الأصل، كذلك الدينوري ص١٧٢ حول علاقة عبيد الله بن عمر مع الهرمزان، الذي قتله إذ كان يعتقد بأنه طرف في مقتل والده، ينظر كيتاني مجلد ٩ ص٦٨٤ وما بعدها والبلاذري ص٥٠٢ (كيتاني مجلد ٩ ص٢٨٥)

فان التاريخ لم يكن بالضبط وبالدقة ميدانه وحقله الحقيقي، وهذا ربما قد أفاد في تفسير مصدر مادته الضيق، مع العلم ان كتابه في الحقيقة يتميز بمنزلته وخاصيته العاليتين. ومن الجهة الأخرى، فانه لم يتابع على الاطلاق مصادره متابعة تتسم بالتقليد والتكرار، ولكنه كان يعدّل ويغيّر ويبني في الكثير من النقاط والمسائل الحيوية، وان هذه التبديلات والتعديلات بالكاد يمكن إدراكها,ان لم يكن الدينوري كان على معرفة بالجدال والمناظرة حول خلافة علي.

وبصرف النظر عن رواية وخبر صفين، فان عرض الدينوري لا يحتوي ولايتضمن أي معلومة جديدة على وجه التحديد، فان وجهات نظره الرئيسة بخصوص التاريخ الزمني ينبغي تأويلها وتفسيرها من سياق الكلام ومن اسلوب التأليف والتركيب. ومرة أخرى فانه يتابع ما تذكره الرواية الكوفية بشان الاتصال المباشر بين الخليفة والوالي السوري بعد انتخاب الخليفة مباشرة، ولكنه لايعلّق نفس الأهمية، بعكس الطبري، على هذا الحادث كما تصرفت وعملت به مصادره. فالدينوري لا يعطي تاريخا للصدع في العلاقة إلى هذه الفترة .يعني انتخاب الخليفة .غير انه يستعمل الرواية لإظهار بأن المهاجرين والأنصار كانوا خلف علي ولم يتركوا أنفسهم أو لم يدعوا أنفسهم معرضين للإكراه بالتهديد والخوف من ان «خمسة عشر ألف شيخ سوري كانوا يذرفون الدمع على قميص عثمان[1]» فالصدع الواقعي للعلاقة ما زال يؤرخ عند

---

(١) الدينوري ص١٥٠ وما بعدها (كيتاني مجلد ٩ ص١٣ وما بعدها). وهذا قد ظهر من الحقيقة بان الدينوري قد حذف النبوءة بشان الحرّة في مصدره وأيضا قد وضع قصة مشورة المغيرة بن شعبة لعلي بعد ان أخذ بالاعتبار الاتصال المباشر بين علي ومعاوية. وهنا فان ابن عباس، كما كان في المصدر المشترك يؤيد المغيرة. وهذا يترك انطباعا بان الموضوع قد ترك معلقا بصورة مؤقتة، وان الدينوري قد تابع في الواقع مباشرة هذا القول بقوله:= ان عليا ذاهب إلى العراق لتنظيم القتال ضد الوالي غير المستجيب.

[يشير البروفسور بيترسن في هذه الرواية إلى رواية نصر بن مزاحم التي نقلها أبو حنيفة الدينوري عن حادثة إرسال الإمام علي بكتاب إلى معاوية بيّن فيه اجتماع الناس ومبايعتهم له بالخلافة طالبا منه أما الدخول في السلم أو الحرب. وان معاوية بدوره قد بعث طومارين فارغتين من أي شيء سوى بسم الله الرحمن الرحيم وبعثهما بيد رجل من قبيلة عبس له جسارة ولسان. فسلّم الطومارين إلى الإمام وقال أمام الملأ «أني قد خلفت بالشام خمسين ألف شيخ- وليس كما ورد في نص البروفسور بيترسن- خاضبي لحاهم بدموع أعينهم تحت قميص عثمان رافعيه على أطراف الرماح، قد عاهدوا الله ألا يشيموا- أي

الدينوري إلى زمن إقامة جرير عبد الله القصيرة في سوريا، وهو التاريخ الذي اعتبره الدينوري لتمرد طلحة والزبير وعائشة[١]. وذلك عندما أرسل معاوية، بناءً على نصيحة أخيه عقبة بن أبي سفيان، في طلب عمرو بن العاص. ومن هذه النقطة فان الأداء يستمر حتى خيبة وتحطم Shipwreck اجتماع التحكيم دون إقحام لأي تفصيلات و حوادث طارئة[٢]. وتماما بنفس الطريقة فان الدينوري يعالج تمرد الخوارج كوحدة واحدة دون أي ايحاء يؤشر إلى انهم قد انسحبوا قبل هذه الفترة[٣]. «فقد اجتمع الخوارج وقرروا ان يتحدوا تحت زعامة عبد الله بن وهب الراسبي*»، كما «ان العراقيين قد تلقوا اخباراً عن كيفية حدوث قضية الحكمين» وبالتالي فان الدينوري بعزله الخوارج عن الموضوع يكون قد نجح في إعطاء الانطباع بأنهم لم يجندوا من بين اتباع وشيعة علي وبالنتيجة ليس لهم دور في تحطيم وحدة جيش علي. وأخيراً إذن، يتابع الدينوري موت علي «وبعد بضعة شهور من معركة النهروان[٤]».

وهكذا فان هذا العرض يمثل تخطيطا لمجرى الأحداث. فالدينوري لم يكن أبداً مكرسا نفسه للكتابة التاريخية التحليلية، وسبب ذلك يرجع إلى تبسيطه وإيضاحه دون شك بأنه قد حقق بتلك الوسيلة ثلاثة عناصر وكان في كل من هذه العناصر المكونة يتعامل مع وجه ومظهر من أوجه خلافة علي، وبمعنى آخر فان تأليفه يقدّم شداً

يغمدوا- سيوفهم حتى يقتلوا قتلته، أو تلحق أرواحهم بالله» وقد اعترض عليه خالد بن زفر العبسي قائلاً اتخوّف المهاجرين والأنصار بجنود أهل الشام وبكائهم على قميص عثمان، فوالله ما هو بقميص يوسف ولا بحزن يعقوب ولئن بكوا عليه بالشام فقد خذلوه بالعراق". أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال ص١٤٢ [المترجم]

(١) الدينوري ص١٥١-١٦٣ (كيتاني مجلد ٩ ص١١٦ وما بعدها، ١٦٠ وما بعدها من الصفحات

(٢) الدينوري ص١٦٤- ٢١٥ (كيتاني مجلد ٩ جزء (هنا وهناك)

(٣) الدينوري ص٢١٥-٢٢٥ (كيتاني مجلد ١٠ ص١٢٧- ١٣١)

* قال الدينوري «ولما بلغ أهل العراق ما كان من أمر الحكمين لقيت الخوارج بعضها بعضا، واتعدوا ان يجتمعوا عند عبد الله بن وهب الراسبي» وكان الراسبي أول من تكلم بالاجتماع. الأخبار الطوال ص٢٠٢ [المترجم]

(٤) الدينوري ص٢٢٧ (كيتاني مجلد ١٠ ص٣٤٠)

وتضييقا واقعيا وواعيا ومقصوداً لموضوع البحث[١]. ان كتاب الدينوري، ككتاب البلاذري، تحليليا، ولكن يتبع خطوطا مختلفة تماما عن خطوط البلاذري. وقد تم انجاز وتحقيق ترتيب منهج كتابه بحزم وصرامة، ولهذا فإن روايته تظهر بأنها اكثر صراحة وتتصف بأنها غير مقيدة مقارنة بغيرها الموجودة عند أسلافه؛ وتبدو الخصائص الرئيسة وهي مثقلة وحبلى بشكل كبير، أما عن المتغايرات بين أمانة علي وصدقه وبين منفعية معاوية (التي بشكل واضح وجليّ تنسب إلى حلمه) وناصحه المخلص عمرو، الذي تنقصه تماماً التردد والوسوسة والحيرة وهذه الصفات تبرز بحدة ووضوح عند الدينوري مما في أي مكان آخر. وهو لا يتوقف عند ذلك بل نجد عنده أيضاً ان الاختلافات والفروق الواضحة تفيد وتخدم مهمة ووظيفة محددة.

وبينما يبدو موقف المؤرخين الرّواد .بضمنهم الشيعة .إلى حد ما متذبذباً ومتأرجحا فان الدينوري، كالطبري، يحدد وجهة نظره فيما يتعلق الأمر بانتخاب علي بدقة ووضوح. وفي ادائه المبكر (وعرضيا فإن بناءه وتنظيمه كان إراديا) لخطبة الخليفة بمناسبة قبول الخلافة فإنه يشدد بان الانتخاب قد حدث بموافقة وقبول كل من الطرفين، الناخبين والمرشح[٢]. وقد وصف الانتخاب ببيعة عامة، انتخاب و بيعة تمتلك شرعية عامة وتعترف بله وتسلم بعدم وجود استثناءات واعتراضات، علما بان المهاجرين والأنصار قد أسهموا بها فقط؛ وفي حالة الخليفة الراشدي المنتخب عندئذ لا تنتهك حرمة الخليفة وان الناخب المؤهل، بمعنى آخر، قد فوّض سلطة الخلافة إلى علي بالنيابة عن المجتمع الإسلامي برمته، وعلى المؤمنين جميعا بحكم طبيعة الحال ipso facto التسليم فإن لم يفعلوا ذلك «فإنهم يجحدون بالإيمان بالدين الإسلامي»[٣] ان

---

(١) الدينوري يحذف الكثير من التفاصيل الزائدة، وعدة تفاصيل أخرى موجودة عند نصر بن مزاحم قد اختفت أيضاً، مثال المناقشة العرضية بين عمرو وأبنائه بشان إهتبال الفرص بالالتحاق بمعاوية، والحكايات بخصوص عمرو ومعاوية... الخ

(٢) الدينوري ص١٤٩ (كيتاني مجلد ٨ ص٣٤١)

(٣) الدينوري (ص١٦٥) ويضيف بوضوح بان جميع الأقاليم- باستثناء سوريا قد استجابت وأطاعت الخليفة بالموالاة. وان نصر بن مزاحم في تعداده الأقاليم عن طريق مصدره يضيف مصر والأقاليم الفارسية.

هذا التقديم والعرض الذي وجدت عناصره بالفعل عند نصر بن مزاحم، قد تحقق الآن فحسب وبشكل ثابت ومتين. فالجزء الأول من عرض الدينوري متفق اتفاقا تاماً مع مذهب الخليفة السني الذي في الواقع كان يعّي ويفهم البيعة على أنها نوع من العقد يشارك فيه كل من الطرفين بملء إرادتهم، والاعتراف (بالتشابه والتناظر مع القبول والموافقة الشاملة والجامعة .الاجماع) الشرعي العام للانتخاب الخاص شريطة توفر أهلية الناخب[1]. فالفقرة والعبارة المتعلقة بالراشدي على أية حال لم تكن موجودة في مبدأ ومذهب الخليفة السني (الارثودوكسي)، لكنها تكشف عن مقصد الدينوري وهدفه. فانتخاب الخليفة إنما هو انتخاب شرعي تماماً ودليل شرعيته هو التحفظ فيما يتعلق بمجرى الأحداث تلك التي على هذه الحالة صارت حجر الزاوية في تفسيره لخلافة علي[2].

[يشير الدينوري إلى خطبة الإمام عند مبايعة الناس له في المسجد الجامع فقال «أيها الناس، بايعتموني على ما بُويع عليه من كان قبلي، وانما الخيار قبل ان تقع البيعة فإذا وقعت فلا خيار، وانما على الإمام الاستقامة وعلى الرعية التسليم، وان هذه البيعة عامة، من ردّها رغب عن دين الإسلام، وإنها لم تكن فلتة» الأخبار ص١٤٠. والدينوري قد اختصر الخطبة وحذف بعض الكلمات التي جاءت فيها نقلا عن نصر بن مزاحم.وإشارة الإمام إلى أنها لم تكن فلتة يقصد منها قول الخليفة عمر (رض) عن بيعة أبي بكر أنها فلتة [المترجم]

(١) ينظر تيان Tyan في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة ثانية) مجلد ١ ص١١١٣ وما بعدها. مذهب ومبدأ الخليفة الشيعي على أية حال ان يعترف بالبيعة، ولكن النصّ والوصية فحسب أي انتقال الوصية testamentary transferenco) وكذلك منصب الخلافي داخل ضمن عائلة محمد. وهكذا فانه ليس هناك من شيء مشترك مع وجهة نظر الدينوري كما تم شرحه في المقطع. ففي العرض الحالي تلقى الحسن، بطريقة متماثلة ومتناظرة، بيعة الناخبين في الكوفة بعد موت علي (الدينوري ص٢٣٠، كيتاني مجلد ١٠ ص٣٧٢

(٢) ان نوعا من تأكيد صحة هكذا قسم قد تمت ملاحظته مباشرة في وصف الدينوري لعلاقة الأشخاص المحايدين الثلاثة (سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة) مع الخليفة (الدينوري ص١٥١-١٥٣، كيتاني مجلد ٩ ص١١٦ وما بعدها) ولم يذكر موقفهم إزاء الانتخاب، أما مقاومتهم فلم تظهر إلى ان أعدّ وهيئ علي نفسه للقتال ضد السوريين. فالثلاثة جميعهم قد شدّد على عدم قدرتهم على التمييز بين الإيمان والكفر في هذا الموقف. وعندما نصح الأشتر عليا في معاقبتهم وذلك لخرقهم وانتهاكهم البيعة العامة السابقة، فانه رفض ان يقوم بذلك. فموقف المحايدين هو موقف شرعي وانهم لم ينتهكوا البيعة. ويشير الدينوري في هذا الخبر إلى سياق كلام آخر وليس إلى الخبر الذي يعود إليه فعلا اعتماداً على مصدره (ينظر Acta Orientalia جزء ٢٧ ص٩٥ وما بعدها)، ونتيجة لهذا الخصوص، فان

لهذا السبب ان لم يكن لغيره فانه من الصعب وصف وتميز الدينوري برقعة Label وكأنه شيعي من غير تحفظ وبصراحة ومن الجهة الأخرى، فان تقديمه ودفاعه بالحجة عن الصفة الخاصة لانتخاب الخليفة اعاقته عن توصيف خصائص النزاع على انه فتنة، وعلى هذا الأساس فبالإمكان رؤية انه لم يستخدم هذا المصطلح والتعبير حتى زمن معركة صفين، حينما أضعفت فكرة التحكيم وحطمت التماسك والتضامن في صفوف الخليفة. وحتى ذلك الوقت كان التعامل مع المتمردين يتعامل من الزاوية الشرعية بمقتل عثمان، وهو أمر طبيعي، على أنها نقطة البداية المشتركة.

واهتمام الدينوري الرئيس هو التركيز على تصادم وتعارض علي مع الوالي السوري المقاوم وغير المستجيب، ولكن على الرغم من وجود الانعكاسات الملحوظة للازدراء والاحتقار الذي كان المؤرخون المعادون للأمويين ينظرون به إلى معاوية، فان الموازنة والمقارنة مع نصر بن مزاحم تقدّم إشارات مهمة في عدد من التعديلات والتكييفات ليست غير مهمة للرواية الشيعية. وهكذا فان الدينوري قد طمس ذكر العلاقة والصلة بين معاوية والجاهلية. وباستثناء واحد وهو عدم الإشارة إلى الأمويين بالطلقاء[1] (Freedmen) وحتى وان كانت المقارنة أحيانا بين الخصلتين الرئيسيتين تصبح أقل شدّة tone down عند الدينوري، وان خبر نصر بن مزاحم المفصل عن المكانة الدينية الشخصية لعلي فإن الدينوري قد قدمها بشكل فيه التواء فجعل ان معاوية لا يمتلك أفضلية أو حسنة أو ميزة صلة القرابة مع النبي[2]. فبالنسبة إلى

راويته ابن الكلبي قد جعل ابن عمر يحذّر عليا من اغتصاب السلطة دون الشورى، فالدينوري لابد انه قد غير كلماته إلى حد بأنه جعله يناشد الخليفة بان لا يربكه وذلك بالمطالبة بتحديد موقفه من النزاع.

(١) ينظر مثلا الدينوري ص١٦٥ وما بعدها (واقعة صفين ص٣٤ وما بعدها) ص١٧٢ وما بعدها (واقعة صفين ص٦١ وما بعدها) ص١٨١ (الطبري مجلد ١ ص٣٢٧٧ عن أبي مخنف) وهناك استثناء عند الدينوري ص١٩٩ وما بعده (كيتاني مجلد ٩ ص٥٠٦ وما بعدها)

(٢) الدينوري ص١٦٦ (كيتاني مجلد ٩ ص٢٤٣) ينظر واقعة صفين ص٤٢ وما بعدها [عندما وصل عمرو بن العاص إلى معاوية وحلّ له مشكلة ابن أبي حذيفة الذي كسر السجن وهرب ومشكلة معاوية مع قيصر الروم، أجاب معاوية عن مشكلته مع الإمام قائلاً له ان الإمام وان كان حسب رأي معاوية قد مالأ على قتل عثمان «فليست لك مثل سابقته وقرابته» الدينوري: الأخبار ص١٥٨[المترجم]

الدينوري فإن هذه ـ كما ذكرها بشكل معبّر ـ لها أهمية ثانوية بقدر ما يؤكد ويدافع عنه باستمرار وثبات عن ان الهدف والباعث الاساسي للنزاع إنما هو ما يتعلق الأمر بتبرير مقتل عثمان وبحق معاوية بالتصرف باعتباره وليّه[١]. وحول هذه النقطة إذن فان الدينوري يقترب ويدنو من وجهات نظر البلاذري، إلا انه يرفض قبول الجدال الشيعي الدارج للأجيال السابقة.

ومهما يكن فان هذا لا يحسم ولايسوي تبرير تصرف معاوية وعمله، وذلك لان الدينوري يلقي مباشرة الشك على مدى صدق واخلاص وجهة نظر الوالي السوري، سواء كان ذلك ضمنيا في الجانب الأول، ولكن بعد ذلك بإصرار وإلحاح متزايدين. ان الشخص الذي جلب له أخبار مقتل عثمان وحيّا معاوية كخليفة إلا ان هذه التحية لم يعترف بها طالما «انه لم يصبح خليفة بعد». ولذلك فان طموحات معاوية لم تنكر ولم ترفض من قبله ولكن في تواصل لهذا يشير المبعوث إلى القوة التكتيكية والوسيلية بان معاوية إضافة إلى ذلك يسيطر على شعبه بحلمه وفي انضباطهم وانتظامهم له[٢]. ان الكشف والإفشاء الحقيقي عن العلاقة بين الطموحات والتكتيكات الحربية يعقبه عرض الخليفة على معاوية بأنه سيحاكم القتلة المذنبين وفقا لكتاب الله وسنة النبي[٣]. فكان عرض علي اجراء للانصاف بالعدالة، والمسؤولية في الصدع في العلاقة قد ربط كلية بمعاوية. وهكذا يبدو النزاع واضحا بشكل تام في تبادل الرسائل الذي كان على نطاق واسع بعد بعثة جرير بن عبد الله وكان فيها الخليفة مقتدرا على صرف بل ورفض اتهامات معاوية ومطاليبه واعتبارها حركات تكتيكية بهدف تغطية واخفاء طلبه الشخصي وسعيه لنيل السلطة. وكانت تصرفات الخليفة وأفعاله تشاهد وكأنها تلائم فقرة الراشدي التي قد ارتبطت به ولازمته في انتخابه، وكان معاوية بتصرفه قد أقصى

---

(١) الدينوري ص١٧٢ (كيتاني مجلد ٩ ص٢٤٨ وما بعدها)

(٢) الدبنوري ص١٦٤ وما بعدها (كيتاني مجلد ٩ ص٢٤٢ وما بعدها

(٣) الدينوري ص١٦٥ (كيتاني مجلد ٩ ص٢٤٤) وهناك انحراف من المصدر ذلك الذي يخدم ويفيد كتوضيح ممتاز لوجهة نظر الدينوري، نصر بن مزاحم (واقعة صفين ص٣٣ وما بعدها) يلاحظ في الكثير جداً من الكلمات بان فكرة الأخذ بثأر الدم ان هي إلا مجرد ذريعة. ينظر في الكتاب ص٢١٣.

نفسه وأبعدها عن المجتمع الإسلامي، وان عليا بإمكانه الإصرار على انه يقاتل في الواقع في معركة صفين من اجل غاية وهدف هو إخضاع معاوية لحكم القرآن، وبان التحكيم على هذا الأساس غير ضروري[١].

هذا الإثبات والبرهان الذي كان يعدّ خطوة بعد خطوة مثالاً لسلوك وخلق كل من الطرفين يعدّ ملحقا ومكملاً بطريقة مختلفة عند الدينوري. فمن ناحية انه يشدّد بقوة متزايدة على التكافل والتضامن بين شيعة علي واتباعه حتى في زمن المكاشفة في معركة صفين. ووجهة نظر معاوية لم تنكر ولم ترفض من قبل المهاجرين والأنصار حتى الوقت الذي بعث إلى الخليفة طومار* فارغاً في جوابه لطلب علي في البيعة بعد انتخابه[٢]؛ وخلال تبادل وجهات النظر بعد بعثة جرير بن عبد الله الفاشلة فإن عشرة آلاف من اتباع علي قد أخذوا على عاتقهم المسؤولية المشتركة في مقتل الخليفة، وقد تضاعف العدد أثناء المفاوضات في صفين [٣]. ومن الناحية الأخرى فإن الدينوري قد أكّد في نبرته بقوة متزايدة وخز الضمير والشعور بالاثم بأن المواجهة العسكرية هي التي سببت قتال الجيوش لكل من الجانبين، ولاسيما العراقية منها. وشدّد أيضا بشكل قوي جداً على الجيشين كانوا ولمدة طويلة جداً يقابل أحدهما الآخر في صفين بينما كانا معسكرين هناك[٤]. وان الجيشين قد اختلطا اختلاطا ودّيا ونشيطا «كل طرف التقى بصاحبه (النظير المتقابل Opposite number) بقبول حسن وارتياح، وانهما كانا يأملان

(١) الدينوري ص ٢٠٠ وما بعدها (كيتاني مجلد ٩ ص٥٠٧ وما بعدها)

* طومار تعني صحيفة وفي أصل الرواية انهما طوماران [المترجم]

(٢) الدينوري ص ١٥٠ وما بعدها (كيتاني مجلد٩ ص١٣ وما بعدها)

(٣) الدينوري ص١٧٢، ١٨٢ (كيتاني مجلد ٩ ص٢٤٩، ٢٨٤)

(٤) التاريخ الزمني عند الدينوري هنا من غير ريب مضطرب. فانه يقول على (صفحة ١٦٢) بان عليا قد عاد إلى الكوفة بعد معركة الجمل في ١٢ شهر رجب من سنة ٣٦ هـ/ ٤ كانون الثاني سنة ٦٥٧، ووثيقة الصلح قد أرخت في ١٥ شهر صفر سنة ٣٧ هـ/ ٢ آب سنة ٦٥٧م) [الدينوري ص ٢١٠). وبذلك يكون من غير الوارد ومن المستحيل على ان الجيشين قد عسكرا الواحد مقابل الآخر من شهر ربيع الأول والثاني حتى شهر رجب، هذا التناقض والتضارب يرجع إلى معلومة نصر ينظر (في الكتاب ص١٢٢.

في الصلح (agreement أو conciliation الرضا أو التوفيق بينهما) وإنه سيبدأ[١]». ولذلك فإن خديعة عمرو بن العاص في رفع القرآن لم تحدث بسبب الخوف من أية كارثة عسكرية، ولكن مع ذلك تبدو أنها مفيدة فقط بما له علاقة بالمشاعر الكامنة في أي من المعسكرين بأن «كتاب الله بين الفريقين[٢]». ان الوعي والشعور الديني في المسؤولية في معسكر علي يظهر على ان أصحابه لم يعدّوا حتى الآن متفقين على قتال معاوية، «إنه هو الذي جحد ورغب عن الدين الإسلامي». وهذا الموقف الذي يمكن للدينوري ان يجعل فيه الخليفة يعلّق على ذلك بعبارة موجزة «الفتنة قد اندلعت[٣]» كذلك كان هذا الموقف هو الذي فتح مارب الفيضان Floodgab للمأساة التي ستأتي، وذلك لأنه حتى في حالة اتفاقية التحكيم، وفي رواية الدينوري أيضا، قد أتاحت وكشفت عن إمكانية استئناف الحرب إذا ما فشل الحكمان في تحقيق التزاماتهما وتعهداتهما[٤]، حتى وان كان اجتماع التحكيم في ذاته per se يعدّ من اكبر مظاهر عرض القوة لمناورات عمرو بن العاص ومعاوية .فان حلم الأخير قد شُدد عليه مرة أخرى .فعلي لم ينجح في إقامة الجسور بين المتغايرات والتباينات داخل معسكره، وتمرد الخوارج في الواقع يعدّ معبّرا عن عملية الانحلال والتدهور.

وفي هذا الجزء فان الدينوري يكشف أيضا عن فراسته. فتمرد الخوارج لم تحدثه ولم تثره رسالة أو وثيقة الصلح، ولكن قد حدث بسبب خيبة مفاوضات التحكيم[٥]. ان

---

(١) الدينوري ص١٨٠ (كيتاني مجلد ٩ ص٢٨٣) [وحقيقة الأمر ان معاوية أمر جنده منع العراقيين من الماء فكان الرجل يمشي مقدار فرسخين- ٦ أميال- ليستقي الماء، إلا ان العراقيين شنوا هجوما على الشاميين فأزاحوهم عن الماء. ولكن الإمام لم يمنع الشاميين عن الماء بالمثل يقول الدينوري «ثم توادع الناس، وكفّ بعضهم بعضا، وأمر علي إلا يُمنع أهل الشام من الماء، فكانوا يسقون جميعا ويختلط بعضهم ببعض ويدخل بعضهم في عسكر بعض، فلا يعرض أحد من الفريقين لصاحبه إلا بخير، ورجوا ان يقع الصلح» الدينوري: الأخبار ص١٦٩ [المترجم]

(٢) الدينوري ص٢٠١ (كيتاني مجلد ٩ ص٥٠٧)

(٣) الدينوري ص٢٠٣ (كيتاني مجلد ٩ ص٥٠٩)

(٤) الدينوري ص٢٠٦- ٢١٠ (كيتاني مجلد ٩ ص٥١٢-٥١٥) يختار الدينوري هنا من روايتي نصر بن مزاحم الرواية الشيعية بشكل معقول جداً.

(٥) الدينوري ص٢١٥ (كيتاني مجلد ١٠ ص١٢٣) وهذا تماثل وتطابق بنيوي للأجزاء الأولى من معالجة علي

خصيصة وميزة الاضطراب السياسي والاهتياج في أي حركة من حركات الإرهاب قد شدّد عليها هنا بقوة اكبر من أي وقت مضى، وهذا ما أعاق علي عن استئناف قتاله ضد السوريين .وهكذا يستطيع تنفيذ حكم الله .كما كانت نيته وعزمه وواجبه كخليفة. إلا ان الخليفة المستقيم يسعى ويحاول دوما حتى بعد ذلك ليقنع المتمردين ويجلبهمَ إلى صوابهم قبل ان يلجأ ويحتكم إلى السلاح. وفي مناقشة مطولة .نظّم الدينوري واعدّ مختصراً بتصرف بصورة وصفية .فقد نجح الدينوري في دحض وتفنيد اتهامات الخوارج الموجهة ضد علي بالكفر[1]، إذ أظهر ان التحكيم لا يتعارض مع كتاب الله، وبان الذنب والخطأ يقعان على أبي موسى، ليس بوصفه حكما، بل لأنه خان المبادئ المفروضة عليه والمأمور باتباعها.

ولتلخيص وجهات نظر الدينوري التي أظهرت فوق كل شيء بان غرضه كما هو عند البلاذري، كان تحليليا. وانه اتخذ شرعية انتخاب علي أساسا له، ومقصده في ذلك البرهنة على ان للخليفة الحق الواضح والجلّي في قتال الحركات المتمردة الثلاث، الأولى وهي الرئيسة حركة معاوية بالوسائل العسكرية، نظراً لان السوريين قد وجدوا بأنهم وبدون تبرير ومسوغ شرعي قد دمروا الوحدة الإسلامية التي يمثلها الخليفة. والدينوري، على مغايرة من البلاذري، لا يعلّق أهمية على مقتل الخليفة؛ فبالنسبة له ان نقطة التحول الحاسمة إنما ترجع إلى الحقيقة بأن اتباع علي قد انقسموا على أنفسهم وذلك بسبب وساوس وشكوك معنوية نتيجة الموقف المعقد المحرج. والدينوري يختلف عن البلاذري أيضا في رفض وانكار إجراء الوالي السوري الملون tinge بالشرعية. ففي هذا الخصوص فإن الدينوري إذن على اتفاق مع الطبري، مع إنه اتفاق بتشديد في النبرة بشكل خاص على الرأي الذي يفيد بأنه حتى وان كان معاوية قد تأتى لأمر السلطة في لباقة ودهاء وبوسائل غير شرعية، فإنه قام بذلك أيضا اعتماداً على قوة خصاله وسجاه الشخصية. أما علي، فعلى الضد من ذلك، فقد حقق كافة الشروط

إذ، كما حدث في ٦٥٦م قد قوطع اجراءه ضد السوريين بحركة تمردية جديدة

(١) الدينوري ص٢٢٠ وما بعدها من الصفحات (كيتاني مجلد ١٠ ص١٢٧ وما بعدها من الصفحات

المطلوبة منه مستنداً على فقرة الراشدية القويمة التي ترتبط وتتصل بمكانة ومقام الخلافة. ولكن الدينوري كالمؤرخين المعاصرين أمثال البلاذري والطبري فإنه يعلّق أهمية كبيرة على مسؤولية معارضة الخوارج وتمردهم .تعبير يرمز إلى الاسماعيلية الوليدة أو الناشئة؟ .وبسبب فشل خلافة علي، حتى وان كان تقييم هؤلاء المؤرخين يختلف في التفاصيل.

وعرض الدينوري يحمل كل السمات والعلامات التي تؤكد على البراعة الكاملة والثبات والتماسك المثير للإعجاب. فمعالجة مادة مصادره تعتمد على تعديلات وتكييفات جريئة في المعلومات من ثقاته، وقد نفذّت وأجريت ببراعة قد جعلت من كتابه يبلغ مرتبة أسمى بشكل كبير من عدم البراعة والاتقان عند أسلافه[١]. والدينوري كمؤرخ فانه، كالبلاذري، يمثل أوج وذروة الكتابة التاريخية الإسلامية فكلاهما كان بارعا في التحليل في أهدافهما ومظاهرهما، والبلاذري بوصفه ملاحظاً وباحثاً، والدينوري بوصفه ذرائعيا. فان وجهات نظر البلاذري تشابه آراء الحنابلة، وتشيع الدينوري، فاداء الدينوري هو بطراز وبنوع من الدفاع عن علي، وان تحليله، كما هو الحال عند البلاذري، يتركز على فكرة مبدئية وأساسية، ولكنه يتابع ويناضل من أجل ذلك الغرض دون ان يأخذ كما هو الحال عند البلاذري بالمناقشة والتدرج في السرد. فان صورة علي عنده بالكاد تحمل وتتسع لأي تحفظ .كما هو الحال عند البلاذري . وان قضية معاوية بالكاد تتسع لأي تفصيلات ووقائع تساعد في التلطيف من خطورة الجريمة. وعلى أية حال فان وجهة نظره ليست متطرفة، وذلك حتى وان كان عليا «له من مجد وهالة الوحي وعلى أساس ذلك فإنه.. قد قاتل المتكبر المتغطرس insdent pride وقهر الخنوع أو الذليل meek[٢]». وانه لايعلق أي اهمية على المفاهيم والأفكار

---

(١) مع أني اتفق مع مرغليوث بان الطبري كمصدر (ودعنا نضيف أيضا البلاذري) فإنه من الطبيعي يكون مفصلا عند الدينوري بسبب منهجه البحثي في العمل، وانني لا التقي معه في الخلاف والجدال بان الأخير ليس له قدرات أو ملكات نقدية (مرغليوث، محاضرات ص١١٣ وما بعدها)

(٢) الدينوري ص١٩٩ وما بعدها (كيتاني مجلد ٩ ص٥٠٦ وما بعدها) إعتقد ان البروفسور بيترسن قد ترجم هنا المعنى العام لكتاب الإمام علي رداً على كتاب معاوية وكانت معركة صفين على أشدها قال الإمام

المسيحية المهدية Messianic في شخص علي. إن تقويمه للاسس نفوذ علي وسلطته هو تقييم سني وان ابن عباس قد عولج بإخلاص وتقدير، لكن من دون تمييز على أية حال. والدينوري، كالطبري، يعترف بان الدولة الجديدة تبدأ من سنة ١٠٠ هجرية متمثلة بالمعارضة العباسية ضد الأمويين[١]، وباعتبار ان الدينوري فارسي فانه من الطبيعي يشدّد على مشاركة الخراسانيين في نجاح العباسيين وانتصارهم وعلى وجه الاجمال، إذن، فان الدينوري كان يسعى ويحاول دمج وجمع تبجيل الشيعة المعتدلين لعلي مع وجهات نظر السنة الصحيحة. ان موضعة الدينوري الاحادية الدينية . والسياسية يبدو بالكاد ممكنة ومن المحتمل الإشارة إلى انه اعتماداً على ياقوت فقد كان له حظوة عند الموفق[٢]، ولي العهد على العرش العباسي regent من سنة ٨٧٠م، وان الكثير من وجهات النظر كما عبّر عنها تبدو متفقة اتفاقا تاماً مع الأخير. ومنذ سنة ٨٧٨م .أثناء ثورة الزنج الخطيرة، التي مع ذلك يبدو أنها متأثرة بالمذاهب الخارجية حتى وان كان زعيمها قد ادعى انحداراً واصلا ونسبا علوياً .فان الوصي على العرش قد سعى بوضوح وجلاء إلى إيجاد جو اكثر توفيقيا لتهدئة وإشباع رغبة الشيعة المعتدلين (ان الامامية الاثني عشرية قد اختفت وتوارت في ذلك الوقت تماما) بنوع من التسوية والحلّ الوسط بين هذه الحركة والسنة[٣]، وهكذا يقترب الدينوري ويدنو من وجهة نظر الطبري من الجانب الشيعي فقط.

علي «قد أتاني كتابك تذكر انك لو علمت وعلمنا ان الحرب تبلغ بك وبنا ما بلغت لم نجنها على أنفسنا، فاعلم انك وإيانا منها إلى غاية لم نبلغها بعد وأما استواؤنا في الخوف والرجاء فانك لست امضى على الشك مني على اليقين، وليس أهل الشام باحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة، وأما قولك إنّا بنو عبد مناف، وليس لبعضنا على بعض فضل، فليس كذلك لأن أمية ليس كهاشم، ولا حربا كعبد المطلب، ولا أبا سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، وفي أيدينا فضل النبوة التي بها قتلنا العزيز ودان لنا بها الذليل» الأخبار الطوال ص١٨٧ [المترجم] .

(١) الدينوري ص٣٣٦، ينظر Historisk Tidsskrift مجلد ٢ جزء ٥ ص٤٦٧ وما بعدها

(٢) مرغليوث، محاضرات ص١١٢

(٣) سورديل: الوزارة جزء ١ص٣٠٧- ٣٢٥، نفس المؤلف في (بحثه) (الحالة السياسية والاجتماعية لخلفاء المتوكل. (بالفرنسية) La politiqne religieuse des successeurs d'al المنشور في دراسات إسلامية Mutawakkil ص١٣ وما بعدها (باريس) Studia Islamica

(٥)

اليعقوبي* (٨٩٦ م)

وكاتب التاريخ المتميز المتشيع الآخر من القرن التاسع الميلادي، هو احمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي الذي ينتمي كما هو الحال عند معاصره الدينوري، إلى بلاد فارس، وكان يعيش بعيداً عن العاصمة ومتصلا بالبلاط الطاهري. وبعد سقوط هذه الإمارة أقام ـ منذ تقريبا سنة ٢٦٠ هـ/ ٨٧٣ ـ في مصر، ولكن يبدو ان تاريخه الشامل أعدّ في الأقاليم الشرقية[1]. ومع ان من الصعوبة إمكانية تحديد التاريخ الدقيق والمضبوط لكتابة تاريخه، الذي استمر وتواصل حتى سقوط الطاهريين، فإنه بصرف النظر عن كافة العوامل الغامضة وغير المحددة، فمما له أهمية ان نتذكر بأنه قد ألفه تحت نفس الظروف والأحوال المتعلقة بالزمان والمكان كما هو الحال في مؤلفات وكتب البلاذري والدينوري، وبشكل متغاير مع الأول، البلاذري، ويحتمل مع الآخر أيضا وهو الدينوري، فإنه قد كتب تاريخه بعيداً عن متناول البلاط الخلافي.

فاليعقوبي لم يكن اكثر من الدينوري في عدم ذكره لثقاته ومراجعه، غير انه يصعب إلى أقصى حد ان نتحقق من مصادره، كما ان أداءه يمثل عادة حصيلة هضم واستيعاب لأداء أبي مخنف، والراجح أيضاً هشام بن محمد الكلبي كحلقة وسيطة، ولكنه قد الحق به معلومات من مصادر أخرى حول عدد من المسائل كما سيظهر في المسح في أدناه: ـ

* اليعقوبي جزء ٢ ص٢٠٨ ـ ٢٠٩ (كيتاني مجلد ٩ ص١٢) إجراءات علي الأولى. وهذا المقطع هو مقطع مضطرب إلى حد ما. ومصدره من الصعب ان يكون وحسب اقتراح كيتاني (في ذلك الجزء والصفحة) سيف بن عمر، وذلك يرجع إلى ان اليعقوبي

---

* الصحيح ان وفاة اليعقوبي سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م [المترجم]

(١) تعقيبات هوتسما في praefatio (المقدمة) لتحقيقه ص٢ وما يليها من الصفحات، بروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة أولى) مجلد ٤ ص١٢٤٧، مرغليوث محاضرات ص١٢٥ وما يليها من الصفحات

لم يكن باسطاعته ان ينفذ ويتغلغل في المباني الواقعية والمتحيزة. وهو يدلي بسلسلة من التفصيلات (الفترة التي خلت من الخلافة بعد عثمان، وتعيين الولاة) المشتركة مع سيف والدينوري، ويرجح ان يكون مصدره ابن الكلبي (ينظر Acta Orientalia جزء ٢٧ ص٩١ وما بعدها، ص٩٥). ويكتم اليعقوبي الحقيقة بان الوالي الذي قد أرسله علي إلى الكوفة كان قد طرد وردّ على اعقابه، ويقول بأنه قد سمح لأبي موسى البقاء بطلب من الأشتر، وهذا بناء ربما يقتضي ضمنا ويفترض مقدما معلومات من مصدر معين آخر، ولكنه لايحتاج ذلك بالضرورة. وأيضا فان اليعقوبي يتجاهل بالمرة سوريا، ومحادثة علي مع طلحة والزبير هي ليست بالشكل المتماثل والمتطابق؛ وعلى حد سواء فان قوله بان عليا قد منحهما (طلحة والزبير) ولاية اليمن والبحرين تبدو وكأنها تعزى إلى المباني والانشاءات.

* اليعقوبي جزء ٢ ص٢٠٩ ــ ٢١١ (كيتاني مجلد ٩ ص١١١ وما بعدها من الصفحات) تمرد طلحة والزبير وعائشة. والتماثل والتطابق الأقرب يوجد عند أبي مخنف (البلاذري ص٤٧٠ . ٤٧٥، وهنا أيضا يظهر ابن الكلبي كناقل للبلاذري، كيتاني مجلد ٩ ص٦١ وما بعدها ص٦٣ وما بعدها)

* اليعقوبي جزء ٢ ص٢١٤ . ٢١٧ (كيتاني مجلد ٩ ص٢٤٠ وما بعدها من الصفحات) بعثة جرير بن عبد الله وعقد اتفاقية عمرو بن العاص مع معاوية، ينظر المدائني عن عوانة عند الطبري (مجلد ١ ص٣٢٥٥ . ٣٢٥٦ والبلاذري ص٤٩٤ . ٤٩٧) وعن المدائني عن عيسى بن يزيد، كيتاني مجلد ٩ ص٢٣٤، ٢٤٠ وما يليها من الصفحات). وهكذا فالأكثر احتمالا بان مصدر اليعقوبي هنا المدائني.

* اليعقوبي جزء ٢ ص٢١٧ (كيتاني مجلد ٩ ص٢٦٣) تبادل معاوية الرسائل مع سعد بن أبي وقاص. فالتماثل الوحيد المعروف هو في واقعة صفين ص٧٩ وما بعدها من الصفحات.

* اليعقوبي جزء ٢ ص٢١٧ . ٢١٩ (كيتاني مجلد ٩ ص٢٦٣ وما بعدها) مسيرة علي نحو صفين والمناوشات الأولى على مواضع المياه؛ ينظر خبر أبي مخنف عند البلاذري

ص٥٠٢ ـ ٥٠٤ (كيتاني مجلد ٩ ص٢٨٦ وما يليها من الصفحات)

* اليعقوبي جزء ٢ ص٢١٩ ـ ٢٢١ (كيتاني مجلد ٩ ص٤٩٠ ويليها من الصفحات) معركة صفين. التماثلات والتطابقات ويمكن التحقق منها عند أبي مخنف (الطبري مجلد ١ ص ٣٢٧٠ ـ ٣٢٧٢، ٣٣٣٣ ـ ٣٣٣٥، كيتاني مجلد ٩ ص٢٧٤، ٤٧٥ وما بعدها).

* اليعقوبي جزء ٢ ص٢٢١ ـ ٢٢٣ (كيتاني مجلد ١٠ ص٣٥ وما بعدها) اجتماع التحكيم؛ ينظر أبا مخنف عند الطبري مجلد ١ ص٣٣٥٤ ـ ٣٣٥٦، ٣٣٥٨ ـ ٣٣٦٠، البلاذري ص٥٢٣ ـ ٥٢٧ (كيتاني مجلد ١٠ ص١٨ وما بعدها من الصفحات) يبدو أيضا ان الكلبي كان الحلقة.

* اليعقوبي جزء ٢ ص٢٢٢ (كيتاني مجلد ١٠ ص٣٥)، خبر عن التنبؤات بما يتعلق بخطأ أبي موسى، حيث يذكر سويد بن غفلة الجعفي مصدراً ينظر المسعودي جزء ٤ ص٣٨٣ وما بعدها، تعقيبات كيتاني في هامش ص٣١ وكذلك ص٢٣٢ من الكتاب هامش ٧).

* اليعقوبي جزء ٢ ص٢٢٣ ـ ٢٢٥ (كيتاني مجلد١٠ ص١١٠ وما يليها من الصفحات ص١٨٨ وما يليها من الصفحات، ٢٠٥، ٢٢٥، ٢٧٦، وما يليها، ٢٨٤ وما يليها ص٢٨٧ وما يليها، ص٣١٤ وما يليها من الصفحات)، معارضة الخوارج والتمرد وانحلال خلافة علي، ينظر أبا مخنف عند الطبري مجلد ١ ص٣٣٦٠ وما يليها من الصفحات، البلاذري ص٥٢٧ وما يليها من الصفحات (كيتاني مجلد١٠ ص٧٧ وما يليها من الصفحات)، وان الأخير ـ البلاذري ـ وفي أحوال كثيرة يذكر مع هشام بن محمد كحلقة وسيطة.

* اليعقوبي جزء٢ ص٢٣٥ ــ ٢٤٢ (كيتاني مجلد ١٠ ص٤١٧ وما يليها من الصفحات) رسائل علي المتبادلة التي تخص بما استشهده اليعقوبي في أحد المقاطع بمرجعية وثقة إبراهيم بن غياث: واقتبس البلاذري نفس الرسائل من ذات المرجعية بشكل واسع، وبابن الكلبي كحلقة وسيطة.

وفي عدد قليل جداً من الحالات فقط فان اليعقوبي يتابع مصدره متابعة حرفية،

واداءات رواته في اكثر الحالات قد حولت من غير تعريف وتمييز. وبشان هذه المسألة ان لم يكن بشان أمر آخر، فانه لايختلف مع تدوين علم الحديث وثقافته المألوفة فقط إنما أيضا مع الدينوري، الذي، على نحو لايمكن إنكاره، قد أوجد وأحدث نصاً أدبيا متماسكا غير انه وعلى الرغم من التبديلات والتعديلات لايتباعد ولا ينحرف أساسيا وجوهريا عن صيغ المصادر. ان إعادة الصياغة والتنقيح عند اليعقوبي، على أية حال، تفتقر إلى وتعوزه القدرة على الإقناع والحجة المنطقية للأحداث وهذه كانت سمة متميزة في منهج كتاب الدينوري. فكتابه لم يحرر نفسه على وجه الإجمال من الجدال والمناظرة البدائية والبسيطة ومن آراء ووجهات نظر الرواية الشيعية المبكرة المهلهلة، وكتابه لم يرتقي ولم يرتفع إلى مرتبة البراعة في الأسلوب كما هو الحال عند الدينوري.

ولعله بالامكان وصف منهج كتاب اليعقوبي من خلال خبره عن المقاومة والمعارضة التي واجهها علي في الرقة أثناء طريقه إلى صفين. فهو كراويته المجهول، (in casu) وهو في هذه الحتل، أبو مخنف، إذ يذكر اليعقوبي ان أنصار عثمان قد تراجعوا وانكفأوا من الكوفة إلى الرقة، وهو الموضع الذي قد حصنوا أنفسهم فيه بخندق ضد الخليفة. فاليعقوبي في هذه الظروف، واعتمادا على بيت شعر عند أبي مخنف، قد اختاروا رجلا بذاته ليكون* زعيمهم. ولكنه طمس وكتم تماما على ان الموضوع كان في الحقيقة هو تساؤل عن عدم رضى الأهالي الإذعان لأوامر علي في بناء جسر على نهر الفرات، وان عليا قد كفّ عن عبور النهر من هذا الموضع، ولم يرجع إلى الجسر إلى ان أكره الأشتر الأهالي مهدداً اياهم بضرورة بناء الجسر. فالقصة، هكذا، قد فقدت كلية غرضها ومغزاها الأساس وأصبحت لاشيء سوى أثر وتأثير مأسوي ينتهي له الأداء في مسيرة الخليفة إلى صفين، وهو أداء وبشكل عرضي، قد

---

* يذكر اليعقوبي ان الإمام علي عندما «سار إلى الرقة وجلّ أهلها العثمانية الذين هربوا من الكوفة إلى معاوية فغلقوا أبوابها وتحصنوا وكان أميرهم سمّاك بن مخرمة الأسدي فغلقوا دونه الباب فصار إليهم الأشتر مالك بن الحارث النخعي فقال: والله لتفتحن أو لأضعن فيكم السيف ففتحوا وأقام بها أمير المؤمنين يومه ثم عبر إلى الجانب الشرقي من نهر الفرات» تاريخ جـ٢ ص٢٠٥ (المترجم).

كتم وغيب أي أثر لمثل هذه الخلافات الداخلية في معسكر علي وهي مع ذلك معروفة عند أبي مخنف ونصر بن مزاحم والدينوري. ومن الجهة الأخرى، فنحن نشهد إعادة صياغة وإعادة تشكيل للخبر . أما بالنسبة إلى معاوية فانه ليس بالضبط إطراء أو مدح . بشان النزاع حول الدخول إلى مواضع المياه على نهر الفرات، وان المناوشات بين الأشتر وأبي الأعور السلمي قد اتخذت صفة قتال على مقربة من الماء.

ومن الممكن تتبع آثار نفس هذه العملية عملية إعادة الصياغة في كل مكان من أداء اليعقوبي، ونجد في كل مثال بأن المعلومات في هذه الصيغة الجديدة قد تقدم على أنها انتصار معنوي وأخلاقي لعلي، مع ان التفصيلات في بناء اليعقوبي برمته لاتخدم ولاتفيد في الحقيقة أي وظيفة ومهمة سوى تلك التي تثبت وتجسد المتغايرات بين الفريقين. لذلك فان إجراء اليعقوبي هو إجراء جدير بالذكر وبارز لان غرضه قد يفسر تفسيراً أخلاقيا، وان بناءه قد بني على وفق ذلك. وروايته تمثل إلى درجة كبيرة إعادة كتابة محرّفة لأبي مخنف أو هشام بن محمد الكلبي وهي رواية مشهورة بأنها رديئة notorious بكل ما في الكلمة من معنى[١]. وانتقاء اليعقوبي لمصادره وتنظيمه وترتيبه للكتاب لم يكن من الجهة الأخرى، مخططا له مسبقا تماماً، حتى وان كانت بعض التفصيلات وفي مرات كثيرة تبدو كذلك. أما بالنسبة إلى توريخ الصدع في العلاقة بين علي ومعاوية فالحقيقة ان اليعقوبي يرفض رواية أبي مخنف لصالح المدائني وهو هنا دون شك يكشف عن نية وغرض مدروس ومقصود. فالصدع في العلاقة قد ارتبط بحلقة مع بعثة جرير بن عبد الله، وفي هذه النقطة يلتقي اليعقوبي مع التفسير السني للنزاع، وبذلك فقد طمست جميع الآثار للنزاعات والصراعات المبكرة جداً.

ان تصوير اليعقوبي لمعاوية بالكاد يشتمل ويحتوي على سمة موازنة redeeming

---

(١) هذا التقييم متفق مع تقييم لامانس (الأمويون ص١٩٧) وال.فيسيا فاجليري (فاجليري ج١ ص١٦) مغايرة لهوتسما (التاريخ المقدمة ص٨- ١٠) نولدكه (في مجلة ZDMG مجلد ٣٨ ص١٥٦) روزنثال (علم التاريخ ص١١٥) وبروكلمان (دائرة المعارف الإسلامية طبعة أولى مجلد ٤ص١٢٤٧)

feature فحكمه قد توضح بشكل جدير وملائم بنوع من البناء يشابه البناء الذي قد تعاملنا معه في أعلاه. وعلى أساس معرفة بالاستغاثة والمناشدة الملحّة ولكنها غير المجدية للخليفة الممتحن بالوالي السوري من اجل للمساعدة، فان اليعقوبي يقول مع ان الوالي السوري قد احتفظ باثني عشر ألف رجل على أهبة الاستعداد، لكنه قد اخفاهم إلى ان اصبح مطلعا بشكل جيد على الأحوال State of affairs في المدينة. وقد اعترض عليه عثمان وجادله مؤكدا على انه قد تصرف بهذه الطريقة وذلك لأنه ببساطة كان يرغب في موته[1]. وبمعنى آخر، فان اليعقوبي دسّ وأدخل في الذهن بان معاوية قد رغب بموت الخليفة وذلك من أجل أن يصبح هو «الوليّ في الانتقام بأخذ* الثأر» أو باغتصاب السلطة. أن الأداء، الذي يفيد قبل كل شئ بتوصيف معاوية وتصويره، وإظهاره بأنه كان يخطط بشكل سيئ جداً وبأنه كان ينظر إلى الأمر بدقة؛ وحول هذه المسألة فان المؤرخ كان بوسعه أن يصل إلى هدفه فقط عن طريق بناء غير متقن على نحو استثنائي. وعلى فرض أن معاوية كان بإمكانه الوصول إلى المدنية مع أثني عشر ألف رجل بعد المقتل، فان مجرى الأحداث ستنتهي في جميع الأحوال إلى حالة مختلفة تماما، وان الصدع في العلاقة مع علي والمتمردين ضد عثمان بالكاد يمكن دراه ودفعه إلى ما بعد معركة الجمل.

وخبر اليعقوبي، حتى وان تمت موازنته مع الرواية المعادية للأمويين بصورة عامة، تمثل انحدارا حاداً وخطيراً في منزلة معاوية الذي قد صنف في أحد المقاطع مع زمرة

---

(١) اليعقوبي جزء ٢ ص٢٠٥، ينظر محمد بن السائب الكلبي عند الطبري مجلد ١ ص٢٩٨٤- ٢٩٨٦ (كيتاني مجلد ٨ ص١٩٦، ١٩٧ وما بعدها). وفي بناء آخر مشابه وليس له معنى يذكر اليعقوبي ان عمرو بن العاص قد توسط بين عثمان والمتمردين (اليعقوبي جزء٢ ص٢٠٢، كيتاني مجلد ٨ ص١٩٥ وما بعدها)، وينظر الواقدي (الطبري مجلد ١ ص٢٩٦٩، كيتاني مجلد ٨ ص١٤٨ وما بعدها) إذ نجد ان عليا قد حصل بتدخله على وعد وتعهد من عثمان بحسن التصرف عند وصول المتمردين المدينة.

* [ذكر اليعقوبي ان الخليفة عثمان (رض) قد كتب إلى معاوية يسأله التعجيل في الوصول إلى المدينة لخطورة الموقف «فتوجه إليه في اثني عشر ألفا ثم قال كونوا- يعني جيشه- بمكانكم في أوائل الشام حتى آتي أمير المؤمنين لاعرف صحة أمره. فأتى عثمان فسأله عن المدة فقال قد قدمت لأعرف رأيك، وأعود إليهم فاجيئك بهم. قال، لا والله ولكنك أردت ان أقتل فتقول انا وليّ الثأر. ارجع فجئني بالناس. فرجع فلم يعد إليه حتى قتل» تاريخ جزء ٢ ص٢٠٥](المترجم)

الوثنيين وأنه «وثني عابد أوثان من مكة» وبصورة جلية فان اليعقوبي لم يشك بان عثمان كان بكل ما في الكلمة من معنى يستحق الموت[1] ووصف تمرد العثمانية على أنه مظهر وتظاهرة تبرز الطموحات الخائبة والعديمة الجدوى لكل من الزعيمين[2]، انه على أية حال تمرد قد وضعه بتعمد بعيدا عن تمرد معاوية. وان وضع المطلب في الانتقام بأخذ ثأر الدم موضع التنفيذ كان بالنسبة إلى نظرة اليعقوبي ان هي إلا حالة تكتكتية، على الرغم من علياً كان يأمل «بان السوريين سوف يقدّمون دعما ومساندة إلى الهادي الراشد» وهو الذي ليس لديه أدنى شك حتى وان كان شكا واهيا بشأن مقاصد معاوية الدنيوية وبشأن عدم شرعية تمرده ضد الخليفة.

وعلى الضد، فان اليعقوبي يعدّ مسالة الإعلان عن مصداقية وإنها مسالة لها أهمية فاعلة للتضامن والتكافل في صفوف جيش علي. وأما خديعة رفع القرآن فقد كان الهدف منها التفريق بين علي وشعبه؛ ولكن عددا قليلا جداً فقط ومن بينهم الأشعث بن قيس، الذي قد حاول معاوية قبل ذلك وحسب قول اليعقوبي استمالته، وكانت اليمانية تؤيده وتساعده. والواقع إنه قد أطاع الدعوة ولبّى النداء، النداء الذي بالنتيجة لم يثر ولم يحدث أي شقاق أو انفصال. أما الخوارج، وحسب وصف اليعقوبي، فهم أناس تلّبسهم الشيطان. وهو تصور وفهم لم يكن غير مألوف بين الشيعة[3]. إلا ان، كما

---

(١) ينظر تعليقات كيتاني في حوليات الإسلام مجلد ٨ ص١٩٥ وما بعدها من الصفحات [ما أورده اليعقوبي بهذا الخصوص هو ان معاوية قد كاتب قيس بن سعد بن عبادة عامل الإمام علي على مصر من اجل استمالته إلى جانبه فردّ عليه قيس قائلاً في الردّ «إنما أنت وثن من أوثان مكة دخلت في الإسلام كارها وخرجت منه طائعاً» اليعقوبي جـ٢ ص١٨٧ (المترجم)

(٢) اليعقوبي جزء ٢ ص٢٠٨ وما بعدها (كيتاني مجلد ٩ ص١٢)

(٣) اليعقوبي جزء ٢ ص٢٢٣ وما بعدها من الصفحات (كيتاني مجلد ١٠ ص١١٠ وما بعدها من الصفحات). هذا الفهم بشان الخوارج قد استمد استنادا إلى مصعب بن عبد الله الزبيري (المتوفى ٨٤٥م) وإلى عيسى بن يزيد (ينظر كيتاني مجلد ١٠ ص١٣٥ وما بعدها) وكثيراً ما كان يشار إليهم كشياطين (شيطان الردهة المنحدر المتحجر أو الصحري rocky coast.

[ويجدر ذكره ان الإمام علي(ع) قد أورد في كلام له يتعلق بان الله تعالى قد أمره «بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض فأما الناكثون فقد قاتلت وأما القاسطون فقد جاهدت وأما شيطان الردْهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجْبَة قلبه ورجة صدره» ينظر نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد/ دار المعرفة/ بيروت مجلد ٣ جزء ١٣ ص٢٤٥. وشيطان الردهة أحد الأبالسة المردة من أعوان إبليس وقد روي خبر عن النبي (ﷺ) بأنه كان يتعوذ منه. ومعنى الردهة شبه نقره في الجبل يجتمع فيها الماء ولعل أزب العقبة هو شيطان

هو أيضا عند الدينوري، تمردهم لا يتصل بالأحداث في صفين وقد تفعّلت أهميته وتعاظمت في حيلة وخديعة الحكمين على الإسلام. وقد أرخ التحكيم في شهر ربيع الأول ـ رمضان من سنة ٣٨هـ/ آب ٦٥٨ م ـ شباط[١] ٦٥٩م. وبهذه الوسيلة فان الفارق والهامش الزماني للتمرد الخارجي وللقتال قد ضييق وحُدد قدر الإمكان، وان معركة النهروان قد أرُخت بسنة ٣٩ هـ التي تبدأ بآذار ٦٥٩م[٢].

فأداء اليعقوبي، على الإجمال، قد تميز بعاطفة قد أظهرها لعلي ولا انحراف فيها وأما مقصده الأساسي فلابد ان يكون لتدليل والبرهنة على ان أتباع علي لم يخذلونه، كما أصّرت عليها الرواية السنية. وعلى أية حال فإن اليعقوبي لا يمجّد أو يطري علي بإفراط وبصورة غير عقلانية وبالإضرار بأسلافه، ولم يتخلى عن تقديره واعجابه بالعباسيين، فقد تم التعامل مع عبد الله بن عباس بطريقة عادلة وكيسة، وهو أيضا يذكر بأن محمد بن الحنفية قد تخلى عن منزلته ولقبه كإمام للعباسيين، فهو عندئذ على نفس الخطوط تماماً كما هو الحال في العرض والتقديم المؤيد إلى العباسيين. ان تعاطف اليعقوبي الشيعي يبرز بشكل قوي وأكثر مما هو عند المؤلفين المتشيعين الآخرين، وان طريقته لفهم الموضوع ومناظرته وجداله كثيراً ما يقترب من طريقة المناظرة الشيعية الدارجة. ومن الجهة الأخرى فإنه ليس هناك أي شيء يربطه بالأفكار المهدوية Mesianic بشخصية علي[٣]. وكما عبّر عن ذلك محقق الكتاب هوتسما Houtsma (بلغته) «abhorrens fanaticum furorem*» وان هذه المكانة والمنزلة تتطابق وتتفق مع معلومات هوتسما بأنه قد أعلن نفسه وصرّح بأن يكون من اتباع التشيع الحسن، وهي محاولات ومساعٍ لإحداث تسوية وحلّ وسط بين الآراء المختلفة للسنة والشيعة

الردهة. وقيل ان شيطان الردهة مارد بصورة حية ويكون على الردهة (ينظر ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة مجلد ٣ جزء ١٣ ص٢٤٥[المترجم].

(١) من الصعب القول ان اليعقوبي اراد ان يتابع الرواية الأصلية، إنما بالأحرى قد بدّل السنة ويقصد من ٣٧ هـ إلى ٣٨ هـ

(٢) اليعقوبي، جزء٢ ص٢٢٥ (كيتاني مجلد ١٠ ص١١١).

(٣) ينظر Sarasin ص٤٠ وما بعدها من الصفحات

* ويقصد من ذلك اجمالاً «التعصب والاعجاب الحماسي المنافي للمألوف» [المترجم]

المعتدلين[1]. وهذا التفسير، إذا ما افترضناه صحيحا، سيمكننا من اكتشاف وإيجاد نفس النزعة عند الطبري السني وكذلك عند الدينوري واليعقوبي المتشيعان لمحاولة إيجاد تسوية وحلّ وسط بين الآراء المتضاربة والاتجاهات الاسترضائية التي تجاهد وتناضل من كل الجوانب نحو هدف مشترك.

والواقع فانه أمر مميز وبالكاد يكون اتفاقيا وعرضيا بان مؤلفات البلاذري ووجهات النظر الحنبلية لم تمارسا أو تبدلا أي تأثير حاسم على الكتابة التاريخية الإسلامية بعد منتصف القرن التاسع الميلادي، وعلى الضد، فمما لاشك فيه ان المؤرخين السنة وكذلك المؤرخين الشيعة قد سعوا وهو أمر بالغ الأهمية ومن وجهة نظرهم الخاصة بهم إلى تقريب وجهة نظر الفريق المنافس أو الند. ولابد ان يبحث عن الشرح والتعليل، كما تمت الإشارة إليه بالفعل، في تنامي الإسماعيلية وتغلغل ونفاذ الشيعة المتطرفة (لاسيما اتباع فرقة النصيرية) في الإدارة ونزعات وميول كل واحد منهما قد اقتضى ضمنا وتضمن خطراً جديا للنظام الاجتماعي الموجود. فجميع كتب الطبري والدينوري واليعقوبي تحمل طابعا للتنافر والخصومة السياسية والدينية والاجتماعية لزمانهم ولعصرهم. وان جميعهم يتجه إلى صياغة واستنباط تفسير للفتنة بإقامة جسر بين الاختلافات للآراء المعتدلة، وكذلك كتم وطمس وجهات النظر المتطرفة. وان صورتهم وميزتهم البارزة المشتركة والأكثر جلاءً ووضوحا .بشان هذه النقطة التي شاطره وشاركه فيها أيضا البلاذري ـ هي المحاولة في الإبقاء في تحميل والزام الخوارج المسؤولية في اخفاق خلافة علي وفي ضعفها. ويحتمل ان ذلك يعزى إلى الحقيقة بان آخر ثورة خطيرة قد حدثت بتأثير أو الهام من تعاليم وعقائد الخوارج .

---

(١) هوتسما، تاريخ اليعقوبي (المقدمة ص٩) ان قول بروكلمان (في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة أولى) مجلد ٤ ص١٢٤٧) بان اليعقوبي يرجع وينتمي إلى الشيعة فرقة الشيعة الموسوية لايمكن إقامة الدليل عليه من المادة المتوافرة (وحول هذه الفرقة ينظر فريد لاندر: بحثه بالإنجليزية (بدع الشيعة اعتماداً على ابن حزم)، مجلة JAOS أجزاء ٢٣- ٢٤ (١٩٠٩-١٩١٠) Fried Laender,: The Heterodoxies of the Shiites according to ibn Hazm (نيوهافن ١٩٠٩ New Haven) ص٣٩ وما بعدها من الصفحات ص ٥٠ وما بعدها من الصفحات، شتروسمان Strothmann في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة أولى) مجلد ٤ ص٣٧٩

ثورة الزنج . تلك التي وقعت في وقت واحد (٨٦٩ . ٨٨٣م) وتلك الحركة الخارجية كان عليها بعد ذلك الوقت ان تستسلم وتذعن للاسماعيلية الثورية. فالتوسع الإسماعيلي والثورات الإسماعيلية كانت في الواقع معبّرة عن التوازن والتساوق الاجتماعي غير المستقر والقلق، ومنذ النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي دعمت الإسماعيلية دعاية واعلاما ورعبا قد انبثق وانبعث من بلاط الفاطميين في القاهرة. وعلى العكس فإن التسلل الشيعي داخل البلاط في بغداد، قد دعمه وسانده انحلال وتفسخ مالية الحكومة، التي أدت وقادت إلى وضع حدّ لسيادة الخلافة السنية من الداخل، وهي حالة قد وصلت إلى ذروتها في سنة ٩٣٦ وذلك باقامة وتأسيس منصب أمير الأمراء، وهي وظيفة صارت بعد بضعة سنين من سنوات ٩٣٠ م و٩٤٠ م التي تميزت بارتفاع تكاليف المعيشة وانتشار الأوبئة، وان هذا المنصب قد اصبح في أيدي البويهيين الشيعة في سنة ٩٤٥م. فالكتابة التاريخية هنا التي نتعامل معها هي هكذا، على حافة أو شفير أزمة من اكثر الأزمات خطورة وعسرا في التاريخ الإسلامي .التي لم يستطع التغلب عليها حتى عهد السلاجقة الأتراك في ١٠٥٥م حينما أزالوا البويهيين وابتدأوا فيما بعد هجوما معاكسا قويا ضد رعب واهتياج الإسماعيلي واثارتهم .ومما لاشك فيه فانه عن طريق محاولات اليعقوبي الذاتية في إيجاد تسوية وحلّ وسط قد يؤدي إلى توحيد جميع القوى المعتدلة ضد الاتجاهات الراديكالية والمتطرفة التي أحرزت على أهمية رئيسة.

خلاصة واستنتاج

[١]

ان نشوء ونمو الكتابة التاريخية الإسلامية كما انعكس في معالجة الفتنة تظهر بجلاء العلاقة المتبادلة والحميمة والعميقة التي وجدت في جميع اطوارها ومظاهرها فيما بين التطور السياسي والديني وكذلك فيما بين تكوين وبنية الرواية. ومنذ البداية جداً فان بنية وتكوين الرواية والكتابة التاريخية قد أفادت وخدمت وظيفة اجتماعية تحدد شكلها وصفتها وتقرر بالرؤية الفقهية الأساسية كما صاغها وابتدعها محمد، ومن قبل المؤمنين كافة للمنفعة الحيوية والمصلحة الحيوية من أجل ازدهار الأمة. لذلك فان طبيعة النقل العربي ستحول في الوقت نفسه دون أي تفريق واختلاف مطلق بين الكتابة التاريخية المقدسة والدنيوية أو الأرضية، فسيرة النبي وكذلك التأليف عن الأسس التاريخية للإسلام المبكر أو الأول كانت متصلة اتصالاً لاينفصم مع بعضه البعض الآخر كما ان أيا منهما ـ لم يكن اكثر من قواعد الحديث المروية، والفقه والتشريع ـ لم يكن غير متأثر بالاثارات والاهتياجات fermen الدينية والسياسية والاجتماعية منذ القرن السابع حتى القرن العاشر الميلاديين.

ان عوامل التردد وعدم البت بشكل نهائي في الحكم في دراسة تاريخ الإسلام المبكر جداً يحتمل أنها ترجع . أو على الأقل يمكن تتبع آثارها في . إلى العقود حوالي

سنة ٧٠٠ م، في النزاعات المنتشرة والسائدة التي قد أثارتها، ولكنها لم تجد حلاً لها، الحرب الأهلية الثانية. وانه يمكن ملاحظة ذلك في الرواية الشعرية كما في الرواية النثرية على حد سواء، فكلاهما حسبما يبدو يمثل صيغ مستقلة ومتماثلة لتقويم الماضي، وسرعان ما اتخذت صيغة وشكلا محدّداً، والرواية هذه تحمل جميع معالم وسمات الحقيقة .الرسمية أو الشكلية .والقانونية: الأحادية، والبناء والميل بأهداف ونزعات سياسية فرقية. ان كلاً من الأمويين وخصومهم في العراق وبلاد فارس قد اتخذ قوة الحجة والقدرة على الإقناع في الرواية الشعرية والنثرية على أنها تخدم الدعاية والإعلان السياسي الموضوعي، وان كلا من الأسلوبين قد بني بما لا سبيل إلى الشك فيه على أساس عناصر من القصص والروايات الشفوية الفردية، وبشكل مهيمن بخصيصة وصفة وسمة الأيام، ولكنها قد صيغت وأفرغت في قالب انتقائي ومؤلف من عناصر مستمدة من مصادر مختلفة ectectically من قبل الشعراء الروّاد والمحدثين وبشكل بقالب معّبر عن فكرة عامة. وهذا ينطبق على التفسير السوري .الذي صيغ من قبل الرواة المدنيين كالزهري وصالح بن كيسان .وكذلك التفسير العراقي المتضارب عند عدد من العلماء الكوفيين ومن بينهم الشعبي الذي يعدّ رائدا. وهذه العناصر في الرواية التقليدية قد خضعت وتعرضت، قبل نهاية الفترة الأموية، إلى إعادة صياغة تدريجية، لاسيما في النقل الكوفي، إذ ان التفسير الهاشمي وعلى وجه الخصوص الشيعي قد صيغ ووضع من قبل أبي مخنف ورواة من أمثال عيسى بن يزيد وجابر بن يزيد الجعفي على التعاقب، مع انهم في جدال عنيف ومستمر إزاء الرواية السورية . المدينية.

وفي جميع المظاهر التي يمكن رؤيتها فان النقل قد وضع ودوّن في الكتابة بشكل مبكر في العصر الأموي المتأخر، حتى وان كانت عملية التسليم والنقل لم تزل مع ذلك تسلك مسلك الرواية الشفوية. فهي بالفعل إذن قد اتخذت الشكل الذي انتزعه ورسمه جميع المصنفين والمؤلفين والمحّورين والمكيفين اللاحقين؛ إلا ان الرواية المؤيدة للسوريين، بصرف النظر عن البصرة إذ حافظت عليه المدرسة العثمانية لأغراض

وأهداف سياسية، لم يكن لها سوى قوة حيوية قليلة في العصور العباسية. وعلى العكس من ذلك فإن النقل الكوفي قد خضع وتعرض إلى عملية تطورية مهمة، إذ أنها قد تحولت ونقلت بموازاة وعلى طول خط الأسانيد الفردية من قبل العلماء الشيعة والمؤيدين للعباسيين على حد سواء. وإنه وفي الواقع من اللافت للنظر في إدراك مدى الاستعداد والميل والقابلية على التكييف Pliancy التي كيفت بها العناصر التقليدية للرواية الكوفية نفسها .وأحيانا أيضا الرواية السورية .المدينية .في الفترة العباسية للأوضاع السياسية المتغيرة حتى السنوات الأخيرة من القرن التاسع الميلادي. ومن خلال جميع مراحل التطور السياسي والديني فقد قام المؤرخون بسلسلة من العمليات operate مع العناصر المتوافرة في نهاية الخلافة الأموية، مع إنه قد حصل ذلك دون تغيير في انتقاء المادة المتوافرة وبسند مختلف وتكييف مختلف. ان المادة التي تحت التصرف هي، فضلاً عن ذلك، قد أضيف إليها بشكل كبير معالم ومزايا جديدة بين الفينة والأخرى بواسطة المباني، وفي بعض الأحيان بقصص الملاحم، مع أنها في الظاهر كثيراً ما كانت حكايات تتضمن هجوماً عنيفا على الرأي الآخر أو قصص مختلفة ومتنوعة عن القصص الموجودة بالفعل.

فالكتابة التاريخية خلال الأجيال الأولى من الفترة العباسية قد اتسمت وتميزت بما تعامل به الحكّام الجدد مع ماضيهم الثوري، وتحالفهم مع الشيعة في القتال ضد الخلافة السورية. لم يكن للعباسيين ومنذ البداية أي رواية مستقلة، غير ان القتال ضد الشيعة قد أثار مع ذلك اهتمام هارون الرشيد بشكل فعال جداً، حتى وان كانت الرواية بسند مختلف، كما إنها في الظاهر قد أفسدت إفسادا كاملا بمحاولات التوفيق والتسوية أبان خلافة المهدي وحكم البرامكة[1]. وان الصراع ضد الشيعة قد انعكس

(١) ينظر سورديل: الوزارة جزء ١ ص٩٣ وما بعدها من الصفحات، والبحث الأحدث لسورديل هو (بالفرنسية) وترجمته السياسة الدينية للخليفة العباسي المأمون La politique religieuse du calif abbaside al- ma'mun في مجلة REI سنة ١٩٦٢ (باريس/ ١٩٦٣) ص٢٧ وما بعدها من الصفحات.

في الكتابة التاريخية عبر التكييفات الجذرية والأساسية للنقل الكوفي من قبل رواة أمثال هشام بن محمد الكلبي وبالأخص سيف بن عمر. لقد قاوم العلماء الشيعة الاعلام والدعاية العباسية؛ فالرواية الشيعية المتطرفة قد عرفت على شكل مؤلف من كسر وأجزاء فقط، في حين تجيز لنا صيغتها المعتدلة متابعة البحث عند عمر بن سعيد ونصر بن مزاحم. ان كلا الفريقين كانا متحدين ومنسجمين في النقد المرير والقاسي جداً للدولة المنهارة، في الوقت الذي كان فيه موقف علي وعبد الله بن عباس والشيعة إزاء الفتنة قد أحدث وسبب جدالات ومناظرات عنيفة كان في الواقع مركزاً أو بؤرة للمناظرة Foci في التضارب والتنافر الأساسي والجوهري بين رؤى الأمة والحق الشرعي للخلافة الذي اضطلع به وتولاه السنة والشيعة، بينما كان العباسيون وبناء على مصالحهم الخاصة يظهرون ويحاولون البرهنة على الاستمرارية والتواصل السني كما وضعها وابتدعها الخلفاء الأول، وأما الشيعة فإنهم كانوا يدافعون عن استمرارية الهدي الإلهي المتمثل في خط الإمام.

ان أعمال المؤرخين خلال الأجيال الأولى للدولة العباسية تتصف بصورة عامة بأنها مثقلة ومفعمة بوجهات نظرها التي قد تحددت وعرفت وكذلك تميزت بفعالياتها البنائية الاستدلالية الجلّية والواضحة. ففي بداية القرن التاسع للميلاد تغير الوضع مرة أخرى عندما سعى العباسيون وفي عهد المأمون وخلفائه إلى تسوية توفيقية في استمالة العلويين وبعد ذلك في تبنيهم الاعتزال. ومنذ ابتداء هذه الحركة بالذات ظهر بأنها الفرقة والحزب المؤيد للدولة الجديدة، ولكن حتى ذلك الوقت لم تؤدِ إلا دورا ضئيلاً في صياغة وتشكيل الرواية التاريخية. وبالإمكان تتبع آثار العوامل المؤثرة للمعتزلة عند أبي بكر الهذيلي فقط، وهو الذي كان شخصيا متصلا بالمنصور، وبصرف النظر عن هذا الفاصل ولعله قد تحدد وتقرر بالظروف والملابسات السريعة والمتكررة. فان هارون الرشيد حتى هذه الفترة يكون قد حافظ على ودافع عن السياسة المعادية للعلويين وحتى موته. غير ان ذلك قد وقع بفترة أبكر مما يمكن ان نجده عند الواقدي، الذي يبدو انه كان ذا حظوة عند يحيى بن خالد البرمكي وبعد ذلك عند المأمون،

فنلاحظ ان ميلا كبيرا جداً قد ابدي وصرّح به يميل إلى جانب علي اكثر مما هو الحالة لحد الآن في الرواية المؤيدة للعباسيين، إلا ان المحاولة في إيجاد كتابة تاريخية اعتزالية وفي تسوية وحلّ وسط مع وجهات النظر المعتدلة المؤيدة للعلويين قد وصلت تطورها ونموها الكامل عند المدائني، فبدلا من الهجمات العنيفة والمريرة على الشيعة تلك التي قد تميزت بها الأجيال الأولى وبعد سنة ٧٥٠ م فضّل الحكّام الآن السعي إلى التسوية والتوفيق بين وجهات النظر السنية والشيعية المعتدلة وبين وجهات النظر الاعتزالية كقاسم مشترك، مع انه مع ذلك دون التخلي والاقلاع، على كل حال، عن اتهامهم بالرافضة. هذه النزعة وهذا الميل ازاء التشيع الحسن الذي قد وجد بشكل خاص في الكتابة التاريخية عند الواقدي والمدائني يحتمل قد تعزّز بالتحول الشيعي المتطرف الموجود داخل الحركة الاجتماعية المعارضة المعبّرة عن عدم استقرار المجتمع الذي بات متقلقاً وكذلك بنفاذها وتسللها في الإدارة وكذلك مع الخطر الناجم عن ضعف نفوذ الخلافة السنية.

يمثل المعتزلة، على أية حال، هجوماً عقلانيا أيضا على المبادئ والقواعد الأساسية للرواية الإسلامية، وباتجاه نحو منتصف القرن التاسع الميلادي فان الكتابة التاريخية وكذلك التشريع والفقه قد اظهرت وعرضت إشارات وعلامات عن ردّ فعل سني تحت الزعامة الحنبلية من الحركة العقيدية المهيمنة، وعلى الرغم من انه في الوقت ذاته قد اظهرت تلك الميادين أيضا إشارات عن محاولات لتعديل وتنقيح آلية وطريقة المعالجة التقليدية وذلك بواسطة استعمال نقد شكلي للمادة. وان الإسهام الحنبلي الرئيس قد توقف بما لاشك فيه على صراعه وكفاحه الناجح في تبرير الوجود والكينونة التقليدية الإسلامية وكذلك في تفنيده وصراعه ضد محاولة سلطة الخلافة في الهيمنة على التطور العقلاني في الإسلام. ومهما يكن من أمر فأنها لم تحرز في هذه المرحلة الحاسمة أي أهمية ودلالة دائمية وثابتة، سواء كان ذلك الثبات والديمومة دينيا ام في التدوين التاريخي. ونجد عند البلاذري فقط، نقداً تقليدياً للرواية رزينا ومتسّما بالاعتدال وقد تناغم وانسجم مع التوكيد في النبرة على قوة

الخلافة في مرحلتها المبكرة جداً، ويبدو ان لوجهات النظر الحنبلية المؤثرة تأييداً يتمتع بمنزلة ومكانة بارزة.

لقد احرزت الفترة بين منتصف القرن التاسع الميلادي، عندما تخلى المتوكل ضمنياً عن المعتزلة، بطابعها الرئيس المتميز بواسطة محاولات جديدة لإحداث تسوية وحلّ وسط بين الرؤى السنية والشيعية المعتدلة.ويحتمل ان صراعات من هذا الطراز ومن هذا النوع تلك التي أعلنت عن نفسها في المواقف المختلفة والمتنوعة للبلاط الخلافي إزاء الخصومات والتنافرات الدينية التي حدثت في هذه الفترة، ونفس الاتجاه والنزعة يمكن ملاحظتها أيضا في مساعي المؤرخين في إحداث حلّ عن طريق التسوية والتوفيق وهي محاولات التشيع الحسن. هذا الاندفاع باتجاه التوفيق بين الآراء كان دون شك متصلا اتصالا لا ينفصم عن المخاطر والأخطار التي أحاطت بالتطرفية الشيعية، وبظهور الإسماعيلية الثورية، والحقيقة ان الحركة الإسماعيلية قد خلفت وحلّت محل الخوارج تدريجيا خلال هذه الفترة؛ ويبدو ان محاولات التوفيق وحلّ الوسط، لهذا السبب، قد شكّلت ووهبت دفعا ذا أهمية جوهرية وأساسية طيلة القرن التاسع الميلادي. وبالإمكان ملاحظة العملية هذه عند كل من المؤرخين السنة والشيعة المعتدلين. ويعدّ الطبري من بين المؤرخين السنة بأنه الشخصية المركزية والبارزة، ومن بين مؤرخي الشيعة المعتدلين نلاحظ اتجاهات متشابهة عند الدينوري وإلى حد ما اكثر قوة عند اليعقوبي المتشيع.

وان اعظم الاعمال المؤلفة والمصنفة وأكثر التكييفات والتعديلات شهرة في نهاية القرن التاسع الميلادي هي تلك المتمثلة بالكتابة التاريخية الإسلامية في تطورها ونموها المتكامل. وفضلا عن ذلك، عند الطبري واليعقوبي وفيما بعد عند المسعودي (المتوفى ٩٥٦م)، وان صفة وسمة الأفق العقلي العربي الضيق للمؤلفين السابقين قد تلاشت واضمحلت لصالح المشروع التاريخي الشامل الذي ينشد إلى ويذهب إلى الاستدلال والاستنتاج للخلفية وللمتطلبات الأساسية لماضي عالم البحر المتوسطي. وان كافة هذه المساعي اللاحقة لجعل الإسلام يرتبط بحلقة مع الهيكلية والبنية

التاريخية المشتركة التي تتكئ وتستند على رواية العهد القديم .والرواية الهلنستية والمسيحية كما لخّصها ايسبيوس Eusebios وبولوس أورسيوس Paulus Drosius. فيحتمل ان المؤرخين العرب قد تلقوها واستلموها من المؤلفين المسيحيين العرب أو من السريان كحلقات وسيطة[1]. أنها بالنسبة إليهم .وخلافا للمؤرخين الأوربيين في العصور الوسطى .كانت أسلوبا وضربا متأخراً وثانويا، على الرغم من ان امتصاص هذه المادة يعدّ أمراً طبيعيا معادلاً ومساوي للفت الانتباه إلى الاستنتاجات الكاملة للرؤى التاريخية الأساسية التي صيغت عبر القرآن. لقد اصبح الإسلام الآن فقط ظاهراً كما كان يريده الرسول ويقصد به، كتحقيق وإنجاز للوحي الإلهي.

وعلى أية حال ففي نواحٍ أخرى فقد صيغت الكتابة التاريخية العربية ووضعت في هذه المرحلة الحاسمة، وارتسمت خطا يظهر منها الحدود الضيقة لأفقها، ومما لاشك فيه إنها لم تزل تحت تأثير نظام محمد الغائي teleological فالاختلافات الدينية والسياسية التي أثارتها الفتنة قد تطلبت واقتضت تقديم تفسير جديد وباستمرار للتاريخ الإسلامي المبكر جداً وتطوير تركيز ساحق تماما بشان النتائج المباشرة للانشقاق والاختلاف. وهكذا فانها إشارة دالّة على ذلك الاهتمام والعناية في تسجيل وتدوين التاريخ المعاصر الذي يبدو مهلهلاً وسطحيا بعض الشيء، والذي لم يزل مقصوراً ومقيّداً بالنتائج التي تعقب وتأتي بعد عوامل حدوثها بعد فترة قصيرة after effects للخطط العامة الفاصلة الملتزمة بالأشكال التقليدية.

فعصر البلاذري هو عصر قد انقضى كلية، وان مؤرخين من أمثال الطبري والدينوري كانوا يتعاملون مع ذلك العصر ببالغ الدقة وبشكل سطحي وظاهري. والكتابة التاريخية الإسلامية من المحتمل أنها لم تزل بدرجة ومرتبة عالية واعلى من الكتابة في العصور الأوربية الوسطى إذ تميزت بترتيب ونظام من أجل موضعة عصرها بمنظور تاريخي كما يتبدى للعقل من زاوية معينة Historical perspective، أو على

---

(١) ينظر روزنثال، علم التاريخ ص٦٦ وما بعدها، Historist Tidsskrift مجلد ٢ جزء ٤ ص٤٧٢ وان مؤلف بولوس اورسيوس قد ترجم إلى الإسبانية.

الضد، ليعطي فكرة صحيحة ويظهر خصائص المواضيع التي لها علاقة بالنزاعات التي تعود إلى الماضي.

ففي الإسلام نجد ان الاهتمام بالتاريخ المعاصر يعدّ متأخراً كما إنه كان بطيئاً في تطوره، وان الحقول الجديدة في الاهتمام بعد الفترة التي تعاملنا معها هنا تفهم ويمكن تصورها بشكل رئيس ضمن تلك المناخات والاتساقات حيث الأهداف التاريخية والدينية فيها لم تعدّ هي الأهداف الأساسية أو في المقام الأول. فالمؤرخ الأول الذي استطاع ان يؤرخ لعصره هو ابن مسكويه (المتوفى ١٠٣٠م). كان ابن مسكويه موظفا حكوميا وله معرفة حميمة وصميمة بسياسات عصره وقد تمتع بحرية الوصول إلى المادة الوثائقية المتضمنة في السجلات[١]. وهو ومؤلفون آخرون على حد سواء ومن هذا الطراز يمثلون، على أية حال، مراحل انتقالية لعلم السياسة كما صاغه الماوردي[٢] مثلا (المتوفى ١٠٥٨ م) الذي كان تحت تأثير ارسطو طاليس. وعن طريق المنظرين السياسيين فان الإدراك والمعرفة التاريخية والدينية لم تعدّ سوى معرفة ثانوية بالنسبة إلى قيمة المادة المواعظية والتعليمية. وبالضبط فان هذا الاتجاه وهذا الميل الذي رفضه الطبري حينما، وخلال مواجهته للمعتزلة، اثبت وبرهن على انه معارض وكاره لاستخدام المادة التاريخية استعمالا تجريبيا ومبنيا على الملاحظة والاختبار في التصنيف الفلسفي، وقد حافظ على بله ودافع عن الأسلوب والآلية التقليدية في الرواية ضمن الصيغ والهيكليات الشيوقراطية في الإسلام. فكتاب الطبري الضخم قد بُني على دفاع ضد محاولات ومساعي المعتزلة في ادخال وللمرة الأولى رؤى عقلانية جديدة، وكان هدف الكتاب إيجاد وحدة سنية، وبنفس الطريقة بالضبط الهدف الذي كان عليه علم الحديث الشرعي وعلم الفقه المعاصر وهما يسعيان نحو توفير هيكلية وبنية

---

(١) ينظر GAL جزء ١ ص٣٤٢ وما بعدها، ينظر أيضا روزنثال: علم التاريخ ص١٤٩ وما بعدها.

(٢) جب ص١٤١ وما بعدها من الصفحات. وحول تطور النظرية السياسية في الإسلام ينظر دائرة المعارف الإسلامية، كذلك روزنثال: الفكر السياسي في العصور الإسلامية الوسطى Political Thoughl in Medieval Islam كمبردج ١٩٥٨.

ثابتة ونماذج دائمية في الاجماع السني.

[٢]

ان ردّة فعل الرواة المسلمين على مطالبة المعتزلة باستعمال التاريخ «للاستدلالات العقلانية» (اقتباسا من الطبري) كان في الحقيقية أمراً طبيعياً جداً. فلوان الكتابة التاريخية قد تخلت عن آليتها وأسلوبها التقليدي في الرواية لصالح الهدف التعليمي الفلسفي الاعتزالي المثالي، فأنها بحكم طبيعة الحال ipso Racto .قد تفقد قدرتها على الإقناع وقد تفقد مكانتها ومسوغها كمهنة فعالة ومفعمة بالحياة داخل المجتمع الإسلامي. وقد استند علم الحديث بشكل بدهي على الدليل والبينة «عن النبي والأسلاف الأتقياء[١]». وفيما يخص العلاقة بالمذهب العقلي فان «المجتمع الإسلامي بأجمعه لايمكنه الاتفاق على ان الحديث برمته كان غير صحيح أومزيف[٢]»، فعلم الحديث قد دافع، وطبقاً للفكرة الثيوقراطية الأساسية في الإسلام على ان المعرفة التاريخية والادراك التاريخي إنما تظهر بجلاء إرادة الله. واستحقاق الرواية والقصة التاريخية تعتمد على هذا الأساس كلية على كفاية الناقل وعلى قدرة الراوية في تزويد وتوفير أداء مخلص وصادق، وإنه لايجيز ولايرخص إلا نقداً شكليا لمصداقية ومعتمدية آلية النقل. ان وظيفة الروايات في عرضها الكامل والشامل عن طريق علم الحديث كالتي اتبعناها في الكتابة التاريخية، تعتمد بشكل كبير جداً على حكم ووجهة نظر الناقل والراوية الحزبية .السياسية. ولكن أياً من الجانبين فان تقييما مثيراً للشكوك بشكل متطرف كأن يثار فيما إذا كان السلوك الديني للفرقة المتنافسة أو للفرق المتنافسة قد منحت أقوالها ومروياتها صفة المصداقية والأهلية كدليل وبينة، وهنا أيضا قد أوجد بالممارسة والتطبيق تفاعلاً مستمراً ومتواصلاً في الترجيح والموازنة بين متن الرواية وبين مظهرها الخارجي، وبشكل اكثر خصوصية في

---

(١) الطبري مجلد ١ ص٥٥- ٥٦، ينظر ابن قتيبة الذي أكد وأثبت على أنه «ليس هناك دين كالإسلام له دليل تاريخي قوي ومتين». [شبرنجر بحثه بالألمانية عن علم الحديث] بعنوان Sprenger, A. Uber das tradition swesen bei den Arabern مجلة ١٨٥٦ /١٠ ZDM/ ص١

(٢) الخياط، رقم ١٠٤ (من النسخة المحققة ١٤٤ وما بعدها من الصفحات). ينظر فنسك ص٤٨

الحالات التي لا توجد عنها مادة كافية تتعلق بالرواة. فمعمر بن رشيد* كان بوسعه ان يردّ مرجعية الزهري وذلك لأنه قد خدم الأمويين[١]، وهي حالة، من الجهة الأخرى، لا تعرّضه للشبهة في عيون الحنابلة، غير ان هشام بن عمار الدمشقي كان عليه ان يدين النقل الشيعي عند عيسى بن يزيد باعتباره زائفا وكاذبا بحجة ان محتوياته كانت متحيزة.

يعدّ أسلوب المعالجة التقليدية للرواية هذا، على أية حال، مثلا رئيسيا للقواعد والمعايير المطبقة في الفترة العباسية، وهذه حقيقة تستلزم تحفظات بماله علاقة بكل من التاريخ الزمني والكيفية والجودة. فلم يكن موقف المؤرخ بالنسبة إلى مصادره في الفترة الأموية متشابهاً تماما، وبالأخص انه لم يكن صارما ودقيقا جدا، مثل موقف اسلافه. فان الرواة الاوائل ـ الذين قد وصفوا كمحدثين ـ أيضا وفي النصف الأول من القرن الثامن الميلادي ـ كان تحت تصرفهم مادة الأيام الشفوية التي قد نقلت إليهم من رواة وحتى عندئذ فانهم كانوا متحيزين أيضاً. إذ اضافوا إلى مادة الأيام هذه، وخاصة عندما تجعل الظروف الخارجية هذا الجانب نافعا وملائماً، معلومات عن الأحداث السياسية التي تدور حول الفتنة، وان كلا العنصرين كانا منذ البداية قد صيغا وكيّفا انتقائيا في تقييم عام وجمعي. فالنقل المبكر جداً قد وجد في روايتين أساسيتين، إحداهما عراقية والأخرى سورية ـ مدنية، وان المسألة المهمة، على أية حال، هي انه في المراحل الأولى كانت تلكما الروايتين قد صيغتا دون أي محاولة للاستشهاد بحجية من الماضي، فالرواية المؤيدة للسوريين وكذلك الرواية المعادية لهم على حد سواء قد اتخذتا شكلا معينا من قبل علماء من الفترة الأموية وكانوا ذا آراء ووجهات نظر محلية وإقليمية أو محازبة بنفس الطريقة الموجودة في المذاهب الشرعية. إذن فالرواية في مظهرها الخارجي المبكر جداً هي على الأصح من نوع التفسير الموثوق عن الماضي كما وضع وصيغ من قبل رواة هذه الفترة: ـ الزهري، وصالح بن كيسان

---

* وهو الملقب بالبحراني (الراوي) [المترجم]

(١) Acta Orientalia جزء ٢٧ ص ١٠٢ وما بعدها.

والشعبي وعوانة، ولكن بالفعل إذن فقد تميزت هذه الرواية بأنها أحادية الجانب ومتحيزة وان جدلا عنيفا متبادلا كان يفصل بين المدرستين.

يعدّ الميل والرغبة في توظيف الرواية التاريخية .وكذلك الرواية الفقهية والشرعية . بحجية مبكرة وذات صيغة دينية عن طريق الإسناد، من الجهة الأخرى، ظاهرة ثانوية واضحة تلك التي تعود وترجع إلى فترة متأخرة قليلاً. وعلى الرغم من الدلائل الكثيرة المتضاربة، لكن ليس هناك من سبب للاعتقاد بان الزهري ومعاصريه قد انتفعوا بشكل طبيعي من أسانيد الرواة الأوائل فيما يتعلق الأمر بالنقل التاريخي، وحيثما يظهر الإسناد فعلاً فان ذلك وفي أحوال كثيرة جداً يعزى إلى مساعي الطبقة والجيل أو الطبقات اللاحقة .مثال على ذلك معمر بن راشد[1] .أما في إسقاط الأداء إلى الوراء حيث الرواة الأوائل أو باستبدال الحجية والمرجعية الحقيقية بإسناد زائف وكاذب. والتظاهرة أو الإظهار المبكر جداً لمثل هذه الاتجاهات والنزعات قد وجد في العراق وخصوصا عند الرواة الذين لهم حكم متطرف. وفي جميع المظاهر الخارجية، فان التجسيد والإثبات المروي المنفصل بواسطة الإسناد ـ والتحول الناشئ عن الفهم أو المفهومية التقليدية للرواية .قد أفضت إلى دخولها في العقود حول منتصف القرن الثامن الميلادي، وان عبد الله بن المبارك المؤيد للأمويين بالفعل قد اعتبرها وصورها على أنها جزء أساسي «كجزء من الدين». وكانت هذه التكييفات والتعديلات الشكلية كثيرا ما تدمج وتضم مع تحريف النص أو الدس في الروايات المبكرة جداً وكذلك في التعديلات بهذه الروايات، غير ان كلا النموذجين والصيغتين في التدخل في الروايات يحمل صفة pia fraus (المخادعة والدس) هي دون شك لها علاقة بالنزاعات المريرة والعنيفة في العصور الأموية المتأخرة وبذلك صار ضروريا ومطلوبا في الدوائر والمجموعات التقية والورعة ان تستبدل المعايير والقواعد التي سادت فترة الحكم السوري تلك التي وصمت بالهرطقة، بمعايير وقواعد تعمل على وفق الأفكار الأخلاقية

(١) Acta Orientalia مجلد ٢٧ ص١٠٢ وما بعدها

في الإسلام. ولذلك فان مفهومية الرواية قد تعززت وتوسعت، إذ تحررت وانفصلت عن أصلها الخاص وصارت بحدّ ذاتها وظيفة ومهنة في المجتمع الإسلامي، وقد وصل هذا الاتجاه غايته في القرن التاسع الميلادي تحت تأثير نقد المعتزلة ضد التقليدية في الرواية.

وان المتغيرات المنهجية والمفاهيمية في موقف المؤرخ المسلم إزاء مصادره يتطابق مع التبدلات والتحولات في موقفه إزاء موضوع البحث الذي يتعامل معه، فالمؤرخ قد سلّم نفسه فقط للمتطلب الأساسي بشان المشاكل الحيوية التي أثارتها الآثار والكتابات التي خلفتها الفتنة تلك التي بقيت راسخة من غير تبديل وراء جميع التعديلات والتكييفات. ان المحرك المبكر جداً في تأييد أحد الفرق بالنسبة للتاريخ ينبغي ودون شك ان ينسب إلى المعارضة السياسية العراقية وإلى الاتهامات الدينية ضد الخلافة السورية، وعلى العكس فان الرواية المدنية كانت تدون وتسجل الحجج المؤيدة لشرعية الخلافة الأموية. فالاتهام العراقي كان منذ البداية جداً يكتفي بتبرير إجراء معاوية للانتقام بأخذ الثأر من علي ومعارضته الخضوع والتسليم له، غير انه في أواخر الفترة الأموية اتخذت هذه الاتهامات تدريجيا مدى أوسع بكثير. فالخلافة السورية قد عينت هويتها بمطابقتها مع الجاهلية ووصفت بأنها وثنية وملك دنيوي وهذا يتعارض ويتضارب مع الإسلام. ويعدّ هذا التغير المعياري معبّراً عن الكره والمعارضة في العراق إزاء مساعي الأمويين في تكييف القواعد والمعايير الإدارية والدينية للبنية الاجتماعية المتغيرة. وعلى العكس، فان تكثيف الاتهامات ضد الأمويين قد انعكس في التغييرات الشكلية ضمن مفهومية أسلوب وتقنية المعالجة في علم الحديث.

كذلك لم يسو مجيء العباسيين إلى السلطة وتبني المبادئ الثيوقراطية النزاعات المتعلقة بالشرعية الدينية للخلافة الرسمية والراسخة. وقد حافظت الشيعة بل ودافعت عن استمرارية التوجيه والهدي الإلهي في رواية الإمام ضداً لادعاء العباسيين بأنهم الممثلون للاستمرارية السنية في أمة الله. وتتمثل الإمامة عند الشيعة بعلي المتحدرين من أصله. فان هذه الخلافات واللاانسجامات الأساسية والجوهرية يمكن ملاحظتها في

الكتابة التاريخية، أولا في ردّ فعل العباسيين على أصلهم ومنشأهم الثوري، وفيما بعد التنامي القوي والكثيف لموقفهم من تطرف وراديكالية الشيعة المتطرفة، فأنها كانت بحدّ ذاتها معبّرة .لمجتمع اصبح توازنه قلقاً، والتي هدّدت في الوقت نفسه اضعاف سلطة الخلافة من الداخل.

تثير الروايات والروايات المضادة بصرف النظر عن جميع العناصر الفنية المميزة لها، الاتهام والدفاع، ذلك الذي استمر ينعكس ويعكس جوهر الصراعات الدينية والسياسية والاجتماعية في الإسلام، مترددة ومتبادلة في الكتابة التاريخية. ولم تحرز الوجهة والمظهر المتعلق بالعصور القديمة مطلقا على أي موضع بارز، فالمؤرخ المسلم لا يحصر ولا يقيد نفسه بمجرد تدوين وتسجيل الحقائق، وإنه كان يفسرها مرة بعد أخرى وتكراراً في ضوء النزاعات المحلية التي لها علاقة بالأحداث الجارية topical والسمة الأكثر بروزا في الكتابة التاريخية منذ البداية هي في الواقع اختلاطها وامتزاجها بالجدالات والمناظرات العنيفة، وهنا لابد علينا من ان نبحث ونتلمس المحرك والباعث الأساسي لنشوئها. وان هذا العنصر قد ظل باقيا معها حتى فترة ازدهارها وريعانها أثناء الفترة العباسية. والمؤرخ الإسلامي لا يعمل مستقلا بنفسه sine ira et odio وهذا موضوع خاضع للحدس وحول أي مدى أو كيف كان الأمر مألوفا واعتياديا بالنسبة إلى مؤرخين مشهورين من أمثال الطبري بان يواصلوا أعمالهم في مثل هذه الاستقلالية المالية. فمنذ التكوين والتشكيل المبكر جدا للرواية نعرف بالتأكيد ان رواة من أمثال صالح بن كيسان والزهري قد عملوا وقاموا بمهماتهم كناطقين بلسان الخلفاء في دمشق، وان السنوات الأخيرة من حياة محمد بن إسحاق قد قضاها في الكتابة في بلاط المنصور، ويشار إلى أبي بكر الهذيلي على إنه كان نديماً لهذا الخليفة - المنصور؛ وكان الواقدي - وحسبما يبدو إنه كان مدينا بمال كثير جداً .على صلة بيحيى بن خالد البرمكي والمأمون، وكان البلاذري على صلة ببلاط المتوكل، وكتب اليعقوبي تحت رعاية وإشراف الطاهريين. ومن الطبيعي ان هذا لا يعني بأن جميع العمل والتأليف التاريخي في الفترة الإسلامية القديمة ينبغي ان يفسر وبالضرورة بلغة

إرادة ومشيئة البلاط الخلافي أو بلغة خصومه أو مناوئيه المؤثرين جداً، ان تعزيز الثيوقراطية الإسلامية تحتاج بل وتتطلب إلى كل عضو لكي يقرر ويعمل استناداً لوجهة نظره إزاء الفتنة. ومهما يكن، فان الانسجام والتناغم بين التيارات السائدة والمهيمنة وأراء المؤرخين يعدّ بصورة عامة مميزاً جداً بحيث انه لا يمكن نسبته إلى مجرد مصادفة.

ليس هناك بين المؤرخين المسلمين من هو صريح ومحدد في ذكر وجهة نظره السياسية الحزبية أو الفرقية أو في صياغة تصوره وفهمه العام: ماذا كان يحب وماذا كان يكره أو ماذا كان لايحب وكذلك فان برنامجه وتثمينه ينبغي دائما ان يستخرج ويستنتج من سياق الكلام ومن أسلوبه في التأليف. ان صيغة تصنيفه وكتابته التاريخية مع ذلك قد أحدثت مطلوبيات ثقيلة على المقدرة الاستدلالية للقارئ وجمهور القراء، ومن زاوية منهج البحث الحديث فان ترتيب تأليفه مع ذلك يقدم مفاتيح قيمة سواء كان ذلك فيما يخص كل من مطابقة وجهات النظر هذه عند الرواة أم فيما يخص تقييم أعمالهم ومناهجهم. وعلى أية حال ينبغي ملاحظة أمر مهم فعلى الرغم من كون النقل عبارة عن أجزاء، ومما لاشك فيه انه ذا خصيصة وأسلوب في الكتابة اتفاقي وعرضي، فان معرفة المادة التاريخية عبر جميع أشكالها ومظاهرها وجميع تعديلاتها وتكييفاتها تمنحنا وتزودنا امكانات في تقييم تاريخي ونقدي للآلية ولأسلوب المعالجة والبراعة في صياغة وتشكيل الرواية المستقلة في دعم القواعد الأساسية والمبادئ التي وضعها المؤلفون.

يتميز منهج الراوي وكذلك منهج المؤرخ المنصرف إلى التأليف قبل كل شيء بالمنهج الانتقائي. ولعل ذلك يقودنا إلى الافتراض مباشرة بأنه ليس هناك من شك على الإطلاق بان الرواية السورية ـ المدنية أو الخارجية (المنسوبة إلى الخوارج) لابد وان كانت معروفة بشموليتها اكثر بكثير من مؤرخي العصور العباسية. والانتقاء بين الروايات تحت التصرف ربما يعدّ استناداً إلى مجرى الأمور الاعتيادية نتيجة من نتائج التدرج الدقيق والحذر في علم الحديث الإسلامي للصفات والسجايا الدينية للخصوم

وكذلك لأهمية التدليل البرهاني والاثباتي برأيهم. غير انه حتى وان كان هذا التحفظ يقصد به ويعني inmente ان العنصر الانتقائي قد فرض على الآخرين الاعتراف به بطريقة ملفتة للنظر، وليس بالإمكان بأية حال من الأحوال ان تكون اتفاقية أو عرضية، فنحن مرة بعد أخرى بوسعنا التحقق من ذلك من المادة التي تحت تصرفه .ان رؤيته الخاصة غير مستثناة .وان المؤرخ قد انتقى بالضبط ما كان يريد به ان يخدم وجهات نظره الخاصة وكذلك ما يخدم أهدافه. فالطبري كان يفضل نقل سيف بن عمر المحرّف على نقل أبي مخنف وذلك لان نقل سيف يوافق ويلائم شروطه التي تصورها سلفا والتي استند عليها لدحض الشيعة المتطرفة. وبطريقة مماثلة ومتشابهة لجأ عمر بن سعيد ونصر بن مزاحم إلى النقل الكوفي المبكر جدا .وعرضيا فقد لجأ إليه في المقام الأول .أكثر من ان يربطا نفسيهما بالرؤى الشيعية المتطرفة، في حين كان المدائني، على عكس ذلك، قد أفاد كثيراً من الرواية المتطرفة والثانوية ضد المعارضة المعادية للمعتزلة. فالرواية الإسلامية، تشابه الكتابة التاريخية الأوربية المتعاصرة، وهي تمثل عملا متطوراً ومعقداً إلى درجة عالية بما له علاقة بالمصادر؛ وتعدّ قواعدها الأساسية نقدية بقدر ما يتعلق الأمر فقط بانتقائها لمادتها على وفق مسالك وخطوط قد حدّدت وقرّرت سلفا بالآراء الشخصية للمؤرخ. وملائمة المادة يتوقف على ميلها واتجاهها اكثر مما يتعلق بحكم المؤرخ على حجية ومصداقية الراوي.

والمسالة المنهجية الرئيسة الثانية الاسلوب تصح في الشكل والمحتوى للمادة المستخدمة. فالمؤرخ الإسلامي شأنه شان المؤرخ الأوربي، يفتقر إلى البراعة والقدرة والامكانية على التميز والتفريق بين العناصر المتقدمة والمتاخرة للرواية، وهي حالة قد حجبت المؤرخ نفسه عرضيا باستعماله الإسناد، ان الفكرة الحديثة بشان المصادر الأساسية والثانوية هي فكرة، وبشكل طبيعي، غريبة عن المؤرخ في العصر الوسيط. وان سلسلة النقلة وموضوع البحث التقليدي في الرواية على حد سواء كان عرضة وباستمرار إلى التعديلات والتكييفات الواسعة جداً والمختلفة والمتنوعة بدءاً من تحريف النصوص إلى التشويه والتزييف المستمرين. فالرواية المبكرة جداً تتصف في

الحقيقة بالبراعة وبالمباني الجدلية العنيفة، التي اضافت إليها الرواية المتأخرة محاولات ومساع لتبرير وتسويغ خبرها الخاص عن طريق ادوات محكمة ومتقنة للرجال الرواة وهي رواية perfas et nefas قد تسلسلت في سلاسل متماسكة ومترابطة من الناحية الزمنية ألا وهي الاسانيد. ان تزييفات وتحريفات الرواية، على أية حال، بالكاد تشكل ممارسة وخبرة تقدمية على نحو مستمر ومتواصل. فالتحريفات والتزييفات لكل من الموضوع والاسلوب والشكل تبدو بصورة عامة إنها تلائم وتناسب كل من الفترات التي تميزت خلالها الحياة السياسية والدينية بالهياج والهيجان العنيف بشكل خاص أو بالنسبة إلى محيط وبيئة الرواية، وقد وصلت الذروة والأوج في الكتابة التاريخية الذرائعية النشيطة عند سيف بن عمر، وكذلك التقيت برواة متطرفين أمثال جابر بن يزيد الجعفي، وعيسى بن يزيد، وعبد الله بن المبارك وهشام بن عمار الدمشقي.

ومن الصعوبة عمليا إمكانية إجراء ترجيح وموازنة لأحدهما على الآخر في هذه الإمكانات المنهجية. فجميعها تعدّ تظاهرات وتوضيحاتfrau pia التزييفات والتعديلات الممكن تبريرها ضمن هيكلية وبنية النظام الديني الثيولوجي لمحمد، ولكن في نفس الوقت فأنها ظاهرة قد جعلت في القرن التاسع الميلادي التقليدية غنيمة وفريسة سهلة للنقد العقلاني الاعتزالي. وضمن نطاق وحدود مادتنا واقتصارها فان هذا التحدي .من خلال وعبر مبادئ المدارس الشافعية والحنبلية في نقد الرواية دون أدنى شك .ومع أنها شكلية وإلى درجة عالية ناقصة .فهذا التحدي قد أدى إلى الكثير من الاعتدال والابتعاد من عن التطرف، وتتمثل عند البلاذري قبل كل شيء. والكتابة التاريخية الإسلامية تتميز اجمالا .بكل عوامل المزج الفردية وخلال جميع مراحل تطورها .بسمتين. ان اطارها ونطاقها قد تحدد وتقرر وفقا لظروفها الخارجية والدينية والسياسية والاجتماعية، أما منهجيتها فقد اكتسبت شهرة وميزة بما بعد الانطاقات والتسويغات arferrationalizalion بوسيلة المباني، في الأسلوب والشكل والموضوع، أو بوسيلة التوفيق بين المادة التي تحت تصرفها.

[٣]

ليس الهدف الأساسي من الدراسة الحالية الحكم والتعميم المباشر أو تفسير المنهج والمسلك التاريخي للأحداث، لكنه على الأصح توفير الدليل لوضعية ووظيفة الكتابة التاريخية المبكرة جدا في المجتمع الإسلامي، وكذلك لتوصيف وتصوير مناهجها العملية العاملة. غير ان الاستقصاء والبحث التاريخيين وفي تدوين التاريخ بإمكانه وفي الوقت نفسه تقديم مواضيع دراسية وخلفيات قيمة أيضا للحكم التاريخي على السنوات المشوشة تشويشا كاملاً في عهد خلافة علي. ان الاستنتاجات التي يمكن الوصول اليها من الاستقصاءات والبحوث التي اخذناه على عاتقنا هنا بهدف الوصول إلى تقويم للنزاعات في سنوات ٦٥٦ ـ ٦٦١م ينبغي قبل كل شيء القول بأنه ليس هناك سوى العناصر المبكرة جدا والأساسية للنقل أي صلة وثيقة كمصدر للمادة تاريخية. والرواية الناشئة في العصور العباسية تحتوي حسبما يظهر قدراً كبيراً وساحقاً من المعلومات التي لم تكن معروفة للروايات والقصص المبكرة جداً. ويبدو منطقيا ان الوصف الأكثر وفرة والأكثر تماسكا وترابطا يتوافر عند المؤرخين المتأخرين. وهذه الوفرة المقبولة للرواية المتأخرة إنما هي حالة ظاهرية، على أية حال، إنما هي مجرد ما نلاحظها ظاهرة جليّة وواضحة فقط. ان غنى ووفرة التفصيلات في التصوير والتمثيل في جميع الأمثلة الممكن إثباتها والتحقق منها فهي تعزى إلى التعديلات والمباني وإلى التحويلات والتركيبات وإلى ضم المجاميع المؤتلفة للمادة المبكرة جداً المتوافرة تحت التصرف. ولا يبدو بأية حال ممكنا ان نجد معلومة جديدة ولها قيمة وأهمية عن الفترة العباسية غير قابلة للشرح والتفسير وهو أمر طبيعي ومنطقي بشكل كبير، فإنها عبارة عن توضيحات وتعديلات من المصادر، ولا يوجد سبب يدعونا للاعتقاد بان الرواة المتأخرين قد كان لديهم أو كان لديهم أو تحت تصرفهم أي من المصادر الأساسية والاولية تلك التي فقدت فيما بعد. وهذا يصح في عمل الرواة المميزين كذلك يصح في عمل المؤرخين المنصرفين إلى التأليف. فالكتابة التاريخية في أيام العباسيين لها أهمية أساسية بكونها أثراً باقيا وبارزا عن العصر والمجتمع الذي نشأت ووجدت فيهما. فالرواية المتأخرة لها مع ذلك قيمة كمصدر بقدر ما إنها

انعكاس لتطور الإسلام دينيا وسياسيا؛ أما بالنسبة إلى كونها مصدراً للمعلومات عن الحرب الأهلية بعد موت عثمان فليس لها من قيمة على الإطلاق، غير أنها تصنف تصنيفا عاليا بما يخصّ توضيح وتفسير الإعلان والإعلام اللذين أحاطا بالمعلومة المتأخرة للفرق والاحزاب.

وعلى كل حال فان هذا لا يعني كون الرواية المبكرة جداً والأولية خالية من المتناقضات أو إنها مشوهة الحقائق ومحرّفة. فنحن هنا أمام حالة خاصة من الناحية المنهجية ألا وهي حالة تتمثل بحرية الوصول إلى المصادر الأساسية الأولية وليس بالضرورة ان تكون مصادر مستقلة، إلا أنها متناقضة بصورة مباشرة ومقصودة، وسواء كان ذلك في الخبر والرواية العراقية أم السورية .المدنية والمرجح أنها قد بنيت على أساس المعلومة التاريخية التي، مع أنها لم تعدّ معروفة، قد تجسدت أو اندمجت بالرأي opinio الذي قد صيغ وأعد عن طريق هذه الروايات. ان القصّاص والرواة المبكرين جداً قد عملوا بشكل انتقائي ومتحيز أيضا، فالعنصر الجدلي يعدّ السمة الأكثر بروزا في كل من النقل الشعري والنثري، وليس لأي من هذين النقلين معرفة مستقاة من المصدر الأول للأحداث التي نحن مهتمين بها هنا. ان إعادة بناء كاملة ومتفق عليها للتطور التاريخي تبدو وكأنها خارج نطاق وحدود الامكانية؛ فإن هناك الكثير من العناصر التي تقع ضمن سياق الكلام العام والكثير من الوقائع والأحداث العرضية ستبقى غير معروفة إلى الأبد، ويحتمل أنها كانت كذلك لدى كثير من الناس في زمانهم أيضاً. وان موازنة بين العناصر الأولية والأساسية للمصادر مع بعضها البعض الآخر ستمكننا من الكشف عن نزعاتها وميولها وكذلك عن شجاراتها وخلافاتها، وحيثما هو ممكن عملياً، عندئذ بوسعنا ان نخضع للاختبار معلوماتهم المتماسكة والواقعية بوسيلة الدليل والشاهد الآخر المستقل .السوري والبيزنطي .. وعن طريق نقد نظامي وثابت ومتساوق بشكل صارم فقط سيكون بالإمكان تخليص المصادر وتحريرها من ما بعد العقلانية وما بعد التبرير والتسويغ afterrationalizalion فهي اذن الطريقة الوحيدة التي بواسطتها نحرز على صورة اكثر واقعية وصدقية وموثوقية عن الإسلام المبكر جداً.

مسرد بالترجمة الانجليزية لبعض المصطلحات في التاريخ الاسلامي

١- Belles – Lettres = أدب
٢- Righteousness, religious habitus = عدل
٣- The Prophet family = أهل البيت
٤- Noteworthy events = أخبار
٥- Knowledge of events = علم الأخبار
٦- Transmitter of Akhbar = إخباري
٧- Personal agent, provincial governor = عامل
٨- Commander prince = أمير الامراء
٩- Muhammad's Medinese Companions = الانصار
١٠- Muhammad's Companions = أصحاب الرسول (ص)
١١- Days of the Arabs = أيام العرب
١٢- Investure through oath of allegiance = بيعة
١٣- Election possessing general validity = بيعة عامة
١٤- Treasury, Fiscus = بيت المال
١٥- Innovation = بدعة
١٦- Dynasty, era, power = دولة
١٧- Protected (non- Muslim) peoples = أهل الذمة
١٨- Religion = دين
١٩- Pension register, administrative office = ديوان
٢٠- Science of Muslim moral Law = فقه
٢١- Sin = فسق
٢٢- Sinner = فاسق
٢٣- Scruple = فتنة
٢٤- Scholar = فقيه
٢٥- Chivalry = فتوة
٢٦- Extremists = غلاة
٢٧- Tradition, transmission = نقل. حديث
٢٨- Umpire = (التحكيم) الحكم في مسألة
٢٩- Personal tolerance = الحلم
٣٠- God's judgment = حكم الله
٣١- Legal rule = حكم
٣٢- History's Lesson = عبرة
٣٣- Teacher's Licence = اجازة

٣٤- Consensus = اجماع
٣٥- Abridgment = اختصار
٣٦- Knowledge, science, wisdom = علم
٣٧- Leader in prayer; the religious dignity of the Caliph = إمام
٣٨- Infallibility = عصمة
٣٩- Chain of transmitters = إسناد
٤٠- Holy war = جهاد
٤١- Sermon, public address in the Friday prager = خطبة
٤٢- Infidelity = كفر
٤٣- Infidels = كفار
٤٤- Reports of the Prophet's warfare = المغازي
٤٥- Person under divine guidance = المهدي
٤٦- Inquisition = المحنة
٤٧- Non- Arab converts = مولى / موالي
٤٨- Pulpit = المنبر
٤٩- Bearers of Hadith = المحدثون
٥٠- Muhammad's Meccan Companions = المهاجرون
٥١- Testamentary transference = نصّ الخلافة / الإمامة
٥٢- Judge = قاضي
٥٣- Quran readers or recitators = القرّاء
٥٤- Extremist Shiites = الرافضة
٥٥- Second coming = الرجعة
٥٦- Bearers of transmission = راوية
٥٧- Opinion = رأي
٥٨- The appartatus of informants in the Isnad = رجال السند
٥٩- Election conclave = شورى
٦٠- The traditional prophet- biography = السيرة النبوية
٦١- Approved practice = السِّيَر
٦٢- Laws = سنن
٦٣- The prophet's and his companioun's practics = السنّة
٦٤- Orthodox Muslim = السنّي
٦٥- Biographical collection = الطبقات
٦٦- The prophet's followers (second generations) = التابعون
٦٧- Quran egegesis = تفسير القرآن
٦٨- Freedman = طليق
٦٩- Caution caused by fear = التقية
٧٠- Harmonization of divergent points of view = التشيّع الحسن
٧١- Muslim community = الأمة
٧٢- Heir = الوالي
٧٣- Testamentary executor = الوصي
٧٤- Testament = الوصية

ثبــت المراجــع

أ) المصادر

.Baethgen, F.: Fragmente syrischer und arabischer Historiker مقتطفات من التاريخ السرياني والعربي (المنشور) في (Abhandlangen fur kunde des Morgenlandes) M. VIII: ٣Lp٢. [الماني] ١٨٨٤

.Caetani, L.: Annali dell'Islam (ايطالي) حوليات الإسلام، I. X (جزء١. ١٠) Milano .١٩٠٥ .١٩٢٦

.Vaglieri, L. Veccia: Traduzioni di passi riguadanti il Conflitto 'Ali. Mu'awiya ela secessione khorigita الروايات عن النزاع بين علي ومعاوية وانفصال الخوارج (ايطالية) منشور في مجلة Aiourv, N.S.V. (١٩٥٣) pp. ٩٨.١

.Wensinck, A.J.: A Handbook of early Muhammadan Tradition كتيب عن الاحاديث المحمدية الأولى (انجليزية) أعيد طبعه (١٩٦٠) (Leiden ١٩٢٧, rpt(

.البلاذري: فتوح البلدان (تحقيق دي غويه، ليدن ١٨٦٣. ١٨٦٦)

.Hitti. Murgotten: ph. K. Hitti and F.C. Murgotten: The origins of the Islamic state (studies in History, Economics and public law(

(ترجمة فيليب حتى ومورغوتن: أصول الدولة الاسلامية: . دراسات في التاريخ والاقتصاد والشريعة) تحقيق جامعة كولومبيا كلية العلوم السياسية :LXVIII١. ٢ New York ١٩١٦. ١٩٢٤

.البلاذري، كتاب انساب الاشراف. نشر لأول مرة من مدرسة الدراسات الشرقية، الجامعة العبرية، اورشليم (القدس) جزء٥ (تحقيق اس. دي. كويتاين (القدس ١٩٣٦)

الترجمات للكتاب دي غويه (أم.جي)

Das kitab Ansab al. Ashraf des al. Baladhuri المنشور في مجلة ZDMG(١٨٨٤) جزء٣٨

.Levi della vida, G.: Il califfo 'Ali secondo il «kitab ansab al. ashraf" di Baladuri (الايطالية) (الخليفة علي في كتاب انساب الاشراف للبلاذري) المنشور في مجلة RSO/ VI/ ١٩١٤) pp.٥٠٧. ٤٢٧

.Levi della vida, G. e O.Pinto: Il califfo Mu'awiya I secondo a' "kitab Ansab al. ashraf" di Ahmad ibn Yahya al. baladuri الخليفة معاوية الأول في كتاب انساب الاشراف لاحمد بن يحيى البلاذري (بالايطالية) (روما ١٩٣٨)

.Bar Hebraeus, Abu. L. Faraj: Historia compendiosa Dynatarum arabica edita et Latine versa ab E. pocokio (تاريخ الدويلات العربية، لابن العبري (اللاتينية وقد ترجمها المستشرق يوكوك/ اكسفورد ١٦٦٣)

.الدينوري، أبو حنيفة.
كتاب الأخبار الطوال (تحقيق في جويرجاز Guirgass (ليدن ١٨٨٨)
.١٢Kratchkowski preface, variantes et index par ١. Krat ch kowski
مقدمة، وفهرست ومسرد بالالفاظ

.الجاحظ، رسالة النابتة. شارل بللا ترجمها بالفرنسية بعنوان
Un document important pour L'histoire politico. religieuse de L'Islam. La "Nabita" de Djahiz

وثيقة مهمة عن التاريخ السياسي والديني في الإسلام (النابتة) للجاحظ المنشور في مجلة AIEO X(Alger ١٩٥٢.pp (٣٠٢ . ٣٢٥.
.الجاحظ، شارل بللا ترجمة رسالة غير محققة حول التحكيم بين علي ومعاوية (بالفرنسية)
Une risala inedite de Gahiz sur L'arbitrage entre 'Ali et Mu'awiya
المنشور في مجلة المشرق ١٩٥٨ (وطبعت في القاهرة بلا تاريخ) ص٤١٧ . ٤٩١
.ابن خلكان: وفيات الاعيان (ترجمة من العربية بن مككوكين دي سلان Bn Me Guckin أجزاء ١ . ٤)
(باريس ١٨٤٢ . ١٨٧١)
.الخياط، أبو الحسين بن عثمان الخياط: كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الهرطقي (تحقيق ودراسة ان. أي. نادر (بيروت ١٩٥٧)
.ابن سعد، محمد: كتاب الطبقات الكبير (تحقيق أي. سخاو :Einleitang١III . (ليدن ١٩٠٣)
.ترجمة للقرآن مع اعادة تنظيم نقدية للسور من رقم ١ . ١١ (ادنبره ١٩٣٩) من قبل ريتشار بل Bell
.المسعودي، مروج الذهب (تحقيق وتعقيب كل من بافيت كورتيل ومينارد
Pavet de Courteille et C. Barbier de Meynard (Le prairies d'or بعنوان ٧ . ١ أجزاء)
ـ نصر بن مزاحم المنقري: وقعة صفين (تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون (القاهرة ١٣٦٥/ ١٩٤٥ . ١٩٤٦)
.النوبختي، فرق الشيعة (تحقيق اج رتر Ritter المنشور في Biblioteheca Islamica مجلد٤ اسطنبول ١٩٣١)
كفافي، محمد: ظهور الخوارج اعتماداً على أبي سعيد القلهاني. المنشور في مجلة كلية الاداب (القاهرة ١٩٥٢) مجلد١٤ عدد٢ ص٢٩ . ٤٨.
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك (تحقيق دي غويه (ليدن ١٨٧٩ . ١٩٠١).
الواقدي، كتاب المغازي (ترجمة، فلهاوزن، جي: محمد في المدينة (.Bln١٨٨٢)
اليعقوبي، تاريخ (تحقيق أم. هوتسما Houtsma جزءان (ليدن ١٨٨٣).

ب) ما كتب عن الموضوع من كتب وبحوث

Abbott, N. Studies in Arabic literary papyri (Historical texts(
دراسات في الأدب العربي في البرديات (نصوص تاريخية) المنشور في جامعة شيكاغو مجلد LXXV Orienta Institale Publicatiens (شيكاغو ١٩٥٧)
Becker, C. H. Principielles zu Lammens sira. studien
آراء لامانس في دراسة السيرة (بالفرنسية) المنشور في مجلة Islam مجلد) ١٩١٣IV) ص٢٦٣ . ٢٦٩.
GAL تاريخ الأدب العربي، Brockelmann, G. geschichte der arabischen litteratur
(بالالمانية جزءان) (فايمر ١٨٩٨ . ١٩٠٢، ملحق من جزء١ . ٣) (ليدن ١٩٣٧ . ١٩٤٢)
Brockelmann, C. Der alteste geschichtsschreiber der shia
عن تاريخ الشيعة (بالالمانية) المنشور في مجلة ZS مجلد) ١٩٢٣IV) ص١ . ٢٣.
Buhl, F.: A;iderne stilling til de shi'itske Bevaegelser under Umajjadrne
(حول الشيعة في العصر الاموي/ باللغة الدانمركية) المنشور في مجلة OVSF/ ١٩١٠ رقم٥ ص٣٥٥ . ٣٩٤)
Buhl, F.: 'Ali som Praetendent og kalif
(علي الخليفة/ باللغة الالمانية/ جامعة كوبنهاكن/ ١٩٢١)
Butterfield, H.: The History of the Writing of History
تاريخ الكتابة التاريخية (ورقة في المؤتمر الحادي عشر الدولي للعلوم التاريخية المنعقد في sthin/١٩٦٠) Xie Congres internationale de sciences Historiques. ص٢٥ . ٣٩.
Duri, A. A.: AL. Zuhri: A study on the beginnings of History writing in Islam
الزهري: دراسة عن بدايات الكتابة التاريخية في الإسلام المنشور في مجلة BSOAS مجلد١٩ XIX ١٩٥٧) ص١ . ١٢.
Duri, A. A.: The Iraqi school of History, to the ٩th century
المدرسة العراقية للتاريخ/ في مؤتمر حول الكتابة التاريخية للشرقين الادنى والاوسط/ نسخة مستنسخة من البحث (لندن ١٩٥٨). وقد أشرت في الهوامش إلى طبع الكتاب بعنوان (مؤرخو الشرق الاوسط) حققه

البروفسور برنارد لويس
E. I. (طبعة أولى) دائرة المعارف الاسلامية الطبعة الفرنسية من جزء ١ . ٤ مع الملحق
E. I. (طبعة ثانية جديدة) دائرة المعارف الاسلامية أجزاء ١ . ٢ (ليدن ولندن ١٩٦٠ . ١٩٦٢)
Faris, N. A.: Development in Arab Historiography as reflected in the struggle between 'Ali and Mu'awiya
تطور التدوين التاريخي العربي كما انعكس في النزاع بين علي ومعاوية (مؤتمر الكتابة التاريخية في الشرقين الادنى والاوسط، نسخة مستنسخة من البحث لندن ١٩٥٨. وقد طبعت اوراق المؤتمر في كتاب بعنوان (مؤرخو الشرق الاوسط)
Friedlaender, I.: The Heterodoxies of the shiites according to Ibn Hazm
بدع الشيعة اعتماداً على ابن حزم (معاد من مجلة JAOS أجزاء ٢٨ . ٢٩،) New Haven ١٩٠٩)
Fried Laender, I.: Abdallah ibn Saba', der Begrunder der Si'a und sein judische Ursprung
عبد الله بن سبأ والشيعة وأصوله اليهودية (بالالمانية) المنشور في مجلة ZA مجلد ٢٣ . ٢٥ (١٩٠٩ . ١٩١٠)
Fried Laender, I.: Muhammedanische geschicht. skonstruktionen
من التاريخ المحمدي (المنشور في مجلة BKO مجلد ٩) IX ١٩١١) ص ١٧ . ٣٤.
Gabrieli, F.: A Ma'mun egli Alidi. (المأمون والعلويون) بالايطالية
Morgenlandische texte und Forschungen, hrsg. V. A. Fischer, Bd مجلد . II=١,:Pz (١٩٢٩
Gabrieli, F.: Sulle origini del movimento Harigita
أصول حركة الخوارج (بالايطالية) المنشور في Rend. Line. ١٩٤١ fasc. VI pp. ١١٠ . ١٧
Fueter, E.: geschichte der neueren Historiographie ٢ Aufl. Mnch. B:n ١٩٢٥
(تاريخ التدوين التاريخي بالالمانية)
Gibb, H. A. R.: Studies in the civilization of Islam
(بوسطن ١٩٦٢) دراسات في الحضارة الاسلامية وقد ترجمه د. احسان عباس وآخرون بعنوان (دراسات في حضارة الإسلام (بيروت ١٩٦٤)
Goitein, S. D.: The place of Baladuri's Ansab al. Ashraf in Arabic Historiography
موضع أو مكانة انساب الاشراف للبلاذري في التدوين التاريخي العربي (بحث في المؤتمر التاسع عشر الدولي للمستشرقين) ١٩. Congresso internazionale degli Orientaisti ١٩٣٥ (Rome ١٩٣٨) pp. ٦٠٣ . ٦٠٦.
Goldziher, I.: Muhammedanische studien ١ ١١.
دراسات محمدية (بالالمانية) Halle ١٨٨٩ . ١٨٩٠
Goldziher, I.: Neue Materialien zur litteratur des Uberlieferungs wesen bei den Muhammedanren
(معلومات جديدة عن التاريخ المحمدي (بالالمانية) المنشور في ZDMG مجلد ٥٠ (١٨٩٠) ص ٤٦٥ . ٥٠٦
Goldziher, I.: Islam fordom och nu. Studieri korantolkningens historia
دراسة حول تاريخ القرآن (sthim ١٩١٥)
. Hamidullah, M.: Le "Livre des genealogies" d'al Baladuriy
كتاب الانساب للبلاذري (بالفرنسية) المنشور في مجلة BEO مجلد ١٤) XIV ١٩٥٢ . ١٩٥٤) ص ١٩٧ . ٢١١.
Horowitz, J.: De Vakidii libro qui kitab al. Maghazi inscribitur
كتاب الواقدي المغازي (بالالمانية) (BLn ١٨٩٨)
Horowitz, J.: Alter und Ursprung des
نشأة الاسناد (بالالمانية) المنشور في مجلة Der Islam مجلد ٨ VIII (ليبزك ١٩١٨) ص ٣٩ . ٤٧.
Horowitz, J.: The Earliest Biographies of the prophet and their authors
سير الرسول الأولى ومؤلفوها (بالانجليزية) وقد ترجمه الدكتور حسين نصار إلى العربية بعنوان (المغازي الأولى ومؤلفوها)
Lammens, H.: Etudes sur Le re'gne du calife omayyade Mo'awia I
دراسات حول عهد الخليفة معاوية الأول (بالفرنسية) بيروت ١٩٠٨

Lammens, H.::e califat de yazid I١٩٢١ خلافة يزيد الأول (بالفرنسية) بيروت

Laoust, H.: Ibn kathir, historien
ابن الكثير المؤرخ (المنشور في مجلة Arabica مجلد ١١ (ليدن ١٩٥٥) ص٤٢ . ٨٨.

Laust, H.: Le hanbalism sous Le califat de Baghdad
الحنابلة في عهد الخلافة في بغداد (بالفرنسية) [المنشور في مجلة /REI١٩٥٩) ص٦٧ . ١٢٨.

.Loth, O.: Ursprung und Bedeutung der tabaqat
ظهور وتطور الطبقات (المنشور في مجلة ZDMG مجلد٢٣ (١٨٦٩) ص٥٩٣ . ٦١٤.

Mahdi, M.: Ibn khaldun's philosophy of history. A study in the philosophic foundation of the sceince of culture
فلسفة التاريخ عند ابن خلدون دراسة في الأسس الفلسفية لعلم الثقافة والتثقيف.

Margoliouth, D. S.: The early development of Muhammedanism
التطور المبكر للمحمدية (لندن ١٩١٤)

.Margoliouth, D. S.: Lectures on Arabic historians
محاضرات عن المؤرخين العرب. وقد ترجمه الدكتور بعنوان (دراسات عن المؤرخين العرب) بيروت

Massignon, L.: Rescherches sur les shi'ites extremistes a Baghdad a la fin du troisieme siecle de L'hegire
بحوث عن الشيعة المتطرفة في بغداد حتى نهاية القرن الثالث للهجرة (المنشور في مجلة ZDMG مجلد٩٢ (١٩٣٩) ص٣٧٨ . ٣٨٢.

.Moscati, S.: Per una storia dell' antica sia
من تاريخ الشيعة القديم (بالايطالية) المنشور في مجلة RSO مجلد ٣٠ (١٩٥٥) ص٣٥١ . ٣٦٧

.Najim, W. T. studies in the writings of al.Jahiz
دراسات في مؤلفات الجاحظ (اطروحة غير منشورة لندن ١٩٥٨).

-Nallino, C. A.: La Litterature arabe des origines a L;epoque de la dynastie umayyade
المؤلفات العربية واصولها في عهد الدولة الاموية (بالفرنسية) (باريس ١٩٥٠)

.Noeldeke, th. ; Zur tendentosen gestattung der urgeschichte islam
المنشور في مجلة ZDMG مجلد٥٢ (١٨٩٨) ص١٦ . ٣٣

.Ober mann, J.: Early Islam
الإسلام المبكر (المنشور في فكرة التاريخ في الشرق الادنى القديم تحقيق R. C. Dentan, New Haven١٩٥٥ .pp٢٣٧ . ٣١٠

.Patton, J.: Ahmad ibn Hanbal and the Mihna
(احمد بن حنبل والمحنة) بالانجليزية وترجمه عبد العزيز عبد الحق إلى العربية (دار الهلال، القاهرة)

Pedersen, J.: Den arabiske Bog(١٩٤٦ الرواية العربية (بالدانمركية) (كوبنهاكن

.Pellat, ch. Gahiz a Baghdad et a Sammarra'
الجاحظ في بغداد وسامراء (بالفرنسية)

Pellat, ch. Le miliea basrien et la formation de gahiz
أثر البيئة البصرية في تكوين الجاحظ وقد ترجمه الدكتور ابراهيم الكيلاني بنفس العنوان دمشق ١٩٦١

Pallet, ch.: Le culte de Mu'awiya au III siecle de L'hegire
عبادة أو الاعجاب بمعاوية إلى حد العبادة في القرن الثالث الهجري (بالفرنسية) المنشور في SI مجلد٦ VI (١٩٥٦) ص٥٣ . ٦٦

Petersen, E. Ladewig: stat og historieskrivning Islam klassiske periode
بالدانمركية -حول التدوين التاريخي الاسلامي في الفترة القديمة (المنشور في مجلة HT مجلد٥ سلسلة١١/ ١٩٥٧ . ١٩٥٩) ص٤٥٥ . ٤٧٣

Petersen, E. Ladewig: Ali and Mu'awiyah. The rise of the Umayyad ca;iphate ٦٥٦٦٦١.
(علي ومعاوية. قيام أو نشوء الخلافة الاموية من سنة ٦٥٦ . ٦٦١) بالانجليزية (المنشور في مجلة AO مجلد٢٣/ ١٩٥٩ ص١٥٧ . ١٩٦

Petersen, E. Ladewig: studies on the historiography of the Ali. Mu'awiyah conflict

دراسات حول التدوين التاريخي عن النزاع بين علي ومعاوية (بالانجليزية) المنشور في مجلة AO مجلد٢٧ (١٩٦٣) ص٨٣ . ١١٨

- Richter, G: Das Geschichtsbild der arabischen historiker des mittelallers (philosophie und geschichte (٤٦

بالدانمركي المنشور في توبنغن ١٩٣٣

. Rosenthal, F.: The technique and Approach of Muslim scholarship

آلية ومنهج العلماء المسلمين (بالانجليزية) روما ١٩٤٩ وقد ترجم إلى اللغة العربية بعنوان (مناهج البحث العلمي عند المسلمين)

Rosenthal, F.: A history of Muslim historiography

(ليدن ١٩٥٢) تاريخ التدوين التاريخي الاسلامي وقد ترجم إلى اللغة العربية بعنوان (علم التاريخ عند المسلمين) ترجمه د. صالح العلي، بغداد ١٩٦٣

Sarasin, W.: Das Bild Alis bei den historikern dersunna

علي في مؤلفات السنة التاريخية (بالدانمركية) بازل ١٩٠٧ Basel

Schacht, J.: The origins of Muhammadan Jurisprudence

أصول التشريع المحمدي (اوكسفورد ١٩٤٩، وأعيد طبعه عام ١٩٥٣ وقد ترجم عبد السلام محمد هارون (ثلاث محاضرات في تاريخ الفقه الاسلامي) الشاخت في كتاب (المنتقى من دراسات المستشرقين، القاهرة ١٩٥٥، الجزء الأول

Schacht, J.: On Musa ibn ‘Uqba’ s kitab al. Maghaz

حول كتاب المغازي لموسى بن عقبة (بالانجليزية) المنشور في مجلة AO مجلد٢١ (١٩٥٣) ص٢٨٨ . ٣٠٠

Schultess, F.: Ueber den Dichter al. Nagasi

حول كتاب النجاشي (بالدانمركية) المنشور في مجلة ZDMG مجلد٥٤ (١٩٠٠) ص٤٢١ . ٤٧٤

Sourdel, D.: Le vizirat ‘Abbaside de ٧٤٩١١ . ١ ،٩٣٦.

الوزارة العباسية بين سنة ٧٤٩م . ٩٣٦م (بالفرنسية) (دمشق ١٩٥٩ . ١٩٦٠)

Sourdel, D.: La politique religieuse des successeurs d’ al. Mutawakkil

الأحوال السياسية والدينية في عهد خلفاء المتوكل (بالفرنسية) المنشور في مجلة SI مجلد١٣/ ١٩٦ ص٥ . ٢١

Sprenger, A.: Notes on Alfred von hremer’s edition of Waqdys) Compaigns

ملاحظات على تحقيق الفرد فون كريمر لكتاب المغازي للواقدي (بالانجليزية) المنشور في مجلة JASB مجلد٢٥ (١٨٥٦) ص١٩٩ . ٢٢٠

Sprenger, A.: On the origins and progress of writing down facts among the Mussulmans

جذور وتقدم كتابة الحقائق بين المسلمين (بالانجليزية) المنشور في مجلة JASB مجلد٢٥/ ١٩٥٦) ص٣٠٣ . ٣٢٩، ٣٧٥ . ٣٨١

Sprenger, A.: Uber dastraditionswesen bei den Arabern

حول الروايات والاحاديث عند العرب (بالالمانية) المنشور في مجلة ZDM مجلد١٠ (١٨٥٦) ص١ . ١٧

Spuler, B.: Islamische und abend landische geschichtsschreibung Eine grundsatz betrachtung

بالالمانية المنشور في مجلة Saeculum مجلد٦ (١٩٥٥) ص١٢٥

balagha. Sultan, J.: Etudes sur nagj al

دراسة عن نهج البلاغة (اطروحة) باريس ١٩٤٠

Vaglieri, L. Veccia.: Il conflitto Ali. Mu’awiya e la secessione kharigita riesaminati alla luce di fonte Ibadite

نزاع علي ومعاوية وانفصال الخوارج وبداية فرقة الاباضية (بالايطالية) منشور في مجلة AIOUN مجلد٤ (١٩٥٢) ص١ . ٩٩

Weil, G.: geschichte der chalifen, ١١١.

تاريخ الخلافة، جزءان (بالالمانية) Mannheim١٩٤٢ . ٤٨

Wellhausen, J.: prolegomena zur altesten geschichte des Islam

مقدمة عن تاريخ الإسلام (المانية) منشور في skizzen und vorarbeiten مجلد٦ Bin١٨٩٩ ص١ . ١٦٠

Wellhausen, J.: Die religion.po;itische oppositions parteien im alten Islam
hist. Abh. G. F. Gott, philol المعارضة الدينية والسياسية في الإسلام (بالالمانية) المنشور في
مجلد ٥ رقم ٢ (BLn١٩٠١)
Wellhausen, J.: The Arab kingdom and its fall das Arabische reich
والعنوان بالالمانية وترجمه الدكتور يوسف العش ترجمة أخرى اعتماداً على الترجمة الانجليزية
الدولة (المملكة) العربية وأفولها (كلكتا ١٩٢٧) والطبعة الالمانية (.BLn١٩٠٢)
وقد ترجم إلى العربية بعنوان (تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة)
Vesely, R.: das Ansar im ersten Burger.kriege (٣٦٤٠ .d.h(
حول الانصار (بالالمانية) المنشور في Archiv Orientalni براغ ١٩٥٨، ص٣٦.٥٨
Wustenfeld, F.: Die geschichtsschreiber der Araber Ihre Weke
الكتابة التاريخية عند العرب المنشور في مجلد ٢٨ . ٢٩ Abh G. W. gott ١٨٨٢

مختصرات المجلات الأجنبية

Abh. G. F. Gott = Abhandlungen der Gesellschaft der Wissenchaften zu Gottingen.

Abh. K. M. = Abhandlungen die Kunde des Morgenlandes (Lpz.(.

AIEO = Annales de L'Intitut d'Etudes Orientales de l'Univerite' d'Alger
مجلة، حوليات معهد الدراسات الشرقية في الجزائر

AIOUN = Annali dell 'Istituto Universitario Orientale di Napoli حولية معهد الجامعة الشرقية في نابولي

AO = Acta Orientalia (Copenhagen) المجلة الشرقية (كوبنهاكن)

BEO = Bulletin d'Etudes Orientales (Damascus) مجلة الدراسات الشرقية (دمشق)

B. Fac. Ar. = Bulletin of the Faculty of Arts of the Egyptian University (Cairo) مجلة كلية الاداب في الجامعة المصرية (القاهرة)

BKO = Beitrage zur Kenntnis des Orients (Halle a.s(.

(BSOAS = Bulletin of the School of Oriental and African studies (London
مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية (لندن)

H. T. = Historisk Tidsskrift (Copenhagen) الحولية التاريخية (كوبنهاكن)

IC = Islamic Culture (Hyderabad) الثقافة الاسلامية (حيدراباد)

JAOS = Journal of the American Oriental Society (New Hawen) مجلة الجمعية الامريكية الشرقية (نيوهافن)

JASB = Journal of the Astatic Society Bengal Branch (Calcutta) مجلة الجمعية الاسيوية (فرع بنغال) (كلكتا)

OVSF = Oversigt over Vindenskabernes Selskabs Forhandlinger (Copenhagen(

RHR = Revue de L'Histoire des Religions (Paris) مجلة تاريخ الاديان (باريس)

REI = Revue des Etudes Islamiques (Paris) مجلة الدراسات الاسلامية (باريس)

Rend. Linc = Rendiconti della Reale Accademia dei Lincei (Roma(

RSO = Rivista degli studi Orientalia (Roma) مجلة الدراسات الشرقية (روما)

SI = Studia Islamica (Paris) دراسات اسلامية (باريس)

ZA = Zeitschrift fur Assyriologie (Strassbourg) مجلة الاشوريات (ستراسبورغ)

ZDMG = Zeitschrift der Deutschen Morgen.Landischen Gesellschaft

ZS = Zeitschrift fur Semitistik und verwandte Gebiete (Lpz(